بسم اللَّه الرحمن الرحيم

خطبة الكتاب

الحمد لله الذي سَـلَّم مـيزان العـدل إلى أكُـفِّ ذوي الألبــاب، وأرسل الرسل مبشــرين ومنــذرين بالثواب والعقاب. وأنـزل عليهم الكتب مُبيِّنَـةً للخطأ والصــواب، وجعل الشــرائع كاملة لا نقص فيها ولا عاب[1].

أحمـــده حمد من يعلم أنه مُسَـــبِّبُ الأســـباب، وأشـــهد بوحدانيته شـــهادة مخلصٍ في نيته غـــير مرتاب.

وأشـهد أن محمـدًا عبـده ورسـوله أرسـله، وقد ســدل الكفر على وجه الإيمــان الحجــاب، فنسخ الظلام بنور الهدى وكشف النقاب، وبَيِّن للنـاس ما أُنزل إليهم، وأوضح مشكلات الكتاب، وتـركهم على المحجَّة البيضاء لا سَرَب فيها ولا سراب[2]. فصــلى الله عليه وعلى جميع الآل وكل الأصـــحاب، وعلى التابعين لهم بإحسـان إلى يـوم الحشر والحسـاب. وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

---

1 (?) عاب: عاب الشىء، عيبا، وعابا: جعله ذا عيب. فهو عائب.

2 (?) السّرَبُ: صغير تحت الأرض لا منفذ له.
السَّــرابُ: ما يـرى فى نصف النهـار من اشـتداد الحر كالمـاء فى المفاوز، يلصق بالأرض.

فإن أعظم النعم على الإنسان العقل؛ لأنه الآلة في معرفة الإله سبحانه والسـبب الـذي يتوصل به إلى تصـــديق الرســـل، إلا أنه لما لم ينهض بكل المــراد من العبــد، بُعثت الرسُــل وأُنــزلت الكتُب، فمثالُ الشرعِ الشـمسُ، ومثـالُ العقـلِ العينُ، فـإذا فتحت وكانت سليمةً رأت الشــمس. ولما ثبت عند العقل أقــوالُ الأنبيــاء الصــادقة بــدلائل المعجــزات الخارقــــة، ســــلَّم إليهم واعتمد فيما يخفى عنه عليهم.

ولما أنعم الله على هـذا العـالم الإنسي بالعقل افتتحه الله بنبــوة أبيهم آدم عليه الســلام، فكــان يعلمهم عن وحي الله عز وجــــلَّ، فكــــانوا على الصواب إلى أن انفرد قابيلُ بهواه فقتل أخـاه، ثم تشعَّبت الأهواءُ بالناس فشرَّدتهم في بيداء الضــلال حتى عبدوا الأصــنام واختلفـوا في العقائد والأفعـال اختلافًا خالفوا فيه الرُّسل والعقول اتِّباعًا لأهــوائهم، وميلاً إلى عاداتهم، وتقليدًا لكبرائهم، فصدق عليهم إبليسُ ظنَّهُ فاتبعوه إلا فريقًا من المؤمنين.

حكمة بعثة الرسل

وَاعْلَمْ أن الأنبياء جاءوا بالبيان الكـافي، وقـابلوا الأمراض بالدواء الشافي، وتوافقـوا على منهـاج لم يختلــف، فأقبل الشــيطانُ يخلــطُ بالبيــان شُــبهًا،

وبالدواء سمًا، وبالسبيل الواضح جـرْدًا[1] مضـلاً، وما زال يلعب بـــالعقول إلى أن فـــرق الجاهلية في مـذاهب سـخيفة، وبـدع قبيحـة، فأصـبحوا يعبـدون الأصـنام في الـبيت الحـرام، ويُحرِّمـون السـائبة[2] والبحـيرة[3] والوصـيلة[4] والحـام[5] ويـرون وأدَ البنـات ويمنعـونهن المـيراث، إلى غـير ذلك من الضـلال الذي سَوَّله لهم إبليس.

فـابتعث الله سـبحانه وتعـالى محمـدًا فرفع المقـابح، وشـرّع المصـالح. فسـار أصـحابه معه في ضوء نوره، سالمين من العدو وغروره. فلما انسلخ

---

1 (?) جردًا: جرد، جردًا: خلا جسمه من الشعر، فهو أجرد، وفى المكـان: خلا من النبـات، فهو أجـرد، وجـرد. وأرض جـردة، وجرداء.

2 (?) الناقة المهملة، التى كانت تسيّب فى الجاهلية لنذر ونحوه.

3 (?) البحيرة: الناقة كانت فى الجاهلية، إذا ولدت خمسة أبطن شـقوا أذنها وأعفوها أن ينتفع بهـا، ولم يمنعوها من مـرعى ولا ماء.

4 (?) الوصيلة: الناقة تترك للآلهة إذا ولدت أنثى فـأنثى. وقيـل: هى الشاة تلد ستة أبطن عناقين عناقين ـــ أى اثـيين ـــ فـإن ولدت فى السابع جديا ـــ ذكـرا ـــ ذبحـوه لآلهتهم، وإن ولـدت جديا وعناقا، قالوا: وصلت أخاها، فلا يذبحونه من أجلها، وأحلوا لبنها للرجال، وحرموه على النساء.

5 (?) الحام: من الإبل: الذى طال مكثه عند أصحابه، حتى صـار له عشرة أبطن فحموا ظهره تركوه.

وقد تـبرأ الله من هـذه الأفعـال فقـال تعـالى: ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام، ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون [المائدة: 103].

نهــار وجــودهم، أقبلت أغبــاش الظلمــات، فعــادت الأهواءُ تنشىءُ بدعًا، وتُضيقُ سبيلاً ما زال متسعًا، ففرق الأكـثرون دينهم وكـانوا شـيعًا، ونهض إبليس يلبس ويزخــــرف ويفــــرقُ ويؤلف وإنما يصــــحُّ له التلصصُ في ليل الجهـل، فلو قد طلع عليه صـبح العلم افتضح.

فــــرأيت أن أُحــــذِّر من مكايــــده، وأدل على مصايده، فإن في تعريف الشر تحذيرًا عن الوقـوع فيه.

ففي الصـحيحين من حـديث حُذيفة قـال: كـان الناس يسألون رسول الله عن الخير، وكنتُ أسأله عن الشر مخافة أن يدركني[1].

وقد أخبرنا أبو البركــــات ســــعد الله بن علي البزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي الطُّريثيثي، قـال: أخبرنا هبة الله بن حسن الطــــبري، قـــال: أخبرنا محمد بن أحمد بن سهل، قال: ثنا محمد بن أحمد بن الحســن، قــال: حــدثنا بشر بن موســى، قــال حدثنا عبيد بن يعيش، قال: حدثنا يـونس بن بُكـير، قـــال: حـــدثنا محمد بن إســـحاق، عن الحسن أو الحسين بن عبد الله، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهمـا، قـال: «والله ما أظنُّ على ظهر

---

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الفتن (7084)، ومسـلم فى الإمارة (1847/51).

الأرض اليوم أحـدًا أحبَّ إلى الشـيطان هلاكًا منّي، فقيـل: وكيـف؟ فقـال: والله إنه ليُحـدثُ البدعة في مشـرقٍ أو مغـرب فيحملها الرجل إلي فـإذا انتهت إلي قمعتها بالسُّنة فتردّ عليه كما أخرجها»[1].

حقيقة الأديان

وقد وضــعتُ هــذا الكتــاب مُحــذرًا من فتنــة، ومخوفًا من محنـة، وكاشـفًا عن مسـتوره وفاضـحًا له في خفيِّ غـــروره، والله المعينُ بجـــوده كل صادقٍ في مقصوده.

وقد قســـمته ثلاثة عشر بابًا ينكشف بمجموعها تلبيسهُ، ويتبين للفطِنِ بفهمها تدليسهُ، فمن انتهض عزمه للعمل بها ضـجَّ منه إبليســهُ، والله مــوفقي فيما قصدتُ، ومُلهمي للصواب فيما أردتُ.

(الباب الأول) في الأمر بلزوم السنة والجماعة.

(الباب الثاني) في ذم البدع والمبتدعين.

(البـــاب الثـــالث) في التحـــذير من فتن إبليس ومكايده.

(الباب الرابع) في معنى التلبيس والغرور.

(البـــاب الخـــامس) في ذكر تلبيسه في العقائد والديانات.

1 (?) إسـناد ضـعيف: فيه محمد بن إسـحاق، وهو مـدلس وقد عنعنه، والحسين بن عبد الله ضعيف.

(الباب السادس) في ذكر تلبيسه على العلماء في فنون العلم.

(الباب السابع) في ذكر تلبيسه على الولاة والسلاطين.

(الباب الثامن) في ذكر تلبيسه على العباد في فنون العبادات.

(الباب التاسع) في ذكر تلبيسه على الزهاد.

(الباب العاشر) في ذكر تلبيسه على الصوفية.

(الباب الحادي عشر) في ذكر تلبيسه على المتدينين بما يشبه الكرامات.

(الباب الثاني عشر) في ذكر تلبيسه على العوام.

(الباب الثالث عشر) في ذكر تلبيسه على الكل بتطويل الأمل.

الباب الأول الأمر بلزوم السنة والجماعة

أَخْبَرَنَا هبة الله بن محمد، نا الحسن بن علي التّميمي، نا أحمد بن جعفر بن حمدان، ثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، عن ابن إسحاق، نا ابن المبارك، ثنا محمد ابن سُوقة، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما خطب بالجَابية فقال: قام فينا

رسول الله فقــال: «مَنْ أراد منكم بحبوحة الجنة[1] فليلزم الجماعة، فإنَّ الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد»[2].

أَخْبَرَنَا أحمد، وحــدثنا جريــر، عن عبد الملك بن عمــير، عن جــابر بن سَــمُرَة، قــال: خطب عمــرُ الناس بالجابية فقال: إن رسول الله قــام في مثل مقــامي هــذا، فقــال: «من أحبَّ منكم أن ينـــال بحبوحة الجنَّة فليلزم الجماعــة، فــإنَّ الشــيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد»[3].

قال الترمذي: هذا الحديث حسن صحيح.

أَخْبَرَنَا عبد الوهاب بن المبــارك الحافظ ويحــيى بن علي المديني، نا أبو محمد الصَّــريفيني،، نا أبو بكر محمد بن الحسن بن عبـــــدان، ثنا أبو محمد بن صاعد، ثنا سعيد ابن يحيى الأموي، ثنا أبو بكر

---

1 (?) بحبوحة الجنة: أوسطها وأوسعها وأرجحها، وبحبوحة الدار: وسطها.

2 (?) صحيح: أخرجه أحمد فى المسند 1/8، والترمذى فى الفتن (2165) وقال: «حسن صحيح غريب»، والنسـائى فى الكـبرى فى عشرة النساء (9225)، وصـححه الحـاكم فى المسـتدرك 1/114 ووافقه الـذهبى، والـبيهقى فى السـنن الكـبرى 7/91. وقال الألبانى فى الصحيحة (340): «والحديث صحيح».

3 (?) صـحيح: أخرجه أحمد فى المسـند 1/26، والنسـائى فى الكبرى فى عشرة النسـاء (9219 ــ 9221)، وابن ماجه فى الأحكام (2363)، وفى الزوائد: «رجـال إسـناده ثقـات، إلا أن فيه عبد الملك بن عمير، وهو مدلس، وقد رواه بالعنفة».

بن عيـــاش، عن عاصم بن أبي النجـــود، عن زِرَ، عن عمر بن الخطاب قال: قـال رسـول الله «من أراد بَحبوحة الجنّة فليلزم الجماعة، فـإن الشـيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد»[1].

حَـــــدَّثَنَا عبد الأول بن عيســـــى، نا أبو عاصم الفضـــيل بن يحـــيى، ثنا أبو الحسن علي بن عبد العزيز، أنبأنا أبو عبيد، نا النّضر بن إسـماعيل، عن محمد بن سوقة عن عبد الله بن دينار، عن عمر، قـــال: قـــال رســـول الله «من ســـرهُ أن يســـكن بَحبوحة الجنَّة فليلزم الجماعـة، فـإن الشـيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد»[2].

أَخْبَرَنَا عبد الأول، نا أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الفارســـــي، نا عبد الــــرحمن بن أبي شُـــريح، ثنا ابن صـــاعد، ثنا إبـــراهيم بن ســـعد الجـوهري، ثنا أبو معاوية عن يزيد بن مردانُبه عن زياد بن علاقة، عن عرفجـة، قـال: سـمعت رسـول الله يقول: «يدُ الله على الجماعـة، والشـيطان مع

---

[1] (?) إسـناد حسـن: أخرجه ابن أبى عاصم فى السـنة (87 ـــ 898)، وقـال الألبـانى فى تحقيقـه: «إسـناده حسـن، ورجاله ثقات، وفى بعضـهم ضـعف يسـير، وهو ينجـبر بـالطرق الآتيـة، وذكر حديث ابن عمر السابق، ثم قال: فالحديث صحيح».

[2] (?) صحيح: أخرجه النسائى فى الكـبرى فى عشـرة النسـاء (9224)، وصححه الحاكم فى المستدرك 1/114، وأخرجه عبد الرزاق فى مصنفه 1/341، والديلمى فى مسـند الفـردوس (5673)، وانظر: طرق الحديث السابقة، والحكم عليها.

من يخالف الجماعة»[1].

أَخْبَرَنَا محمد بن عمر الأُرْمــوي، والحســين بن علي المقري، نا عبد الصمد ابن المأمون، نا علي بن عمر الـــــدَّارقطني، ثنا أبو جعفر أحمد بن إســحاق بن البُهلــول، حــدثني أبي، ثنا محمد بن يعلى، ثنا سليمان العامري، عن الشَّيباني، عن زياد بن علاقــة، عن أسـامة بن شـريك، قـال: سـمعت رسول الله يقول: «يدُ الله على الجماعة، فإذا شذ الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الذئبُ الشاةَ من الغنم»[2].

أَخْبَرَنَا ابن الحصــين، نا ابن المُــذهِّب، نا أحمد بن جعفــر، ثنا عبد الله بن أحمــد، حــدثني أبي، أنبأنا أسود بن عامر، ثنا أبو بكر، عن عاصم، عن أبي وائل عن عبد اللــه، قـال: «خَـطَّ رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم خطًا بيـده، ثم قـال: هـذا

---

1 (?) صـحيح الإسـناد: أخرجه النسـائى فى تحـريم الـدماء (4032)، والطبرانى فى الكبير 17/144، 145، وذكر الهيثمى فى مجمع الزوائد 5/221 وقـــال: «رواه الطـــبرانى ورجاله ثقات».

2 (?) حسن لغيره: أخرجه الطبرانى فى الكبير (489)، وذكـره الهيثمى فى مجمع الزوائد 5/218 وقـــال: «وفيه عبد الأعلى بن أبى المسـاور وهو ضـعيف» والحـديث له شـواهد كثـيرة ذكرها الحاكم فى المسـتدرك 1/115، 116 من سـبعة طـرق عن ابن عمــر، والترمــذى فى الفتن (2167) من حــديث ابن عمر وقال: «حديث غريب»، وانظر: جمع الجوامع 1/998.

سـبيلُ الله مسـتقيمًا»، قـال: ثم خـطَّ عن يمينه وشماله ثم قال: «هذه السُّبُلُ ليس منها سـبيلٌ إلا عليه شـيطان يـدعو إليـه، ثم قـرأ: ﴿**وأن هـذا صـراطى مسـتقيما فـاتبعوه ولا تتبعـوا السبل**﴾[1] [الأنعام: 153].

وبالإسـناد قـال أحمـد: وثنا رَوْح، ثنا سـعيد، عن قتادة، قـال ثنا العلاء بن زيـاد، عن معـاذ بن جبل رضي الله عنـه، أن رسـول الله قـال: «إن الشـيطان ذئب الإنسـان كـذئب الغنم، يأخذ الشـاة القاصـية والناحيـة، فإيّـاكم والشـعاب، وعليكم بالجماعة والعامَّة والمسجد»[2].

حَدَّثَنَا أحمد، ثنا أبو اليمان، ثنا ابن عيـاش، عن البخـتري بن عبيد بن سـليمان، عن أبيـه، عن أبي ذر، عن النـبي أنه قـال: «اثنـان خـير من واحـد، وثلاثة خـير من اثـنين، وأربعة خـير من ثلاثـة،

---

1 (?) صحيح: أخرجه أحمد فى المسند 1/435، 465، والنسائى فى الكـبرى فى التفسـير (11174)، وصـححه الحـاكم فى المستدرك 2/318، ووافقه الذهبى، وابن حبان فى صـحيحه (1741 مـوارد)، والحـديث له شـاهد من حـديث جـابر أخرجه أحمد فى المسند 3/397، وابن ماجه (11)، وابن أبى عاصم فى السنة 1/13.

2 (?) ضعيف: أخرجه أحمد فى المسند 5/233، 243، وذكـره الهيثمى فى مجمع الزوائد 2/23 وقـال: «والعلاء بن زيـاد لم يسمع من معاذ»، وقـال الحافظ العـراقى فى تخـريج أحـاديث الإحياء 2/224: «فيه انقطاع».

فعليكم بالجماعة فـــــــإن الله عز وجل لم يجمع أمّتي إلا على الهدى»[1].

أَخْبَرَنَا عبد الملك بن القاسم الكــروخيُّ، قــال: أخبرنا أبو عــامر الأزدي وأبو بكر الغُــورجي، قــالا: أخبرنا الجــــرَّاحي، قـــــال: أخبرنا المحبــــوبي، ثنا الترمــــــذي، ثنا محمــــــود بن غيلان، ثنا أبو داود الحفـري، عن سـفيان، عن عبد الـرحمن بن زيـاد الإفريقي، عن عبد الله ابن يزيـد، عن ابن عمـرو، قال: قال رسـول الله «ليـأتينَّ على أُمَّتي كما أتى على بـني اسـرائيل، حـذو النّعـلِ بالنّعل حـتى إن كان منهم من أتى أُمَّه علانيةً، لكان في أُمَّتي من يصنعُ ذلك، وإن بـني اسـرائيل تفـرَّقت على ثنـتين وسـبعين ملَّةً وتفــرقت أمَّتي على ثلاثٍ وســبعين ملّةً، كُلُّهم في النّار إلا ملَّةً واحدةً، قــالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي»[2].

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا يعـرف إلا من هذا الوجه.

وروى أبو داود في سننه من حديث معاوية بن

---

[1] (?) ضعيف: أخرجه أحمد فى المسند 5/145، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد 5/218 وقـال: «وفيه البخـترى بن عبيد وهو ضعيف».

[2] (?) حسن: أخرجه الترمذى فى الإيمان (2641)، والحديث فى إسناده عبد الرحمن الإفـريقى وهو ضـعيف فى حفظه كما فى التقـريب، ولكن الحـديث له شـواهد كثـيرة انظرها فى: مجمع الزوائد 7/261.

أبي سفيان، أنه قام فقال: ألا إن رسول الله قـام فينا فقـــال: «ألا إنَّ مَنْ قبلكُمْ، من أهل الكتـــاب افـترقوا على ثنـتين وسـبعين ملَّةً، وإن هـذه المِلَّة سـتفترق على ثلاث وسـبعين، ثنتـان وسـبعون في النَّار، وواحـــــدة في الجنة وهي الجماعـــــة، وإنه سيخرج من أمـتي أقـوام تجـارى بهم تلك الأهـواءُ كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه»[1].

أَخْبَرَنَا أبو البركات بن علي الـبزَّاز، نا أحمد بن علي الطُّريثيـثي، نا هبة الله ابن الحسن الحافـظ، نا محمد بن الحســـين الفارســـي، نا يوسف بن يعقــوب بن إســحاق، ثنا العلاء بن ســالم، ثنا أبو معاويــة، ثنا الأعمش، عن مالك بن الحــارث، عن عُمارة، عن عبد الـرحمن بن يزيـد، عن عبد اللـه، قـال: «الاقتصـاد في السـنة خـير من الاجتهـاد في البدعة»[2].

أَخْبَرَنَا عبد الوهـــاب بن المبـــارك، نا أحمد بن الحــداد، نا أبو نُعيم الحافــظ، ثنا محمد ابن أحمد بن الحســـن، ثنا بشر بن موســـى، ثنا محمد بن

---

[1] (?) صـحيح: أخرجه أبو داود فى السـنة (4597)، وأحمد فى المسند 4/102، وصححه الحاكم فى المستدرك 1/28 ووافقه الذهبى، وابن أبى عاصم فى السـنة 1/7. وانظـر: الصـحيحة (204).

[2] (?) إسـناده صـحيح موقـوف: أخرجه الـدارمى فى المقدمة (217)، والحاكم فى المستدرك 1/103، وقال الذهبى: «على شرط الشيخين».

سعيد، ثنا ابن المبارك، عن الرّبيع، عن أبي العالية، عن أُبيٍّ بن كعب، قال: عليكم بالسَّبيل والسُّنَّة، فإنه ليس مِن عبدٍ على سبيلٍ وسُنَّةٍ ذكر الرحمن ففاضت عيناهُ من خشية الله فتمسَّهُ النارُ، وإنَّ اقتصادًا في سبيل وسنة، خيرٌ من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة.

أَخْبَرَنَا سعد الله بن علي، نا الطُّرَيْثيثي، نا هبة الله بن الحسن، نا عبد الواحد بن عبد العزيز، نا محمد ابن أحمد الشرقي، ثنا عثمان بن أيوب، نا إسحاق بن إبراهيم المروزي، قال: ثنا أبو إسحاق الأقرع، قال: سمعت الحسن ابن أبي جعفر يذكر عن أبي الصهباء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: النظرُ إلى الرجل من أهل السنة يدعو إلى السنة وينهى عن البدعة عبادة.

أَخْبَرَنَا محمد بن أبي القاسم، قال: نا حمد بن أحمد، نا أبو نُعيم الأصبهاني، ثنا محمد بن أحمد بن الحسن، ثنا بشر بن موسى، ثنا الحُميدي، قال: أنبأنا سفيان بن عيينة، قال: سمعت عاصمًا الأحول، يحدث عن أبي العالية، قال: عليكم بالأمر الأول الذي كانوا عليه قبل أن يفترقوا، قال عاصم: فحدثْتُ به الحسن، فقال: قد نصحك والله

وصدقك[1].

أَخْبَرَنَا محمد بن عبد البــاقي، نا حمد بن أحمد قال: نا أحمد بن عبد الله الحافظ، أنبأنا محمد بن أحمد بن الحسن أنبأنا بشر بن موســى، نا معاوية بن عمــرو، نا أبو إســحاق الفــزاري، قــال: قــال الأوزاعي: اصــبر نفسك على السُّــنَّة؛ وقــفْ حيثُ وقف القومُ، وقُلْ بما قالوا، وكُفَّ عما كفـوا عنـه، واســلك ســبيل ســلَفِكَ الصَّــالح، فإنه يســعُك ما وسعهم.

أَخْبَرَنَا محمد بن أبي القاســــــم، نا حمد بن أحمــد، نا أحمد بن عبد الله الحافــظ، أنبأنا محمد ابن عبد الله ابن أســلم، أنبأنا محمد بن منصــور الهَــرَوي، ثنا عبد الله بن عُــروة، قــال: ســمعت يوسف بن موسى القطَّان، يحـــدث عن الأوزاعي، قال: رأيتُ ربَّ العزة في المنام، فقال لي: يا عبد الــرحمن، أنت الــذي تــأمرُ بــالمعروف وتنهى عن المنكر، فقلتُ: بفضـلك يا رب. وقلتُ: يا ربِّ أمتـني على الإسلام، فقال: وعلى السنة[2].

أَخْبَرَنَا محمد بن أبي القاســــم، أنبأنا حمد بن أحمــد، نا أحمد بن عبد الله الحافـظ، ثنا إبــراهيم بن عبد اللــه، ثنا محمد بن إســحاق، ســمعت أبا

1 (?) ذكره أبو نعيم فى حلبة الأولياء 2/218.
2 (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 10/257.

همَّام السكُوني يقول: حدثني أبي، قال: سمعت سفيان يقول: لا يُقبل قولٌ إلا بعمل ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السُّنَّة.

أَخْبَرَنَا محمد، نا حمد بن أحمد، نا أبو نُعيم، أنبأنا محمد بن علي، ثنا عمرو بن عبدويه، ثنا أحمد بن إسحاق، ثنا عبد الرحمن بن عفّان، قال: ثنا يوسف بن أسباط، قال: قال سُفيان: يا يوسُفُ إذا بلَغَكَ عن رجلٍ بالمشرق أنه صاحبُ سُنَّةٍ فابعث إليه بالسلام، وإذا بلغك عن آخر بالمغرب أنه صاحب سُنَّة فابعث إليه بالسَّلام، فقد قلَّ أهلُ السُّنَّة والجماعة.

أَخْبَرَنَا سعد الله بن علي، نا أحمد بن علي الطُّرَيثي، نا هبة الله بن الحسن الطَّبري، نا محمد ابن عبد الرحمن، نا البغوي، نا محمد بن زياد البلدي، ثنا أبو أسامة، عن حماد ابن زيد، قال أيوب: إني لأُخبَرُ بموتِ الرجل من أهل السنة فكأني أفقدُ بعض أعضائي. وبه قال الطبري.

وأخبرنا الحسين بن أحمد، ثنا عبيد الله البُرُوجردي، ثنا عبد الله بن وهب، ثنا إسماعيل بن أبي خالد، قال: ثنا أيوب بن سويد، عن عبد الله بن شوذب، عن أيوب، قال: إنَّ من سعادة الحدث والأعجمي أنْ يوفقهما الله تعالى لعالمٍ

من أهل السنة.

قال الطَّبري: وأخبرنا أحمد بن محمد بن حفص، ثنا جعفر بن محمد بن نُصير، ثنا أحمد ابن محمد ابن مسروق، ثنا محمد بن هارون أبو نَشِيط، ثنا أبو عُمير بن النحاس، ثنا ضمرة، عن ابن شوذب، قال: إن من نعمة الله على الشاب إذا نسك، أن يؤاخي صاحب سُنَّة يحمله عليها.

قال الطبري: وأخبرنا عيسى بن علي، ثنا البغوي، ثنا محمد بن هارون، ثنا سعيد بن شبيب، قال: سمعت يوسف بن أسباط، يقول: كان أبي قدريًّا وأخوالي روافض فأنقذني الله بسفيان.

قال الطّبري: وأخبرنا أحمد بن محمد بن حفص، نا عبد الله بن عديَ، ثني أحمد بن العبّاس الهاشمي، ثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: سمعت مُعتمر بن سليمان، يقول: دخلت على أبي وأنا منكسرٌ، فقال لي: مالك؟ قلتُ: مات صديقٌ لي، فقال: مات على السنة؟ قلت: نعم قال: تحزن عليه؟.

قال الطبري: وأخبرنا أحمد بن عبد الله، نا محمد بن الحسين، ثنا أحمد بن زهير، ثنا يعقوب بن كعب، ثنا عبدة، ثنا عبد الله بن المبارك، عن سفيان الثَّوري، قال: استوصوا بأهل السُّنَّة خيرًا، فإنهم غرباء.

أَخْبَرَنَا أبو منصـور بن خـيرون، نا إسـماعيل بن أبي الفضل الإســـماعيلي، نا حمـــــزة بن يوسف السَّـــهمي، نا عبد الله بن علي الحافـــظ، نا أبو عوانة، ثنا جعفر بن عبد الواحد، قال: قـال لنا ابن أبي بكر بن عيـاش: السُّـنَّةُ في الإسـلام، أعـزُّ من الإسلام في سائر الأديان.

سمعت أبا عبد الله الحسـين بن علي المقـري يقول: سمعت أبا محمد عبد الله ابن عطاء يقـول: ســــــــــمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الإسكندراني يقول: سمعت أبا منصور محمد الأزدي يقـــول: ســـمعت أبا العبـــاس أحمد بن محمد بن فراشة يقـــول: ســمعت أحمد بن منصــور يقـــول: سـمعت الحسن بن محمد الطَّبري يقـول: سـمعت محمد بن المُغـيرة يقـول: سـمعت يـونس بن عبد الأعلى يقـــول: ســمعت الشَّــافعي يقـــول: إذا رأيتُ رجلاً من أصحاب الحـديث، فكـأني رأيتُ رجلاً من أصحاب النبي.

أخبرنا محمد بن أبي القاســـم، نا حمـــــدُ بن أحمــــد، نا أبو نعيم، أخـــبرني جعفر الخُلْـــدِي، في كتابـــه، قـــال: ســـمعت الجنيد يقـــول: الطُّرُقُ كلها مسـدودةٌ على الخلـق، إلا من اقتفى أثر الرسـول واتبع سُنته ولزم طريقته، فإن طُرق الخيرات كلها

مفتوحة عليه[1].

أَخْبَرَنَا عمر بن ظفـــر، نا جعفر بن محمـــد، نا عبد العزيز بن علي الأزجي، نا علي بن عبد الله ابن جهضم، نا محمد بن جابان، قال: سمعت حامد بن إبـراهيم يقـول: قـال الجُنيد بن محمـد: الطريـقُ إلى الله عز وجل مسدودة على خلق الله تعـالى، إلا على المقتفين آثار رسول الله والتابعين لِسُنتَّه، كما قـــال الله عز وجـــل: ﴿**لقد كـــان لكم فى رسول الله أسوة حسنة**﴾ [الأحزاب: 21].

الباب الثاني في ذم البدع والمبتدعين

أَخْبَرَنَا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين الشيباني، قال: أخبرنا أبو علي الحسن بن علي المُذهب، نا أبو بكر أحمد بن حمدان، نا عبد الله بن أحمد بن حنبـــل، قـــال: أخـــبرني أبي، ثنا يزيـد، عن إبـراهيم بن سـعد، أخـبرني أبي وأخبرنا أبو غـالب محمد ابن الحسن المـاوردي وأبو سـعد البغـدادي، قـالا: نا المطهر بن عبد الواحـد، نا أبو جعفر أحمد بن محمد المرزبـــــــان، نا محمد بن إبراهيم الحَزوري، ثنا لُـوين، ثنا إبـراهيم بن سـعد، عن أبيـــه، عن القاسم بن محمـــد، عن عائشـــة، رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله «مَنْ

---

1 (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 10/257.

أحدث في أمرنا ما ليس فيه فهو رَدٌّ»[1].

أَخْبَرَنَا موهـــوب بن أحمـــد، نا علي بن أحمد البســري، ثنا محمد بن عبد الــرحمن المخلص، ثنا عبد الله ابن محمد البغـوي، ثنا أحمد بن إبــراهيم الموصلي وإسـحاق بن إبـراهيم المـروزي، قـالا: ثنا إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن عائشـة، قـالت: قـال رسـول الله «من أحـدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ»[2].

قـال البغـوي: وحـدثنا عبد الأعلى بن حمـاد، ثنا عبد العزيـــز، عن عبد الواحد بن أبي عـــون، عن سـعد بن إبـراهيم، عن القاسـم، عن عائشة رضي الله عنهــا، أن النــبي قــال: «من فعل أمــرًا ليس عليه أمرنا فهو رد»[3]. أخرجاه في الصحيحين.

أَخْبَرَنَا هبة الله بن محمـد، نا الحسن بن علي، نا أبو بكر بن مالـك، ثنا عبد الله بن أحمـد، ثـني أبي، ثنا هشـــيم، عن حصـــين بن عبد الـــرحمن ومغـــيرة الضـــبي عن مجاهـــد، عن عبد الله بن عمرو، عن النـبي أنه قـال: «مَنْ رَغِبَ عن سـنتي

---

[1] (?) صحيح: أخرجه البخارى فى الصلح (2697)، وأبو داود فى السنة (4606)، وأحمد فى المسند 6/270.

[2] (?) صـحيح: أخرجه مسـلم فى (1718/17)، وابن ماجه فى المقدمة (14)، والدارقطنى فى سننه 4/225.

[3] (?) صـحيح: أخرجه البخـارى فى الـبيوع معلقـا، بـاب النجش 4/434 فتح البارى، ومسلم (1718/18)، وأحمد فى المسـند 6/146.

فليس مني»[1]، انفرد بإخراجه البخاري.

أَخْبَرَنَا ابن الحصين، نا ابن المُذهب، نا أحمد بن جعفر، نا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، ثنا الوليد ابن مسلم، ثنا ثور بن يزيد، ثنا خالد بن معدان، حدثني عبد الرحمن بن عمرو السلّمي، وحجر بن حجر، قالا: أتينا العِرباض بن سَارِيَةَ وهو ممن نزل فيه **﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم ، قلت لا أجد ما أحملكم عليه﴾** [التوبة: 92] فسلمنا وقلنا: أتيناك زائرين، وعائدين ومقتبسين فقال عِرْباض: «صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصُّبح ذات يومٍ، ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظةً بليغة ذرفت منها العيونُ، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظةُ مُودّع فماذا تعهدُ إلينا، فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسَّمع والطاعة وإن عبدًا حبشيًا، فإنه من يعش بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الرّاشدين المهديّين من بعدي تمسكوا بها وعضُّوا عليها بالنَّواجذ وإيّاكم ومُحدثات الأمور، فإن كل مُحدثةٍ بدعةٌ، وكل بدعةٍ ضلالةٌ»[2].

---

1 (?) صحيح: أخرجه البخارى فى النكاح (5063) من حديث أنسى، وليس من حديث عبد الله بن عمرو كما قال المصنف.
وأخرجه أحمد فى المسند 3/158، وابن أبى عاصم فى السنة (62) من حديث عبد الله بن عمرو.

2 (?) صحيح: أخرجه أبو داود فى السنة (4607)، والترمذى فى

قال التِّرمذيُّ: هذا حديث حسن صحيح.

أَخْبَرَنَا ابن الحصين، نا ابن المُـذهِّب، نا أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد، ثني أبي، ثنا عبد الله بن الوليد، ثنا سـفيان، عن الأعمش، عن أبي وائل عن ابن مسعود، قـال: قـال رسـول الله «أنا فـــرطُكم على الحـــوض، وليُختلجُنَّ رجـــالٌ دوني، فـأقول: يا ربِّ أصـحابي، فيقـال: إنك لا تـدري ما أحدثوا بعدك»[1]. أخرجاه في الصحيحين.

أَخْبَرَنَا محمد بن أبي القاســـــم، نا حمد بن أحمـــد، نا أبو نعيم، ثنا أحمد بن إســحاق ثنا عبد الله بن ســليمان، ثنا محمد بن يحــيى، ثنا محمد بن كثـير، عن الأوزاعي، عن يحـيى بن أبي عمـرو الشــيباني، عن عبد الله بن محــيريز قــال: يــذهب الدِّين سنّة سنّة كما يذهب الحبل قوّة قوّة.

أَخْبَرَنَا إسماعيل بن أحمـد، نا عمر بن عبد الله البقال، نا أبو الحسـين بن بشـران، ثنا عثمـان بن أحمد الدَّقاق، ثنا حنبل، قال: حـدثني أبو عبد اللـه، يعـني أحمد بن حنبـل، ثنا عبد الـرزاق، ثنا معمـر، قال: كان طـاوس جالسًـا وعنـده ابنـه، فجـاء رجل

العلم (2676) وابن ماجه فى المقدمة (43)، والــدارمى فى المقدمة (95)، وأحمد فى المسند 4/126، وصـححه الحـاكم فى المستدرك 1/95، 96 ووافقه الذهبى.

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الفتن (7049)، ومسـلم فى الفضائل (2297/32).

من المعتزلة فتكلم في شـــيء فأدخل طـــاوس أصبعيه في أذنيه، وقال: يا بُـنيَّ أدخل أصـبعك في أذنيك حـتى لا تسـمع من قوله شـيئًا فـإن هـذا القلب ضـعيف، ثم قـال: أي بـني أُسـدُدْ، فما زال يقول أسدد حتى قام الآخر.

قـال حنبـل: وحـدثنا محمد بن داود، ثنا عيسى بن علي الضـبي، قـال كـان رجل معنا يختلف إلى إبـــراهيم، فبلغ إبـــراهيم أنه قد دخل في الإرجـــاء فقال له إبراهيمُ: إذا قمت من عندنا فلا تَعُدْ.

قال حنبل: وحدثنا محمد بن داود الحدائي، قال: قلتُ لسـفيان بن عيينـة: إنَّ هـذا يتكلمُ في القَـدَر يعني إبراهيم بن أبي يحيى، فقـال سـفيان: عرِّفُـوا الناس أمْرَهُ وسلوا الله لي العافية.

قـال حنبـل: وحـدثنا سـعدويه، ثنا صـالح المُـرِّي، قال: دخل رجلٌ على ابن سيرين وأنا شـاهد، ففتح بابًا من أبـــواب القـــدر فتكلم فيـــه، فقـــال ابن سيرين: إما أن تقوم وإما أن نقوم.

أَخْبَرَنَا المحمـدان: ابن ناصر وا بن عبد البـاقي، قــالا: نا حمد بن أحمــد، نا أبو نعيم الحافــظ، ثنا عبد الله بن محمد بن جعفـــــــر، ثنا أبو بكر بن راشد، ثنا إبراهيم بن سـعيد بن عـامر، عن سـلام بن أبي مطيـع، قــال: قــال رجل من أهل الأهـواء

لأيــوب: أكلمك بكلمــة؟ قــال: لا، ولا نصف كلمة[1].
قال ابن راشد: وحدثنا أبو سـعيد الأشـج، ثنا يحـيى بن يمــان، عن مخلد بن حســين، عن هشــام ابن حسان، عن أيوب السَّخْتياني، قال: ما ازداد صاحبُ بدعةٍ اجتهادًا إلا ازداد من الله عز وجل بُعْدًا.

أَخْبَرَنَا أبو البركـــــــات بن علي الـــــــبزَّاز، نا الطريثيــثي، نا هبة الله بن الحســن، نا عيسى بن علي، نا البغوي، نا أبو سعيد الأشـج، نا يحـيى بن اليمان، قال: سـمعت سـفيان الثـوري، قـال: البدعة أحبُّ إلى إبليس من المعصية. المعصـيةُ يتـاب منها والبدعة لا يتاب منها[2].

أَخْبَرَنَا ابن أبي القاســم، نا حمد بن أحمــد، نا أبو نعيم الحافظ، ثنا سليمان بن أحمد، ثنا الحسن بن علي، ثنا محمـــــــود بن غيلان، ثنا مؤمل بن إســـماعيل، قـــال: مـــات عبد العزيز بن أبي رَوَّاد وكنت في جنازته حـــتى وضع عند بـــاب الصـــفا فصُــفَّ النــاسُ وجــاء الثــوري. فقــال النــاس: جــاء الثوري، فجاء حتى خرق الصفوف والناسُ ينظرون إليه، فجاوز الجنازة ولم يُصَلِّ عليه لأنه كان يُرْمى بالإرجاء[3].

---

1 (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 3/9.
2 (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 7/26.
3 (?) ذكــره أبو نعيم فى حلية الأوليــاء 7/29، والعقيلى فى الضعفاء الكبير 3/6.

أَخْبَرَنَا المبارك بن أحمد الأنصاري، نا عبد الله بن أحمد السَّمْرقنْدي، نا أحمد بن عمرو بن رَوْح النهرواني، ثنا طلحة بن أحمد الصوفي، ثنا محمد بن أحمد بن أبي مهزول، قال: سمعت أحمد بن عبد الله، يقول: سمعت شعيب بن حرب يقول: سمعت سُفيان الثَّوري يقول: من سمع من مُبتدعٍ لم ينفعه الله بما سمع ومن صافحه فقد نقض الإسلام عُروةً عروة.

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصر، نا حمد بن أحمد، نا أحمد بن عبد الله الأصفهاني، ثنا سليمان بن أحمد، نا عبد الله بن محمد، ثنا سعيد الكُريزي، قال: ثنا سعيد بن عامر، قال: مرض سليمان التَّيْمي، فبكى في مرضه بكاء شديدًا، فقيل له: ما يُبكيك؟ أتجزعُ من الموت؟ قال: لا، ولكني مررتُ على قدريٍّ فسلمتُ عليه فأخافُ أن يحاسبني ربي عليه[1].

أَخْبَرَنَا عبد الوهاب بن المبارك ويحيى بن علي قالا: أخبرنا أبو محمد الصريفيني، نا أبو بكر بن عبدان، نا محمد بن الحسين البائع، ثني أبي، ثنا محمد بن بكر، قال: سمعت فضيل بن عياض يقول: مَنْ جلس إلى صاحب بدعةٍ فاحذروه[2].

---

1 (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 3/32.
2 (?) انظر: أبو نعيم فى حلية الأولياء 8/103، 104.

أَخْبَرَنَا ابن عبد الباقي، نا حمد بن أحمد، نا أبو نعيم، ثنا سليمان بن أحمد، ثنا محمد بن النضر، ثنا عبد الصمد بن يزيد، قال: سمعت فضيل بن عياض يقول: من أحبَّ صاحب بدعةٍ أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه.

أَخْبَرَنَا محمد بن عبد الباقي، نا حمد بن أحمد، نا أحمد بن عبد الله الحافظ، ثنا محمد بن علي، قال: ثنا أبو يعلى، ثنا عبد الصمد. قال: سمعتُ الفضيل يقول: إذا رأيت مبتدعًا في طريق فخُذْ في طريقٍ آخر، ولا يرفع لصاحب البدعة إلى الله عز وجل عملٌ، ومن أعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام[1]. وسمعت رجلاً يقول للفُضيل: من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رَحِمَها... فقال له الفضيل: من زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها، ومن جلس مع صاحب بدعة لم يُعْطَ الحكمةَ، وإذا علم الله عز وجل من رجل أنه مُبغضٌ لصاحب بدعة رجوتُ أن يغفر الله له سيئاته[2].

قال المصنف: وقد روي بعض هذا الكلام مرفوعًا، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله «من وقَّرَ صاحب بدعة فقد أعان

1 (?) انظر: أبو نعيم فى حلية الأولياء 8/103، 104.
2 (?) انظر: أبو نعيم فى حلية الأولياء 8/103، 104.

على هدم الإسلام»[1].

وقـــال محمد بن النضر الحـــارثي: مَنْ أصـــغى بســـمعه إلى صـــاحب بدعة نُـــزعتْ منه العصـــمةُ ووُكِلَ إلى نفسه[2].

وقال إبـراهيم: سـمعت أبا جعفر محمد بن عبد الله القايني يقول: سـمعت علي بن عيسى يقـول: سمعت محمد بن إسحاق يقول: سمعت يـونس بن عبد الأعلى يقـول: قـال صـاحبنا ــ يعـني الليث بن سعد: لو رأيتُ صاحب بدعـةٍ يمشي على المـاء ما قبلته، فقال الشَّافعي: إنه ما قَصَّرَ لو رأيتُه يمشي على الهواء ما قبلته[3].

وعن بشر بن الحارث أنه قال: جاء مـوت هـذا الذي يقال له المريسي وأنا في السوق، فلولا أنَّ الموضع ليس موضع سجود لسجدتُ شـكرًا. الحمـدُ لله الذي أماته هكذا قولوا.

قال المصـنف: حـدثت عن أبي بكر الخلال، عن المـروزي، عن محمد بن سـهل البخـاري قـال: كنا

---

1 (?) ضــعيف: أخرجه الــبيهقى فى شــعب الإيمــان (9464) مرسلا، وأبو نعيم فى حلية الأولياء 5/218، وذكره ابن الجوزى فى الموضــوعات 1/271 وقــال: «موضــوع». وانظــر: اللآلئ المصــنوعة 1/130، والفوائد المجموعة من 211، وسلســلة الأحاديث الضعيفة (1862).

2 (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 7/26، 34.

3 (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 9/116.

عند الفريـابي فجعل يـذكُر أهل البـدع، فقـال له رجـل: لو حـدَّثتنا كـان أعجب إلينـا، فغضب وقـال: كلامي في أهل البـدع أحبُّ إليَّ من عبـادة سـتين سنة.

ذم البدع والمبتدعين

(فصل)

فإن قال قائلٌ قد مدحت السنة وذممت البدعة فما السـنة وما البدعـة؟ فإنَّا نـرى أنَّ كل مبتـدع في زعمنا يزعم أنه من أهل السنة.

(فـالجواب): أن السـنة في اللغة الطريـق، ولا ريب في أن أهل النقل والأثر المتبعين آثار رسول الله وآثار أصـحابه هم أهل السـنة لأنهم على تلك الطريق الـتي لم يحـدث فيها حـادث. وإنما وقعت الحوادثُ والبدع بعد رسول الله وأصحابه.

والبدعـة: عبـارة عن فِعْـلٍ لم يكن فابتُـدع، والأغلب في المُبتـدعات أنها تصـادمُ الشـريعة بالمخالفة وتوجب التعاطي عليها بزيادة أو نقصـان. فـإن ابْتُـدع شـيء لا يخـالفُ الشـريعة ولا يُـوجبُ التعـاطي عليها فقد كـان جمهـورُ السـلف يكرهونه وكـانوا ينفـرون من كل مبتـدع وإن كـان جـائزًا حفظًا للأصل وهو الاتباعُ.

وقد قـال زيد بن ثـابت لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، حين قالا له: اجمعِ القرآن: كيف تفعلان

شيئًا لم يفعله رسول الله.

وَأَخْبَرَنَا محمد بن علي بن أبي عمـــر، قـــال: أخبرنا علي بن الحســـين، نا ابن شـــاذان، نا أبو سهل، نا أحمد البِـرْتي، ثنا أبو حذيفـة، ثنا سـفيان عن ابن عجلان عن عبد الله بن أبي ســـلمة، أن سعد بن مالك سمع رجلاً يقـول: لبَّيْك ذا المعـارج. فقال: ما كنا نقولُ هذا على عهد رسول الله.

وَأَخْبَرَنَا محمد بن أبي القاسم بإســـــناد يرفعه إلى أبي البَخْـتري، قــال: أخــبر رجل عبد الله بن مســـعود أن قومًا يجلســـون في المســـجد بعد المغـرب فيهم رجـلٌ يقـول: كَبِّرُوا الله كـذا وكـذا. وسبِّحُوا الله كذا وكذا. واحمدوا الله كذا وكذا. قـال عبد اللـه: فـإذا رأيتهم فعلـوا ذلك فـأتني فـأخبرني بمجلســهم. فأتــاهم فجلس فلما ســمع ما يقولــون قـام فـأتى ابن مسـعود فجـأة، وكـان رجلاً جـدلا، فقـال: أنا عبد الله بن مسـعود، والله الـذي لا إله غيره لقد جئتم ببدعةٍ ظلمًا، ولقد فضـلتم أصـحاب محمد علمًـا. فقـال عمـرو بن عتبـة: أسـتغفر اللـه. فقـال: عليكم بـالطريق فـالزموه ولئن أخـذتم يمينًا وشمالاً لتَضلُّنَّ ضلالاً بعيدًا.

أنبأنا أبو بكر بن أبي طـــــاهر، عن أبي محمد الجــوهري، عن أبي عمر بن أبي حيُّويــه، ثنا أحمد ابن معــروف، ثنا الحســين بن فهم، ثنا محمد بن

ســـعد، ثنا محمد بن عبد الله الأنصـــاري، ثنا ابن عـوف، قـال: كنا عند إبـراهيم النخعي فجـاء رجل فقـال: يا أبا عمـران ادْعُ الله أن يشـفيني، فـرأيتُ أنه كرههُ كراهيـةً شـديدةً حـتى عرفنا كراهية ذلك في وجهه.

وذكر إبراهيمُ السُّنةَ فرغَّب فيها وذكر ما أحدثه النـاس فكرهـه. وقـال فيـه: أخبرنا المحمـدان: ابن ناصر، وا بن عبد الباقي، نا حمد بن أحمد، نا أبو نُعيم، سـمعت محمد ابن إبـراهيم يقـول: سـمعت محمد ابن ريـان يقـول: سـمعت ذا النُّون وجـاءه أصحابُ الحديث فسألوه عن الخطرات والوسـاوس فقـال: أنا لا أتكلمُ في شـيء من هـذا فـإن هـذا مُحْدثٌ، سلوني عن شيء في الصلاة أو الحديث.

ورأى ذو النون عليَّ خُفًا أحمر، فقال: انزع هذا يا بني فإنه شهرة، ما لبسه رسولُ الله إنما لبس أسودين ساذَجَيْنِ[1].

لزوم طريق أهل الجنة

(فصل)

قـال الشـيخ أبو الفـرج رحمه اللـه: قد بيَّنا أن

---

1 (?) حسن: أخرجه أبو داود فى الطهارة (155)، والترمذى فى الأدب (2820)، وفى الشمائل المحمدية (71)، وابن ماجه فى الطهارة (549)، وأحمد فى المسند 5/352 من حديث بريدة. وقال الترمذى: «حديث حسن».

القـوم كـانوا يتحـذرون من كل بدعة وإن لم يكن بها بأسٌ لئلا يُحدِثُوا ما لم يكن.

وقد جــرت مُحــدثاتٌ لا تصــادمُ الشــريعة ولا يُتعـاطى عليها فلم يـروا بفعلها بأسًـا كما روي أن النـاس كـانوا يصـلون في رمضـان وُحْـدانًا وكـان الرجـلُ يصـلي فيصـلي بصـلاته الجماعـةُ فجمعهم عمر ابن الخطـــاب على أبيِّ بن كعب رضي الله عنهما فلما خرج فـرآهم قـال: نِعْمتِ البدعـةُ هـذه. لأنَّ صلاة الجماعة مشروعة. وإنما قال الحسن في القصص: نعمت البدعة، كم من أخ يستفاد، ودعـوة مستجابة. لأن الوعظ مشروع ومتى أُسند المُحْـدثُ إلى أصلٍ مشروع لم يُذمَّ.

فأما إذا كانت البدعة كالمتمم فقد اعتقد نقص الشريعة، وإن كانت مضادة فهي أعظم.

فقد بان بما ذكرنا أن أهل السنة هم المتبعون وأن أهل البدعة هم المظهرون شيئًا لم يكن قَبْـلُ ولا مُسـتند له ولهـذا اسـتتروا ببـدعتهم، ولم يكتم أهل السـنة مــذهبهم فكلمتهم ظــاهرة ومــذهبهم مشهور والعاقبة لهم.

أَخْبَرَنَا هبة الله بن محمــد، نا الحسن بن علي التّميمي، نا أحمد بن جعفــــــر، ثنا عبد الله بن أحمــد، قـــال: ثــني أبي، ثنا يعلى بن عبيــد، ثنا إسماعيل، عن قيس، عن المغيرة ابن شعبة رضي

الله عنه، قال: قال رسول الله «لا يزال ناس من أمـــتي ظـــاهرين حـــتى يـــأتيهم أمـــرُ الله وهم ظاهرون»[1] في الصحيحين.

أَخْبَرَنَا هبة الله بن محمـــد، نا الحسن بن علي التَّميمي، نا ابن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد، ثـني أبي، قال ثنا يوسف، ثنا حماد بن زياد، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسـماء، عن ثوبـان، قـال: قـــال رســـول الله «لا تـــزال طائفة من أمـــتي ظـاهرين على الحق لا يضـرهم من خـذلهم حـتى يأتي أمرُ الله وهم كذلك»[2]. انفرد به مسلم.

قال المصنف: وقد روى هذا المعنى عن النـبي معاوية[3] وجابر بن عبد الله[4] وقرة[5].

أَخْبَرَنَا الكـــرُوخي، نا الغُـــورَجي والأزدي قـــالا: نا الجـــرَّاحيُّ، ثنا المحبـــوبي، ثنا التِّرمـــذيُّ، قـــال: قـــال محمد بن إســـماعيل، قـــال علي بن المـــديني: هم

---

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى التوحيد (7459)، ومسلم فى الإمارة (1921/171).

2 (?) صحيح: أخرجه مسلم فى الإمـارة (1920/170)، وأحمد فى المسند 5/278، 279.

3 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى التوحيد (7460)، ومسلم فى الإمارة (1037/174).

4 (?) صحيح: أخرجه مسلم فى الإمارة (1923/173).

5 (?) صحيح: أخرجه الترمذى فى الفتن (2192) وقال: «حسن صحيح».

أصحاب الحديث[1].

(فصل) انقسام أهل البدع

أَخْبَرَنَا عبد الملك الكرُوخيُّ، نا أبو عـامر الأزديُّ وأبو بكر الغُورجيُّ، قال: نا الجرَّاحيُّ، ثنا المحبوبيُّ، ثنا الترمذي، ثنا الحسين بن حُريْث، ثنا الفضل بن موسى، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قـال: قـال رسـول الله «تفرَّقت اليهودُ على إحدى وسبعين فرقة أو ثنتين وسبعين، والنَّصـارى مثل ذلـك، وتفـترقُ أمَّتي على ثلاثٍ وسبعين فرقةً»[2]، قال الترمـذي: هـذا حـديث صحيح.

قال المصنف: وقد ذكرنا هذا الحديث في الباب الـذي قبله وفيـه: كلهم في النـار إلا ملة واحـدة، قـالوا: مَنْ هي يا رسـول اللـه؟ قـال: «ما أنا عليه وأصحابي»[3].

أَخْبَرَنَا ابن الحصـين، نا ابن المُـذهِّب، نا أحمد بن جعفر، نا عبد الله بن أحمد، قال: ثـني أبي ثنا حسن، ثنا ابن لهيعة، خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن أنس بن مالك رضي الله عنـه، أن

---

1 (?) انظر: الترمذى بعد ذكر الحديث رقم (2192)، (2229).

2 (?) صـحيح لغـيره: أخرجه أبو داود فى السـنة (4596)، والترمذى فى الإيمان (2640)، وقال: «حسن صـحيح»، وابن ماجه فى الفتن (3991)، وأحمد فى المسند 2/332.

3 (?) سبق تخريجه قريبًا.

رسول الله قال: «إنَّ بني إسـرائيل تفـرقت إحـدى وسبعين فرقةً فهلكت سبعون فرقة وخلصت فرقةٌ واحــدة، وإن أُمَّتي سـتفترق على اثــنين وسـبعين فرقةً، يهلِكُ، إحدى وسبعون وتخلص فرقةٌ»، قالوا: يا رســـول اللـــــه، مَنْ تلك الفرقـــــة؟ قــــال: «الجماعة»[1].

قـال الشـيخ أبو الفـرج رحمه اللـه: فـإن قيـل: وهل هـذه الفـرق معروفـة؟ فـالجواب: إنا نعـرف الافتراق وأصول الفرق وإن كل طائفة من الفـرق قد انقسمت إلى فرق وإنْ لم نُحِـطْ بأسـماء تلك الفرق ومـذاهبها، وقد ظهر لنا من أصـول الفـرق: الحرورية والقدرية، والجهمية، والمرجئة، والرافضـة، والجبريـة. وقد قــال بعض أهل العلم: أصل الفــرق الضالة هذه الفرق الستة، وقد انقسمت كل فرقة منها على اثنــتي عشــرة فرقــة، فصــارت اثنــتين وسبعين فرقة.

وانقسمت الحرورية، اثنتي عشرة فرقة، فأولهم الأزرقية قـــالوا: لا نعلمُ أحـــدًا مؤمنًا وكفَّروا أهل القبلة إلا من دان بقولهم، والإباضية قالوا: من أخذ بقولنا فهو مؤمن، ومن أعرض عنه فهو منافق.

والثعلبية قـــالوا: إن الله لم يقض ولم يقـــدر،

---

[1] (?) حسن: أخرجه أحمد فى المسند 3/145، وفى إسناده ابن لهيعة وهو ضــعيف، لكن الحــديث يــرتقى إلى درجة الحسن بشواهده، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة 1/359، 360.

والحازمية قالوا: ما ندري ما الإيمـان، والخلق كلهم معذورون، والخلفيَّة زعموا أن من ترك الجهاد من ذكرٍ وأنثى فقد كفر.

والمكرمية قـالوا: ليس لأحد أن يمس أحـدًا لأنه لا يعرف الطـاهر من النجس، ولا أن يؤاكله حـتى يتوب ويغتسل.

والكنزية قـــالوا: لا ينبغي لأحد أن يعطي ماله أحـــدًا لأنه ربما لم يكن مســتحقًا بل يكــنزه في الأرض حتى يظهر أهل الحق، والشمراخية قالوا: لا بـــأس بمسِّ النســـاء الأجـــانب لأنهن ريـــاحين، والأخنسية قالوا: لا يلحق الميت بعد موته خـيرٌ ولا شـر، والمحكمية قـالوا: إن من حـاكم إلى مخلـوق فهو كــافر، والمعتزلة من الحرورية قــالوا: اشــتبه علينا أمر عليَ ومعاوية فنحن نتـبرأ من الفـريقين، والميمونية قالوا: لا إمام إلا برضا أهلِ محبتنا.

وانقسمت القدرية اثنتي عشـرة فرقـة: الأحمرية وهي الـتي زعمت أن شـرط العـدل من الله أن يملك عباده أمورهم ويحـول بينهم وبين معاصـيهم، والثنوية وهي الـــتي زعمت أن الخــــير من الله والشر من إبليس، والمعتزلة هم الذين قالوا بخلق القرآن وجحدوا الرؤية، والكيسانية هم الذين قالوا: لا نـدري هـذه الأفعـال من الله أم من العبـاد ولا نعلم أيُثـــابُ النـــاس بعد المـــوت أو يعـــاقبون،

والشـــيطانية قـــالوا: إن الله لم يخلق شـــيطانًا، والشَّـــريكية قـــالوا: إن الســـيئات كلها مُقـــدرةٌ إلا الكفر، والوهمية قالوا: ليس لأفعال الخَلْـقِ وكلامهم ذاتٌ ولا للحسـنة والسـيئة ذات، والراونديـةُ قـالوا: كُـلُّ كتـابٍ أُنـزل من الله فالعمل به حـقٌّ ناسـخًا كان أو منسوخًا، والبتريَّةُ زعمـوا أن من عصى ثم تاب لم تقبل توبتـه، والناكثيَّةُ زعمـوا أن مَنْ نكث بيعة رسول الله فلا إثم عليـه، والقاسـطية فضَّـلُوا طلب الـــدنيا على الزهد فيهـــا، والنظاميَّةُ تَبِعـــوا إبراهم النظـام في قولـه: مَنْ زعم أن الله شـيءٌ فهو كافر.

وانقسمت الجهمية اثنتي عشرة فرقـة: المُعطِّلـةُ زعمـــوا أن كل ما يقع عليه وهْمُ الإنســـان فهو مخلـــوق، ومن ادعى أن الله يـــرى فهو كـــافر، والمرِّيســـية قـــالوا: أكـــثرُ صـــفات الله مخلوقـــة، والملتزمة جعلـوا البـاري سـبحانه وتعـالى في كل مكان، والواردِيَّة قالوا: لا يدخل النار مَنْ عرف ربه ومَنْ دخلها لم يخـــرج منها أبـــدًا، الزنادقة قـــالوا: ليس لأحـــــدٍ أن يُثْبت لنفسه ربًا لأن الإثبـــات لا يكـــون إلا بعد إدراك الحـــواس وما يُـــدْرَكُ فليس بإلـــه، وما لا يـــدرك لا يثبت. والحرقية زعمـــوا أن الكـافر تحرقه النـار مـرة واحـدة ثم يبقى محترقًا أبدًا لا يجدُ حرَّ النار، والمخلوقية زعموا أن القرآن مخلـوق، والفانية زعمـوا أن الجنة والنـار تفنيـان،

ومنهم من قـال: إنهما لم تخلقـا، والمغيرية جحـدوا الرسل فقــالوا: إنما هم حكــام، والواقفية قــالوا: لا نقول إن القرآن مخلوق ولا غير مخلــوق، والقبرية ينكـرون عـذاب القـبر والشـفاعة، واللفظية قـالوا: لفظنا بالقرآنِ مخلوق.

وانقسمت المرجئة اثنـتي عشـرة فرقـة: التاركية قالوا: ليس لله عز وجل على خَلْقِهِ فريضـةٌ سـوى الإيمــان به فمن آمن به وعرفه فليفعل ما شــاء، والسائبية قالوا: إن الله تعالى سيَّب خلقـهُ ليعملـوا ما شـاءوا، والراجية قـالوا: لا نسـمي الطـائع طائعًا ولا العاصي عاصـيًا لأنا لا نــدري ما له عند اللــه، والشــاكية قـالوا: إنَّ الطاعـات ليست من الإيمـان، والبيهســية قــالوا: الإيمــانُ عِلْمٌ ومَنْ لا يعلمُ الحق من الباطل والحلال من الحـــــرام فهو كـــــافر، والمنقوصـــية قـــالوا: الإيمـــان لا يزيد ولا ينقص، والمستثنية نفـوا الاسـتثناء في الإيمـان، والمُشـبِّهَةُ يقولـون: لله بصـرٌ كبصـري ويد كيـدي، والحشـوية جعلوا حكم الأحاديث كلها واحدًا فعنـدهم إن تـارك النفل كتـارك الفـرض، والظَّاهرية وهم الـذين نفـوا القياس، والبدعية أول من ابتدع الأحداث في هـذه الأمة.

وانقسمت الرافضة اثنـتي عشـرة فرقـة: العلوية قـــالوا: إن الرســـالة كـــانت إلى علي وإن جبريل أخطـأ، والأمرية قـالوا: إن عليًا شـريكُ محمـدٍ في

أمره.

والشيعة قالوا: إن عليًا رضي الله عنه وَصيُّ رسول الله ووليُّهُ من بعده وإن الأمة كفرت بمبايعة غيره.

والإسحاقية قالوا: إن النبوة متصلة إلى يوم القيامة وكلُّ من يعلمُ علم أهل البيت فهو نبي.

والناووسية قالوا: إن عليًا أفضل الأُمَّة فَمَنْ فضَّلَ غيره عليه فقد كفر.

والإمامية قالوا: لا يمكن أن تكون الدنيا بغير إمام من ولد الحسين وإن الإمام يُعلِّمُهُ جبرائيل فإذا مات بدل مكانه مثله.

والزيدية قالوا: إن ولد الحسين كلهم أئمةٌ في الصلوات فمتى وُجِدَ منهم أحدٌ لم تجز الصلاةُ خلف غيره برهم وفاجرهم.

والعباسية زعموا: أن العباس كان أولى بالخلافة من غيره.

والمتناسخة قالوا: إن الأرواح تتناسخ فمتى كان محسنًا خرجت روحُهُ فدخلت في خَلْق تسعَدُ بعيشه، ومن كان مسيئًا دخلت روحه في خلق تشقى بعيشه.

والرجعية زعموا: أن عليًا وأصحابه يرجعون إلى الدنيا وينتقمون من أعدائهم، واللاعنية الذين

يلعنون عثمان وطلحة والزبــير ومعاوية وأبا موسى وعائشة وغـــــيرهم رضي الله عنهم، والمُترِبِّصـــــةُ تشـبهوا بـزي النُّسَّـاك ونصـبوا في كل عصر رجلاً ينسـبون الأمر إليه يزعمـون أنه مهـديُّ هـذه الأُمَّة فإذا مات نصبوا رجلاً آخر.

وانقسـمت الجبرية اثنـتي عشـرة فرقة فمنهم: المضطربة قــالوا: لا فِعل للآدمي بل الله عز وجل يفعل الكــل، والأفعالية قــالوا: لنا أفعــال ولكن لا استطاعة لنا فيها وإنما نحن كالبهائم تُقادُ بالحبـل، والمفروغية قــالوا: كل الأشــياء قد خلقت والآن لا يُخْلَـــقُ شــــيءٌ، والنجارية زعمت أن الله يعــــذب النــاس على فعله لا على فعلهم، والمتانية قــالوا: عليك بما خَطَـــرَ بقلبك فافعــــلْ ما توسَّــــمت به الخــير، والكســبية قــالوا: لا يكسب العبد ثوابًا ولا عقابًا، والسابقية قالوا: من شاء فليعمل ومن شــاء لا يعمل فــإنَّ الســعيد لاتضــره ذنوبه والشــقي لا ينفعه بــره، والحبية قـالوا: مَنْ شـرب كـأس محبَّة الله عز وجل سـقطت عنه الأركـانُ والقيـام بهـا، والخوفية قـالوا: إن من أحب الله سـبحانه وتعـالى لم يسـعه أن يخافه لأن الحـبيب لا يخـاف حبيبـه، والفكرية قالوا: إن من ازداد علمًا سقط عنه بقدر ذلك من العبادة، والخسـية قـالوا: الـدنيا بين العبـاد ســـــواء لا تفاضل بينهم فيما ورثّهم أبــــوهم آدم، والمعية قالوا: منا الفعل ولنا الاستطاعة.

الباب الثالث في التحذير من فتن إبليس ومكايده

قال الشيخ أبو الفرج: اعلم أن الآدمي لما خُلِقَ رُكِّب فيه الهوى والشهوة ليجتلب بـذلك ما ينفعـه. ووضع فيه الغضب ليـــدفع به ما يؤذيـــه. وأُعْطِيَ العقلَ كالمؤدبِ يأمره بالعدل فيما يجتلب ويجتنب، وخلق الشـــيطان محرضًــا له على الإســراف في اجتلابه واجتنابـــه، فـــالواجب على العاقل أن يأخذ حـذره من هـذا العـدو الـذي قد أبـان عداوته من زمن آدم عليه الصـلاة والسـلام وقد بـذل عمـره ونفسه في فساد أحوال بني آدم.

وقد أمر الله تعالى بالحـذر منه فقـال سـبحانه وتعالى: **لا تتبعوا خطوات الشـــيطان إنه لكم عدو مبين * إنما يأمركم بالسـوء والفحشـاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمـون** [البقـرة: 168-169]، وقـال تعـالى: **الشـيطان يعـدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء** [البقرة: 268].

وقـال تعـالى: **ويريد الشـيطان أن يضـلكم ضـلالا بعيـدًا** [النسـاء: 60]، وقـال: **إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العـداوة والبغضـاء فى الخمر والميسر ويصـــدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون** [المائـدة: 91].

وقال تعالى: **إنه عدو مضل مبين** [القصص: 15]، وقال: **إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير**[فاطر: 6]، وقال تعالى: **ولا يغرنكم بالله الغرور** [لقمان: 33]، وقال تعالى: **ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين** [يس: 60]، وفي القرآن من هذا كثير.

التحذير من فتن إبليس ومكايده

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله: وينبغي أن تعلم أن إبليس شغله التلبيس أول ما التبس عليه الأمر فأعرض عن النص الصريح على السجود فأخذ يفاضل بين الأصول فقال: **خلقتنى من نار وخلقته من طين** [الأعراف: 12]، ثم أردف ذلك بالاعتراض على الملك الحكيم، فقال: **أرأيتك هذا الذى كرمت علىّ** [الإسراء: 62]، والمعنى أخبرني لِمَ كرَّمْتَهُ عليَّ، غرر ذلك الاعتراض أن الذي فعلته ليس بحكمة ثم أتبع ذلك بالكبر فقال: **أنا خير منه** [الأعراف: 12].

ثم امتنع عن السُّجود فأهان نفسه التي أراد تعظيمها باللعنة والعقاب. فمتى سَوَّل للإنسان أمـرًا فينبغي أن يحذر منه أشدَّ الحذر وليقُلْ له حين أمره إياه بالسوء إنما تريدُ بما تأمر به نصحي

ببلـوغي شـهوتي. وكيف يتضح صـواب النصح للغـير لمن لا ينصح نفسه ثم كيف أثق بنصـــيحة عـــدو فانصـــرفْ فما فيَّ لقولك منفـــذٌ. فلا يبقى إلا أنه يسـتعين بـالنفس لأنه يحث على هواها فليستحضر العقل إلى بيت الفكر في عواقب الذنب لعلَّ مَدَدَ توفيــقٍ يبعثُ جُنْـدَ عزيمته فيهـزم عسـكر الهـوى والنفس.

أَخْبَرَنَا عبد الوهــاب بن المبــارك، نا عاصم بن الحســن، نا أبو عمر بن مهــدي، ثنا الحســين بن إسماعيل، ثنا زكريا بن يحيى، ثنا شَبَابَةُ بن سوَّار، ثني المغيرة، عن مُطرِّف بن الشـخِّير، عن عيـاض بن حمار، قال: قال رسول الله «يا أيها الناسُ إن الله تعـــالى أمـــرني أن أُعلمكُمْ ما جهلتُمْ مما علمني في يومي هـذا: إن كُـلَّ مـالٍ نحلتُـهُ عبـدي فهو له حلال، وإني خلقتُ عبـــادي حنفـــاء كلهم فأتتهم الشياطينُ فاجتالتهم عن دينهم، وأمرتهم أن لا يُشـركوا بي ما لـم أُنـزِّلْ به سـلطانًا، وإن الله تعـــالى نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عـــربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب»[1].

أَخْبَرَنَا ابن الحصين قال: أخبرنا ابن المُـذهِّب، نا أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله بن أحمـد، ثـني أبي، ثنا يحـيى بن سـعيد، ثنا هشـام، ثنا قتـادة، عن

---

[1] (?) صحيح: أخرجه مسلم فى الجنة (2865/63، 64)، وأحمد فى المسند 4/266.

مُطـرف، عن عيـاض بن حمـار، أن النـبي خطب ذات يــوم فقــال في خطبتــه: «إن ربي» إلى آخر الحديث المتقدم[1].

أَخْبَرَنَا ابن الحصــين، نا ابن المُــذهِّب، نا أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله بن أحمد، ثني أبي، ثنا أبو معاويــة، ثنا الأعمش، عن أبي ســفيان، عن جــابر بن عبد الله رضي الله عنهمـا، قـال: قـال رسـول الله «إن إبليس يضع عرشه على المـــاء ثم يبعث سـراياه فأدنـاهم منه منزلـةً أعظمهم فتنـةً، يجيءُ أحدهم فيقول: فعلتُ كـذا وكـذا فيقـول: ما صـنعت شيئًا، قال: ثـم يجيء أحدهم فيقول: ما تركتُهُ حتى فرَّقْتُ بينه وبين امرأته، قـال: فيُدنيه منه أو قـال: فيلتزمُهُ ويقول: نِعْمَ أنت»[2].

وقد قال أحمد: حدثنا أبو نعيم، ثنا سـفيان، عن أبي الزبير، عن جـابر رضي الله عنه يرفعه قـال: «إنَّ إبليس قد يئس أن يعبده المصلون ولكن في التحريش بينهم»[3]. قال المصنف: انفرد به البخـاري

---

1 (?) صحيح: أخرجه مسلم فى الجنة (2865/63، 64)، وأحمد فى المسند 4/266.

2 (?) صحيح: أخرجه مسلم فى صـفات المنافقيه (2813/67)، وأحمد فى المسند 3/314.

3 (?) صحيح: أخرجه مسلم فى صفات المنافقين (2812/65)، وأحمد فى المسند 3/354، 384، والترمـذى، والترمـذى فى البر والصلة (1937).

الحديث لم أعثر عليه فى صحيح البخارى كما قال المصنف.

والذي قبله مسـلم، وفي لفظ حديثـه: قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب.

أنبأنا إســـــماعيل الســـــمرقندي، نا عاصم بن الحسن، نا ابن بشْران، نا ابن صفوان، نا أبو بكر القرشي، ثني الحسـين بن السَّـكن، ثنا المُعلَّى بن أسد، ثني عديٌّ بن أبي عُمارة، ثنا زيـادٌ النُّمـيري، عن أنس بن مالـك، رضي الله عنه يرفعـه، قـال: «إن الشـــيطان واضع خطمـــهُ على قلب ابن آدم إنْ ذكر الله خنس، وإن نسي الله التقم قلبه»[1].

أَخْبَرَنَا محمد بن أبي منصور، نا عبد القــادر، نا الحسن بن علي التميمي، نا أبو بكر ابن مالـــــك، ثنا عبد الله بن أحمــد، ثنا أبي، ثنا عبد الــرحمن، عن حمَّاد بن سـلمة، عن عطـاء بن السَّـائب، عن عمـــرو بن ميمـــون، عن ابن مســـعود رضي الله عنه، قال: إنَّ الشـيطان طـاف بأهل مجلس الـذكر ليفتنهم فلم يسـتطع أن يُفـرِّق بينهم، فـأتى حلقـةً يذكرون الدنيا فأغرى بينهم حتى اقتتلوا فقـام أهل الــذكر فحجــزوا بينهم فتفرقــوا[2]. قــال عبد اللــه:

---

[1] (?) ضـعيف: أخرجه أبو يعلى فى مسـنده (4301)، وذكـره الهيثمى فى مجمع الزوائد 7/149 وقـال: «وفيه عـدى بن أبى عمارة وهو ضعيف»، والبيهقى فى شعب الإيمان (540)، وأبو نعيم فى حلية الأولياء 6/268، وانظر: الضعيفة (1367).

[2] (?) ضـعيف: أخرجه أحمد فى الزهد ص 196، وفى إسـناده عطاء بن السائب، صـدوق اختلـط، ولا يتمـيز حـديث حمـاد بن سلمة عنه، لأنه روى عنه قبل الاختلاط وبعده.

وحـــدثني علي بن مســـلم، ثنا ســـيَّار، ثنا حبـــان الحريري ثنا سُـويْدٌ القنـاوي، عن قتـادة رضي الله عنه قال: إن لإبليس شـيطانًا يقـال له قبقب يُجمُّهُ أربعين سنة فإذا دخل الغلام في هذا الطريق قال لـــه: دونك إنما كنت أجمّك لمثل هـــذا أجلب عليه وأفتنه[1].

قال سيار: وحدثنا جعفرٌ، ثنا ثابتٌ البُنَـانيُّ رضي الله عنه قـــال: بلغنا أن إبليس ظهر ليحـــيى بن زكريا عليهما السـلام فـرأى عليه معـاليق من كل شيء، فقال يحيى: يا إبليس ما هذه المعاليق التي أرى عليك؟ قـال: هـذه الشـهواتُ الـتي أصـيد بهنَّ ابن آدم، قال: فهل لي فيها من شيء؟ قـال: ربما شـبعت فثقلنـاك عن الصـلاة وثقلنـاك عن الـذكر، قال: فهل غير ذلـك؟ قـال: لا واللـه. قـال: لله عليَّ أنْ لا أملأ بطني من طعام أبدًا، قــال إبليس: ولله عليَّ أن لا أنصح مسلمًا أبدًا.

قـال عبد الله بن أحمـد: ثنا أبي، ثنا وكيـع، ثنا الأعمش، عن خيثمة، عن الحــارث بن قيس رضي الله عنـه، قـال: إذا أتـاك الشـيطان وأنت تصـلي فقال: إنك تُرائي فزدها طولاً.

أنبأنا إســـــماعيل الســــمرقندي، نا عاصم بن الحســـــن، نا علي بن محمـــــد، نا أبو علي بن

---

[1] (?) أخرجه أحمد فى الزهد ص 96.

صـفوان، نا أبو بكر بن عبيـد، نا عبد الـرحمن بن يونس، نا سفيان بن عُيينة، قال: سـمع عمـرو ابن دينـار عُـروة بن عـامرٍ، سـمع عبيد بن رفاعة يبلغ به النبي يقول: كان راهبٌ في بني اسـرائيل فأخذ الشيطان جاريةً فخنقها وألقى في قلـوب أهلها أن دواءها عند الـراهب، فـأُتيَ بها الـراهب فـأبى أن يقبلها فما زالوا به حتى قبلها فكـانت عنـده فأتـاه الشـيطانُ فسـوَّل له إيقـاع الفعل بها فأحبلها - ثم أتاه فقال له: الآن تُفتضـحُ يأتيك أهلُها فاقتُلها فـإن أتـوك فقل مـاتت، فقتلها ودفنهـا، فـأتى الشـيطانُ أهلها فوسـوس لهم وألقى في قلـوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودفنها فأتـاه أهلها يسـألونه عنهـا، فقـال: مـاتت. فأخـذوه فأتـاه الشـيطان، فقـال: أنا الـذي ضـربتها وخنقتها وأنا الـذي ألقيتُ في قلـوب أهلها وأنا الذي أوقعتك في هذا فأطعني تنجُ، اسجد لي سجدتين، فسجد له سـجدتين، فهو الـذي قـال عز وجل: **كمثل الشيطان إذ قال للإنسان أكفر فلما كفر قـال إنى بـرئ منك إنى أخـاف الله رب العالمين** [الحشر: 16].

وقد روي هـذا الحـديث على صـفة أخـرى عن وهب بن منبه رضي الله عنـه: أن عابـدًا كـان في بني اسرائيل وكان من أعبدِ أهلِ زمانه، وكان في زمانه ثلاثةُ إخوةٍ لهم أختٌ وكـانت بكـرًا ليس لهم أختٌ غيرها، فخـرج البعث على ثلاثتهم فلم يـدروا

عند من يُخلفــون أختهم ولا من يــأمنون عليها ولا عند من يضـــعونها. قــــال: فـــأجمع رأيهم على أن يخلفوها عند عابــدٍ بــني اســرائيل، وكــان ثقة في أنفسهم، فـأتوه فسـألوه أن يخلفوها عنـده فتكـون في كنفه وجواره إلى أن يقفلوا من غزاتهم، فأبى ذلك وتعـــــوذ ب الله عز وجل منهم ومن أختهم، قـال: فلم يزالـوا به حـتى أطـاعهم، فقـال: أنزلوها في بيتٍ حــذاءَ صــومعتي، قــال: فأنزلوها في ذلك البيت ثم انطلقوا وتركوها، فمكثت في جــوار ذلك العابد زمانًا يـــنزل إليها بالطعـــام من صــــومعته فيضـعه عند بـاب الصـومعة ثم يغلق بابه ويصـعد إلى صومعته ثم يأمرها فتخـرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من الطعـام، قـال: فتلطَّف له الشـيطانُ فلم يــزل يُرغبُــهُ في الخــير ويعظم عليه خــروج الجارية من بيتها نهـــارًا ويُخوِّفـــهُ أن يراها أحـــدٌ فيعلقها، فلو مشيت بطعامها حتى تضعه على باب بيتها كـان أعظم لأجـرك، قـال: فلم يـزل به حـتى مشى إليها بطعامها ووضــعه على بـــاب بيتها ولم يكلمها، قال: فلبث على هذه الحالة زمانًا.

ثم جاءه إبليس فرغَّبه في الخير والأجر وحضَّـه عليــه، وقــال: لو كنتَ تمشي إليها بطعامها حــتى تضـعه في بيتها كـان أعظمَ لأجـرك، فلم يـزل به حــتى مشى إليها بالطعــام ثم وضــعه في بيتهــا، فلبث على ذلك زمانًا.

ثم جاءه إبليس فرغبه في الخـير وحضه عليـه، فقال: لو كنت تكلمها وتحدثها فتأنس بحـديثك فإنها قد استوحشت وحشـةً شـديدة، قـال: فلم يـزل به حـتى حـدثها زمانًا يطلع إليها من فـوق صـومعته، قال: ثم أتاه إبليس بعد ذلك فقـال: لو كنت تـنزل إليها فتقعد على باب صومعتك وتحـدثها وتقعد هي على باب بيتها فتحـدثك كـان آنس لهـا، فلم يـزل به حتى أنزله وأجلسه على بـاب صـومعته يحـدثها وتحدثه وتخـــرج الجارية من بيتها حـــتى تقعد على باب بيتها، قال: فلبثا زمانًا يتحدثان.

ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير والثـواب فيما يصنع بها وقـال: لو خـرجت من بـاب صـومعتك ثم جلست قريبًا من باب بيتها فحدثتها كان آنس لها، لم يزل به حتى فعل، قال: فلبثا زمانًا.

ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير وفيما له عند الله سبحانه وتعـالى من حسن الثـواب فيما يصـنع بهـا، وقـال لـه: لو دنـوت منها وجلست عند بـاب بيتها فحـــدثتها ولم تخـــرج من بيتها ففعل فكـــان ينزل من صومعته فيقف على بـاب بيتها فيحـدثها، فلبثا على ذلك حينًا.

ثم جـاءه إبليس، فقـال: لو دخلت الـبيت معها فحـدَّثْتها ولم تتركها تُبْـرِزْ وجهها لأحـدٍ كـان أحسن بك، فلم يـزل به حـتى دخل الـبيت فجعل يحـدثها

نهارها كلها فـإذا مضى النهـار صـعد إلى صـومعته، قـال: ثم أتـاه إبليس بعد ذلك فلم يــزل يُزيِّنُها له حتى ضرب العابدُ على فخذها وقبَّلها، فلم يزل به إبليس يُحسِّــنُها في عينيه ويســوّل له حـــتى وقع عليها فأحبلها، فولدت له غلامًا، فجاء إبليس فقال: أرأيت إن جاء إخوةُ الجارية وقد ولـدت منك كيف تصنعُ؟ لا آمن أن تفتضح أو يفضــحوك فاعمد إلى ابنها فاذبحه وادفنه، فإنها ستكتمُ ذلك عليك مخافة إخوتها أن يطَّلعُوا على ما صنعت بها. ففعل، فقال له: أتراها تكتم إخوتها ما صـنعت بها وقتلت ابنهـا، قـال: خـذها واذبحها وادفنها مع ابنهـا، فلم يـزل به حـــتى ذبحها وألقاها في الحفـــرة مع ابنها وأطبق عليهما صـخرة عظيمة وسـوَّى عليهما وصـعد إلى صـومعته يتعبد فيها فمكث بـذلك ما شـاء الله أن يمكث، حـــتى أقبل إخوتها من الغـــزو، فجـــاءوا فســألوه عنها فنعاها لهم وتـــرحَّم عليها وبكاهـــا، وقال: كانت خير امـرأة وهـذا قبرها فـانظروا إليـه، فـأتى إخوتها القـبر فبكـوا أختهم وترحمُـوا عليهـا، فأقاموا على قبرها أيامًا ثم انصرفوا إلى أهاليهم.

فلما جَنَّ عليهمُ الليلُ وأخذوا مضاجعهم، جاءهم الشيطان في النوم على صورة رجل مسافر، فبدأ بـأكبرهم فسـأله عن أختهم، فـأخبره بقـولِ العابد وموتها وترحُّمِـــهِ عليها وكيف أراهم موضع قبرهـــا، فكذَّبــهُ الشـيطانُ، وقـال: لم يصـدُقكم أمر أختكم،

إنه قد أحبل أختكم وولـــــــــدت منه غلامًا فذبحه وذبحها معه فزعًا منكم، وألقاها في حفـــــــــــيرة احتفرها خلف بــاب الــبيت الــذي كــانت فيه عن يمين من دخلـه، فـانطلقوا فـادخلوا الـبيت الـذي كـانت فيه عن يمين من دخله فـإنكم ستجدونهما كما أخبرتكم هناك جميعًا، وأتى الأوسط في منامه فقال له مثل ذلك، ثم أتى أصغرهم فقال له مثل ذلك.

فلما استيقظ القوم أصـبحوا متعجـبين مما رأى كل واحد منهم، فأقبل بعضـــهم على بعض يقـــولُ كُــــلُّ واحد منهم: لقد رأيت الليلة عجبًا فــــأخبر بعضـهم بعضًـا بما رأى، فقـال كبـيرهم: هـذا حلم ليس بشــيء فامضـوا بنا ودعـوا هـذا عنكم. قـال أصغرهم: والله لا أمضي حتى آتي إلى هذا المكان فأنظر فيه، فانطلقوا جميعًا حتى أتوا الـبيت الـذي كـانت فيه أختهم ففتحــوا البــاب وبحثــوا الموضع الذي وصف لهم في منامهم، فوجـدوا أختهم وابنها مذبوحين في الحفـيرة كما قيل لهم، فسـألوا عنها العابد فصـــدّق قـــول إبليس فيما صـــنع بهمـــا، فاسـتعدوا عليه ملكهم فـأُنْزِل من صـومعته وقُـدِّم ليُصلب فلما أوثقـوه على الخشـبة أتـاه الشـيطان، فقـال لـه: قد علمت أني أنا صـاحبك الـذي فتنتك بـــالمرأة حـــتى أحبلتها وذبحتها وابنها فـــإن أنت أطعتني اليوم وكفرت ب الله الذي خلقك وصورك

خلّصتُك مما أنت فيه، قال: فكفر العابـد، فلما كفر ب الله تعـالى خلَّى الشـيطانُ بينه وبين أصـحابه فصـلبوه، قـال: ففيه نـزلت هـذه الآية **كمثل الشـيطان إذ قـال للإنسـان أكفر فلما كفر قال إنى بـرىء** إلى قوله تعـالى: **منك جـزاء الظالمين** [الحشر: 16-17] وقد تقدم ذكرها[1].

أَخْبَرَنَا محمد بن أبي القاسـم، نا حمد بن أحمد، نا أبو نعيم، نا أبو بكر الآجري، ثنا عبد الله بن محمد العَطَشِـي، ثنا إبـراهيم بن الجنيـد، ثـني محمد بن الحسـين، ثنا بشر بن محمد بن أبـان، ثني الحسن بن عبد الله بن مسلم القرشـي، عن وهب بن منبه رضي الله عنـه، قـال: كـان راهب في صومعته في زمن المسـيح فـأراده إبليس فلم يقدر عليه، فأتاه بكل رائدة فلم يقدر عليـه. فأتـاه مُتشبِّهًا بالمسيح.

فناداه: أيها الـراهب أشْـرفْ عليَّ أُكلمـك، قـال: انطلق لشـأنك فلست أرد ما مضى من عمـري فقـال: أشـرف علي فأنا المسـيح، فقـال: إن كنت المسـيح فما لي إليك حاجـة، ألست قد أمرتنا

---

1 (?) ضـعيف مرفـوع: أخرجه الحـاكم فى المسـتدرك 2/484، 485 عن على موقوفـا، وصـححه ووافقه الـذهبى. وأخرجه البيهقى فى شعب الإيمـان (5449) مرسلا عن عبيد بن رفاعة وابن أبى الدنيا فى مكائد الشيطان (61)، وانظر: تفسـير ابن كثير 4/341.

بالعبــادة ووعــدتنا القيامة انطلق لشــأنك فلا حاجة لي فيك. فانطلق اللعينُ عنه وتركه[1].

أنبأنا إسماعيل بن أحمد، نا عاصم بن الحســن، نا علي بن محمد بن بشــــــــــران، نا أبو علي الـــبرْذعي، ثنا أبو بكر القرشـــي، ثنا أبو عبد الله محمد بن موسى الحرشي، ثنا جعفر بن ســليمان، ثنا عمرو بن دينار، ثنا ســالم بن عبد اللــه، رضي الله عنه عن أبيه، قال: لما ركب نوح في السفينة رأى فيها شــيخًا لم يعرفــه، فقــال له نــوح: ما أدخلك؟ قال: دخلتُ لأُصيب قلوب أصـحابك فتكـون قلوبهم معي وأبدانهم معك، فقال له نوح: اخرج يا عـدو اللــه، فقـال إبليس: خَمْسٌ أُهلك بهن النـاسُ وسـأحدثك منهن بثلاث ولا أحـدثك بـاثنتين، فـأوحى الله تبارك وتعالى إلى نــوح عليه الصــلاة والســلام أنه لا حاجة لك إلى الثلاث، مُرْهُ يحــدثك بــالاثنتين فقــال: بهما أُهْلِـكَ النــاسُ وهما لا يكــذبان: الحسد والحــرص، فبالحسد لُعِنت وجُعِلت شــيطانًا رجيمًــا، وبالحرص أبيح لآدم الجنة كلها فأصبت حاجتي منه فأخْرِجَ من الجنة.

قال: ولقي إبليسُ موسى، فقــال: يا موسى أنت الــذي اصـطفاك الله برســالته وكلمك تكليمًــا، وأنا من خلق الله تعالى أذنبتُ وأريدُ أن أتوب فاشــفع

---

[1] (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 4/44.

لي إلى ربي عز وجل أن يتـــوب علي، فـــدعا موسى ربه فقيـل: يا موسى قد قضـيت حاجتـك، فلقي موسى إبليس فقال له: قد أُمِرت أن تسجد لقبر آدم ويتاب عليـك، فاسـتكبر وغضب وقـال: لم أسـجد له حيًا أأسـجد له ميتًـا، ثم قـال إبليس: يا موسى إن لك حقًا بما شفعت إلى ربك فـاذكرني عند ثلاث لا أهلك فيهن: اذكـــرني حين تغضب فأنا وحي في قلبك وعيـــني في عينك وأجـــري منك مجرى الدم، واذكرني حين تلقى الزحف فإني آتي ابن آدم حين يلقى الزحف فـأذكّرهُ ولـدهُ وزوجته وأهله حتى يـولي. وإيـاك أن تجـالس امـرأة ليست بذات محرمٍ فإني رسولُها إليك ورسولك إليها.

قــال القرشــي: وحــدثنا أبو حفص الصــفَّار، ثنا جعفر بن سـليمان، ثنا شـعبة، عن علي بن زيـد، عن سـعيد بن المسـيب، رضي الله عنه قـال: ما بعث الله نبيًا إلا لم يـــــأمن إبليس أن يُهلِكـــــهُ بالنِّساء.

قــال القرشــي: وثــني القاسم بن هاشــم، عن إبراهيم بن الأشعث، عن فُضـيل بن عيـاض، قـال: حدثني بعض أشياخنا، أن إبليس لعنه الله جاء إلى موسى عليه الصـــلاة والســـلام وهو ينـــاجي ربه تعــالى، فقــال له الملــكُ: ويلك ما ترجو منه وهو على هـذه الحالة ينـاجي ربـه، قـال: أرجو منه ما

رجوتُ من أبيه آدم وهو في الجنة[1].

قـــــال القرشـــــي: وثنا أحمد بن عبد الأعلى الشيباني، ثنا فرجُ بن فضالة، عن عبد الرحمن بن زياد، رضي الله عنه قال: بينما موسى جـالس في بعض مجالسه إذ أقبل عليه إبليس وعليه بـــرنس له يتلـــون فيه ألوانًا فلما دنا منه خلع الـــبرنس فوضعه ثم أتاه وقال له: السـلام عليك يا موسـى، فقال له موسـى: من أنت؟ قـال: أنا إبليس، قـال: فلا حيَّاك الله ما جاء بك؟ قال: جئتُ لأسلم عليك لمنزلتك عند الله تعـالى ومكانك منــه، قــال: فما الذي رأيته عليك؟ قال: به أختطفُ قلوب بني آدم، قال: فما الذي إذا صنعه الإنسانُ استحوذت عليــه؟ قــال: إذا أعجبته نفسُــهُ، واســتكثر عملَــه، ونسي ذنوبَه، وأُحذِّرُكَ ثلاثًا:

* لا تخلونَّ بامرأةٍ لا تحلُّ لك قط، فإنه ما خلا رجـــلٌ بـــامرأة لا تحل له إلا كنتُ صـــاحبهُ دون أصحابي حتى أفتنه بها.

* ولا تعاهد الله عهـــدًا إلا وفيت بـــه، فإنه ما عاهد الله أحدٌ إلا كنت صاحبه دون أصحابي حـتى أحول بينه وبين الوفاء به.

* ولا تُخرجنَّ صـدقةً إلا أمضـيتها فإنه ما أخـرج رجـــلٌ صـــدقةً فلم يُمضـــها إلا كنتُ صـــاحبه دون

[1] (?) أخرجه ابن أبى الدنيا فى مكائد الشيطان (48).

أصحابي حتى أحول بينه وبين إخراجها. ثم ولى وهو يقول: يا ويله، ثلاثًا، علَّم موسى ما يحذر به بني آدم[1].

قال القرشي: وحدثني محمد بن إدريس ثنا أحمد بن يونس ثنا حسن بن صالح قال: سمعت أن الشيطان قال للمرأة: أنتِ نصفُ جندي، وأنت سهمي الذي أرمي به فلا أخطىء، وأنت موضع سري، وأنت رسولي في حاجتي.

قال القرشي: وحدثنا إسحاق بن إبراهيم، ثني هشام بن يوسف عن عقيل بن معقل ابن أخي وهب بن منبه قال: سمعت وهبًا يقول: قال راهب للشيطان وقد بدا له: أيُّ أخلاق بني آدم أعونُ لك عليهم؟ قال: الحِدَّةُ، إن العبد إذا كان حديدًا قلبناه كما يقلب الصبيان الكُرَة[2].

قال القرشي: وحدثنا سعيد بن سليمان الواسطي عن سليمان بن المغيرة عن ثابت رضي الله عنه قال: لما بُعِث النبي جعل إبليس لعنه الله يرسلُ شياطينه إلى أصحاب النبي فيجيئون إليه بصحفهم ليس فيها شيء فيقول لهم: ما لكم

---

1 (?) أخرجه ابن أبى الدنيا فى مكائد الشيطان (47)، وفى إسناده الفرج بن فضالة، وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقى، وهما ضعيفان كما فى التقريب.

2 (?) أخرجه ابن أبى الدنيا فى مكائد الشيطان (37، 38)، وفى إسناده انقطاع.

لا تصيبون منهم شيئًا؟ فقالوا: ما صحبنا قومًا مثل هؤلاء، فقال: رويدًا بهم فعسى أن تُفتح لهم الدنيا، هنالك تصيبون حاجتكم منهم[1].

قال القرشي: وأخبرنا أحمد بن جميل المروزي، نا ابن المبارك، نا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن أبي موسى قال: إذا أصبح إبليس بثَّ جنوده في الأرض فيقول: مَنْ أضلَّ مسلمًا ألبستُهُ التاج، فيقول له القائل: لم أزل بفلان حتى طلق امرأته، قال: يوشك أن يتزوج، ويقول آخر: لم أزل بفلان حتى عقَّ، قال: يوشك أن يبرَّ. ويقول آخر: لم أزل بفلان حتى زنى، قال: أنت، ويقول آخر: لم أزل بفلان حتى شرب الخمر، قال: أنت، قال: ويقول آخر: لم أزل بفلان حتّى قتل، فيقول: أنت أنت[2].

قال القرشي: وسمعت سعيد بن سليمان، يحدث عن المبارك بن فضالة، عن الحسن قال: كانت شجرةٌ تُعبدُ من دون الله فجاء إليها رجل فقال لأقطعنَّ هذه الشجرة، فجاء ليقطعها غضبًا لله فلقيه إبليس في صورة إنسان، فقال: ما تريدُ؟ قال: أريد أن أقطع هذه الشجرة التي تُعبدُ من دون الله. قال: إذا أنت لم تعبدها فما يضُرُّك منْ عبدها؟ قال: لأقطعنها، فقال له الشيطان: هل

---

1 (?) أخرجه ابن أبى الدنيا فى مكائد الشيطان (39).
2 (?) أخرجه ابن أبى الدنيا فى مكائد الشيطان (36).

لك فيما هو خيرٌ لك. لا تقطعها ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وسادتك. قال: فمن أين لي ذلك؟ قال: فرجع فأصبح فوجد دينارين عند وسادته، ثم أصبح بعد ذلك فلم يجد شيئًا، فقام غضبًا ليقطعها فتمثل له الشيطانُ في صورته، وقال: ما تريد؟ قال: أريدُ قطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله تعالى، قال: كذبت ما لك إلى ذلك من سبيل: فذهب ليقطعها فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد يقتله، قال: أتدري من أنا؟ أنا الشيطان، جئت أول مرة غضبًا لله فلم يكن لي عليك سبيل، فخدعتك بالدينارين فتركتها فلما جئت غضبًا للدينارين سُلِّطتُ عليك[1].

قال القرشي: وحدثنا بشر بن الوليد الكندي، ثنا محمد بن طلحة عن زيد عن مجاهد قال: لإبليس خمسةٌ من ولده قد جعل كُلَّ واحدٍ منهم على شيء من أمره، ثم سماهم فذكر: ثبر، والأعور، ومسوط، وداسم، وزكنبور، فأما ثبر، فهو صاحب المصيبات الذي يأمر بالثُّبُورِ وشقِّ الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية؛ وأما الأعور، فهو صاحب الزنا الذي يأمر به ويُزينه؛ وأما مسوط، فهو صاحب الكذب الذي يسمع فيلقى الرجل فيخبره بالخبر، فيذهب الرجل إلى القوم فيقول لهم قد رأيت رجلاً أعرف وجهه ولا أدري ما اسمه حدثني

1 (?) أخرجه ابن أبى الدنيا فى مكائد الشيطان (60).

بكذا وكذا؛ وأما داسم، فهو الذي يدخل مع الرجل إلى أهله يُريه العيب فيهم ويغضبه عليهم؛ وأما زكنبور، فهو صاحب السوق الذي يركُزُ رايتهُ في السوق[1].

أَخْبَرَنَا محمد بن أبي القاسم، نا حمد بن أحمد، نا أبو نعيم، ثنا إبراهيم بن عبد الله ثنا محمد ابن اسحاق، ثنا إسماعيل بن أبي الحارث، ثنا سعيد، عن مخلد بن الحسين، قال: ما نَدب الله العباد إلى شيء إلا اعترض فيه إبليس بأمرين ما يبالي بأيهما ظفر: إما غُلوّ فيه، وإما تقصير عنه[2].

وبالإسناد قال محمد بن إسحاق، وثنا قتيبة بن سعيد، ثنا ابن لهيعة، عن أبي قبيل، سمعت حيوة بن شراحيل يقول: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: إن إبليس موثق في الأرض السفلى، فإذا هو تحرك كان كل شرَ في الأرض بين اثنين فصاعدًا من تحرُّكه.

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله، قلت: وفتن الشيطان ومكايده كثيرة في غضون هذا الكتاب منها ما يليق بكل موضع منه إن شاء الله تعالى، ولكثرة فتن الشيطان وتشبثها بالقلوب عزَّت

---

1 (?) أخرجه ابن أبى الدنيا فى مكائد الشيطان (35).

2 (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 8/266، وفى إسناده سنيد بن داود وهو ضعيف كما فى التقريب.

السلامةُ، فإن من يدع إلى ما يحث عليه الطبع كمداد سفينة منحدرة فيا سرعة انحدارها؛ ولما رُكِّب الهوى في هاروت وماروت لم يستمسكا، فإذا رأت الملائكة مؤمنًا قد مات على الإيمان تعجبت من سلامته.

وَأَخْبَرَنَا محمد بن أبي منصور، نا جعفر بن أحمد، نا الحسن بن علي التميمي، ثنا أبو بكر بن حمدان، ثنا عبد الله بن أحمد، ثني ابن سريج، قال: ثنا عُتبةُ بن عبد الواحد، عن مالك بن مغول، عن عبد العزيز بن رُفيع قال: إذا عُرِج بروح المؤمن إلى السماء قالتِ الملائكةُ: سبحان الله الذي نجَّى هذا العبد من الشيطان، يا ويحهُ كيف نجا؟!.

(ذكر الإعلام بأن مع كل إنسان شيطانًا)

أَخْبَرَنَا أبو الحصين الشيباني، نا أبو علي المُذهِّب، نا أبو بكر بن حمدان، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، ثني أبي، ثنا هارون، ثنا عبد الله بن وهب، أخبرني أبو صخرٍ، عن ابن قسيط، أنه حدَّثه، أن عروة بن الزبير حدثه، أن عائشة زوج النبي حدثته أن رسول الله خرج من عندها ليلاً قالت: فغِرتُ عليه فجاء فرأى ما أصنع، فقال: ما لك يا عائشة أغِرْتِ؟ فقلت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك؟ فقال: «أَوَقَد جاءكِ شيطانُكِ؟» فقلت:

يا رسول الله أو معي شيطانٌ قال: «نعم». قلتُ: ومع كل إنسان؟ قال: «نعم»، قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال: «نعم، ولكن ربي عز وجل أعانني عليه حتى أسلم»[1]. انفرد به مسلم، ويجيء بلفظ آخر: «أعانني عليه فأسلم».

قال الخطابي: عامة الرواة يقولون: «فأسلم» على مذهب الفعل الماضي إلا سفيان ابن عيينة فإنه يقول فأسلم من شرِّه، وكان يقول: الشيطان لا يسلم.

قال الشيخ: وقول ابن عيينة حسنٌ وهو يظهر أثر المجاهدة لمخالفة الشيطان إلا أن حديث ابن مسعود كأنه يرد قول ابن عيينة، وهو ما أخبرنا به ابن الحصين، نا ابن المذّهب، نا أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، ثنا يحيى، عن سفيان، ثني منصور، عن سالم بن أبي الجعد، عن أبيه، عن ابن مسعود يرفعه: «ما منكم من أحدٍ إلا وقد وكل به قرينةُ من الجن وقرينةُ من الملائكة، قالوا: وإياك يا رسول الله قال: وإياي، ولكن الله عزَّ وجلَّ أعانني عليه فلا يأمرُني إلاّ بحقَ»[2]. وفي رواية: «فلا يأمرني إلا بخير».

---

1 (?) صحيح: أخرجه مسلم فى صفات المنافقين (2815/70)، وأحمد فى المسند 6/115.

2 (?) صحيح: أخرجه مسلم فى صفات المنافقين (2814/69)، وأحمد فى المسند 1/385، 397، 401.

قال الشيخ: انفرد به مسلم، واسم أبي الجعد رافع، وظاهره إسلام الشياطين، ويحتمل القول الآخر.

(بيان أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم)

أَخْبَرَنَا هبة الله بن محمد، نا الحسن بن علي، نا أحمد بن جعفر، نا عبد الله بن أحمد، ثني أبي، ثني عبد الرزاق، ثنا معمر، عن الزُّهْري، عن علي بن الحسين، عن صفية بنت حُييَ زوج النبي، قالت: كان رسول الله معتكفًا فأتيته أزوره ليلاً، فحدثته ثم قمتُ لأنقلب، فقام معي ليقلبني، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا رسول الله أسرعا، فقال النبي «على رِسْلِكُما إنها صفيةُ بنتُ حُيَيّ»، فقالا: سبحان الله يا رسول الله قال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مَجْرَى الدم، وإني خشيتُ أن يقذف في قلوبكما شرًا» أو قال: «شيئًا»[1] الحديث في الصحيحين.

قال الخطابي: وفي هذا الحديث من العلم استحبابُ أن يحذر الإنسان من كل أمر من المكروه مما تجري به الظنون، ويخطر بالقلوب،

---

[1] (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الاعتكاف (2035، 2038، 2039)، ومسلم فى السلام (2175/24).

وأن يطلب السلامة من الناس بإظهار البراءة من الريب.

ويحكى في هذا عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: خاف النبي أن يقع في قلوبهما شيء من أمره فيكفرا، وإنما قال شفقةً منه عليهما لا على نفسه.

(ذكر التعوذ من الشيطان الرجيم)

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله: قد أمر الله تعالى بالتعوذ من الشيطان الرجيم عند التلاوة فقال تعالى: **فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم** [النحل: 98]، وعند السَّحر، فقال: **قل أعوذ برب الفلق** [الفلق: 1]، إلى آخر السورة، فإذا أمر بالتحرز من شرِّهِ في هذين الأمرين فكيف في غيرهما.

أَخْبَرَنَا هبة الله بن محمد، نا الحسن بن علي، نا أحمد بن جعفر، نا عبد الله بن أحمد، ثنا أبي، ثنا سيَّار، ثنا جعفر، ثنا أبو التيَّاح، قال: قلت لعبد الرحمن بن حنيش: أدركت النبي قال: نعم، قلت: كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة كادتهُ الشياطينُ؟ فقال: إن الشَّياطين تحدرت تلك الليلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأودية والشعاب وفيهم شيطانٌ بيده شُعلةُ نارٍ يريد أن يحرق بها وجه رسول الله صلى الله

عليه وسلم فهبط إليه جبريلُ، فقال: يا محمدُ قُلْ، قـال: «ما أقـولُ؟» قـال: «قل أعـوذُ بكلمـات الله التامَّات من شرِّ ما خلق وذرأ وبـرأ، ومن شـرِّ ما ينزلُ من السـماء، ومن شـرِّ ما يعـرُجُ فيهـا، ومن شر فتن الليل والنهـار ومن شـرِّ كل طـارقٍ إلا طارقًا يطرُقُ بخيرٍ يا رحمنُ» قـال: فطفئت نـارهم، وهزمهم الله تعالى[1].

أنبأنا إسـماعيل بن أحمد السـمرقندي، نا عاصم بن الحسـن، نا أبوالحسـين بن بشـران، نا ابن صـفوان، ثنا أبو بكر القرشـي، حـدثني أبو سـلمة المخـزومي، ثنا ابن أبي فُـديك، عن الضـحَّاك ابن عثمان، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي قال: «إن الشيطان يأتي أحـدَكُم فيقـولُ: من خلقـك»؟ فيقـول: الله تبـارك وتعالى، فيقول: «فمن خلق الله؟ فإذا وجد أحـدُكم ذلك فليقـل: آمنتُ ب الله ورسـوله؛ فـإن ذلك يذهب عنه»[2].

قـال القرشـي: ثنا هنَّادُ بن السَّـريِّ، ثنا أبو

---

1 (?) صحيح: أخرجه أحمد فى المسـند 3/419، وأبو يعلى فى مسنده (6844) وقال المنذرى فى الـترغيب 2/457: «إسـناد جيد محتج به».

2 (?) صحيح: أخرجه أحمد فى المسند 6/257، وابن أبى عاصم فى السـنة (638)، وذكـره الهيثمى فى مجمع الزوائد 1/33 وقـال: «رجاله ثقـات»، وابن السـنى فى عمل اليـوم والليلة (201).

الأحـــوص، عن عطـــاء بن السَّـــائب، عن مُـــرَّة الهمـداني عن ابن مسـعود رضي الله عنه يرفعـه، قــال: «إنَّ للشـيطانِ لَمَّةً با بن آدم، وللملك لمَّة، فأما لمَّةُ الشيطان فإيعـادٌ بالشـرِّ وتكـذيبٌ بـالحق؛ وأما لمَّةُ الملك فإيعادٌ بالخير وتصديقٌ بالحق؛ فمن وجد من ذلك شـيئًا فليعلم أنه من اللـه، وليحمـدِ الله، ومن وجد الأخـرى فليتعـوذ من الشـيطان ثم قـــرأ: ﴿**الشـــيطان يعـــدكم الفقر ويـــأمركم بالفحشاء**﴾ [البقرة: 268].

قــال الشــيخ رحمه اللــه: وقد رواه جرير عن عطاء فوقفه على ابن مسعود.

أَخْبَرَنَا هبة الله بن محمـد، نا الحسن بن علي، نا أحمد بن جعفــر، ثنا عبد الله بن أحمــد، ثــني أبي، ثنا عبد الرزاق، نا سـفيان، عن منصـور، عن المنهـال بن عمـرو، عن سـعيد بن جبـير، عن ابن عبـاس رضي الله عنهمـا، قـال: كـان رسـول الله يعـوّذُ الحسن والحسـين فيقـول: «أُعيـذكما بكلمـات الله التامة، مِن كل شيطانٍ وهامة، ومن كل عينٍ لامَّة، ثم يقول: هكذا كـان أبي إبـراهيم صـلى الله عليه وآله وسلَّم يُعوِّذُ إسماعيل وإسحاق»[1]. أخرجه

---

[1] (?) صحيح: أخرجه البخارى فى أحاديث الأنبياء (3371)، ولم أعثر عليه فى صحيح مسلم كما قال المؤلف، وأخرجه أبو داود فى السنة (4737)، والترمذى فى الطب (2060)، وابن ماجه فى الطب (3525)، وأحمد فى المسند 1/246، 270.

في الصحيح.

قـال أبو بكر ابن الأنبـاري: الهامة واحد الهـوام، ويقال: هي كلُّ نسـمةٍ تهمّ بسـوء، واللاّمـة: المُلمَّة، وإنما قـــال لامَّة ليوافق لفظ هامة فيكـــون ذلك أخف على اللسان.

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصـــر، نا المبـــارك بن عبد الجبـــار، نا إبـــراهيم بن عمر الـــبرمكي، نا أبو الحسـين عبد الله بن إبـراهيم الزَّينـبي، ثنا محمد بن خلـف، ثنا عبد الله بن محمـد، ثنا فضـيل بن عبد الوهــاب، ثنا جعفر بن ســليمان، عن ثــابت، قال: قال مُطرف: نظـــــــرتُ فـــــــإذا ابن آدم مُلقىً بين يـدي الله عـزَّ وجـلَّ وبين إبليس، فمن شـــاء أن يعصـــمهُ عصـــمهُ، وإن تركه ذهب به إبليس[1].

وحكي عن بعض السـلف أنه قـال لتلميـذه: ما تصـنعُ بالشـيطان إذ سـوَّل لك الخطايـا؟ قـال: أجاهده، قـال: فـإن عـاد؟ قـال: أجاهـده، قـال: فـإن عـاد؟ قـال: أجاهـده. قـال: هـذا يطـول، أرأيت إن مـررت بغنمٍ فنبحك كلبُها أو منعك من العُبـور ما تصنع؟ قال: أكابـدُهُ وأردُّهُ جَهْـدِي. قـال: هـذا يطـول عليك، ولكن استعن بصاحب الغنم يكُفَّهُ عنك.

---

1 (?) إســناد حســن: أخرجه أحمد فى الزهد ص 296، وابن المبارك فى الزهد (298)، وأبو نعيم فى حلية الأولياء 2/201، وابن أبى الدنيا فى مكائد الشيطان (25).

قـال الشـيخ، رحمه اللـه: واعلم أن مثل إبليس مع المتقي والمخلّط كرجل جـــــــالس بين يديه طعام، فمـرَّ به كلبٌ فقـال لـه: اخسأ فـذهب فمر بآخر بين يديه طعام ولحم، فكلما خسأهُ لم يبرح، فالأول: مثـلُ المتقي يمـرُّ به الشـيطانُ فيكفيه في طـــرده الـــذكْرُ، والثـــاني: مثل المخلّط لا يفارقه الشـــيطان لمكـــان تخليطـــه، نعـــوذ ب الله من الشيطان.

الباب الرابع في معنى التلبيس والغرور

قال المصنف: التلبيسُ إظهارُ الباطل في صـورة الحـق، والغـرور نـوعُ جهـلٍ يُـوجبُ اعتقـاد الفاسـدِ صحيحًا والرديء جيدًا، وسـببه وجـود شـبهة أوجبت ذلك وإنما يـــدخل إبليس على النـــاس بقـــدر ما يمكنـــه، ويزيد تمكُّنُـــهُ منهم ويقـــلُّ على مقـــدار يقظتهم وغفلتهم وجهلهم وعلمهم.

وَاعْلَمْ أن القلب كالحصـــن، وعلى ذلك الحصن سـورٌ، وللسـور أبـوابٌ، وفيه ثلم(1) وسـاكنه العقـل، والملائكة تـــتردد إلى ذلك الحصـــن، وإلى جانبه رَبَضٌ(2) فيه الهـــوى والشـــياطين تختلف إلى ذلك الـرَّبض من غـير مـانع، والحـرب قائمة بين أهل الحصْـن وأهل الـرَّبَض، والشـياطين لا تـزال تـدور

1 (?) ثلم: ثلم الجدار وغيره ثلما: أحدث فيه شـقا، وثلم الإنـاء: كسر حرفه، وثلم الشىء: صارت فيه ثلمة.

2 (?) ربض: الربض: كل ما تأوى إليه وتستريح لديه.

حـول الحِصْـن تطلب غفلة الحـارس والعبـور من بعض الثُّلم.

فينبغي للحارس أن يعرف جميع أبـواب الحصن الـذي قد وُكِّل بحفظه وجميع الثلم، وأن لا يفتُـرَ عن الحراسة لحظة. فإنَّ العدوَّ ما يفتُرُ.

قال رجل للحسن البصـري: أينـامُ إبليس؟ قـال: لو نام لوجدنا راحةً.

وهـذا الحصن مسـتنيرٌ بالـذكر مُشـرقٌ بالإيمـان، وفيه مـرآةٌ صـقيلة يـتراءى فيها صـور كل ما يمر بـه، فـأول ما يفعل الشـيطان في الـربض إكثـار الـدخان فتسـودُّ حيطـانُ الحصـن، وتصـدأ المـرآة، وكمـال الفكر يـرد الـدخان، وصـقل الـذكر يجلو المرآة. وللعدو حملات، فتارة يحمل فيدخلُ الحِصْنَ، فيكـرُّ عليه الحـارسُ فيخـرج، وربما دخل فعـاث وربما أقـام لغفلة الحـارس، وربما ركـدت الـريحُ الطـاردةُ للـدخان فتسـود حيطـان الحصن وتصـدأ المـرآة فيمر الشـيطان ولا يـدرى بـه، وربما جـرح الحـارس لغفلته وأسر واسـتخدم وأقيم يسـتنبط الحيل في موافقة الهـوى ومسـاعدته، وربما صـار كالفقيه في الشر.

قال بعض السلف: رأيتُ الشيطان فقال لي: قد كنتُ ألقى الناس فأعلّمهم، فصرتُ ألقـاهم فـأتعلَّم منهم.

وربما هجم الشيطان على الـذكي الفَطِن ومعه عـروس الهـوى قد جلاَّها فيتشـاغل الفطن بـالنظر إليها فيستأســره، وأقــوى القيد الــذي يُوثــقُ به الأســرى الجهــلُ، وأوســطه في القُــوى الهــوى، وأضـــعفه الغفلـــة، وما دام درعُ الإيمــــان على المؤمن، فإن نَبْلَ العدو لا يقعُ في مقتلٍ.

أَخْبَرَنَا محمد بن أبي القاســـــــم، نا حمد بن أحمد، نا أبو نُعيم الحافظ، نا أبو محمد بن حيـان، ثنا أحمد ابن محمد بن يعقـــــوب، ثنا محمد بن يوسف الجــوهري، ثنا أبو غسَّــان النهــدي، قــال: ســمعت الحسن بن صــالح رحمه الله يقــول: إن الشيطان ليفتحُ للعبد تسعة وتسعين بابًا من الخير يريدُ به بابًا من الشر[1].

أنبأنا علي بن عبد اللــــه، نا محمد بن محمد النــديم، نا عمي عبد الواحد بن أحمــد، ثــني أبي أحمد بن الحســين العــدل، ثنا أبو جعفر محمد بن صالح، ثنا جُبَارةُ بن المُغلِّس الحمَّاني، ثنا حماد بن شعيب، عن الأعمش، قـال: حـدَّثنا رجـلٌ كـان يُكلِّمُ الجنَّ، قالوا: ليس علينا أشدُّ ممن يتبعُ السُّنة، وأما أصحابُ الأهواء، فإنا نلعبُ بهم لعبًا.

الباب الخامس في ذكر تلبيسه في العقائد والديانات

---

1 (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 7/331.

ذكر تلبيسه على السوفسطائية[2]

قال الشيخ: هؤلاء قوم يُنسبون إلى رجل يقال له سوفسطا: زعموا أن الأشياء لا حقيقة لها وأن ما نستبعده يجوز أن يكون على ما نشاهده، ويجوز أن يكون على غير ما نشاهده. وقد أورد العلماء عليهم بأن قالوا: لمقالتكم هذه حقيقة أم لا؟ فإن قلتم: لا حقيقة لها وجوَّزتم عليها البُطلان، فكيف يجوز أن تدعوا إلى ما لاحقيقة له؟ فكأنكم تقرّون بهذا القول أنه لا يحلّ قبول قولكم؛ وإن قلتم لها حقيقة، فقد تركتم مذهبكم.

وقد ذكر مذهب هؤلاء أبو محمد الحسن بن موسى النُّوبختي في كتاب «الآراء والديانات»، فقال: رأيت كثيرًا من المتكلمين قد غلطوا في أمر هؤلاء غلطًا بيِّنًا. لأنهم ناظروهم وجادلوهم وراموا بالحجاج والمناظرة الردَّ عليهم، وهم لم يثبتوا حقيقة ولا أقروا بمشاهدة، فكيف تُكلِّمُ من يقول: لا أدري أيكلّمُني أم لا؟ وكيف تُناظرُ من يزعمُ أنه لا يدري أموجود هو أم معدوم؟ وكيف

---

2 (?) اعلم أن السوفسطانية انقسمت ثلاثة مذاهب: الأول ينكر حقائق الأشياء ويزعم أنها أوهام وهم العنادية؛ والثانى ينكر العلم بثبوت الشىء ولا بعدم ثبوته، ولا ينكر نفس الحقائق ولا يثبتها ويزعم أنه شاك وشاك فى أنه شاك وهم اللا أدرية، والثالث يزعم أن الحقائق تابعة للاعتقادات مع كونه ينكر ثبوتها وهم العندية وهى، مذكورة فى كلام المصنف على هذا الترتيب.

تخـاطبُ من يـدعي أن المخاطبة بمنزلة السـكوت في الإبانة، وأن الصحيح بمنزلة الفاسد؟

قـال: ثم إنه إنما يُنـاظرُ من يُقـرُّ بضـرورةٍ أو يعترفُ بـأمرٍ، فيجعل ما يقر سـببًا إلى تصـحيح ما يجحده. فأما مَنْ لا يقر بذلك فمجادلته مطروحة.

قـال الشـيخ: وقد ردَّ هـذا الكلام أبو الوفـاء بن عقيل فقـــال: إن أقوامًا قـــالوا: كيف نكلم هـــؤلاء وغاية ما يمكن المجـادل أن يُقـرِّب المعقـول إلى المحسـوس ويستشـهد بالشـاهد فيسـتدل به على الغـــائب، وهـــؤلاء لا يقولـــون بالمحسوســـات فبم يُكلَّمُـون؟ قـال: وهـذا كلام ضـيق العطن ولا ينبغي أن يُؤْيس من معالجة هؤلاء فإن ما اعتراهم ليس بـأكثر من الوسـواس، ولا ينبغي أن يضـيق عطنُنا عن معـــالجتهم، فـــإنّهم قـــوم أخـــرجتهم عـــوارضُ انحــراف مــزاج، وما مثلُنا ومثلُهُم إلا كرجــلٍ رزق ولدًا أحـول فلا يـزالُ يـرى القمر بصـورة قمـرين، حتى إنه لم يشُكَّ أن في السّماء قمرين: فقال له أبـوه: القمـرُ واحـدٌ، وإنما السُّـوءُ في عينيـك، غُضَّ عينك الحـولاء وانظـر، فلما فعل قـال: أرى قمـرًا واحـدًا لأني عصـبتُ إحـدى عيـنيَّ فغـاب أحـدهما، فجاء من هذا القول شبهةٌ ثانية، فقال له أبوه: إن كان ذلك كما ذكرت فغُضَّ الصـحيحة ففعل فـرأى قمرين، فعلم صحة ما قال أبوه.

أنبأنا محمد بن ناصـــر، نا الحسن بن أحمد بن البنّـاء، ثنا ابن دودان، نا أبو عبيد الله المرزبــاني، ثني أبو عبد الله الحكيمي، ثني يموت بن المزرّع، ثني محمد بن عيسى النَّظَّام قال: مات ابن لصالح بن عبد القـــدوس فمضى إليه أبو الهُـــذيْل ومعه النظّام وهو غلام حدثٌ كـالمتوجع له فـرآه منحرفًا فقــال له أبو الهــذيل: لا أعــرفُ لجزعك وجهًا إذا كان النـاس عنـدك كـالزّرع، فقـال له صـالح: يا أبا الهـــذيل، إنما أجـــزعُ عليه لأنه لم يقـــرأ كتـــاب الشُّكوك، فقال له أبو الهذيل: وما كتابُ الشُّـكوك، قـال: هو كتـابٌ وضـعته من قـرأه يشُـكُّ فيما قد كان حتى يتوهم أنه لم يكُنْ، وفيما لم يكن حــتى يظن أنه قد كان، فقال له النظام: فشك أنت في موت ابنك واعمل على أنه لم يمت؛ وإن كان قد مات فشك أيضًا في أنه قد قرأ الكتاب وإن كـان لم يقرأه.

وحكى أبوالقاسم البَلْخي أن رجلاً من السوفســطائية كـــان يختلف إلى بعض المتكلمين فأتاه مـرة فنـاظره، فـأمر المتكلم بأخذ دابته فلما خرج لم يرها فرجع فقـال: سـرقت دابـتي، فقـال: ويحك لعلَّك لم تـأتِ راكبًـا، قـال: بلى، قـال: فكِّرْ، قال: هذا أمرٌ أتيقنه، فجعل يقول له تـذكر، فقـال: ويحك ويحك ما هذا موضع تذكر، أنا لا أشكُّ أنني جئتُ راكبًا، قال: فكيف تدعي أنه لا حقيقة لشيء،

وأن حـــال اليقظـــان كحـــال النـــائم؟ فـــوجم السوفسطائي ورجع عن مذهبه.

ذكر تلبيس الشيطان على فرق الفلاسفة

(فصل)

قال النُّوبخـتي: قد زعمت فرقة من المتجـاهلين أنه ليس للأشــياء حقيقة واحــدة في نفســها، بل حقيقتها عند كل قــوم على حسب ما يعتقد فيهـا، فـإن العسل يجـده صـاحبُ المـرَّة الصـفراء مُـرًّا، ويجده غـيره حُلْـوًا. قـالوا: وكـذلك العـالمُ هو قـديم عند من اعتقد قدمـــــه، مُحـــــدثٌ عند من اعتقد حدوثــه، واللــون جسم عند من اعتقــده جســمًا، وعـرضٌ عند من اعتقـده عرضًـا. قـالوا: فلو توهَّمْنا عدم المعتقدين وقف الأمر على وجود من يعتقــد. وهؤلاء من جنس السُّوفسطائية فيقال لهم: أقولكم صـحيح؟ فسـيقولون: هو صـحيح عنـدنا، باطـلٌ عند خصمنا.

قلنا: دعواكم صحة قولكم مردودةٌ وإقراركم بأن مــذهبكم عند خصــمكم باطل شــاهد عليكم، ومن شــهد على قــولهم بــالبُطلان من وجه فقد كفى خصمه بتبيين فساد مذهبه. ومما يقال لهم: أتثبتــون للمشاهدة حقيقـة؟ فـإن قـالوا لا، لحقـوا بـالأولين، وإن قـالوا حقيقتها على حسب الاعتقـاد فقد نفـوا

عنها الحقيقة في نفسها وصار الكلام معهم كالكلام مع الأولين.

(فصل)

قال النوبختي: ومن هؤلاء من قال: إن العالم في ذوبٍ وسيلان، قالوا: ولا يمكن للإنسان أن يتفكر في الشيء الواحد مرتين لتغير الأشياء دائمًا، فيقال لهم: كيف علم هذا وقد أنكرتم ثبوت ما يوجب العلم، وربما كان أحدكم الذي يجيبه الآن غير الذي كلمه.

ذكر تلبيسه على الدهرية

قال المصنف: قد أوهم إبليسُ خلقًا كثيرًا أنه لا إله ولا صانع، وأن هذه الأشياء كانت بلا مُكوِّنٍ، وهؤلاء لما لم يدركوا الصانع بالحسِّ ولم يستعملوا في معرفته العقل جحدوه.

وهل يشُكُّ ذو عقل في وجود صانع فإن الإنسان لو مرَّ بقاعٍ ليس فيه بنيان ثم عاد فرأى حائطًا مبنيًا علم أنه لا بد له من بانٍ بناهُ. فهذا المهادُ الموضوع، وهذا السقف المرفوع، وهذه الأبنية العجيبة والقوانين الجارية على وجه الحكمة، أما تدلُّ على صانع وما أحسن ما قال بعض العرب: إنَّ البعرة تدُلُّ على البعير، فهيكلٌ عُلويٌ بهذه اللطافة، ومركز سفلي بهذه الكثافة أما يدُلاّن على اللطيف الخبير ثم لو تأمل الإنسان

نفسه لكفت دليلاً، ولشــفت غليلاً فــإن في هــذه الجسد من الحكم ما لا يسعُ ذكرهُ في كتاب.

ومن تأمل تحديد الأســنان لتقطــع، وتقـــريض الأضـــراس لتطحن، واللســـان يقلب الممضـــوغ، وتسليط الكبد على الطعـام ينضـجه، ثم يُنفِـذُ إلى كل جارحةٍ قـدْر ما تحتـاجُ إليه من الغـذاء، وهـذه الأصــابع الــتي هُــيئتْ فيها العقد لتطــوى وتنفتح، فيمكن العمل بها، ولم تُجـوَّفْ لكـثرة عملها إذ لو جـوفت لصـدمها الشــيءُ القـوي فكسـرها، وجعل بعضها أطول من بعض لتستوي إذا ضُمَّتْ، وأخفي في البــدن ما فيه قوامــه، وهي النفس الــتي إذا ذهبت فسد العقلُ الذي يُرشدُ إلى المصــالح، وكل شيء من هذه الأشياء ينادي: أفي الله شكٌّ؟. وإنما يخبط الجاحد لأنه طلبه من حيث الحس، ومن الناس من جحـده، لأنه لما أثبت وجـوده من حيث الجملة لم يدركه من حيث التفصـــيل فجحد أصل الوجود، ولو أعمل هذا فكرهُ لعلم أن لنا أشياء لا تـدرك إلا جملة كـالنفس والعقـل، ولم يمتنع أحـدٌ من إثبـات وجودهمـا. وهل الغاية إلا إثبـات الخلـقِ جملــة، وكيف يقــال: كيف هو أو ما هو ولا كيفية له ولا ماهية. ومن الأدلة القطعية على وجــوده أن العالم حادثٌ بدليل أنه لا يخلو من الحوادث وكــلُّ ما لا ينفكُّ عن الحوادث حادثٌ ولا بد لحدوث هذا الحادث من مُسبِّبٍ وهو الخالق سبحانه.

وللملحدين اعتراض يتطاولون به على قولنا: لا بد للصنعة من صانع، فيقولون: إنما تعلقتم في هذا بالشاهد وإليه نقاضيكم فنقول: كما أنه لا بد للصنعة من صانع فلا بد للصورة الواقعة من الصانع من مادةٍ تقعُ الصورةُ فيها كالخشب لصورة الباب والحديد لصورة الفأس.

قالوا: فدليلكم الذي تثبتون به الصانع يوجب قدم العالم.

فالجواب أنه لا حاجة بنا إلى مادة بل نقول: إن الصانع اخترع الأشياء اختراعًا، فإنا نعلم أن الصور والأشكال المتجددة في الجسم كصورة الدولاب، ليس لها مادة. وقد اخترعها، ولا بد لها من مُصوِّرٍ، فقد أريناكم صورة وهي شيء جاءت لا من شيء، ولا يمكنكم أن تُرُونا صنعةً جاءت لا من صانع.

ذكر تلبيسه على الطبائعيين

قال المصنف: لما رأى إبليسُ قلَّة موافقته على جحد الصانع لكون العقول شاهدةً بأنه لا بد للمصنوع من صانع حسّن لأقوامٍ أن هذه المخلوقات فعل الطبيعة، وقال: ما من شيء يخلق إلا من اجتماع الطبائع الأربع فيه. فدلَّ على أنها الفاعلة، وجواب هذا، نقول: اجتماع الطبائع على وجودها لا على فعلها، ثم قد ثبت أن

الطبـــائع لا تفعل إلا باجتماعها وامتزاجهـــا، وذلك يخالف طبيعتها، فدل على أنها مقهورة. وقد سلموا أنها ليست بحية ولا عالمة ولا قـادرة، ومعلـومٌ أنَّ الفعل المُنسَّـــق المنتظم لا يكـــون إلا من عـــالم حكيم، فكيف يفعـلُ من ليس عالمًا وليس قـادرًا، فـــإن قـــالوا: ولو كـــان الفاعل حكيمًا لم يقع في بنائه خلـل، ولا وجـدت هـذه الحيوانـات المضـرة، فعلم أنه بالطبع.

قلنا: ينقلب هذا عليكم بما صدر منه من الأمور المنتظمة المُحكمة الـتي لا يجـوز أن يصـدر مثلها عن طبع. فأما الخلل المشار إليه فيمكن أن يكون للابتلاء والـــردع والعقوبـــة، أو في طيِّهِ منـــافع لا نعلمها، ثم أين فعلُ الطبيعة من شمس تطلع في نيسان[1] على أنواع من الحبوب فترطب الحصرم[2] والخلالة[3] وتنشف البُـرَّة[4] وتيبِّسـها، ولو فعلت طبعًا لأيبست الكُـــلَّ أو رطبتـــهُ فلم يبق إلا أن الفاعل المختار استعملها بالمشيئة في يُبْسِ هـذه للادخـار، والنضج في هذه للتناول، والعجب أن الـذي أوصل إليها اليُبْسَ في أكنَّةٍ[5] لا يلقى جرمها والذي رطبها

---

1 (?) نيسان: يقابله شهر أبريل.
2 (?) الحصرم: الثمر قبل النضج.
3 (?) الخلالة: الخلة: كل نبت حُلْوٍ، ويقابله الحَمْض.
4 (?) البرة: حبة القمح.
5 (?) الأكنة: الأغطية.

يلقى جرمها، ثم إنها تُبيِّضُ ورد الخشخاش[1] وتُحمِّرُ الشــقائق[2] وتُحمِّضُ الرُّمــان وتُحلي العنب، والمــاء واحد، وقد أشار المولى إلى هذا بقولـه: **تسـقى بمــاء واحد ونفضل بعضــها على بعض فى الأكل** [الرعد: 4].

ذكر تلبيسه على الثنوية

وهم قوم قالوا: صانعُ العالم اثنان: ففاعل الخـير نـور، وفاعل الشر ظلمـة، وهما قـديمان لم يـزالا ولن يزالا قويين حساسين، سميعين بصيرين، وهما مختلفان في النفس والصورة، متضادان في الفعل والتدبير.

فجوهر النور فاضل حسن نيِّرٌ صافٍ نقي طيب الــريح حســنُ المنظــر، ونفسه نفسٌ خيِّرةٌ كريمة حكيمة نفاعة منها الخير واللذة والسرور والصــلاح، وليس فيها شيء من الضرر ولا من الشر.

وجـــــوهر الظلمة على ضد ذلك من الكـــــدر والنقص ونتن الـــــريح وقُبْحِ المنظر ونفسه نفسٌ شــرِّيرةٌ بخيلــةٌ ســفيهة منتنة ضــرَّارةٌ منها الشَّــرُّ والفســادُ. كـذا حكـاه النوبخـتي عنهم، قــال: وزعم بعضهم أن النور لم يزل فوق الظلمة.

---

1 (?) الخشخاش: نبات حولى، يستخرج الأفيون من ثماره.

2 (?) الشــقائق: عشب حــولى من الفصــيلة الشــقيقية، أحمر الزهــر، مبقع بنقط ســود، وله أنــواع وضــروب، بعضــها يــزرع، وبعضها ينبت فى أواخر الشتاء وفى الربيع.

وقال بعضهم: بل كُلٌّ واحد إلى جانب الآخر. وقال أكثرهم: النور لم يزل مرتفعًا في ناحية الشمال، والظلمة منحطة في ناحية الجنوب، ولم يزل كل واحد منهما مباينًا لصاحبه.

قال النوبختي: وزعموا أنَّ كُلَّ واحدٍ منهما له أجناس خمسة، أربعة منها أبدان وخامس هو الروح.

وأبدانُ النور أربعة: النار والريح، والتراب، والماء، وروحه الشبح. ولم تزل تتحرك في هذه الأبدان.

وأبدان الظلمة أربعة: الحريق، والظلمة، والسموم، والضباب، وروحها الدخان. وسموا أبدان النور ملائكة، وسموا أبدان الظلمة شياطين وعفاريت.

وبعضهم يقول: الظلمة تتوالد شياطين والنور يتوالد ملائكة، وأن النور لا يقدر على الشر ولا يجوز منه، والظلمة لا تقدر على الخير ولا تجوز منه، وذكر لهم مذاهب مختلفة فيما يتعلق بالنور والظلمة، ومذاهب سخيفة، فمنها أنه فرض عليهم ألا يدَّخرون إلا قوت يوم.

وقال بعضهم: على الإنسان صوم سبع العمر، وترك الكذب والبخل والسحر، وعبادة الأوثان والزنى والسرقة، وأن لا يؤذي ذا روح، في

مذاهب طريفة اخترعوها بواقعاتهم الباردة.

وذكر يحيى بن بشر النهاوندي: أن قومًا منهم يقال لهم (الديصانية) زعموا أن طينة العالم كانت طينة خشنة وكانت تحاكي جسم الباري، الذي هو النور، زمانًا، فتأذى بها، فلما طال عليه ذلك قصد تنحيتها عنه فتوحَّل فيها واختلط بها فتركب منها هذا العالم النوري والظلمي، فما كان من جهة الصلاح فمن النور، وما كان من جهة الفساد فمن الظلمة، وهؤلاء يغتالون الناس ويخنقونهم ويزعمون أنهم يخلصون بذلك النور من الظلمة، مذاهب سخيفة.

والذي حملهم على هذا أنهم رأوا في العالم شرًا واختلافًا، فقالوا: لا يكون من أصل واحد شيئان مختلفان: كما لا يكون من النار التبريد والتسخين، وقد ردَّ العلماءُ عليهم في قولهم إن الصانع اثنان، فقالوا: لو كان اثنين لم يخلُ أن يكونا قادرين، أو عاجزين، أو أحدهما قادر والثاني عاجز.

لا يجوز أن يكونا عاجزين لأن العجز يمنعُ ثبوتَ الألوهية، ولا يجوز أن يكون أحدهما عاجزًا، فبقي أن يقال هما قادران، فتصوَّرْ أن أحدهما يريدُ تحريك هذا الجسم في حالة يريد الآخر فيها تسكينه، ومن المحال وجود ما يريدانه، فإن تمَّ

مُرَادُ أحدهما ثبت عجزُ الآخر.

وردوا عليهم في قولهم: إن النـور يفعل الخـير، والظلمة تفعل الشر، فإنه لو هرب مظلومٌ فاستتر بالظلمة فهـذا خـيرٌ قد صـدر من شـرَ، ولا ينبغي مـدُّ النفَسِ، في الكلام مع هـؤلاء فـإن مـذهبهم خرافات.

ذكر تلبيسه على الفلاسفة وتابعيهم

قـال المصـنف: إنما تمكَّن إبليسُ من التلـبيس على الفلاسـفة من جهة أنهم انفـردوا بـآرائهم وعقـولهم، وتكلمـوا بمقتضى ظنـونهم من غـير التفات إلى الأنبياء، فمنهم مَنْ قـال بقـول الدهرية أن لا صانع للعـالم، حكـاه النوبخـتي وغـيره عنهم. وحكى النهاوندي أن أرسطاطاليس وأصحابه زعموا أن الأرض كـوكب في جـوف هـذا الفلك وأن في كل كـوكب عـوالم كما في هـذه الأرض وأنهـارًا وأشجارًا وأنكروا الصانع وأكـثرهم أثبت علّةً قديمـةً للعالم ثم قال بقدم العالم، وأنه لم يـزل موجـودًا مع الله تعالى ومعلولاً له ومساويًا غير مُتأخرٍ عنه بالزمان مسـاواةَ المعلـول للعلـة، والنـور للشـمس بالـذات والرتبة لا بالزمـان، فيقـال لهم: لِمَ أنكـرتم أن يكون العالم حادثًا بإرادة قديمة اقتضت وجوده في الوقت الذي وجد فيه؟ فإن قالوا: فهذا يـوجب أن يكون بين وجود الباري وبين المخلوقات زمان،

قلنا: الزمـان مخلـوق وليس قبل الزمـان زمـان. ثم يقال لهم: كان الحق سبحانه قـادرًا على أن يجعل سـمك الفلك الأعلى أكـثر مما هو بـذراع أو أقـلَّ مما هو بــذراع. فــإن قــالوا: لا يمكن فهو تعجــيز، ولأن ما لا يمكنُ أن يكــون أكــبر منه ولا أصــغر فوجـــــــــوده على ما هو عليه واجبٌ لا ممكن، والـواجب يسـتغني عن علَّة، وقد سـتروا مـذهبهم بأن قالوا: الله عزَّ وجلَّ صـانعُ العـالم، وهـذا تجـوُّزٌ عنـــدهم لا حقيقـــة، لأن الفاعل مريد لما يفعله وعندهم أن العالم ظهر ضـروريًا لا أنَّ الله فعلـه. ومن مــذاهبهم أن العــالم بــاق أبــدًا كما لا بداية لوجـوده فلا نهايـة. قـالوا: لأنه معلـول علة قديمـة، وكان المعلول مع العلة.

ومتى كان العالمُ مُمكِنَ الوجـود لم يكن قـديمًا ولا معلولاً، وقد قـال جـالينوس: لو كـانت الشـمس مثلاً تقبل الانعــدام لظهر فيها ذبــول[1] في هــذه المدة الطويلة. فيقال لـه: قد يفسد الشــيء بنفسه بغتةً لا بالذبول، ثم من أين له أنها لا تذبل؟ فإنها عنـدهم بمقـدار الأرض مائة وسـبعين مـرة أو نحو ذلــك، فلو نقص منها مقــدار جبل لم ي بن ذلك للحِسِّ. ثم نحن نعلم أن الــذهب واليــاقوت يقبلان الفســاد وقد يبقيــان ســنين ولا يحسّ نقصــانهما، وإنما الإيجــاد والإعــدام بــإرادة القــادر، والقــادر لا

---

1 (?) ذبول: يقال ذبل الشىء: ضعف وذهبت نضارته.

يتغـير في نفسه ولا تحـدث له صـفة وإنما يتغـير الفعل بإرادة قديمة.

(فصل)

وحكى النُّوبخـتي في كتـاب «الآراء والـديانات»: أن سقراط كان يزعم أن أصول الأشياء ثلاثة: علة فاعلـة، والعنصـر، والصـورة. قـال: والله تعـالى هو الفعـــال، والعنصر هو الموضــــوع الأول للكــــون والفساد، والصورة جوهر للجسم، وقـال آخر منهم: الله هو العلة الفاعلــة، والعنصر المنفعــل، وقــال آخر منهم: العقل رتَّب الأشياء هـذا الـترتيب، وقـال آخر منهم: بل الطبيعة فعلته.

وحكى يحـيى بن بشر بن عمـير النهاونـدي: أن قومًا من الفلاسفة قالوا: لما شاهدنا العالم مجتمعًا ومتفرقًا ومتحركًا وسـاكنًا علمنا أنه مُحـدثٌ ولا بد له من مُحدِثٍ، ثم رأينا أن الإنسان يقع في الماء ولا يُحْسِنُ السباحة فيستغيثُ بذلك الصـانع المـدبر فلا يغيثــه، أو في النـــار، فعلمنا أن ذلك الصـــانع معدوم.

قـال: واختلف هـؤلاء في عـدم الصـانع المـدبر على ثلاث فرق: فرقة زعمت أنه لما أكمل العـالم استحســــــــنه فخشي أن يزيد فيه أو يُنقص منه فيفســـد، فأهلك نفسه وخلا منه العــــالم، وبقيت الأحكـام تجـري بين حيواناته ومصـنوعاته على ما

اتفق.

وقالت الفرقة الثانية: بل ظهر في ذات الباري تولول، فلم يزل تنجذب قوته ونوره حتى صارت القوة والنُّور في ذلك التولول وهو العالم، وساء نور الباري وكان الباقي منه نور.

وزعموا أنه سيجذب النُّور من العالم إليه حتى يعود كما كان، ولضعفه عن مخلوقاته أهمل أمرهم فشاع الجوْر.

وقالت الفرقة الثالثة: بل الباري لما اتقن العالم تفرقت أجزاؤه فيه فكل قوة في العالم فهي من جوهر اللاهوتية.

قال الشيخ رحمه الله: هذا الذي ذكره النَّهاوندي نقلته من نسخة بالنظامية قد كتبت منذ مائتين وعشرين سنة؛ ولولا أنه قد قيل ونقل في ذكره بيان ما قد فعل إبليس في تلبيسه، لكان الأولى الإضراب عن ذكره تعظيمًا لله عز وجل أن يُذكر بمثل هذا، ولكن قد بيَّنا وجه الفائدة في ذكره.

وقد ذهب أكثر الفلاسفة إلى أن الله تعالى لا يعلم شيئًا، وإنما يعلم نفسهُ، وقد ثبت أن المخلوق يعلمُ نفسه ويعلم خالقه، فقد زادت مرتبةُ المخلوق على رتبة الخالق.

قال المصنِّف: وهذا أظهرُ فضيحة من أن يُتكلم

عليه، فانظر إلى ما زيَّنهُ إبليس لهؤلاء الحمقاء مع ادعائهم كمال العقل، وقد خالفهم أبو علي بن سيناء في هذا فقال: بَلْ يعلمُ نفسه، ويعلم الأشياء الكلية ولا يعلم الجزئيات، وتلقف هذا المذهب منهم المعتزلة، وكأنهم استكثروا المعلومات، فالحمد لله الذي جعلنا ممن ينفي عن الله الجهل والنقص، ونؤمن بقوله: ﴿**ألا يعلم من خلق**﴾ [الملك: 14]، وقوله: ﴿**ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها**﴾ [الأنعام: 59]، وذهبوا إلى أن علم الله وقدرته هو ذاته، فرارًا من أن يثبتوا قديمين، وجوابهم أن يقال: إنما هو قديم موجود واحد موصوف بصفات الكمال.

قال المصنف: وقد أنكرت الفلاسفةُ بعث الأجساد، ورد الأرواح إلى الأبدان ووجود جنةٍ ونار جسمانيين، وزعموا أن تلك أمثلةٌ ضُربت لعوام الناس ليفهموا الثواب والعقاب الروحانيين، وزعموا أن النفس تبقى بعد الموت بقاء سرمديًا أبدًا، إما في لذةٍ لا تُوصفُ وهي الأنفس الكاملة، أو ألمٍ لا يوصف وهي النفوس المتلوثة، وقد تتفاوت درجات الألم على مقادير الناس، وقد ينمحي عن بعضها الألم ويزول.

فيقال لهم: نحنُ لا ننكرُ وجود النفس بعد الموت، ولذلك سمي عودها إعادة، ولا أنَّ لها

نعيمًا وشقاء، ولكن ما المانع من حشر الأجسـام؟ وِلمَ ننكر اللـذَّاتِ والآلام الجسـمانيَّة في الجنة والنار، وقد جاء الشرع بـذلك فنحن نـؤمن بـالجمع بين السـعادتين، وبين الشـقاوتين الروحانية والجسـمانية، وأما إقـامتكم الحقـائق في مقـام الأمثال فتحكم بلا دليـل، فـإن قـالوا: الأبـدان تنحل وتؤكل وتسـتحيل، قلنـا: القـدرة لا يقف بين يـديها شيء، على أن الإنسان إنسان بنفسه.

فلو صُنعَ له البدنُ من ترابٍ غير التراب الـذي خُلِق منه لم يخـرج عن كونه هو هـو، كما أنه تتبـدل أجـزاؤه من الصـغر إلى الكـبر وبـالهزال والسِّمن، فإن قالوا: لم يكن البدن بدنًا حتى يرقى من حالة إلى حالة إلى أن صـار لحمًا وعروقًـا، قلنـا: قـدرة الله سـبحانه وتعـالى لا تقف على المفهوم المشـاهد، ثم قد أخبرنا نبينا أن الأجسـام تنبت في القبور قبل البعث.

وَأَخْبَرَنَا أبو بكر محمد بن عبد الباقي الـبزّار، نا أبو محمد الجوهري، نا عمر بن محمد بن الزيات، ثنا قاسم بن زكريا المطرِّزُ، ثنا أبو كُـرِيْبٍ، ثنا أبو معاويـة، عن الأعمش، عن أبي صـالح، عن أبي هريـرة، قـال: قـال رسـول الله «ما بين النفخـتين أربعـون، قـالوا: يا أبا هريـرة أربعـون يومًـا؟ قـال: أبيت، قالوا: أربعون شهرًا، قال: أبيت، قالوا: أربعون سـنة؟ قـال: أبيت؛ قـال: ثم يُنْـزلُ الله مـاءً من

السماء فينبتـون كما ينبتُ البقـلُ، قـال: وليس من الإنسان شيءٌ إلا يبلى إلا عظمًا واحـدًا وهو عجبُ الـــذنب[1]، منه خُلــق، ومنه يُـــركَّبُ الخلــقُ يـــوم القيامة»[2]. أخرجاه في الصحيحين.

مذهب الفلاسفة

(فصل):

وقد لبّس إبليسُ على أقـــــــوام من أهل ملَّتنا فـــدخل عليهم من بـــاب قـــوة ذكـــائهم وفطنتهم فأراهم أن الصواب اتباع الفلاسفة، لكونهم حكمــاء قد صــدرت منهم أفعــال وأقــوال دلَّتْ على نهاية الـــــذكاء وكمـــــال الفطنـــــة، كما ينقل من حكمة ســــقراط وأبقــــراط وأفلاطــــون وأرســــطاطاليس وجــالينوس، وهــؤلاء كـــانت لهم علـــوم هندســـية ومنطقية وطبيعية واستخرجوا بفطنهم أمورًا خفيــة، إلا أنهم لما تكلمــوا في الإلهيــات خلطــوا ولــذلك اختلفـــــوا فيهـــــا، ولم يختلفــــوا في الحسِّـــــيات والهندســــــــــيات، وقد ذكرنا جنس تخليطهم في معتقداتهم.

وســـــبب تخليطهم أن قـــــوى البشر لا تــــدرك

---

1 (?) عجب الذنب: هو العظم اللطيف الذى فى أسفل الصلب، وهو أول ما يخلق من الآدمى، وهو الذى يبقى منه ليعاد تركيب الخلق عليه.

2 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى التفسير (4935)، ومسلم فى الفتن (2955/141).

العلــوم إلا جملة والرجــوع فيها إلى الشــرائع. وقد حكي لهؤلاء المتأخرين في أمتنا أن أولئك الحكماء كانوا ينكرون الصانع ويـدفعون الشـرائع ويعتقـدونها نـــــواميس وحيلاً، فصـــــدقوا فيما حكي لهم عنهم ورفضـوا شـعار الـدين وأهملـوا الصـلوات ولابسـوا المحذورات واسـتهانوا بحـدود الشـرع وخلعـوا ربقة الإســلام، فــاليهود والنصــارى أعــذر منهم لكــونهم متمسـكين بشـرائع دلت عليها معجـزات، والمبتدعة في الـــدين أعـــذر منهم لأنهم يـــدّعُون النظر في الأدلـة، وهـؤلاء لا مسـتند لكفـرهم إلا علمهم بـأن الفلاسفة كانوا حكماء، أتراهم ما علموا أن الأنبيـاء كانوا حكماء وزيادة.

وما قد حكي لهؤلاء الفلاسفة من جحد الصانع محال: فإن أكـثر القـوم يثبتـون الصـانع ولا ينكرون النبوات وإنما أهملوا النظر فيها وشذَّ منهم قليل فتبعوا الدهرية الذين فسـدت أفهـامهم بـــالمرة، وقد رأينا من المتفلســـفة من أمتنا جماعة لم يكســـبهم التفلسُـــفُ إلا التحيُّر فلا هم يعملـــون بمقتضـــاه ولا بمقتضى الإســـلام بل فيهم من يصـــوم رمضـــان ويصـــلي ثم يأخذ في الاعتراض على الخالق وعلى النبوات ويتكلم في إنكار بعث الأجساد، ولا يكاد يُرى منهم أحدٌ إلا ضربه الفقر فأضرَّ به فهو عامة زمانه في تسـخُّطٍ على الأقـدار والاعـتراض على المقـدر حـتى قال لي بعضهم: أنا لا أخاصم إلا من فوق الفلك، وكـان يقـول أشـعارًا كثـيرة في هـذا المعـنى، فمنها: قوله في صفة الدنيا قال:

أتُراها صنعةً من	**أم تُراها رميةً من**

وقولـه:

واحيرتا من وجودٍ	**منا اختيارٌ ولا علم**

كأنه في عماءٍ ما **ولا شرسُ**[1]
ونحن في ظلمةٍ ما **فيها يُضيءُ ولا**
مُدلَّهينَ حيارى قد **جهلٌ يُجهِّمُنا**[2] **في**
فالفعلُ فيه بلا **والقولُ فيه كلامٌ**

ولما كانت الفلاسفة قريبًا من زمان شريعتنا والرهبنة كذلك، مدّ بعض أهل ملتنا يده إلى التمسك بهذه وبعضهم مدّ يده إلى التمسك بهذه، فترى كثيرًا من الحمقى إذا نظروا في باب الاعتقاد تفلسفوا وإذا نظروا في باب التزهد ترهبنوا، فنسأل الله ثباتًا على ملتنا وسلامة من عدونا إنه وليُّ الإجابة.

(ذكر تلبيسه على أصحاب الهياكل)

وهم قوم يقولون: إن لكل روحاني من الروحانيات العلوية هيكلاً، أعني جرمًا من الأجرام السماوية، هو هيكله ونسبته إلى الروحاني المختص به نسبة أبداننا إلى أرواحنا، فيكون هو مدبره والمتصرف فيه، فمن جملة الهياكل العلوية السيارات والثوابت، قالوا: ولا سبيل لها إلى الروحاني بعينه. فيتقرب إلى هيكله بكل عبادة وقربان. وقال آخرون منهم: لكل هيكل سماوي شخص من الأشخاص السفلية على صورته

---

1 (?) شرس: سوء خلق.
2 (?) يجهمنا: جهم، جهامة، وجهومة: صار عابس الوجه كريهه.

وجوهره، فعمل هؤلاء الصور ونحتوا الأصنام وبنوا لها بيوتًا.

وقد ذكر يحيى بن بشر النهاوندي أن قومًا قالوا: الكواكب السبعة وهي زُحَلُ، والمُشتري، والمرِّيخُ، والشمسُ، والزُّهرةُ، وعُطاردُ، والقمرُ. هي المدبِّراتُ لهذا العالم وهي تصدر عن أمر الملأ الأعلى، ونصبوا لها الأصنام على صورتها، وقرَّبوا لكل واحدٍ منها ما يشبهه من الحيوان. فجعلوا لزُحَلَ جسمًا عظيمًا من الآنُك[1] أعمى يُقرَّبُ إليه بثورٍ حسن يُؤتى به إلى بيتٍ تحته محفور وفوقه الدرابزين من حديد على تلك الحفرة فيضرب الثور حتى يدخل البيت ويمشي على ذلك الدرابزين من الحديد فتغوص رجلاه ويداه هنالك ثم توقد تحته النار حتى يحترق، ويقول له المُقربُون: مُقدَّسٌ أنت أيها الإله الأعمى المطبوع على الشر الذي لا يفعل خيرًا، قرَّبنا لك ما يشبهك فتقبَّل منا واكفنا شرك وشر أرواحك الخبيثة.

ويقرِّبون للمشتري صبيًا طفلاً وذلك أنهم يشترون جارية ليطأها السدنةُ[2] للأصنام السبعة، فتحمل وتُترك حتى تضع، ويأتون بها والصبي على

---

1 (?) الآنك: الرصاص الخالص.

2 (?) السدنة: بالتحريك، جمع سادن، وهو خادم الكعبة وبيت الأصنام.

يدها ابن ثمانية أيام فينخسونه بالمِسلِّ والإبر، وهو يبكي على يد أمه، فيقولون له: أيها الربُّ الخيِّرُ الذي لا يعرف الشر، قد قرَّبنا لك من لم يعرف الشر يجانسك في الطبيعة فتقبل قرباننا وارزقنا خيرك وخير أرواحك الخيِّرة.

ويقرِّبون للمرِّيخ رجلاً أشقر أنمش[1] أبيض الرأس من الشُّقرة، يأتون به فيدخلونه في حوض عظيم ويشدون قيوده إلى أوتاد في قعر الحوض ويملأون الحوض زيتًا حتى يبقى الرجل قائمًا فيه إلى حلقه ويخلطون بالزيت الأدوية المُقوِّية للعصب والمعفنة للحم، حتى إذا دار عليه الحولُ بعد أن يُغذَّى بالأغذية المُعفِّنة للحم والجلد قبضوا على رأسه فملخوا عصبه من جلده ولفوه تحت رأسه وأتوا به إلى صنمهم الذي هو على صورة المريخ، فقالوا: أيها الإلهُ الشريرُ ذو الفتن والجوائح قرَّبنا إليك ما يُشبهُك فتقبل قرباننا واكفنا شرَّك وشرَّ أرواحك الخبيثة الشريرة.

ويزعمون أن الرأس تبقى فيه الحياةُ سبعة أيامٍ وتكلمُهُم بعلم ما يصيبهم تلك السنة من خير وشر. ويقرِّبون للشمس تلك المرأة التي قتلوا ولدها للمشتري ويطوفون بصورة الشمس ويقولون: مُسبحةٌ مُهللة أنت أيتها الآلهة النورانية

---

[1] (?) النمش: بفتحتين، نقط بيض وسود.

قرَّبنا إليك ما يشــبهك، فتقبلي قرباننا وارزقينا من خيرك، وأعيذينا من شرِّك.

ويقرِّبون للزُّهرة عجوزًا شمطاء ماجنةً يُقـدمونها بين يديها وينادون حولها: أيتها الآلهة الماجنة أتينـاك بقربـــان بياضه كبياضك ومجانتُــهُ كمجانتك وظرفه كظرفك فتقبليها منا، ثم يـأتون بـالحطب فيجعلونه حول العجـوز ويُضـرمون فيه النـار إلى أن تحـترق فيحثون رمادها في وجه الصنم.

ويقرِّبون لعُطارد شابًا أسـمر حاسـبًا كاتبًا متأدِّبًا يأتون به بحيلـة، وكـذلك يفعلـون بالكل يخـدعونهم ويُبنجـونُهم ويسـقُونهُم أدويـةً تُزيـلُ العقل وتخـرس الألسـنة فيقـدمون هـذا الشـاب إلى صـنم عطـارد ويقولون: أيها الربُّ الظريفُ أتيناك بشـخص ظريف وبطبعك اهتــدينا، فتقبَّل منــا، ثم يُنشــرُ الشــابُّ نصــــفين ويربَّعُ ويجعل على أربع خشـــــبات حوله ويضرم في كل خشبة النار حـتى تحـترق ويحـترق الرُّبُعُ معها ويحثون رمادهُ في وجهه.

ويقرِّبـون للقمر رجلاً آدم كبـير الوجه ويقولـون له: يا بريد الآلهة وخفيف الأجرام العلوية.

(ذكر تلبيسه على عُبَّاد الأصنام)

قال المصـنف: كُـلُّ محنـةٍ لبّس بها إبليسُ على النــاس فســببها الميل إلى الحس والإعــراض عن مقتضى العقل، ولما كان الحس يـأنس بالمثل دعا

إبليس لعنه الله خلقًا كثــيرًا إلى عبــادة الصــور وأبطل عند هــؤلاء عمل العقل بــالمرة. فمنهم من حسَّــن له أنها الآلهة وحــدها، ومنهم من وجد فيه قليل فطنةٍ فعلم أنه لا يوافقه على هذا فــزيَّن له أن عبــادة هــذه تُقــرِّبُ إلى الخــالق فقــالوا: ﴿**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾ [الزمــر: 3].

ذكر بداية تلبيسه على عُبَّاد الأصنام

أَخْبَرَنَا عبد الوهاب بن المبــارك الحافــظ، نا أبو الحسين بن عبد الجبار، نا أبو جعفر ابن أحمد بن الســـــلم، نا أبو عبيد الله محمد بن عمـــــران المرزباني، نا أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله الجوهري، ثنا أبو علي الحسن بن عُلَيْل العنزي: ثنا أبو الحسن علي ابن الصــباح بن الفُــرات، قــال: أخبرنا هشام بن محمد بن السـائب الكلـبي، قـال: أخبرني أبي، قال: أول ما عبدت الأصـنام كـان آدم لما مـات جعله بنو شـيث بن آدم في مغـارة في الجبل الــذي أهبط عليه آدم بــأرض الهنــد، ويقــال للجبل «بوذ» وهو أخصب جبل في الأرض.

قال هشـام: فـأخبرني أبي، عن أبي صـالح، عن ابن عباس، رضي الله عنهما قال: فكان بنو شـيث بن آدم عليه الصلاة والسلام يــأتون جسد آدم في المغارة فيُعظِّمونه ويترحمون عليه، فقال رجل من

بــني قابيــل: يا بــني قابيل إن لبــني شــيث دوَّارًا يــدورون حوله ويعظمونه وليس لكم شــيء فنحت لهم صنمًا فكان أول من عملها. قال: وأخـبرني أبي أنه كان ودٌّ، وسُواعٌ، ويغوثُ، ويعـوقُ، ونسـرٌ، قومًا صـالحين فمـاتوا في شـهر فجـزع عليهم أقـاربهم، فقــال رجل من بــني قابيــل: يا قــوم هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صـورهم غـير أنـني لا أقـدرُ أن أجعل فيها أرواحًـا؟ فقـالوا: نعم. فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم، فكان الرجل منهم يأتي أخـاه وعمه وا بن عمه فيعظمه ويســـعى حوله حـــتى ذهب ذلك القـــرن الأول، وعُملتْ على عهد يــزد بن مهلائيل بن قينــان بن أنـــوش بن شـــيث بن آدم، ثم جـــاء قـــرن آخر فعظَّموهم أشد تعظيم من القرن الأول.

ثم جـاء من بعـدهم القـرن الثـالث فقـالوا: ما عظَّم الأولون هؤلاء إلا وهم يرجون شـفاعتهُم عند الله عـزَّ وجـلَّ، فعبـدوهم وعظَّمُـوا أمـرهم واشـتدَّ كفـرهُم، فبعث الله سـبحانه وتعـالى إليهم إدريس عليه الصلاة والسـلام فـدعاهم فكـذبوه فرفعه الله مكانًا عليًــا، ولم يــزل أمــرهم يشــتد فيما قــال الكلبيُّ، عن أبي صالح، عن ابن عباس حتى أدرك نــــوح فبعثه الله نبيًا وهو يومئـــــذٍ ابن أربعمائة وثمـانين سـنة، فـدعاهم إلى عبـادة الله عز وجل مائة وعشـرين سـنة فعصـوهُ وكـذَّبوه فـأمره الله

تعـالى أن يصـنع الفُلْـكَ، فعملها وفـرغ منها وركبها وهو ابن سـتمائة سـنة، وغـرق من غـرق، ومكث بعد ذلك ثلاثمائة سـنة وخمسـين سـنة، فكـان بين آدم ونوحٍ ألفا سنة ومائتا سنة، فأهبط الماء هــذه الأصـــنامَ من أرض إلى أرض، حـــتى قـــذفها إلى أرض جُـدَّة، فلما نضـبت المـاءُ بقيت على الشـطِّ فسفت الريحُ عليها حتى وارتها.

قال الكلـبي: وكـان عمـرو بن لُحيَ كاهنًا وكـان يكـنى أبا ثمامة له رِئيٌ من الجن. فقـال لـه: عجِّل المسير والظعن من تهامة، بالسعد والسـلامة، ائت صفا جـدة، تجد فيها أصـنامًا مُعـدَّة، فأوردها تهامة ولا تهب، ثم ادعُ العـرب إلى عبادتها تُجب، فـأتى نهر جُدَّة فاسـتثارها ثم حملها حـتى ورد بها تهامة وحضر الحجَّ فـــدعا العـــرب إلى عبادتها قاطبـــة، فأجابه عـوفُ بن عـذرة بن زيد اللاّت فـدفع إليه ودًا فحمله فكـــان بـــوادي القـــرى بدومة الجنـــدل وسمى ابنه عبد ود فهو أول من سمي بـه. وجعل عوف ابنه عامرًا سادنًا له، فلم يزل بنـوه يـدينون به حتى جاء الله بالإسلام.

قـال الكلـبي: حـدثني مالك بن حارثة أنه رأى ودًّا، قـال: وكـان أبي يبعثـني باللل بن إليه ويقول: اسقِ إلهك فأشربُهُ، قال: ثم رأيت خالد بن الوليد بعدُ كسره فجعله جذاذًا. وكان رسول الله بعثه من غزوة تبـوك لهدمه فحـالت بينه وبين هدمه بنو عبد ود وبنو عـامر فقـاتلهم فقتلهم وهدمه وكسـره وقتل يومئـذٍ رجلاً من بـني عبد ود يقـال له قطن بن شـريح فـأقلبت أمه (وهو مقتول) وهي تـقول:

ألا تلك المودةُ لا ولا يبقى على
ولا يبقى على لَهُ أمٌّ بشاهقةٍ

ثم قالت: (البسيط)

يا جامعًا جَمَعَ الأحشاء والكبدِ
يا ليت أُمَّك لـم تُولد ولم تَلِدِ

ثم أكبَّت عليه فشهقت وماتت.

قـال الكلـبي: فقلتُ لمالك بن حارثـة: صِـف لي ودًّا حـتى كـأني أنظر إليـه. قـال: كـان تمثـال رجل أعظم ما يكــون من الرجــال قد ديــر، أي نقش، عليه حُلَّتــان متَّزر بحلة مرتد بــأخرى، عليه سـيف قد تقلّده وتنكَّب قوسًـا وبين يديه حربة فيها لــواء ووفضة فيها نبلٌ يعني جعبتها.

قــال: وأجــابت عمــرو بن لُحيَ مُضــرُ بن نــزار فــدفع إلى رجل من هُــذيلٍ يقــال له الحــارثُ بن تميم ابن سعد بن هُذيل بن مُدركة بن إليـاس بن مُضر سُــواعًا، وكــان بــأرضٍ يقــال لها رُهــاط من بطن نخلة يعبده من يليه من مُضر.

فقال رجل من الـعرب:

تراهُم حول قبلتهم كما عكفت هُذيلُ
يظَلُّ حياتهُ صرعى غَنائِمُ من ذخائر

وأجابته مـــذحج فـــدفع إلى أنعم بن عمـــرو المرادي يغُـوث، وكـان بأكمة بـاليمن تعبـده مـذحج

ومن والاها.

وأجابته همـــدان فـــدفع إلى مالك بن مرثد بن جشم يعُـوق، وكـان بقرية يقـال لها جـوان تعبـده همدان ومن والاها من اليمن.

وأجابته حِمْيَر فـــــدفع إلى رجل من ذي رُعيْن يقـال له معـدي كـرب نسـرًا، وكـان بموضع من أرض سـبأ يقـال له بلخع تعبـده حِمْيَر من والاهـا. فلم يزالـوا يعبدونه حـتى هـوّدهُم ذو نـواس ولم تزل هذه الأصنام تُعبدُ حتى بعث الله محمدًا فأمر بهدمها[1].

قال هشام: وحدثنا الكلـبيُّ، عن أبي صـالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسـول الله «رُفعت لي النـارُ فـرأيتُ عمـرو بن لُحيَ قصـيرًا أحمر أزرق يجُـرُّ قُصْـبَهُ في النـار، قلت: من هـذا؟ قيـل: هـذا عمـرو بن لحي أولُ من بحر البحـيرة ووصل الوصيلة وسيَّب السَّائبة وحمى الحمام وغيَّر دين إسماعيل ودعا العرب إلى عبادة الأوثان»[2].

قـال هشـام: وحـدثني أبي وغـيره أن إسـماعيل

---

1 (?) القصة الصـحيحة لهـذه الأصـنام الـتى تعبد من دون اللـه، ذكرها البخارى فى التفسير (4920).

2 (?) هــذا الإســناد فيه الكلــبى وهو مــتروك كما فى مــيزان الاعتدال 3/557، والكامل فى الضعفاء 6/114.

ولكن أخرجه البخارى فى التفسـير (4623)، ومسـلم فى الجنة (2856/50) من حديث أبى هريرة.

عليه الصلاة والسلام لما سكن مكة وولد له فيها أولادًا فكثروا حتى ملأوا مكة ونفوا من كان بها من العماليق ضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات فأخرج بعضهم بعضًا فتفسَّحوا في البلاد والتمسوا المعاش فكان الذي حملهم على عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجرًا من حجارة الحرم تعظيمًا للحرم وصيانة لمكة فحيث ما حلُّوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنًا منهم بها وصيانة للحرم وحُبًّا له وهم بعدُ يُعظِّمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على أثر إبراهيم وإسماعيل، ثم عبدوا ما استحسنوا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام غيرهُ، فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم، واستخرجوا ما كان يعبد قوم نوح وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم وإسماعيل يتمسكون بها، من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف بعرفة والمزدلفة وإهداء البُدنِ والإهلال بالحج والعمرة. وكانت نزار تقول إذا ما أهلَّتْ: (لبيك الله م لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك).

وكان أول من غيَّر دين إسماعيل ونصب الأوثان وسيَّب السائبة ووصل الوصيلة عمرو بن

ربيعة وهو لحي بن حارثة وهو أبو خزاعة، وكـانت أمُّ عمرو بن لحيَ فهـيرة بنت عـامر بن الحـارث، وكـان الحـارث هو الـذي يلي أمر الكعبة فلما بلغ عمرو بن لحي نازعه في الولاية وقاتل جـرهم بن إسـماعيل فظفر بهم وأجلاهم عن الكعبة ونفـاهم من بلاد مكة وتـولى حجابة الـبيت من بعـدهم، ثم إنه مرض مرضًا شـديدًا فقيل لـه: إن بالبلقـاء من أرض الشـام حمَّةً إن أتيتها بـرئت فأتاها فاسـتحمَّ بها فـبرأ، ووجد أهلها يعبـدون الأصـنام، فقـال: ما هـذه؟ فقـالوا: نستسـقي بها المطر ونستنصر بها على العدوِّ، فسألهم أن يعطوه منها ففعلـوا فقـدِم بها مكَّة ونصـبها حـول الكعبة واتخـذت العـربُ الأصنام.

وكان أقـدمها منـاةُ وكـان منصـوبًا على سـاحل البحر من ناحية المسـلك بقُديد بين مكة والمدينة وكانت العرب جميعًا تُعظِّمه والأوس والخزرج ومن نزل المدينة ومكة وما والاها ويـذبحون له ويُهـدُون له.

قـال هشـام: وحـدثنا رجل من قـريش، عن أبي عبيـدة بن عبد الله بن أبي عبيـدة بن محمد بن عـامر بن يسـار قـال: كـانت الأوس والخـزرج ومن يأخذ مأخـذهم من العـرب من أهل يـثرب وغيرها يحُجُّون فيقفـون مع النـاس المواقف كلها ولا يحلقون رؤوسـهم، فـإذا نفـروا أتـوه فحلقـوا عنـده

رؤوسهم وأقاموا عنده لا يرون لحجِّهم تمامًا إلا بذلك، وكانت مناةُ لهُذيل وخُزاعة، فبعث رسول الله عليًا رضي الله عنه فهدمها عام الفتح.

ثم اتخذوا اللاَّت بالطائف وهي أحدث من مناة وكانت صخرةً مرتفعةً وكانت سدنتُها من ثقيفٍ، وكانوا قد بنوا عليها بناء، وكانت قريش وجميع العرب تعظمها، وكانت العرب تسمي زيد اللاَّت وتيم اللات، وكانت في موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم، فلم يزالوا كذلك حتى أسلمت ثقيف، فبعث رسول الله المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار.

ثم اتخذوا العُزَّى وهي أحدث من اللاَّت اتخذه ظالم بن أسعد وكانت بوادي نخلة الشامية فوق ذات عِرق وبنوا عليها بيتًا وكانوا يسمعون منه الصوت.

قال هشام: وحدثني أبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت العُزَّى شيطانةً تأتي ثلاث سمُرات ببطن نخلة، فلما افتتح رسول الله مكة بعث خالد بن الوليد فقال: ائتِ بطن نخلة فإنك تجدُ ثلاث سمُراتٍ فاعتضد الأولى، فأتاها فعضدها. فلما جاء إليه قال: هل رأيت شيئًا؟ قال: لا. قال: فاعضد الثانية، فأتاها فعضدها، ثم أتى النبي فقال: هل رأيت شيئًا؟

قـال: لا. قـال: فاعضد الثالثـة، فأتاها فـإذا هو بجنية نافشـــةٍ شــعرها واضــعةٍ يــديها على عاتقها تصُــرُّ بأنيابها وخلفها دُبيَّةُ السـلمي وكــان ســادنها. قــال خالد:

يا عُزَّ كُفرانك لا سُبحانك

إني رأيتُ اللَّـه قد أهانك

ثم ضــربها ففلق رأســها فــإذا هي حُممــةٌ، ثم عَضَـد الشـجرة وقتل دُبيَّة السَّـادن، ثم أتى النـبي فــأخبره، فقــال: «تلك العُــزَّى ولا عُــزَّى بعــدها للعرب»[1].

قــال هشــام: وكــان لقــريشٍ أصــنامٌ في جــوف الكعبة وحولها وأعظمها عنــدهم هُبــلُ، وكــان فيما بلغـــني من عقيـــقٍ أحمر على صـــورة الإنســـان مكسور اليد اليمـنى أدركته قـريش كـذلك فجعلـوا له يدًا من ذهب، وكان أول من نصـبه خُزيمـةُ بن مدركة بن إليـــاس بن مُضـــر، وكـــان في جـــوف الكعبة وكان قدَّامهُ سبعةُ أقدحٍ مكتوب في أحدها: صريح، وفي الآخر ملصق، فـإذا شـكُّوا في مولـودٍ

---

1 (?) ضعيف جدًا: أخرجه ابن عساكر فى تهـذيب تـاريخ دمشق 5/101، وفى إسناده هشام هو ابن محمد بن السائب الكلـبى وهو متروك هو وأبوه كما فى المـيزان. وأخرجه الطـبرانى عن أبى الطفيل كما فى مجمع الزوائد 6/176 وقـــــال الهيثمى: «وفيه يحيى بن المنذر وهو ضعيف».
وانظر: الدر المنثور 6/26، وضعيف الجامع (3058).

أهدوا له هدية ثم ضربوا بالقدح فإن خـرج: صـريح ألحقوه، وإن خرج ملصقًا دفعوه.

وكانوا إذا اختصموا في أمر أو أرادوا سـفرًا أو عملاً أتـوه فاستقسـموا بالقـداح عنـده، وهو الـذي قـال له أبو سـفيان يـوم أحـد: أُعْـلُ هُبـلُ أي علا دينُـك. فقـال رسـول الله لأصـحابه: «ألا تجيبونـه؟» فقـــالوا: وما نقـــول؟ قـــال: «قولـــوا: الله أعلى وأجل»[1].

وكـان لهم إسـاف ونائلـة، قـال هشـام: فحـدث الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، أن إساف رجلٌ من جُرهم يقـال لـه: إسـاف بن يعلى، ونائلة بنت زيد من جُـــرهُم، وكـــان يتعشَّـــقها في أرض اليمن فأقبلا حُجَّاجًا فـدخلا الـبيت فوجـدا غفلة من النـــاس وخلـــوةً من الـــبيت، ففجر بها في الـــبيت فمُسخا فأصبحوا فوجدوهما ممسـوخين، فأخرجوهما فوضعوهما موضـعهما فعبدته خزاعـةُ وقـريشٌ ومن حج البيت بعدُ من العرب. قـال هشـام: لما مُسِـخَا حجرين وُضِعا عند الـبيت ليتَّعظ النـاس بهمـا، فلما طـال مُكثُهُما وعُبـدت الأصـنامُ عُبـدا معهـا، وكـان أحـدُهما مُلصـقًا بالكعبة والآخـرُ في موضع زمـزم فنقلت قريش الذي كان ملصـقًا بالكعبة إلى الآخر فكانوا ينحرون ويذبحون عندهما.

---

[1] (?) صـحيح: أخرجه البخـارى فى الجهـاد والسـير (3039)، وأحمد فى المسند 4/293 من حديث البراء بن عازب.

وكان من تلك الأصنام ذُو الخلصة وكـان مـروةً بيضاء منقوشة، عليها كهيئة التاج وكانت بتبالة بين مكة واليمن على مسـيرة سـبع ليـال من مكة وكـانت تعظمها وتهـدي لها خثعم وبجيلـة. فقـال رسـول الله لجرير رضي الله عنـه: «ألا تكفـني ذا الخلصة؟» فوجهه إليه فسار بـأحمس فقابلته خثعم وبجيلة فظفر بهم وهدم بنيان ذي الخلصة وأضـرم فيه النـار[2]. وذو الخلصة اليـوم عتبـةُ بـاب مسـجد تبالة.

* وكان لـدوسٍ صـنم يقـال له ذو الكفين، فلما أسـلموا بعث رسـول الله الطفيل بن عمـرو فحرقه.

* وكان لبني الحارث بن يشـكر صـنم يقـال له ذو الثرى.

* وكان لقُضاعة ولخمٍ وجُـذام وعاملة وغطفـان صنمٌ في مشارف الشامٍ يقال له الأقيصر.

* وكـان لمزينة صـنم يقـال له فهم، وبه كـانت تسمي عبد فهم.

* وكانت لعنزة صنم يقال له سُعيْرٌ.

* وكـان لطيِّىءٍ صـنمٌ يقـال له الفُلُسُ، وكـان

---

2 (?) متفق عليه: أخرجه البخـارى فى الجهـاد والسـير (3020، 2036، 3076)، ومسلم فى فضـائل الصـحابة (2476/136، 137).

لأهل كل واد من مكة صــنم في دارهم يعبدونــه، فـإذا أراد أحـدهم السـفر كـان آخر ما يصـنع في منزله أن يتمسح بـه، وإذا قـدم من سـفره كـان أول ما يصــــنع إذا دخل منزله أن يتمسح بـــــه، ومنهم من اتخذ بيتًــا، ومن لم يكن له صـــنمٌ ولا بيت نصب حجــرًا مما استحسن به ثم طــاف به وسموها الأنصاب.

* وكان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجـار فنظر إلى أحسـنها فاتخـذه ربًّا وجعله ثالثة الأثافي[1] لقدره فإذا ارتحل تركه، فـإذا نـزل مـنزلاً آخر فعل مثل ذلك.

* ولما ظهر رســــــــول الله على مكة دخل المســجد والأصــنام منصــوبة حــول الكعبة فجعل يطعنُ بســيةِ[2] قوسه في عيونها ووجوهها ويقــول: «جاء الحقُّ وزهق الباطلُ إن الباطل كان زهُوقًا»، ثم أمر بها فكُفئت على وجوهها ثم أُخــــرجت من المسجد فحرقت[3].

* وعن ابن عبــاس رضي الله عنهما أنه قــال: في زمـان يزدجـرد عُبـدت الأصـنامُ ورجع من رجع عن الإسلام.

---

1 (?) الأثافى: ما يوضع عليه القدر ويوقد عليه.

2 (?) سية: بكسر السين، ما عطف من طرف القوس.

3 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى المغازى (4287)، مسلم فى الجهاد (1781/87) من حديث ابن مسعود.

أَخْبَرَنَا إسـماعيل بن أحمـد، نا عمر بن عبيد اللـه، نا أبو الحسـين بن بشـران، نا عثمـان ابن أحمد الـدقاق، ثنا جميـل، ثنا حسن بن الربيـع، ثنا مهدي بن ميمون، قال: سمعت أبا رجاءٍ العطـاردي يقـول: لما بُعث رسـول الله فسـمعنا به لحقنا بمُسـيلمة الكـذاب، ولحقنا بالنـار، وكنا نعبُـدُ الحجر في الجاهلية فـإذا وجـدنا حجـرًا هو أحسـنُ منه نُلقي ذاك ونأخذه، وإذا لم نجد حجـرًا جمعنا حثيـةً من تـراب ثم جئنا بغنمٍ فحلبناها عليه ثم طُفنا به.

أَخْبَرَنَا محمد بن عبد البـاقي بن أحمـد، نا حمد بن أحمد الحـداد، نا أبو نُعيم أحمد ابن عبد اللـه، ثنا أبو حامد بن جبلـة، ثنا أبو عبـاس السـراج، ثنا أحمد بن الحسن بن خـراش، ثنا مسـلم بن إبراهيم، ثنا عُمارةُ المعولي، قال: سمعت أبا رجـاءٍ العطـاردي يقـول: كنا نعمد إلى الرمل فنجمعه فنحلب عليه فنعبـده، وكنا نعمد إلى الحجر الأبيض فنعبده زمانًا ثم نلقيه[1].

أَخْبَرَنَا أبو منصور القـزَّاز، نا أبو بكر بن ثـابت، نا عبد العزيز بن علي الـورَّاق، نا أحمد بن إبراهيم، ثنا يوسف بن يعقـوب النيسـابوري، نا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا يزيد بن هـارون، نا الحجـاج

---

1 (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 2/306.

بن أبي زينب، قال: سمعت أبا عثمان النَّهديَّ قال: كنا في الجاهلية نعبدُ حجرًا فسـمعنا مناديًا ينـادي: يا أهل الرِّحـال إن ربكم قد هلك فالتمسـوا لكم ربًا غـيره. قـال: فخرجنا على كل صـعب وذلـول فبينما نحن كذلك نطلب، إذا نحن بمنـادٍ ينـادي: إنا قد وجـدنا ربكم أو شـبهه، قـال: فجئنا فـإذا حجر فنحرنا عليه الجُزُر.

أنبأنا محمد بن أبي طـاهر، نا أبو إسـحاق الـبرمكي، نا أبو عمر بن حيويـه، نا أحمد بن معروف، نا الحسين بن الفهم، ثنا محمد بن سعد، نا محمد بن عمـر، ثـني الحجَّاج بن صـفوان، عن ابن أبي حسين، عن شهر بن حوشبٍ، عن عمـرو بن عنبسة قـال: كنت امـرءًا ممن يعبد الحجـارة، فيـنزلُ الحيُّ ليس معهم آلهة فيخـرجُ الحيُّ منهم فيـأتي بأربعة أحجـار، فينصـبُ ثلاثـةً لقـدره ويجعل أحسـنها إلهًا يُعبـدُ، ثم لعله يجد ما هو أحسن منه قبل أن يرتحل فيتركهُ ويأخذُ غيرهُ[1].

أنبأنا عبد الوهـاب بن المبـارك، نا أبو الحسـين بن عبد الجبـار، نا أبو الحسن العـتيقي، نا عثمـان ابن عمـرو بن المُنتـاب، نا أبو محمد عبد الله بن سـليمان الفـامي، ثـني أبو الفضل محمد ابن أبي هارون الورَّاق، ثنا الحسن بن عبد العزيز الجروي،

---

[1] (?) إسـناد ضـعيف: فيه شـهر بن حوشب كثـير الإرسـال والأوهام، ولم يلق عمرو بن عبسة كما فى التهذيب.

عن شيخ من ساكني مكة، قال: سئل سـفيان ابن عُيينة: كيف عبدت العرب الحجارة والأصنام؟ فقال: أصل عبـادتهم الحجـارة أنهم قـالوا الـبيتُ حجر فحيثُ ما نصبنا حجرًا فهو بمنزلة البيت.

وقال أبو معشر: كان كثير من أهل الهند يعتقد الرُّبُوبية ويُقـرُّون بـأن لله تعـالى ملائكة إلا أنهم يعتقدونه صـورة كأحسن الصـور وأن الملائكة أجسـام حسـانٌ وأنه سـبحانه وتعـالى وملائكته محتجبون بالسماء فاتخذوا أصنامًا على صـورة الله سبحانه عندهم وعلى صور الملائكة فعبدوها وقرَّبُوا لها لموضع المشابهة على زعمهم.

وقيل لبعضـهم: إن الملائكة والكـواكب والأفلاك أقـرب الأجسـام إلى الخـالق فعظَّموها وقرَّبُـوا لها ثم عملوا الأصنام.

وبـنى جماعة من القـدماء بيوتًا كـانت للأصـنام فمنها بيت على رأس جبل بأصـبهان كـانت فيه أصـنام أخرجها كوشتاسب لما تمجَّس وجعله بيت نار، والبيت الثاني والثالث في أرض الهنـد، والرابع بمدينة بلخ بنـاه منوشـهر فلما ظهر الإسـلام خرَّبه أهلُ بلخ، والخامس بيتٌ بصنعاء بناه الضَّحاكُ على اسم الزُّهـرة فخربه عثمـانُ بن عفـان رضي الله عنـه، والسـادس بنـاه قـابوس الملك على اسم الشمس بمدينة فرغانة فخرَّبهُ المعتصمُ.

وذكر يحيى بن بشر بن عمير النَّهاوندي: أن شريعة الهند وضعها لهم رجل برهمي، ووضع لهم أصنامًا وجعل لهم أعظم بيوتهم بيتًا بالميلتان (وهي مدينة من مدائن السند)، وجعل فيه صنمهم الأعظم الذي هو كصورة الهيُولى الأكبر، وهذه المدينة فتحت في أيام الحجَّاج وأرادوا قلع الصنم فقيل لهم: إن تركتموه ولم تقلعوه جعلنا لكم ثُلُث ما يجتمع له من مال. فأمر عبد الملك بن مروان بتركه، فالهند تحج إليه من ألفي فرسخ، ولا بد للحاج أن يحمل معه دراهم على قدر ما يمكنه من مائة إلى عشرة آلاف لا يكون أقل من هذا ولا أكثر، ومن لم يحمل معه ذلك لم يتمَّ حجُّهُ، فيلقيه في صندوق عظيم هناك ويطوفون بالصنم، فإذا ذهبوا قُسم ذلك المالُ فثُلثُهُ للمسلمين وثُلثُهُ لعمارة المدينة وحصونها وثُلثُهُ لسدنة الصَّنم ومصالحه.

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله: فانظر كيف تلاعب الشيطان بهؤلاء وذهب بعقولهم فنحتوا بأيديهم ما عبدوه، وما أحسن ما عاب الحقُّ سبحانه وتعالى أصنامهم فقال: ﴿**ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها**﴾ [الأعراف: 195].

وكانت الإشارة إلى العُبَّاد، أي أنتم تمشون

وتبطشــون وتبصــرون وتســمعون والأصــنامُ عــاجزةٌ عن ذلك وهي جماد وهم حيوان فكيف عُبِـدَ التـامُّ الناقص؟ ولو تفكَّروا لعلموا أن الإله يصنعُ الأشــياء ولا يُصْنَعُ، ويجمعُ وليس بمجموع، وتقوم الأشياءُ به ولا يقــوم بهــا، وإنما ينبغي للإنســان أن يعبد من صــنعه لا ما صــنعه، وما خُيِّلَ إليهم أن الأصــنام تشفع فخيالٌ ليس فيه شبهةٌ يتعلقُ بها.

ذكر تلبيسه على عابدي النار والشمس والقمر

قـــال المصـــنف: قد لبّس إبليسُ على جماعة فحسَّن لهم عبادة النار وقالوا هي الجوهر الذي لا يســتغني العــالم عنــه، ومن ههنا زيَّن عبــادة الشمس.

وذكر أبو جعفر بن جرير الطــبري: أنه لما قتل قابيــلُ هابيل وهــرب من أبيه آدم إلى اليمن أتــاه إبليس، فقال لـه: إن هابيل إنما قُبل قُربانُـهُ وأكلته النار لأنه كان يخدم النار ويعبدها فانصب أنت نارًا تكـون لك ولعقبـك، فبـنى بيت نـارٍ، فهو أوَّلُ من نصب النار وعبدها.

قــال الجاحــظ: وجــاء زُرادشــتُ من بلخ وهو صـاحب المجـوس، فـادَّعى أن الـوحي يـنزلُ إليه على جبل سيلان، فدعا أهل تلك النـواحي البـاردة الذين لا يعرفـون إلا الـبرد وجعل الوعيد بتضـاعف

البرد، وأقر بأنه لم يبعث إلا إلى الجبال فقط؛ وشرع لأصحابه التوضؤ بالأبوال وغشيان الأمهات، وتعظيم النيران، مع أمور سمجة.

قال: ومن قول زرادشت: كان الله وحده، فلما طالت وحدته فكَّر فتولد من فكرته إبليس، فلما مثل بين يديه وأراد قتله امتنع منه فلما رأى امتناعه ودعهُ إلى مُدَّة.

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله: وقد بنى عابدو النار لها بيوتًا كثيرة. فأول من رسم لها بيتًا أفريدون فاتَّخذ لها بيتًا بطُوس وآخر ببخارى، واتخذ لها بهمنُ بيتًا بسجستان، واتخذ لها أبو قُباذ بيتًا بناحية بخارى، وبنيت بعد ذلك بيوت كثيرة لها. وقد كان زُرداشتُ وضع نارًا زعم أنها جاءت من السماء فأكلت قُربانهُم، وذلك أنه بنى بيتًا وجعل في وسطه مرآةً ولفَّ القُربان في حطب وطرح عليه الكبريت فلما استوتِ الشمسُ في كبد السماء قابلت كُوَّةً قد جعلها في ذلك البيت فدخل شعاع الشمس فوقع على المرآة فانعكس على الحطب فوقعت فيه النار، فقال: لا تُطفئوا هذه النار.

(فصل):

قال المصنف: وقد حسَّن إبليسُ لعنه الله لأقوامٍ عبادة القمر ولآخرين عبادة النجوم.

قال ابن قتيبة: وكان قوم في الجاهلية عبدوا الشعرى العبُور وفُتنوا بها. وكان أبو كبشة الذي كان المشركون ينسبُون إليه رسول الله أوَّل من عبدها.

وقال: قطعت السماء عرضًا ولم يقطع السَّماء عرضًا غيرها وعبدها وخالف قريشًا، فلما بعث رسول الله ودعا إلى عبادة الله وترك الأوثان قالوا: هذا ابن أبي كبشة أي شبهُهُ ومثله في الخلاف، كما قالت بنو إسرائيل لمريم: يا أخت هارون أي شبيهة هارون في الصلاح، وهما شعريان إحداهما هذه والشعرى الأخرى هي الغُميصاء، وهي تقابلها وبينهما المجرَّة، والغُميصاءُ من الذِّراع المبسوط في جبهة الأسد وتلك هي الجوزاء.

وزيَّن إبليس لعنه الله لآخرين عبادة الملائكة وقالوا: هي بنات الله تعالى، تعالى الله عن ذلك. وزيَّن لآخرين عبادة الخيل والبقر، وكان السامريُّ من قومٍ يعبدون البقر فلهذا صاغ عجلاً، وجاء في التفسير أن فرعون كان يعبد تيسًا، وليس في هؤلاء من أعمل فكرهُ ولا استعمل عقله في تدبير ما يفعل نسأل الله السَّلامة في الدُّنيا والآخرة.

(ذكر تلبيسه على الجاهلية)

قـــــال المصــــــنف: ذكرنا كيف لبّس عليهم في عبـادة الأصـنام، ومن أقبح تلبيسه عليهم في ذلك تقليد الآبـاء من غـير نظر في دليل كما قـال الله عز وجل: **﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنـزل الله قـــــالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آبـاؤهم لا يعقلـون شـيئًا ولا يهتـدون﴾** [البقرة:170]، المعنى: أتتبعونهم أيضًا؟!.

وقد لَبَّس إبليس على طائفة منهم فقــــــــــالوا بمـذاهب الدَّهرية وأنكـروا الخـالق وجحـدوا البعث، الـــذين قـــال الله ســـبحانه فيهم: **﴿وما هى إلا حياتنا الـدنيا نمـوت ونحـيى وما يهلكنا إلا الدهر﴾** [الجاثيـة: 24]. وعلى آخـرين منهم: فـأقرُّوا بالخالق لكنهم جحدوا الرُّسُل والبعث. وعلى آخـرين منهم: فزعموا أن الملائكة بنات الله. وأمـال آخـرين منهم إلى مـــذهب اليهــود، وآخــرين إلى مـــذهب المجــوس، وكـــان في بـــني تميم منهم زُرارةُ بن جُديس التميمي وابنه حاجب.

وممن كان يُقرُّ بالخالق والابتداء والإعادة والثَّواب والعقـاب عبد المطلب بن هاشـم، وزيد بن عمرو ابن نفيل، وقسُّ بن ساعدة، وعامر بن الظرب، وكـان عبد المطلب إذا رأى ظالمًا لم تُصبهُ عقوبةٌ قال: ت الله إنَّ وراء هذه الدار لدارًا يجزى فيها المحسن والمسـيء. ومنهم زهـير بن أبي سُلمى وهو القـائل: (الطويل)

يُؤخر فيُوضعْ في   ليوم حسابٍ أو

ثمَّ أسلم.

ومنهم زيد الفوارس بن حصن، ومنهم القلمَّسُ بن أُميَّة الكنانيُّ كان يخطب بفناء الكعبة، وكانت العرب لا تصدر عن مواسمها حتى يعظها ويوصيها فقال يومًا: يا معشر العرب أطيعوني ترشُدُوا. قالوا: وما ذاك. قال: إنكم تفردتم بآلهة شتَّى، إني لأعلمُ ما الله بكل هذا راضٍ، وأن الله رب هذه الآلهة وأنه ليحبّ أن يُعبدَ وحدهُ، فتفرَّقت عنه العرب لذلك، ولم يسمعوا مواعظه. وكان فيهم قوم يقولون: من مات فرُبطت على قبره دابته وتركت حتى تموت حُشِرَ عليها ومن لم يفعل ذلك حُشِرَ ماشيًا. وممن قاله عمرو ابن زيد الكلبي.

قال المصنف: وأكثرُ هؤلاء لم يزُل عن الشِّرك، وإنما تمسَّك منهم بالتوحيد ورفض الأصنام القليلُ كقسِّ بن ساعدة وزيد.

وما زالت الجاهلية تبتدع البدع الكثيرة، فمنها: النسيءُ وهو تحريم الشهر الحرام وتحليل الشهر الحرام، وذلك أن العرب كانت قد تمسكت من ملَّة إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه بتحريم الأشهر الأربعة فإذا احتاجوا إلى تحليل المُحرَّم للحرب أخَّروا تحريمه إلى صفر، ثم يحتاجون إلى صفر ثم كذلك حتى تتدافع السَّنةُ. وإذا حجُّوا قالوا: لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكُه وما ملك.

ومنها: توريث الذَّكر دون الأنثى.

ومنهــا: أن أحــدهم كــان إذا مــات ورّث نكــاح زوجته أقرب الناس إليه.

ومنهــا: البحــيرةُ: وهي الناقــةُ تلــدُ خمسة أبطنٍ فإن كان الخامسُ أنـثى شـقُّوا أُذُنها وحُـرِّمت على النساء.

والسَّائبة: من الأنعام كانوا يُسـيبُونها ولا يركبـون لها ظهرًا ولا يحلبون لها لبنًا.

والوصـيلةُ: الشـاةُ تلـدُ سـبعة أبطن فـإن كـان السابعُ ذكرًا أو أنثى قالوا وصلت أخاها، فلا تـذبح، وتكـون منافعها للرجـال دون النسـاء فـإذا مـاتت اشترك فيها الرجال والنساء.

والحــام: الفحل ينتج من ظهــره عشــرة أبطن فيقولـون قد حمى ظهـره فيسـيبونه لأصـنامهم ولا يحمل عليـه، ثم يقولـون: إن الله عـزَّ وجـلَّ أمرنا بهذا فذلك معنى قوله تعـالى: ﴿**ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصـيلة ولا حـام ولكن الــذين كفــروا يفــترون على الله الكــذب**﴾ [المائــــــدة:103] ثم الله عز وجل رد عليهم فيما حرمــوه من البحــيرة والســائبة والوصــيلة والحــام وفيما أحلُّوه بقــولهم: ﴿**خالصة لــذكورنا ومحــرم على أزواجنا**﴾ [الأنعـام: 139]، قـال الله تعـالى: ﴿**قل الذكرين حرم أم الانثيين**﴾ [الأنعام: 143

].

المعنى: إن كان الله تعالى حرّم الذكرين فكلُّ الذكور حرام، وإن كان حرّم الأنثيين فكل الإناث حرام، وإن كان حرَّم ما اشتملت عليه أرحامُ الأنثيين فإنها تشتمل على الذكور والإناث فيكون كل جنين حرامًا. وزيَّن لهم إبليسُ قتل أولادهم فالإنسان منهم يقتلُ ابنته ويغذو كلبه.

ومن جملة ما لبَّس عليهم إبليس أنهم قالوا: لو شاء الله ما أشركنا. أي: لو لم يرض شركنا لحال بيننا وبينه فتعلقوا بالمشيئة وتركوا الأمر، ومشيئةُ الله تعُمُّ الكائنات وأمره لا يعم مراداته فليس لأحد أن يتعلق بالمشيئة بعد ورود الأمر، ومذاهبهم السخيفة التي ابتدعوها كثيرًا لا يصلح تضييع الزمان بذكرها ولا هي مما يُحتاج إلى تكلُّفِ ردِّها.

ذكر تلبيس إبليس على جاحدي النبوات

قال المصنف: قد لبسّ إبليس على البراهمة والهندوس وغيرهم، فزيَّن لهم جحد النبوات ليسد طريق ما يصل من الإله. وقد اختلف أهل الهند فمنهم دهريةٌ ومنهم ثنوية ومنهم على مذاهب البراهمة ومنهم من يعتقد نبوة آدم وإبراهيم فقط.

وقد حكى أبو محمد النوبختي في كتاب «الآراء والديانات»: أن قومًا من الهند من البراهمة أثبتوا الخالق والرسل والجنة والنار وزعموا أن رسولهم

ملَك أتـاهم في صـورة البشر من غـير كتـاب، له أربعةُ أيدٍ واثنتا عشر رأسًـا من ذلك رأس إنسـان ورأس أسد ورأس فرس ورأس فيل ورأس خنزير وغـــير ذلك من رؤوس الحيوانـــات، وأنه أمـــرهم بتعظيم النار ونهاهم عن القتل والذبائح إلا ما كان للنار، ونهاهم عن الكذب وشرب الخمر وأبـاح لهم الزنا، وأمرهم أن يعبدوا البقر، ومن ارتدَّ منهم ثم رجع حلقوا رأسه ولحيته وحاجبيه وأشفار عينيه ثم يـذهب فيسـجد للبقر في هـذياناتٍ يضـيعُ الزمـان بذكرها.

قـــال المصـــنف: وقد ألقى إبليس إلى البراهمة ست شبهات:

الشـبهة الأولى: اسـتبعادُ اطلاع بعضـهم على ما خفي عن بعضٍ فقالوا: **﴿ما هذا إلا بشر مثلكم﴾** [المؤمنـــون: 33]، والمعـــنى: وكيف اطّلع على ما خفي عنكم. وجـواب هـذه الشـبهة أنهم لو نـاطقوا العقول لأجـازت اختيـار شـخصٍ بشـخص لخصـائص يعلو بها جنســـهُ فيصـــلح بتلك الخصـــائص لتلقُّف الـوحي، إذ ليس كـلُّ أحد يصـلح لـذلك، وقد عَلِمَ الكُــــلُّ أن الله ســــبحانه وتعــــالى ركّب الأمزجة متفاوتة وأخرج إلى الوجود أدويةً تقـاوم ما يعـرض من الفسـاد البـدني، فـإذا أمـدَّ النبـات والأحجـار بخـواص لإصـلاح أبـدان خلقت للفنـاء ههنا وللبقـاء في دار الآخــــرة لم يبعد أن يخصَّ شخصًــــا من

خلقِـــهِ بالحكمة البالغة والدعاية إليه إصـــلاحًا لمن يفسد في العالم بسـوء الأخلاق والأفعـال، ومعلـومٌ أن المخـــالفين لا يســـتنكرون أن يُختصَّ أقـــوامٌ بالحكمة ليُسكِّنُوا فورات الطباع الشرّيرة بالموعظة فكيف ينكرون إمـداد البـاري سـبحانه بعض النـاس برسائل ومصـالح ووصـايا يصـلح بها العـالم ويطيب أخلاقهم ويقيم بها سياســتهم، وقد أشــار عز وجل إلى ذلك في قوله عز وجل: ﴿**أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنـذر النـاس**﴾ [يونس: 2].

الشـــبهة الثانيـــة: قـــالوا: هلاّ أرسل ملكًا فـــإنَّ الملائكة إليه أقـــــــــــرب ومن الشك فيهم أبعد والآدميون يحبون الرياسة على جنسـهم فيوقع هـذا شكًا.

وجواب هذا من ثلاثة أوجه:

أحـــدها: أن في قـــوى الملائكة قلب الجبـــال والصـــخور فلا يمكن إظهـــار معجـــزة تـــدل على صـــدقهم لأنَّ المعجــزة ما خــرقت العــادة وهــذه العـادة في الملائكـة، وإنما المعجـزات الظـاهرة ما ظهــرت على يد بشــرٍ ضــعيف ليكــون دليلاً على صدقه.

والثاني: أن الجنس إلى الجنس أميـلُ فصـحَّ أن يُرسل إليهم من جنسهم لئلا ينفروا وليعقلوا عنــه،

ثم تخصيصُ ذلك الجنس بما عجز عنه دليـلٌ على صدقه.

والثـالث: أنه ليس في قـوى البشر رؤية الملك وإن الله تعـالى يقـوّي الأنبيـاء بما يـرزقهم من إدراك الملائكة ولهذا قال الله تعالى: **﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا﴾** [الأنعام: 9]، أي: لينظروا إليه ويأنسُـوا به ويفهمـوا عنه ثم قـال: **﴿وللبسـنا عليهم ما يلبسـون﴾** [الأنعـام: 9]، أي: لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسـهم حـتى يشـكوا فلا يدرون أملكٌ هو أم آدمي.

الشبهة الثالثة: قـالوا: نـرى ما تدَّعيه الأنبيـاءُ من علم الغيب والمعجزات وما يُلقى إليهم من الوحي يظهـرُ جنسُـهُ على الكهنة والسـحرة فلم يبق لنا دليلٌ نُفرِّقُ به بين الصحيح والفاسد.

والجـواب أن نقـول: إن الله تبـارك وتعـالى بيَّن الحجج ثم بثَّ الشـبهة وكلَّف العقـول الفـرق فلا يقدر ساحرٌ أن يحـيي ميتًا ولا أن يخـرج من عصا حيـة، وأما الكـاهن فقد يصـيب ويخطىء بخلاف النبوة التي لا خطأ فيها بوجه.

الشـبهة الرابعـة: قـالوا: لا يخلو إما أن تجيء الأنبيـاء بما يوافق العقل أو ربما يخالفـه، فـإن جاءوا بما يخالفه لم يقبـل، وإن جـاءوا بما يوافقه فالعقل يغني عنه.

والجواب أن نقول: قد ثبت أن كثيرًا من الناس يعجـزون عن سياسـات الـدنيا حـتى يحتـاجوا إلى متمم كالحكمـاء والسـلاطين فكيف بـأمور الإلهية والأخروية.

الشـبهة الخامسـة: قـالوا: قد جـاءت الشـرائع بأشـياء ينفر منها العقل فكيف يجـوز أن تكـون صحيحةً. من ذلك: إيلام الحيوان.

والجـواب: أن العقل ينكر إيلام الحيـوان بعضه لبعض، فأما إذا حكم الخالق بالإيلام لم يبق للعقل اعـتراض، وبيـان ذلك أن العقل قد عـرف حكمة الخالق سبحانه وتعـالى وأنه لا خلل فيها ولا نقص فأوجبت عليه هذه المعرفةُ التسليم لما خفي عنه، ومتى اشتبه علينا أمرٌ في فـرعٍ لم يجز أن نحكم على الأصل بـالبطلان، ثم قد ظهـرت حكمة ذلك فإنَّا نعلمُ أن الحيـوان يُفضَّـلُ على الجمـاد، ثم النـاطق أفضل مما ليس بنـاطق بما أُوتي من الفهم والفطنة والقـوى النظرية والعمليـة، وحاجة هـذا النـاطق إلى إبقـاء فهمه ولا يقـوم في إبقـاء القـوى مقـام اللحم شـيءٌ، ولا يسـتطرف تنـاول القـوي الضـعيف وما فيه فائـدة عظيمة لما قلّت فائدتـه. وإنما خُلِق الحيـوانُ البهيم للحيـوان الكـريم فلو لم يذبح لكثُرَ وضاق به المرعى ومات فيتأذى الحيوان الكريم بجيفته فلم يكن لإيجاده فائدة.

وأما ألم الـــذبح فإنه يســـير، وقد قيل إنه لا يوجد أصلاً لأنَّ الحسَّاس للألم أغشيةُ الـدِّماغ، لأن فيه الأعضـاء الحساسة ولـذلك إذا أصـابها آفة من صــرع أو ســكتةٍ لم يُحسَّ الإنســان بــألمٍ، فــإذا قُطعت الأوداجُ ســــريعًا لم يصل ألم الجسم إلى محل الحسّ، ولهذا قال عليه الصلاة والسـلام: «إذا ذبح أحدكم فليحدَّ شفرتهُ وليُرحْ ذبيحته»[1].

الشبهة السادسة: قالوا: ربما يكون أهل الشـرائع قد ظفروا بخواص من حجارة وخشب.

والجــواب: أن هــذا كلام ينبغي أن يُســتحيا من إيـراده فإنه لم يبق شـيء من العقـاقير والأحجـار إلا وقد وضـحت خواصـها وبـان سـترها فلو ظفر واحد منهم بشيء وأظهر خاصيته لوقع الإنكـار من العلمـاء بتلك الخـواص وقـالوا: ليس هـذا منك إنما هذه خاصية في هذا.

ثم إن المعجـــزات ليست نوعًا واحـــدًا بل هي بين صخرة خرجت منها ناقــة، وعصا انقلبت حيـة، وحجر تفجّر عيونًا، وهذا القرآن الذي له منذُ نـزل دون الستمائة سنة فالأسماعُ تدركه والأفكار تتدبره والتحـــدّي به على الـــدوام ولم يقـــدر أحد على

---

1 (?) صـحيح: أخرجه مسـلم فى الصـيد والـذبائح (1955/75)، وأبو داود فى الضــحايا (2815)، والترمـــذى فى الـــديات (1409)، والنسائى فى الضحايا (4417)، وأحمد فى المسـند 4/123، 125 كلهم من حديث شداد بن أوس.

مداناةٍ منه فأين هذا والخاصّة والسّحر والشَّعبذة؟.

قال أبو الوفاء علي بن عقيل رضي الله عنـه: صـبئت قلـوبُ أهل الإلحـاد لانتشـار كلمة الحق وثبـوت الشـرائع بين الخلق والامتثـال لأوامرها كا بن الراوندي ومنْ شاكله كـأبي العلاء، ثم مع ذلك لا يـرون لمقـالتهم نباهة ولا أثـرًا، بل الجوامع تتـدفق زحامًا والأذانـات تملأ أسـماعهم بـالتعظيم لشأن النبي والإقرار بما جـاء بـه، وإنفـاق الأمـوال والأنفس في الحج مع ركـوب الأخطـار ومعانـاة الأسـفار ومفارقة الأهل والأولاد، فجعل بعضـهم يندسُّ في أهل النقل فيضعُ المفاسد على الأسانيد ويضع السِّـير والأخبـار، وبعضـهم يـروي ما يقـارب المعجـزات من ذكر خـواص في أحجـار وخـوارق العـادات في بعض البلاد وأخبـارٍ عن الغيـوب عن كثـير من الكهنة والمنجمين ويبـالغ في تقرير ذلك حـتى قـالوا إن سـطيحًا قـال في الخـبيء الـذي خبىء له: حبة بُر، في إحليل مهر.

والأسود كان يعظُ ويقول الشيء قبل كونه.

وههنا اليوم مُعزِّمُون يكلمـون الجـنيَّ الـذي في بـاطن المجنـون فيكلمهم بما كـان ويكـون، وما شاكل ذلك من الخرافات فمن رأى مثل هذا قال بقلة عقله وقلة تلمحه لقصد هؤلاء الملاحـدة وهل ما جاءت به النبوات إلا مقارب هـذا، وليس قـول

الكـــاهن: حبة بر في إحليل مهـــر، وقد أخفيت كل الإخفـاء بـأكثر من قولـه: **وأنـبئكم بما تـأكلون وما تــدخرون فى بيــوتكم** [آل عمــران: 49]، وهل بقي لهــذا وقــعٌ في القلــوب وهــذا التقــويم ينطـقُ بـالمنع من الركـوب اليـوم وهل تـرك تلمح هــذا إلا النــبي، والله ما قصــدوا بــذلك إلا قصــدًا ظــاهرًا ولمحــوا إلا لمحًا جليًا فقــالوا: تعــالوا نُكثِر الجـولان في البلاد والأشـخاص والنُّجـوم والخـواص فلا يخلو مع الكـثرة من مصـادفة الاتفـاق لواحـدة من هـذه، فيصـدق بها الكـلُّ ويبطل أن يكـون ما جاء به الأنبياء خرقًا للعادات.

ثم دسَّ قوم من الصُّوفية أن فلانًا أهـوى بإنائه إلى دجلة فـامتلأ ذهبًا فصـار هـذا كالعـادة بطريق الكرامــات من المتصــوِّفين، وبطريق العــادات في حق المُنجِّمين. وبطريق الخـــــــــــواص في حق الطَّبـــائعيين، وبطريق الكهانة في حق المعــــزِّمين والعــرَّافين، فـــأيّ حكمٍ بقي لقـــول عيسى عليه السلام: **وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيـــوتكم** [آل عمـــران: 49]، وأي خــــرقٍ بقي للعادات، وهل العادات إلا استمرار الوجـود، وكـثرة الحصول؟ فـإذا نبههم العاقل المتـدين على ما في هــذا من الفســاد قــال الصــوفي: أتنكر كرامــات الأولياء؟

وقــال أهل الخــواص: أتنكر المغنــاطيس الــذي

يجذب الحديد؟

والنعامة تبلـعُ النــار، فتســكت عن جحد ما لم يكن لأجل ما كــان فويــلٌ للمُحــقِّ معهم. هــذا والباطنيَّةُ من جــانب والمُنجِّمــون من جــانب من أرباب المناصب لا يحلـون ولا يعقـدون إلا بقـولهم؛ فسبحان من يحفظُ هذه الملة ويُعلي كلمتها حــتى إن كل الطوائف تحت قهرها إقبــالاً من الله عــزَّ وجلِّ على حراسة النبوات وقمعًا لأهل المحال.

الكلام على جاحدي النبوات

(فصل):

ومن الهند البراهمةُ قـومٌ حسّـن لهم إبليسُ أن يتقرَّبُــوا بــإحراق نفوســهم فيُحفــرُ للإنســان منهم أُخــدودٌ، وتجتمع النــاس فيجيءُ مُضــمخًا بــالخلوق والطِّيب وتُضــربُ المعــازف والطُّبــول والصُّــنوج ويقولون: طوبى لهذه النفس التي تعلقُ إلى الجنة، ويقول هـو: ليكن هـذا القُربـانُ مقبـولاً وليكن ثوابُه الجنَّة. ثم يُلقي نفسه في الأُخــدود فيحــترقُ، فــإن هرب نابذُوه ونفوهُ وتبرَّأوا منه حتى يعود.

ومنهم من يُحمى له الصــخرُ فلا يــزال يلــزمُ صــخرةً صــخرةً حــتى يثقب جوفه ويخــرج معــاهُ فيموت.

ومنهم من يقـفُ قريبًا من النَّار إلى أن يسـيل ودكُهُ فيسقط.

ومنهم من يقطع من ســـاقه وفخـــذه قطعًا ويُلقيها إلى النـــار والنـــاس يزكونه ويمدحونه ويسألون مثل مرتبته حتى يموت.

ومنهم من يقف في أختـــاء البقر إلى ســاقه ويُشعلُ النَّار فيحترق.

ومنهم من يعبد المـــاء ويقـــول: هو حيـــاةُ كل شيء فيسجد له.

ومنهم من يُجهَّزُ له أخـــدودٌ قـــريب من المـــاء فيقع في الأخـدود حـتى إذا التهب قـام فـانغمس في الماء ثم رجع إلى الأخـدود حـتى يمـوت فـإن مات وهو بينهما حزن أهلُه وقالوا حُـرم الجنة وإن مات في أحدهما شهدوا له بالجنة.

ومنهم من يُزهـــقُ نفســـهُ بـــالجوع والعطش فيســـقطُ أولاً عن المشي ثم عن الجلـــوس ثم ينقطعُ كلامُه ثم تبطل حواسُّه ثم تبطل حركتُه ثم يخمدُ، ومنهم من يهيمُ في الأرض حتى يموت.

ومنهم من يُغرقُ نفسه في النهر.

ومنهم من لا يـأتي النِّسـاء ولا يُـواري العـورة، ولهم جبلٌ شاهق تحتهُ شجرةٌ وعنـدها رجـلٌ بيـده كتابٌ يقرأ فيه يقولُ: طوبى لمن ارتقى هذا الجبل وبعج بطنه وأخرج أمعاءهُ بيده.

ومنهم من يأخذ الصُّـخور فـيرُضُّ بها جســده

حتى يموت، والناس يقولون: طوبى لك.

وعندهم نهـران فيخـرج أقـوام من عُبَّادهم يـوم عيدهم وهنـاك رجـال فيأخـذون ما على العُبَّاد من الثيـاب ويبطحـونهم فيقطعـونهم نصـفين ثم يُلقـون أحد النِّصـــفين في نهـــر، والنصف الآخر في نهر ويزعُمون أنهما يجريان إلى الجنة.

ومنهم من يخرج إلى براحٍ ومعه جماعة يدعون له ويُهنِّئونه بنيته فإذا ضجر جلس وجُمع له سـباعُ الطـير من كل جهـة، فيتجـرَّد من ثيابه ثم يمتـدُّ والنـاس ينظـرون إليه فتبتـدرهُ الطَّيرُ فتأكلُه فـإذا تفـــرَّقت الطَّيرُ جـــاءت الجماعة فأخـــذوا عظامه وأحرقوها وتـبركوا بها في أفعـالٍ طويلة قد ذكرها أبو محمد النُّوبخـــتي يضـــيعُ الزمـــان في كتابتهـــا. والعجب أن الهند قومٌ تُؤخـذُ الحكمـةُ عنهم ويؤخذ عنهم دقـــائقُ الحكمة وتُســتلهم دقـــائقُ الأعمـــال؛ فسبحان من أعمى قلوبهم حتى قادهم إبليسُ هذا المقاد.

قــال: وفيهم من زعم أن الجنَّة ثنتــان وثلاثــون مرتبــةً، وأنَّ مُكث أهل الجنَّة في أدنى مرتبة منها أربع مائة ألف ســـنة وثلاثة وثلاثـــون ألف ســـنة وســتمائة وعشــرون ســنة وكل مرتبة أضــعاف ما دونهــا. وأن النــار اثنتــان وثلاثــون مرتبة منها ست عشر مرتبة فيها الزَّمهرير وصــــنوفُ عذابه وست

عشرة مرتبةً فيها الحريقُ وصنوف عذابه.

(ذكر تلبيسه على اليهود)

قال المصنف: قد لبّس عليهم في أشـياء كثـيرة نذكر منها نبذة ليستدل بها على تلك.

فمن ذلـك: تشـبيههم الخـالق بـالخلق ولو كـان تشبيههم حقًا لجاز عليه ما يجوز عليهم.

وحكى أبو عبد الله بن حامد من أصـــحابنا أن اليهود تـزعم أن الإله المعبـود رجل من نـور على كرسي من نـــور على رأسه تـــاجٌ من نـــور وله أعضاء كما للآدميين.

ومن ذلك قـولهم: عزير ابن الله ولو فهمـوا أن حقيقة البنُوَّة لا تكـون إلا بـالتبعيض والخـالق ليس بذي أبعاض لأنه ليس بمُؤلَّفٍ لم يثبتوا بُنوَّةً. ثم إن الولد في معنى الوالد وقد كـان عُزير لا يقـومُ إلا بالطعام، والإلهُ من قـامت به الأشـياء لا من قـام بهـا، والـذي دعـاهم إلى هـذا مع جهلهم بالحقـائق أنهم رأوه قد عـاد بعد المـوت وقـرأ التـوراة من حفظه فتكلموا بذلك من ظنونهم الفاسدة.

ويدل على أن القوم كانوا في بُعْـدٍ من الـذهن أنهم لما رأوا أثر القـدرة في فـرق البحر لهم ثم مروا على أصـنام طلبـوا مثلها فقـالوا: ﴿**أجعل لنا آلهة كما لهم آلهة**﴾ [الأعـــراف: 138]، فلما زجـرهم موسى عن ذلك بقي في نفوسـهم فظهر

المستور بعبادتهم العجل، والذي حملهم على هذا شيئان، أحدهما: جهلهم بالخالق، والثاني: أنهم أرادوا ما يسكن إليه الحسّ لغلبة الحس عليهم وبُعْد العقل عنهم ولولا جهلهم بالمعبود ما اجترأوا عليه بالكلمات القبيحة كقولهم: ﴿**أن الله فقير ونحن أغنياء**﴾ [آل عمران: 181]، وقولهم: ﴿**يَدُ الله مَغْلُولَةٌ**﴾ [المائدة: 64]، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

ومن تلبيسه عليهم أنهم قالوا: لا يجوز نسخ الشَّرائع، وقد علموا أن من دين آدم جواز نكاح الأخوات، وذوات المحارم، والعمل في يوم السبت، ثم نُسخَ ذلك بشريعة موسى. قالوا: إذا أمر الله عز وجل بشيء كان حكمه فلا يجوز تغييره. قلت: قد يكون التغيير في بعض الأوقات حكمةً، فإن تقلب الآدمي من صحة إلى مرض ومن مرض إلى موت كله حكمة، وقد حظَّر عليكم العمل يوم السبت وأطلق لكم العمل يوم الأحد وهذا من جنس ما أنكرتم، وقد أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه ثم نهاه عن ذلك.

ومن تلبيسه عليهم أنهم قالوا: ﴿**لن تمسنا النار إلا أياما معدودة**﴾ [البقرة: 80]: وهي الأيام التي عبد فيها العجل، وفضائحهم كثيرة. ثم حملهم إبليس على العناد المحض فجحدوا ما كان في كتابهم من صفة نبيِّنا وغيَّرُوا ذلك وقد أُمِرُوا أن

يؤمنوا به ورضوا بعذاب الآخـرة، فعلمـاؤهم عانـدوا وجُهَّالُهم قلَّدوا، ثم العجب أنهم غيروا ما أمـروا به وحرَّفـوا ودانـوا بما يريـدون؛ فـأين العبوديَّةُ ممن يتركُ الأمر ويعمل بالهوى، ثم إنهم كـانوا يخـالفون موسى ويعيبونه حتى قالوا: إنه آدَرُ[1] واتهمـوه بقتل هارون، واتهموا داود بزوجة أوريا[2].

أَخْبَرَنَا محمد بن عبد البـاقي الـبزّار، نا الحسن بن علي الجـوهري، نا أبو عمر بن حيُّويـه، نا ابن معروف، نا الحـارث بن أبي أسـامة، ثنا محمد بن سـعد، نا علي بن محمـد، عن علي بن مجاهـد، عن محمد بن إسحاق، عن سـالم مـولى عبد الله بن مطيـع، عن أبي هريـرة رضي الله عنـه، قـال: أتى رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم بيت المـدراس[3] فقـال: «أخرجـوا إليَّ عُلمـاءكم». فخـرج إليه عبد الله بن صـوريا، فخلا به فناشـده الله بدينه وبما أنعم الله عليهم وأطعمهم من المنِّ والسـلوى وظللهُم به من الغمـام: «أتعلمـون أني رسـول اللـه؟». قـال: الله مَّ نعم، وإن القـوم ليعرفـون ما أعـرفُ وإن صـفتك ونعتك لمُـبيِّنٌ في التـوراة ولكنهم حسـدوك. قـال: «فما يمنعُك أنت؟»

---

1 (?) الأور: منتفخ الخصية، وهو عيب فى الرجولة.

2 (?) قصة باطلـة، لا يصح لها إسـناد، انظـر: تفسـير ابن كثـير 4/32، وسلسلة الأحاديث الضعيفة (313، 314، 576).

3 (?) المدارس: كنيسة اليهود، وجمعه مداريس.

قـــال: أكـــرهُ خلاف قـــومي، وعسى أن يتبعُـــوك ويُسلموا فأُسلم[1].

أَخْبَرَنَا هبة الله بن محمد بن عبد الواحد، قال: أخبرنا الحسن بن علي، قـــــــال: أخبرنا أحمد ابن جعفر بن حمـــدان، قـــال: ثنا عبد الله بن أحمـــد، قـال: حـدثني أبي، قـال: ثنا يعقـوب، قـال: ثنا أبي، عن إسـحاق، قـال: حـدثني صـالح بن عبد الـرحمن بن عـوف، عن محمـود بن لبيـد، عن سـلمة بن سلامة بن وقش، قال: كان لنا جارٌ من اليهود في بـني عبد الأشـهل فخـرج علينا يومًا من بيته قبل مبعث النـبي حـتى وقف على مجلس بـني عبد الأشـهل، قـال سـلمةُ: وأنا يومئـذٍ أحـدثُ من فيهم سنًّا عليَّ بُـردةٌ مضـطجعًا فيها بفنـاء أهلي، فـذكر البعث والقيامة والحسـاب والمـيزان والجنة والنـار فقـال: ذلك لقـومٍ أهل شـركٍ وأصـحاب أوثـان لا يـرون بعثًا كائنًا بعد المـوت، فقـال لـه: ويحك يا فلان. أترى هذا كائنًا أن النَّاس يُبعثـون بعد مـوتهم إلى دارٍ فيها جنَّةٌ ونـار يجـزون فيها بأعمـالهم؟ قال: نعم. والذي يحلف به يودُّ أحدُهُم أن له لحظةً من تلك النـار بـأعظم تنُّورٍ في الـدار يُحمونه ثم يدخلونه إيـــــاه فيطبقونه عليه وأن ينجو من تلك

---

[1] (?) ضعيف جدًا: أخرجه ابن سعد فى الطبقات 1/108، وابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق 1/352، وفى إسناده علىّ بن مجاهد، وهو متروك، وعنعنة ابن إسحاق.

النار غدًا. قال له: ويحك وما آيةُ ذلك؟ قال: نبيٌّ مبعوثٌ من نحو هذه البلاد وأشار بيده نحو مكة واليمن. قالوا: ومتى نراه؟ قال: فنظر إليَّ وأنا من أحدثهم سنًا إن يستنفد هذا الغلام عُمرهُ يُدركهُ، قال سلمةُ: فو الله ما ذهب الليلُ والنهار حتى بعث الله رسولهُ وهو حيٌّ بين أظهرنا فآمنا به وكَفر به بغيًا وحسدًا فقلنا له: ويلك يا فلانُ ألست الذي قلت لنا فيه ما قُلت؟ قال: بلى ولكن ليس به[1].

(ذكر تلبيسه على النصارى)

قال المصنف: تلبيسه عليهم كثير؛ فمن ذلك أن إبليس أوهمهم أن الخالق سبحانه جوهر فقال اليعقوبيَّةُ أصحابُ يعقوب، والملكيَّة أهل دين الملك، والنسطوريَّة أصحاب نسطورس: إنَّ الله جوهرٌ واحد (في) أقانيم ثلاثة، فهو واحد في الجوهريَّة ثلاثة في الأقنومية؛ فأحد الأقانيم عندهم: الأب، والآخر: الابن، والآخر: روح القدس، فبعضهم يقول: الأقانيم خواصّ، وبعضهم يقول: صفات، وبعضهم يقول: أشخاص، وهؤلاء قد نسُوا أنه لو كان الإله جوهرًا لجاز عليه ما يجوز على الجوهر

---

1 (?) صحيح: أخرجه أحمد فى المسند 3/467، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد 8/230 وقال: «رواه أحمد والطبرانى.. ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع».

من التحيُّز بمكـان والتحـرُّك والسُّـكون والأوان، ثم سوَّل لبعضهم أن المسيح هو الله.

قـــــال أبو محمد النُّوبخـــــتي: زعمت الملكيّة واليعقوبيّة أن الـذي ولدته مـريم هو الإلـه، وسـوَّل الشيطانُ لبعضهم أن المسـيح هو ابن اللـه، وقـال بعضـهم: المسـيحُ جـوهران أحــدُهما قــديمٌ، والآخر مُحدثٌ، ومع قولهم هذا في المسيح يُقرُّون بحاجته إلى الطعام ولا يختلفون في هـذا وفي أنه صُـلب ولم يقـدر على الـدفع عن نفســه، ويقولـون: إنما فُعل هذا بالنَّاسوت فهلاَّ دفع عن الناسوت ما فيه من اللاهوت.

ثم لبَّس عليهم أمر نبينا محمد حـــتى جحـــدوه بعد ذكـره في الإنجيـل، ومن الكتـابيين من يقـول عن نبينا إنَّه نـــبي إلا أنه مبعـــوثٌ إلى العـــرب خاصة، وهذا تلبيسٌ من إبليس اسـتغفلهم فيه لأنه مـتى ثبت أنه نـبيٌ فـالنبيُّ لا يكـذبُ وقد قـال: «بُعثتُ إلى النـاس كافــة»[1]، وقد كتب إلى قيصر وكسرى وسائر ملوك الأعاجم.

(ومن تلبيس إبليس على اليهود والنصارى)

---

[1] (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الصـلاة (438)، ومسـلم فى المساجد (521/3) من حـديث جـابر بن عبد اللـه، واللفظ للبخارى.

ومن تلبيس إبليس على اليهـود والنصـارى أنهم قــالوا: لا يعــذبنا الله لأجل أســلافنا فمنا الأوليــاءُ والأنبيــاء فأخبرنا الله عز وجل عنهم بــذلك: ﴿**نَحْنُ أَبْنَـاء الله وَأَحِبَّاؤُهُ**﴾ [المائــدة: 18]. أي مِنَّا ابنــهُ عُزيرٌ وعيسى. وكشف هذا التلبيس إن كان شخص مطـــالب بحق الله عليه فلا يدفعه عنه ذو قرابته ولو تعدَّت المحبة شخصًا إلى غيره لموضع القرابة لتعــدى البعضُ وقد قـــال نبينا لابنته فاطمـــة: «لا أغني عنك من الله شيئًا»[2]، وإنما فضل المحبوب بــالتقوى فمن عــدمها عــدم المحبَّة، ثم إن محبَّة الله عزَّ وجلَّ للعبد ليست بشغفٍ كمحبَّة الآدميِّين بعضهم بعضًا إذ لو كانت كذلك لكان الأمرُ يحتملُ.

(ذكر تلبيسه على الصابئين)

قال المصنف: أصل هذه الكلمة أعـني الصـابئين من قـــولهم: صـــبأت إذا خـــرجت من شـــيء إلى شـيء، وصـبأت النجـوم: إذا ظهـرت، وصـبأ بـه: إذا خـــرج، والصَّـــابئون: الخـــارجون من دين إلى دين، وللعلماء في مذاهبهم عشرة أقوال:

أحدها: أنهم قوم بين النصـارى والمجـوس، رواه سالم، عن سعيد بن جبير، وليث، عن مجاهد.

والثــاني: أنهم بين اليهــود والمجــوس، رواه ابن

---

[2] (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى التفسير (4771)، ومسلم فى الإيمان (206/351) من حديث أبى هريرة.

أبي نجيح عن مجاهد.

والثالث: أنهم بين اليهود والنصـارى. رواه القاسم بن أبي بزَّة، عن مجاهد.

والرابــع: أنهم صــنف من النصــارى ألينُ قــولاً منهم، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والخـامس: أنهم قــوم من المشــركين لا كتـاب لهم، رواه القاسم أيضًا عن مجاهد.

والسادس: أنهم كالمجوس، قاله الحسن.

والســابع: أنهم فرقة من أهل الكتــاب يقــرأون الزبور، قاله أبو العالية.

والثامن: أنهم قــوم يُصــلُّون إلى القبلة ويعبــدون الملائكة ويقرأون الزَّبور، قاله قتادةُ ومُقاتلٌ.

والتاســـع: أنهم طائفة من أهل الكتـــاب، قاله السُّديُّ.

والعاشـــر: أنهم كـــانوا يقولـــون لا إله إلا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي إلا قــول: لا إله إلا الله، قاله ابن زيد.

قال المصـنف: هـذه أقـوال المفسـرين مثل ابن عبـاس والقاسم والحسن وغـيرهم. فأما المتكلمـون فقــالوا: مــذهب الصَّــابئين مُختلــفٌ فيه فمنهم من يقـول إنَّ هنـاك هيـولى كـان ولم يـزل، ولم يـزل يصنع العالم من ذلك الهيولى،

وقـال أكـثرهم: العـالم ليس بمحـدث وسـمُّوا الكواكب ملائكةً وسماها قـومٌ منهم آلهـةً وعبـدوها وبنوا لها بيـوت عبـاداتٍ وهم يـدَّعون أن بيت الله الحـرام واحـدٌ منها وهو بيت زُحَـل، وزعم بعضـهم أنه لا يوصف الله عز وجل إلا بـالنفي دون الإثبات، ويقال: ليس بمحـدث ولا مـوات ولا جاهـلٍ ولا عـاجزٍ، قـالوا: لئلا يقع تشـبيهُ. ولهم تعبُّداتٌ في شـرائع منها أنهم زعمـوا أنَّ عليهم ثلاث صـلواتٍ في كل يـوم، أوَّلُهـا: ثمـان ركعـات وثلاث سـجدات في كل ركعـة، وانقضـاء وقتها عند الشـمس، والثـاني: خمس ركعـات، والثالثـة: كـذلك، وعليهم صـيام شـهر أوله الثمـان ليـال يمضـين من آذار وسـبعة أيـام أولها التسع يبقين من كـانون الأول وسبعة أيام أولها الثمـان ليـال يمضـين من شـباط ويختمون صيامهم بالصـدقة والـذبائح، وحرمـوا لحم الجزور في خرافات يضيعُ الزمـان بـذكرها. وزعمـوا أن الأرواح الخيِّرة تصعدُ إلى الكواكب الثابتة وإلى الضِّـياء وأن الشـريرة تـنزلُ إلى أسـفل الأرضـين وإلى الظُّلمة.

وبعضهم يقول: هذا العـالمُ لا يفـنى وأن الثـواب والعقاب في التناسخ. ومثل هذه المذاهب لا يحتـاجُ إلى تكلُّفٍ في ردِّها إذ هي دعـاوٍ بلا دليـل. وقد حسّن إبليسُ لأقوام من الصَّابئين أنهم رأوُا الكمال في تحصيل مناسبة بينهم وبين الرُّوحانيـات العلوية

باستعمال الطهارات وقوانين ودعوات، واشتغلوا بالتنجيم والتسخير، وقالوا: لا بد من متوسط بين الله وبين خلقه في تعريف المعارف والإرشاد للمصالح إلا أن ذلك المتوسط ينبغي أن يكون روحانيًا لا جسمانيًا، قالوا: فنحن نحصل لأنفسنا مناسبة قُدُسية بيننا وبينه فيكون ذلك وسيلةً لنا إليه وهؤلاء لا يُنكرون بعث الأجساد.

ذكر تلبيس إبليس على المجوس

قال يحيى بن بشر بن عمير النهاوندي: كان أول ملوك المجوس كومرث فجاءهم بدينهم ثم تتابع مُدَّعُو النُّبوَّة فيهم حتى اشتهر بها زُرَادشت وكانوا يقولون إنَّ الله - تعالى عن ذلك - شخصٌ روحانيٌ ظهر فظهرت معه الأشياء روحانيةً تامةً فقال: لا يتهيأ لغيري أن يبتدع مثل هذه التي ابتدعتُها فتولَّد من فكرته هذه ظُلمةٌ إذ كان فيها جحودٌ لقدرة غيره فقامت الظلمةُ تغالبُهُ.

وكان مما سنَّهُ زُرادشت عبادةُ النار والصلاة إلى الشمس يتأوَّلون فيها أنّها ملكةُ العالم وهي التي تأتي بالنهار وتذهب بالليل وتُحيي النبات والحيوانات وترُدُّ الحرارات إلى أجسادها، وكانوا لا يدفنون موتاهم في الأرض تعظيمًا لها، ويقولون إنها نشوء الحيوانات فلا نقذرها، وكانوا لا يغتسلون بالماء تعظيمًا له، وقالوا لأن به حياة كل شيءٍ،

إلا أن يســتعملوا قبلــهُ بــول البقر ونحــوهُ، ولا يـبزقُون فيـه. ولا يـرون قتل الحيوانـات ولا ذبحهـا، وكانوا يغسلون وجوههم ببـول البقر تبرُّكًا بـه، وإذا كـان عتيقًا كـان أكـثر بركـةً، ويسـتحلُّون فـروج الأمهات، قالوا: الا بن أحـرى بتسـكين شـهوة أمـه، وإذا مات الزوجُ فابنُهُ أولى بـالمرأة؛ فـإن لم يكن له ابن اكتُـري رجـلٌ من مـال الميت، ويجـيزون للرجل أن يتزوج بمائةٍ وألـف، وإذا أرادت الحـائضُ أن تغتسل دفعت دينـــارًا إلى المُوبذ ويحملُها إلى بيت النار ويقيمُها على أربع ويُنظِّفها بسبابته.

وأظهر هـذا الأمر مـزدكُ في أيـام قُبـاذ وأبـاح النساء لكل من شاء، ونكح نساء قبـاذ لتقتـدي به العامة فيفعلون في النساء مثلـه، فلما بلغ إلى أم أنوشروان قال لقباذ: أخرجها إليَّ فإنك إن منعتـني شـــهوتي لم يتم إيمانُـــك. فهمَّ بإخراجها فجعل أنوشروان يبكي بين يـدي مـزدك ويُقبِّلُ رجلـهُ بين يدي أبيه قباذ ويسأله أن يهب له أمه، فقال قبـاذُ لمزدك: ألست تزعمُ أن المـؤمن لا ينبغي أن يُـرد عن شهوته، قال: بلى. قال: فلم ترد أنوشروان عن شهوته؟ قـال: قد وهبتها لـه، ثم أطلق النـاس في أكل الميتـة، فلما وُلِّي أنوشـروان أفـنى المزدكيَّة هو.

ومن أقـــوال المجـــوس: إنَّ الأرض لا نهاية لها من أسفلها، وإن السماء جلدٌ من جلود الشياطين،

والرعد إنما هو حركةُ خرخرة العفــاريت المحبوسة في الأفلاك المأســورة في حــرب، والجبـــال من عظامهم، والبحر من أبوالهم ودمائهم.

ونبغ للمجوس رجلٌ في زمان انتقال دولة بــني أمية إلى بــني العبـاس واسـتغوى خلقًا وجـرت له قصص يطـــول الأمر بـــذكرها فهو آخـــرُ من ظهر للمجـوس، وذكر بعض العلمـاء أنه كـان للمجـوس كتبٌ يدرسونها وأنهم أحدثوا دينًا فرُفعت كتبُهمْ.

ومن أظرف تلبيس إبليس عليهم أنهم رأوا في الأفعال خيرًا وشرًا فسـوَّل لهم أن فاعل الخـير لا يفعل الشـرَّ؛ فـأثبتوا إلهين، وقــالوا: أحــدهما نــور حكيم لا يفعل إلا الخير، والآخر شـيطانُ هو ظلمة لا يفعلُ إلا الشرَّ، على نحو ما ذكرنا عن الثَّنوية.

قال المصنف: وقد سـبق ذكـرُ شُـبههم وجوابهـا. وقال بعضهم: الباري قديم، لا يكون منه إلا الخــير، والشيطان مُحدثٌ فلا يكـون منه إلا الشـرُّ، فيقـال لهم: إذا أقررتم أن النُّور خلق الشـيطان فقد خلق رأس الشــر، وزعم بعضــهم أن الخــالق هو النُّور، ففكر فكـرةً رديئـةً، فقـال: أخـاف أن يحـدث في ملكي من يضادُّني وكانت فكرتُهُ رديئةً فحدث منها إبليسُ فرضي إبليسُ أن يُنسب إلى الـــرَّداءة بعد إثبات أنه شريكٌ.

وحكى النُّوبخــتي أن بعضــهم قــال: إنَّ الخــالق

شك في شيء فكان الشيطانُ من ذلك الشكِّ.

قال: وزعم بعضهم أن الإله والشيطان جسـمان قديمان كان بينهما فضاءٌ وكانت الـدُّنيا سـليمةً من كـلِّ آفـة، والشـيطان بمعـزل عنها فاحتـال إبليس حتى خرق السماء بجنوده، فهـرب الـربُّ عز وجل من فعلتهم وتقدس عن قولهم فاتبعه إبليس حـتى حاصـره وحاربه ثلاثة آلاف سـنة لا هو يصل إليه ولا الـربُّ عز وجل يدفعُـهُ، ثم يصـالحه على أن يكون إبليسُ وجنودُه في الـدُّنيا سـبعة آلاف سـنة، ورأى الربُّ أن الصلاح في احتمـال مكـروه إبليس إلى أن ينقضي الشرط فالنـاس في بلايا انقضـائه ثم يعـودون إلى النعيم، وشـرط إبليس عليه أن يمكنه من أشياء رديئـةٍ، فوضـعها في هـذا العـالم، وأنهما لما فرغا من شرطهما أشهدا عـدلين ودفعا سيفيهما إلى العدلين وقـالا: من نكث فـاقتلاه، في هذياناتٍ كثيرة يضيع الوقت لذكرها فتنكبناها لذلك، ونـذكر ما انتهى تلـبيس إبليس إليـه، ما آثرنا ذكر شيء من هذا التخليط.

والعجب أنهم يجعلون الخالق خـيرًا ثم يجعلـون أنه حدثت منه فكرة رديئةٌ، فعلى قولهم يجـوز أن تحدث من فكرة، إبليس ملك، ثم يقال لهم أيجوز أن يفي الشيطان بما ضـمن؟ فـإن قـالوا: لا، قيل لهم: فلا يليـقُ بالحكمة اسـتبقاؤه. وإن قـالوا: نعم، فقد أقـرُّوا بوجـود الوفـاء المحمـود من الشِّـرير.

وكيف أطاع الشيطان العدلين وقد عصى ربَّه؟ وكيف يجوز الافتيات على الإله؟ وهذه الخرافاتُ لولا التفرُّج فيما صنعه إبليس بالعقول ما كان لذكرها فائدة ولا معنى.

ذكر تلبيس إبليس على المنجمين وأصحاب الفلك

قال أبو محمد النُّوبختي: ذهب قوم إلى أن الفلك قديم لا صانع له. وحكى جالينوس عن قوم أنهم قالوا: زُحلُ وحدهُ قديمٌ، وزعم قوم أن الفلك طبيعةٌ خالصةٌ ليست فيها حرارةٌ ولا برودةٌ ولا رطوبةٌ ولا يبوسةٌ وليس بخفيف ولا ثقيل. وكان بعضُهم يرى أن الفلك جوهرٌ ناريٌ وأنه اختُطف من الأرض بقوة دورانه، وقال بعضهم: الكواكبُ من جسم تشابه الحجارة. وقال بعضهم: هي من غيم تُطفأُ كل يوم وتستنيرُ بالليل مثل الفحم يشتعلُ وينطفىءُ. وقال بعضهم: جسم القمر مركبٌ من نار وهواء.

وقال آخرون: الفلكُ من الماء والرِّيح والنار وأنه بمنزلة الكُرة وأنه يتحرَّكُ بحركتين من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق.

قالوا: وزحلُ يدوِّرُ الفلك في نحو من ثلاثين سنة، والمشتري في نحو من اثنتي عشرة سنة، والمريخ في نحو من سنتين، والشمس والزهرة

وعطارد في سنة والقمر في ثلاثين يومًا.

وقال بعضهم: أفلاك الكواكب سبعة فالذي يلينا فلك القمر ثم فلك عُطارد ثم فلك الزُّهرة ثم فلك الشمس ثم فلك المريخ ثم فلك المشتري ثم فلك زحل ثم فلك الكواكب الثابتة. واختلفوا في مقادير أجرام الكواكب فقال أكثر الفلاسفة: أعظمها جرمًا الشمس وهو نحو من مائة وست وستين مرة مثل الأرض، والكواكب الثابتة مقدار كل واحد منها نحو من أربعة وتسعين مرة مثل الأرض. والمشتري نحو من اثنتين وثمانين مرة مثل الأرض، والمرِّيخ نحو من مرة ونصف مثل الأرض.

قالوا: ومن كل موضع من أعلى الفلك إلى أن يعود إليه مائة ألف فرسخ وألف فرسخ وأربعة وستون فرسخًا. وقال بعضهم: الفلك حيٌّ والسماء حيوانٌ وفي كلِّ كوكب نفسٌ. قال قدماء الفلاسفة: النجوم تفعل الخير والشرَّ وتُعطي وتمنعُ على حسب طبائعها من السُّعود والنُّحوس وتؤثِّرُ في النُّفوس وأنها حيَّةٌ فعَّالةٌ.

ذكر تلبيس إبليس على جاحدي البعث

قال المصنف: قد لبَّس على خلقٍ كثير فجحدوا البعث واستهولوا الإعادة بعد البلاء وأقام لهم شبهتين: إحداهما: أنه أراهم ضعف المادَّة، والثانية:

اختلاط الأجزاء المتفرقة في أعمـاق الأرض. قـالوا: وقد يأكلُ الحيوانُ الحيوان فكيف يتهيأ إعادته، وقد حكى القــرآنُ شــبهتهم فقــال تعــالى في الأولى: **﴿أيعـــدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابًا وعظامًا إنكم مخرجون هيهات هيهـات لما توعـدون﴾** [المؤمنون: 35-36].

وقــال في الثانيــة: **﴿أئــذا ضــللنا فى الأرض أئنا لفى خلق جديد﴾** [السجدة: 10].

وهذا كان مذهب أكثر الجاهلية قال قائلهم: (الوافر)

يخبرنا الرسول وكيف حياة

وقال آخر: (هو أبو العلاء المعري): (الوافر)

حياةٌ ثم موتٌ حديثُ خُرافةٍ يا

والجواب عن شبهتهم الأولى: أن ضـعف المـادة في الثـــاني وهو التُّراب يدفعه كـــون البداية من نطفة ومضـغة وعلقــة. ثم أصل الآدمــيين وهو آدم من تراب، على أن الله سـبحانه وتعـالى لم يخلق شـيئًا مستحسـنًا إلا من مـادة سـخيفة. فإنه أخـرج هــذا الآدمي من نطفـــة، والطـــاووس من البيضة المدِرة والطرفة الخضراء من الحبة العفنة. فـالنظر ينبغي أن يكــون إلى قـــوة الفاعل وقدرته لا إلى ضـعف المــواد، وبـالنظر إلى قدرته يحصل جــواب الشُّـــبهة الثّانية ثم قد أرانا كـــالأنموذج في جمع

التمزق فـإنَّ سُـحالة[1] الـذّهب المتفرِّقة في التُّراب الكثير إذا أُلقي عليها قليلٌ من زئبق اجتمع الذهب مع تبـدُّده فكيف بالقـدرة الإلهية الـتي من تأثيرها خلقُ كل شيء لا من شيء. على أنَّا لو قدرنا أن نحيل هـذا التّـراب ما اسـتحالت إليه الأبـدان لم يصر بنفسه لأن الآدمي بنفسه لا ببدنه فإنه ينحـلُّ ويسمن ويهزل ويتغير من صغر إلى كبر وهو هو.

ومن أعجب الأدلَّة على البعث أن الله عـــزَّ وجلَّ قد أظهر على يـدي أنبيائه ما هو أعظمُ من البعث، وهو قلبُ العصا حيَّةً حيوانًـا، وأخـرج ناقـةً من صخرة، وأظهر حقيقة البعث على يدي عيسى صلوات الله وسلامه عليه.

قـال المصـنف: وقد زدنا هـذا شـرحًا في الـرد على الفلاسفة.

مبدأ عبادة الأوثان

(فصل):

وقد لبَّس إبليسُ على أقـوام شـاهدوا قـدرة الخالق سبحانه وتعالى، ثم اعترضت لهم الشـبهتان اللتان ذكرناهما فـترددوا في البعث؛ فقـال قـائلهم: **﴿ولئن رددت إلى أبى لأجـدن خـيرًا منها منقلبًا﴾** [الكهـف: 36]، وقـال العـاص بن وائـل: **﴿لأوتين مـالاً وولـدًا﴾** [مـريم: 77]، وإنما قـالوا

[1] (?) السحالة: بالضم كالبرادة، ما سقط من الذهب والفضة.

هــذا لموضع شــكهم، وقد لبّس إبليس عليهم في ذلـك، فقـالوا: إن كـان بعثٌ فنحن على خـير، لأن من أنعم علينا في الــدنيا بالمــال لا يمنعنــاه في الآخرة.

قال المصنف: وهذا غلط منهم، لأنه لِمَ لا يجوزُ أن يكون الإعطاءُ استدراجًا أو عقوبة، والإنسان قد يحمي ولده ويطلق في الشهوات عبده.

ذكر تلبيسه على القائلين بالتناسخ

قــال المصــنّف: وقد لبَّس إبليسُ على أقــوام؛ فقالوا بالتّناسخ، وأن أرواح أهل الخـير إذا خـرجت دخلت في أبــدان خيِّرةٍ فاســتراحت، وأرواح أهل الشر إذا خرجت تدخل في أبدان شــريرة فيتحمل عليها المشــاق، وهــذا المــذهب ظهر في زمــان فرعون موسى.

وذكر أبو القاسم البلخي: أن أربـاب التناسخ لما رأوا ألم الأطفال والسِّباع والبهائم، استحال عندهم أن يكــون ألمها يمتحن به غيرها أو ليتعــوض أولاً لمعنى أكثر من أنها مملوكة. فصحَّ عندهم أن ذلك لذنوبٍ سلفت منها قبل تلك الحال.

وذكر يحــيى بن بشر بن عمــير النهاونــدي أن الهند يقولــون: الطبــائع أربــع: هيُــولى مُركَّبة ونفس وعقل وهيولى مرسلة.

فالمركّبة هي الــــرّب الأصـــــغر والنّفس هي

الهيولى الأصغر والعقل الـربّ الأكـبر والهيـولى هو أيضًا أكـبر، وأن الأنفس إذا فـارقت الـدنيا صـارت إلى الربّ الأصغر وهو الهيولى المركَّبة فإن كـانت محسـنةً صـافيةً قبلها في طبعـه، فصـفّاها حـتى يخرجها إلى الهيـولى الأصـغر وهو النفس حـتى تصـير إلى الـربّ الأكـبر فيتخلصه إلى الهيـولى المركب الأكبر. فإن كان محسنًا تامَّ الإحسان أقـام عنده في العالم البسيط وإن كان محسنًا غير تام أعاده إلى الربّ الأكبر ثم يعيده الـرب الأكـبر إلى الهيـولى الأصـغر ثم يعيـده الهيـولى الأصـغر إلى الرّب الأصغر فيخرجه مازجًا لشعاع الشمس حـتى ينتهي إلى بقلة خسيسة يأكلها الإنسـان فيتحـول إنسـانًا ويولد ثانية في العـالم، وهكـذا تكـون حاله في كل موتة يموتها.

وأما المسـيئون؛ فـإنهم إذا بلغت نفوسـهم إلى الهيـولى الأصـغر انعكست فصـارت حشـائش تأكلها البهـائم فتصـير الـروح في بهيمة ثم تنسخ من بيهمة في أخـرى عند مـوت تلك البهيمة فلا يـزال منسـوخًا مـترددًا في العلـل: ويعـود كل ألف سـنة إلى صـورة الإنس، فـإن أحسن في صـورة الإنس لحق بالمحسنين.

قال المصنف: قلت: فـانظر إلى هـذه التلبيسـات الـتي رتبها لهم إبليس على من عَنَّ له لا يسـتند إلى شيء.

أنبأنا محمد بن أبي طـاهر الـبزَّار، قـال: أنبأنا علي بن المحسّـن، عن أبيـه، قـال: حـدثني أبو الحسن علي ابن نظيف المتكلم، قـال: كـان يحضر معنا ببغـداد شـيخ الإمامية يعـرف بـأبي بكر ابن الفلاس فحـدثنا أنه دخل على بعض من كـان يعرفه بالتشـيع، ثم صـار يقـول بمـذهب التناسـخ، قال: فوجدتُّه بين يديه سـنورٌ[1] أسـودُ وهو يمسـحُها ويحـكُّ بين عينيهـا، ورأيتها وعينها تـدمعُ كما جـرت عادةُ السنانير بـذلك وهو يبكي بكـاءً شـديدًا فقلت لـه: لم تَبْـكِ؟ فقـال: ويحك أما تـرى هـذه السـنَّور تبكي كلما مسحتها، هذه أمي لا شـكَّ، وإنما تبكي من رؤيتها إليَّ حسرةً، قـال: وأخذ يُخاطبُها خطـاب من عنـده أنها تفهم منه وجعلت السـنَّورُ تصـيحُ قليلاً قليلاً، فقلت لـه: فهي تفهمُ عنك ما تُخاطبُها به؟ فقال: نعم. فقلت: أتفهمُ أنت صياحها؟ قـال: لا. قلت: فأنت المنسوخ وهي الإنسان.

ذكر تلبيس إبليس على أمتنا في العقائد والديانات

قال المصـنِّف: دخل إبليس على هـذه الأمَّة في عقائدها من طريقين:

أحدهما: التقليد للآباء والأسلاف.

---

1 (?) السنور: حيوان أليف، ومنه أهلى وبرى، وهو الهر والقـط، والجمع سنانير.

والثـاني: الخـوض فيما لا يُـدرَكُ غَـورُهُ ويُعجـزُ الخـائض عن الوصـول إلى عُمقه فـأوقع أصـحاب هذا القسم في فنون من التخليط.

فأما الطريق الأول: فـإن إبليس زيَّن للمُقلـدين أن الأدلَّة قد تشـتبهُ، والصـواب قد يخفى والتقليد سليم، وقد ضـلَّ في هـذا الطريق خلـقٌ كثـيرٌ وبه هلاكُ عامَّة النَّاس، فـإن اليهـود والنصـارى قلـدوا آبـاءهم وعلمـاءهم فضـلُّوا، وكـذلك أهل الجاهليـة، واعلم أن العلة الـتي بها مـدحوا التقليد بها يـذم، لأنه إذا كـانت الأدلة تشـتبه والصـواب يخفى وجب هجـــرُ التقليد لئلا يوقع في ضـــلال. وقد ذم الله سبحانه وتعالى الواقفين مع تقليد آبائهم وأسـلافهم فقـال عز وجـلَّ: ﴿**بل قـالوا إنا وجـدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون . قل أو لو جئتكم بأهـدى مما وجـدتم عليه آبـاءكم**﴾ [الزخرف: 23-24]، المعنى: أتتبعونهم وقد قال عز وجل: ﴿**أنهم ألفوا آباءهم ضالين * فهم على آثارهم يهرعون**﴾ [الصافات: 69-70].

قـال المصـنف: اعلم أن المقلِّد على غـير ثقـةٍ فيما قلَّد فيـــه، وفي التقليد إبطـــالُ منفعة العقل لأنه إنما خُلق للتَّأمُّل والتـدبُّر، وقـبيحٌ بمن أُعطي شـــمعةً يستضـــيءُ بها أن يطفئها ويمشي في الظُّلمة.

وَاعْلَمْ أن عمـوم أصـحاب المـذاهب يعظم في قلوبهم الشّخص فيتبعـون قوله من غـير تـدبر بما قال، وهذا عينُ الضلال لأن النَّظر ينبغي أن يكون إلى القول لا إلى القائل كما قال عليٌّ رضي الله عنه للحارث ابن حوط وقد قال له: أتظن أَنَّا نظنُّ أن طلحة والزبـير كانا على باطـل، فقـال لـه: يا حـارثُ إنه ملبـوسٌ عليك إن الحـقَّ لا يُعـرفُ بالرِّجال. إعرف الحقَّ تعرف أهلـه، وكـان أحمد بن حنبل يقـول: من ضـيق علم الرجل أن يُقلِّد في اعتقاده رجلاً، ولهذا أخذ أحمد بن حنبل بقول زيـدٍ في الجدّ وترك قـول أبي بكر الصـديق رضي الله عنـه، فـإن قـال قائـل: فـالعوامُّ لا يعرفـون الـدَّليل فكيف لا يقلـدون؟ فـالجواب: إن دليل الاعتقـاد ظـاهر على ما أشـرنا إليه في ذكر الدهرية ومثل ذلك لا يخفى على عاقـل، وأما الفـروع فإنها لما كثرت حوادثها واعتاص على العاميِّ عرفانها وقرب لها أمر الخطأ فيها كـان أصـلح ما يفعله العـامي التقليد فيها لمن قد سـبر ونظر إلا أن اجتهـاد العامي في اختيار من يقلده.

قـال المصـنف: وأما الطريق الثـاني: فـإن إبليس لما تمكن من الأغبيـاء فـورطهم في التقليد وسـاقهم سـوق البهـائم، ثم رأى خلقًا فيهم نـوع ذكـاء وفطنة فاسـتغواهم على قـدر تمكُّنه منهم. فمنهم من قبَّح عنـده الجمـود على التقليد وأمـره

بالنظر ثم استغوى كلاً من هـؤلاء بفنٍ فمنهم من أراه أن الوقـــوف مع ظـــواهر الشـــرائع عجـــز، فسـاقهم إلى مـذهب الفلاسـفة ولم يـزل بهـؤلاء حتى أخرجهم عن الإسـلام وقد سـبق ذكـرهم في الرد على الفلاسـفة. ومن هـؤلاء من حسَّـن له أن لا يعتقد إلا ما أدركته حواســـه؛ فيقـــال لهـــؤلاء: بـالحواس علمتم صـحة قـولكم؟ فـإن قـالوا: نعم. كابرُوا لأن حواسنا لم تدرك ما قالوا. إذ ما يــدرك بــــالحواس لا يقع فيه خلاف، وإن قــــالوا بغـــير الحــواس ناقضــوا قــولهم. ومنهم من نفَّرهُ إبليس عن التقليد وحسَّـــن له الخـــوض في علم الكلام والنظر في أوضــاع الفلاســفة ليخــرج بزعمه عن غمار العوام. وقد تنوعت أحــوال المتكلمين وأفضى الكلام بأكثرهم إلى الشُّكوك وببعضهم إلى الإلحـاد. ولم تســكت القــدماءُ من فقهــاء هــذه الأمة عن الكلام عجــزًا، ولكنهم رأوا أنه لا يشــفي غليلاً ثم يرُدُّ الصحيح عليلاً فأمسكوا عنه ونهوا عن الخوض فيــه، حــتى قــال الشــافعي رحمه اللــه: لأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عـدا الشـرك خـير له من أن ينظر في الكلام. قــــال: وإذا ســـــمعت الرجل يقولُ: الاسمُ هو المسمى أو غـير المسـمى فاشهد أنه من أهل الكلام ولا دين له.

قــــال: وحكمي في علمـــاء الكلام أن يُضـــربُوا بالجريد ويطـاف بهم في العشـائر والقبائل ويقـال:

هـذا جـزاءُ من تـرك الكتـاب والسـنة وأخذ في الكلام.

وقال أحمد بن حنبل: لا يفلح صاحب كلامٍ أبدًا. علماء الكلام زنادقة.

قـال المصـنف: قلت: وكيف لا يُـذمُّ الكلامُ وقد أفضى بالمعتزلة إلى أنهم قـالوا: إن الله عز وجل يعلمُ جُمل الأشـياء ولا يعلم تفاصـيلها. وقـال جهم بن صـفوان: علم الله وقدرته وحياته محدثـة. وقـال أبو محمد النوبختي عن جهم أنه قـال: إن الله عز وجل ليس بشيء.

وقـال أبـوعلي الجُبَّائي وأبو هاشم ومن تابعهما من البصريين: المعدوم شـيء وذات ونفس وجـوهر وبياض وصفرة وحمرة، وإن الباري سبحانه وتعـالى لا يقـدر على جعل الـذات ذاتًا ولا العـرض عرضًـا ولا الجـوهر جـوهرًا، وإنما هو قـادر على إخـراج الذات من العدم إلى الوجود.

وحكى القاضي أبو يعلى في كتـاب «المقتبس» قـال: قـال لي العلاَّفُ المعـتزلي: لنعيمُ أهل الجنة وعذاب أهل النَّار أمر لا يُوصفُ الله بالقـدرة على دفعه ولا تصح الرغبة حينئـــذٍ إليه ولا الرهبة منه لأنه لا يقدر إذ ذاك على خير ولا شر ولا نفع ولا ضر.

قال: ويبقى أهل الجنة جمودًا سكوتًا لا يُفضُـون

بكلمة ولا يتحركون ولا يقـدرون هم ولا ربهم على فعل شـيء من ذلـك. لأن الحـوادث كلها لا بد لها من آخر تنتهي إليه لا يكـون بعـده شـيء، تعـالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

قـال المصـنف: قلت: وذكر أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمد البلخي في «كتاب المقـالات»: إن أبا الهذيل اسمه محمد بن الهـذيل العلاَّف وهو من أهل البصـــــرة من عبد القيس مــــــولى لهم وانفـــرد بـــأن قـــال: أهـــلُ الجنة تنقضي حركـــاتهم فيصيرون إلى سكونٍ دائم وأن لما يقدر الله عليه نهاية لو خـرج إلى الفعل ولن يخـرج استحال أن يوصف الله عز وجل بالقـــدرة على غـــيره. وكـــان يقـول: إنَّ علم الله هو اللـه، وإن قـدرة الله هي الله.

وقال أبو هاشم: من تاب عن كل شيء إلا أنه شـــرب جرعة من خمر فإنه يُعـــذَّبُ عـــذاب أهل الكفر أبدًا. وقال النظَّام: إن الله عز وجل لا يقـــدر على شيء من الشر وإن إبليس يقدر على الخـير والشـــر. وقـــال هشـــام الفُـــوطي: إن الله لا يوصف بأنه عالم لم يزل.

وقـال بعض المعتزلـة: يجـوز على الله سـبحانه وتعالى الكذب إلا أنه لم يقع منه. وقالت المجبرة: لا قـدر للآدمي بل هو كالجمـاد مسـلوب الاختيـار

والفعل.

وقـالت المرجئـة: إن من أقـرَّ بالشـهادتين وأتى بكل المعاصي لم يدخـل النـــار أصـــلاً وخـــالفوا الأحاديث الصحاح في إخراج الموحدين من النار.

قال ابن عقيل: ما أشبه أن يكون واضع الإرجاء زنـديقًا فـإن صـلاح العـالم بإثبـات الوعيد واعتقـاد الجزاء، فالمرجئة لما لم يمكنهم جحـدُ الصـانع لما فيه من نفـــور النـــاس ومخالفة العقل أســـقطوا فائـــدة الإثبـــات وهي الخشـــية والمراقبة وهـــدموا سياسة الشرع، فهم شر طائفة على الإسلام.

قال المصـنف: قلت: وتبع أبو عبد الله بن كـرَّام فاختار من المذاهب أردأها ومن الأحـاديث أضـعفها ومال إلى التشبيه، وأجاز حلول الحـوادث في ذات الباري سبحانه وتعالى، وقال: إن الله لا يقدر على إعادة الأجسـام والجـواهر إنما يقـدر على ابتـدائها. قــالت السّــالميّة: إن الله عــزَّ وجــلَّ يتجلَّى يــوم القيامة لكـلّ شـيء في معنـاه فـيراه الآدميُّ آدميًّا والجــنيُّ جنيًّا. وقــالوا: الله ســرٌّ لو أظهــره لبطل التدبير.

قــال المصــنف: قلت: أعــوذُ ب الله من نظــرٍ وعلـومٍ أوجبت هـذه المـذاهب القبيحـة، وقد زعم أربــــابُ الكلام أنه لا يتمُّ الإيمــــان إلا بمعرفة ما رتَّبوه، وهؤلاء على خطأ لأن الرسول أمر بالإيمـان

ولم يـأمر ببحث المتكلمين ودرجة الصـحابة الـذين شهد لهم الشارع بأنهم خير الناس على ذلك.

وقد ورد ذم الكلام على ما قد أشـــرنا إليـــه، وقد نقل إلينا إقلاع منطقي المتكلمين عما كـــانوا عليه لما رأوا من قبح غوائله.

فأخبرنا أبو منصور القـزَّاز، نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثــابت، نا أبو منصــور محمد ابن عيسى ابن عبد العزيز الـبزّار ثنا صـالح الرقّـاه بن أحمد بن محمد الحافظ ثنا أحمد بن عبيد بن إبـــراهيم، ثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث، قال سـمعت أحمد بن ســنان قـــال: كـــان الوليد بن أبـــان الكرابيسي خالي، فلما حضـرته الوفـاة قـال لبنيـه: تعلمـون أحـدًا أعلم بـالكلام مـني؟ قـالوا: لا، قـال: فتتهمونني؟ قالوا: لا، قال: فـإني أوصـيكم أتقبلـون؟ قـالوا: نعم. قـال: عليكم بما عليه أصـحابُ الحـديث فإني رأيتُ الحق معهم.

وكان أبو المعالي الجُويني يقول: لقد جلت أهل الإســـلام جولة وعلـــومهم وركبت البحر الأعظم وغصت في الـذي نُهُـوا عنـه؛ كـلُّ ذلك في طلب الحق وهربًا من التقليد والآن فقد رجعت عن الكلِّ إلى كلمة الحق: عليكم بدين العجائز. فإن لم يـــدركني الحق بلطيف بِـــرِّه فـــأموت على دين العجـــائز ويختم عاقبة أمـــري عند الرحيل بكلمة

الإخلاص: فالويل لا بن الجويني.

وكـان يقـول لأصـحابه: يا أصـحابنا لا تشـتغلوا بـالكلام فلو عـرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما تشاغلت به.

وقـال أبو الوفـاء بن عقيل لبعض أصـحابه: أنا أقطـعُ أن الصـحابة مـاتوا وما عرفـوا الجـوهر والعرض، فـإن رضـيت أن تكـون مثلهم فكُنْ، وإن رأيت طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيتَ.

قـال: وقد أفضى الكلام بأهله إلى الشـكوك وكثـير منهم إلى الإلحـاد، تشم روائح الإلحـاد من فلتـات كلام المتكلمين، وأصل ذلك أنهم ما قنعـوا بما قنعت به الشـرائع وطلبـوا الحقـائق وليس في قـوة العقل إدراك ما عند الله من الحكمة الـتي انفـرد بهـا، ولا أخـرج البـاري من علمه لخلقه ما علمه هو من حقائق الأمور.

قـال: وقد بـالغت في الأول طـول عمـري، ثم عدت القهقـرى إلى مـذهب الكتب وإنما قـالوا: إن مـذهب العجـائز أسـلم لأنهم لما انتهـوا إلى غاية التدقيق في النظر لم يشهدوا ما ينفي العقل من التعليلات والتـأويلات فوقفـوا مع مراسم الشـرع وجنحـوا عن القـول بالتعليل وأذعن العقل بـأن فوقه حكمة إلهية فسلم.

وبيـان هـذا أن نقـول: أحبَّ أن يُعـرف، أراد أن يُذكر فيقول قائـل: هل شـغف باتصـال النفـع؟ هل دعـــاه داع إلى إفاضة الإحســـان؟ ومعلـــوم أن للدَّاعي عوارض على الـذَّات وتطلبـات من النفس، وما تعقل ذلك إلا الـــذّات يـــدخل عليها داخل من شـــــوق إلى تحصـــــيل ما لم يكن لها وهي إليه محتاجـة، فـإذا وجد ذلك العـرض سـكن الشـغفُ وفتر الدَّاعي، وذلك الحاصل يسمى غـنىً، والقـديم لم يـزل موصـوفًا بـالغنى منعوتًا بالاسـتقلال بذاته الغنيَّة عن اسـتزادة أو عــارض، ثم إذا نظرنا في إنعامه رأينــــاه مشـــحونًا بــــالنقص والآلام وأذى الحيوانات، فـإذا رام العقـلُ أن يعلل بالإنعـام جـاء تحقيق النظر فـرأى أن الفاعل قـادر على الصّـفاء ولا صـــــــفاء، ورآه مُنزَّهًا بأدلة العقل عن البُخل المـوجب لمنع ما يقـدر على تحصـيله، وعن العجز عن دفع ما يعرض لهـذه الموجـودات من الفسـاد، فــإذا عجز عن التعليل كــان التســليم أولى. وإنما دخل الفسـاد من أن الخلق اقتضـاؤه الفوائد ودفع المضار على مقتضى قدرتـه، ولو مزجـوا في ذلك العلم بأنه الحكيم لاقتضت نفوســـهم له التســـليم بحسب حكمته فعاشـــوا في بحبوحة التفـــويض بلا اعتراض.

تلبيس إبليس على أمتنا في العقائد

وقد وقف أقـــوام مع الظـــواهر فحملوها على

مقتضى الحس فقال بعضهم: إن الله جسمٌ، تعالى الله عن ذلــك، وهــذا مــذهب هشــام بن الحكم، وعلي بن منصـور ومحمد بن الخليـل، ويـونس بن عبد الرحمن.

ثم اختلفــوا فقــال بعضــهم: جسم كالأجســام، ومنهم من قــال: لا كالأجســام، ثم اختلفــوا فمنهم من قــال: هو نــور، ومنهم من قــال: هو على هيئة السَّبيكة البيضاء.

هكذا كان يقول هشام بن الحكم، وكان يقــول: إن الإله سبعة أشبار بشبر نفسه (تعــالى الله عن ذلك علوًا كبيرا)، وأنه يرى ما تحت الثرى بشــعاع متصل منه بالمرئي.

قلت: ما أعجب إلا من حدِّهِ سبعة أشبار، حــتى علمت أنه جعله كــالآدميين، والآدمي طوله ســبعة أشبار بشبر نفسه.

وذكر أبو محمد النوبخــتي، عن الجاحــظ، عن النظام، أن هشام بن عبد الحكم قال في التشبيه في ســنةٍ واحــدة خمسة أقاويـل، قطع في آخرها أن معبـوده أشـبر نفسـهُ سـبعة أشـبار؛ فـإن قومًا قـالوا إنه على هيئة السَّـبيكة، وأن قومًا قـالوا: هو على هيئة البلّورة الصافية المستوية الاستدارة التي من حيث أتيتها رأيتها على هيئة واحــــدة، وقــــال هشام: هو متناهي الذَّات حتى قال: إن الجبل أكـبر

منه، قال: وله ماهية يعلمها هو.

قال المصنف: وهذا يلزمه أن يكون له كيفية أيضًا وذلك ينقض القول بالتَّوحيد وقد استقر أنَّ الماهية لا تكون إلا لمن كان ذا جنس وله نظائر فيحتاج أن يفرد منها ويبان عنها، والحق سبحانه ليس بذي جنس ولا مثل له، ولا يجوز أن يوصف بأن ذاته إرادته، ومتناهية لا على معنى أنه ذاهب في الجهات بلا نهاية. إنما المراد أنه ليس بجسم ولا جوهر فتلزمه النهاية.

قال النوبختي: وقد حكى كثير من المتكلمين أن مقاتل بن سليمان ونُعيم بن حمَّاد وداود الحواري يقول: إن لله صورة وأعضاء.

قال المصنف: أترى هؤلاء كيف يثبتون له القدم دون الآدميين ولم لا يجوز عليه عندهم ما يجوز على الآدميّين من مرض أو تلف.

ثم يقال لكل من ادعى التجسيم بأيّ دليل أثبت حدث الأجسام فيدلك بذلك على أن الإله هو الذي اعتقدته جسمًا محدثًا غير قديم.

ومن قول المجسمة: إن الله عز وجل يجوز أن يُمسَّ ويُلمس، فيقال له: فيجوز على قولكم أن يمسَّ ويلمس ويعانق، وقال بعضهم: إنه جسم هو فضاء، والأجسام كلها فيه.

وكان بيانُ بن سمعان يزعم أن معبوده نورٌ

كُلِّه، وأنه على صــورة رجـــل، وأنه يهلـــكُ جميع أعضائه إلا وجهُهُ، فقتله خالد بن عبد الله.

وكــان المغــيرة بن ســعيد البجلي يـــزعم أن معبـوده رجل من نـور على رأسه تـاج من نـور، وله أعضاء وقلب تنبـعُ منه الحكمة وأعضـاؤه على صـورة حـروف الهجـاء، وكـان هـذا يقـول بإمامة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن.

وكــان زُرارةُ بن أعين يقــول: لم يكن البــاري قادرًا حيًا عالمًا في الأزل حـتى خلق لنفسه هـذه الصفات، تعالى الله عن ذلك.

وقـــال داود الحـــواري: هو جسم لحم ودم وله جـوارح وأعضـاء وهو أجـوفُ من فمه إلى صـدره ومصمتُ ما سوى ذلك.

ومن الواقفين مع الحسِّ أقـوام قـالوا: هو على العرش بذاته على وجه المُماسَّةِ،، فإذا نـزل انتقل وتحرَّك، وجعلوا لذاته نهايةً، وهؤلاء قد أوجبوا عليه المساحة والمقدار، واستدلُّوا على أنه على العرش بذاته بقـــول النـــبي «يـــنزل الله إلى ســـماء الدُّنيا...»[1]، قالوا: ولا ينزل إلا من هو فوق.

وهـؤلاء حملـوا نزوله على الأمر الحسـيِّ الـذي يوصف به الأجسام، وهؤلاء المشـبِّهة الـذين حملـوا

---

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى التوحيد (7494)، ومسلم فى صلاة المسافرين (758/168) من حديث أبى هريرة.

الصـــفات على مقتضى الحس وقد ذكرنا جمهـــور كلامهم في كتابنا المسـمى «بمنهـاج الوصـول إلى علم الأصول» وربما تخيَّل بعضُ المُشـبِّهة في رؤية الحق يوم القيامة لما يـراه في الأشـخاص فيمثِّلُـهُ شخصًا يزيدُ حُسـنُهُ على كل حُسـنٍ فـتراه يتنفس من الشُّـقوق إليــه، ويمثل الزّيــادة فــيزداد توقُّــهُ ويتصور رفع الحجاب فيقلق ويتـذكر الرُّؤية فيغشى عليه، ويسمع في الحديث أنه يُدني عبـدهُ المـؤمن إليه[1] فيخايل القــرب الــذاتي كما يجــالس الجنس وهذا كله جهل بالموصوف.

ومن الناس من يقول: لله وجه هو صفة زائـدة على صـــفة ذاته لقوله عز وجـــل: **ويبقى وجه ربك** [الــرحمن: 27] وله يَــدٌ وله أصــبع لقـــول رســـول الله «يضع الســـموات على إصـــبع»[2] وله قدم إلى غير ذلك مما تضمنته الأخبـار، وهـذا كله إنما استخرجوه من مفهوم الحس.

وإنما الصواب قراءة الآيات والأحـاديث من غـير تفســير ولا كلام فيها وما يــؤمن هــؤلاء أن يكــون المراد بالوجه الذات لا أنه صفة زائـدة وعلى هـذا فسر الآية المُحققــون فقــالوا: ويبقى ربــك، وقــالوا

---

1 (?) صحيح: أخرجه البخـارى فى التوحيد (7514)، وأحمد فى المسند 2/105 من حديث ابن عمر.

2 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى التوحيد (7513)، ومسلم فى صفات المنافقين (2786/19) من حديث ابن مسعود.

في قوله: **يريدون وجهه** [الكهف: 28] يريدونه، وما يؤمنهم أن يكون أراد بقوله: «قلوب العباد بين إصبعين»، أن الإصبع لما كانت هي المقلِّبةُ للشيء وأن ما بين الإصبعين يتصرف فيه صاحبُها كيف شاء ذكر ذلك لا أن صفةً زائدة.

قال المصنف: والذي أراه السكوت على هذا التفسير أيضًا إلا أنه يجوز أن يكون مرادًا ولا يجوز أن يكون ثم ذاتٌ تقبل التجزىء والانقسام.

ومن أعجب أحوال الظاهرية قول السالمية أن الميت يأكل في القبر ويشرب وينكح لأنهم سمعوا بنعيم ولم يعرفوا من النعيم إلا هذا، ولو قنعوا بما ورد في الآثار من «أن أرواح المؤمنين تجعل في حواصل طير تأكل من شجر الجنة»[1]، لسلموا لكنهم أضافوا ذلك إلى الجسد.

قال ابن عقيل: ولهذا المذهب مرض يضاهي الاستشعار الواقع للجاهلية وما كانوا يقولون في الهام والصدى، والمكالمة لهؤلاء ينبغي أن تكون على سبيل المُداراة لاستشعارهم لا على وجه المناظرة فإن المقاومة تُفسدهم، وإنما لبّس

---

1 (?) صحيح: أخرجه مالك فى الموطأ 1/240، والنسائى فى الجنائز (2072)، والترمذى فى فضل الجهاد (1641) وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه فى الجنائز (1449)، وفى الزهد (4271)، وأحمد فى المسند 3/455 كلهم من حديث كعب بن مالك، وانظر: الصحيحة (995).

إبليس على هؤلاء لتركهم البحث عن التأويل المطابق لأدلَّة الشرع والعقل، فإنه لما ورد النعيم والعذاب للميت عُلِمَ أن الإضافة حصلت إلى الأجساد والقبور تعريفًا كأنه يقول: صاحب هذا القبر الروح التي كانت في هذا الجسد مُنعَّمةٌ بنعيم الجنة مُعذَّبةٌ بعذاب النار.

قال المصنف: فإن قال قائل: قد عِبت طريق المقلدين في الأصول وطريق المتكلمين فما الطريق السّليم من تلبيس إبليس؟

فالجوابُ: أنه ما كان عليه رسولُ الله وأصحابه وتابعوهم بإحسان من إثبات الخالق سبحانه وإثبات صفاته على ما وردت به الآياتُ والأخبار من غير تفسير ولا بحث عما ليس في قوة البشر إدراكه وأن القرآن كلام الله غير مخلوق.

قال علي كرّم الله وجهه: والله ما حكَّمْتُ مخلوقًا إنما حكمتُ القرآن وأنه المسموع قوله عز وجل: ﴿**حتى يسمع كلام الله**﴾ [التوبة: 6]، وأنه في المصاحف لقوله عز وجل: ﴿**فى رقّ منشور**﴾ [الطور: 3]، ولا نتعدى مضمون الآيات ولا نتكلم في ذلك برأينا.

وقد كان أحمد بن حنبل ينهى أن يقول الرجلُ: لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق لئلا يخرج عن الاتِّباع للسلف إلى ما حدث.

والعجب ممن يدعي اتباع هـذا الإمـام ثم يتكلم في المسائل المُحدثة.

أَخْبَرَنَا ســـعد الله بن علي الـــبزَّار، نا أبو بكر الطُّريثيـثي، نا هبة الله بن الحسن الطـبري، نا أبو حامد أحمد بن أبي طـــاهر الفقيـــه، نا عمر بن أحمد الواعظ، ثنا محمد بن هارون الحضــرمي، ثنا القاسم بن العباس الشَّيباني، ثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار قال: أدركت تسعة من أصحاب رسول الله يقولون: من قـال: القـرآنُ مخلـوق فهو كافر.

وقـال مالك بن أنس: من قـال: القـرآن مخلـوق فيُستتاب، فإن تاب وإلا ضُربت عُنقُهُ.

أَخْبَرَنَا أبو البركات بن علي الـبزَّار، نا أحمد بن علي الطُّريثيـــثي، نا هبة الله الطـــبري، ثنا محمد ابن أحمد بن القاسم ثنا أحمد بن عثمـــــــان ثنا محمد بن ماهان، ثنا عبد الـرحمن بن مهـدي، عن ســـفيان عن جعفر بن برقـــان، أن عمر بن عبد العزيز، قال لرجل: وسأله عن الأهـواء فقـال: عليك بـــدين الصَّـــبي في الكُتَّاب والأعـــرابي والْـــهَ عما سواهما.

قال ابن مهـدي: وثنا عبد الله بن المبـارك، عن الأوزاعي، قـال: قـال عمر بن عبـدالعزيز: إذا رأيت قومًا يتناجون في دينهم بشيءٍ دون العامَّة فـاعلمْ

أنَّهم على تأسيس ضلالة.

أَخْبَرَنَا محمد بن أبي القاسم، نا حمد بن أحمد، نا أبو نعيم الحافظ، ثنا محمد بن أحمد بن الحسن، ثنا بشر بن موسى، ثنا خلاَّد بن يحيى، عن سفيان الثوري: قال: بلغني عن عمر أنه كتب إلى بعض عماله: أوصيك بتقوى الله عز وجل، واتباع سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وترك ما أحدث المحدثون بعده بما كُفُوا مؤنته؛ واعلم أن من سنَّ السنن قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والتعمُّق، فإن السابقين الماضين عن علمٍ توقفوا وتبصُّرٍ ناقد قد كفوا.

وفي رواية أخرى عن عمر: وأنهم كانوا على كشف الأمور أقوى، وما أحدث إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم لقد قصر دونهم أقوام فخفوه وطمح عنهم آخرون فعلوه[1].

أَخْبَرَنَا محمد بن أبي القاسم، نا حمد بن أحمد، نا أحمد بن عبد الله الحافظ، ثنا سليمان ابن أحمد، ثنا بشر بن موسى، ثنا عبد الصمد بن حسان، قال: سمعت سفيان الثوري يقول: عليكم بما عليه الحمّالون، والنِّساء في البيوت، والصبيان

---

1 (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 5/388.

في الكتاب، من الإقرار والعمل[1].

قال المصنِّفُ: فإن قال قائل: هذا مقام عجـزٍ لا مقام الرجـال، فقد أسـلفنا جـواب هـذا، وقلنـا: إن الوقوف على العمل ضـرورةٌ، لأن بلـوغ ما يشـفي العقل من التعليل لم يُدركـــــهُ من غــــاص من المُتكلمين في البحار، فلذلك أمـروا بـالوقوف على الساحل كما ذكرنا عنهم.

ذكر تلبيس إبليس على الخوارج

قــال المصــنِّف: أول الخــوارج وأقبحهم حالة ذو الخويصرة.

أَخْبَرَنَا ابن الحصــين، نا ابن المــذهب، نا أحمد بن جعفــر، ثنا عبد الله بن أحمــد، ثــني أبي، ثنا محمد بن فضيل، ثنا عُمـارة بن القعقـاع، عن ابن أبي يعمر، عن أبي سعيد الخُدْري، رضي الله عنه قـــــال: بعث عليٌّ رضي الله عنه من اليمن إلى رســول الله بذهبة في أديم مقــروظ[2]، لم تخلص من ترابها، فقسمها رسول الله بين أربعةٍ بين: زيْد الخيــل، والأقــرع بن حــابس، وعُيينة بن حصــن، وعلقمة بن عُلاثــة، أو عــامر بن الطفيــل، شــكَّ عُمــارة، فوجد من ذلك بعض أصــحابه والأنصــار وغيرهم، فقال رسـول الله «ألا تـأمنوني وأنا أمينُ

1 (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 7/30.

2 (?) فى أديم مقـروظ: أى فى جلد مـدبوغ بـالقرظ. والقـرظ: حب معروف يخرج من غلف كالعدس، من شجر العضاه.

من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً». ثم أتاه رجلٌ غائرُ العينين مشرف الوجنتين ناتىءُ الجبهة كثُّ اللحية مُشمِّرُ الإزار محلوقُ الرأس، فقال: اتَّق الله يا رسول الله. فرفع رأسه إليه، فقال: «ويحك أليس أحق الناس أن يتقي الله أنا»، ثم أدبر، فقال خالد: يا رسول الله ألا أضربُ عُنقَهُ، فقال رسول الله «فلعله يصلي». فقال: إنه رُبَّ مُصلٍ يقولُ بلسانه ما ليس في قلبه، فقال رسول الله «إني لم أؤمر أن أُنقِّب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم». ثم نظر إليه النبيُّ وهو مُقفَ، فقال: «إنه سيخرجُ من ضئضيء[1] هذا قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدّين كما يمرقُ السهمُ من الرميَّة»[2].

قال المصنف: هذا الرّجل يقال له: ذو الخُويصرة التميمي، وفي لفظ: أنه قال له: اعدلْ، فقال: «ويلك ومن يعدلُ إذا لم أعدل»[3]. فهذا أول خارجي خرج في الإسلام، وآفته أنه رضي برأي نفسه، ولو وقف لعلم أنه لا رأي فوق رأي رسول الله.

---

1 (?) ضئضئ: هو أصل الشىء.

2 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى التوحيد (7432)، ومسلم فى الزكاة (1064/144) من حديث أبى سعيد الخدرى.

3 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الأدب (6163)، ومسلم فى الزكاة (1063/142) من حديث جابر بن عبد الله.

وأتباعُ هذا الرجل هم الذين قاتلوا عليَّ بن أبي طـــالب كـــرَّم الله وجهـــه، وذلك أنه لما طـــالت الحــرب بين معاوية وعليَ رضي الله عنهمــا، رفع أصحابُ معاوية المصاحف ودعوا أصحاب عليَ إلى ما فيها وقـال: تبعثـون منكم رجلاً ونبعثُ منا رجلاً، ثم نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتــاب الله عــزَّ وجـلَّ، فقـال النـاس: قد رضـينا، فبعثـوا عمـرو بن العاص، فقال أصحابُ عليَ: ابعث أبا موسى، فقال عليٌّ: لا أرى أن أُولِّيَ أبا موسى، هذا ابن عبــاس، قــالوا: لا نريــدُ رجلاً منــك، فبعث أبا موسى وأخر القضاء إلى رمضان فقال عروةُ بن أُذينة: تُحكِّمـون في أمر الله الرجــال، لا حُكم إلا للــه. ورجع علي من صفين، فدخل الكوفة ولم تدخل معه الخـوارج فــأتوا حـــرُوراء[4] فــنزل بها منهم اثنا عشر ألفًــا، وقــالوا: لا حُكم إلا للــه، وكـان ذلك أول ظهـورهم ونــادى منــاديهم أن أمـير القتــال شـبثُ بن ربعي التميمي وأمـــــير الصـــــلاة عبد الله بن الكــــوَّاء اليشـكُري، وكـانت الخـوارجُ تتعبَّدُ إلا أن اعتقـادهم أنهم أعلمُ من علي بن أبي طـــــالب كـــــرم الله وجهه، وهذا مرضٌ صعبٌ.

أَخْبَرَنَا إســـماعيل بن أحمـــد، نا محمد بن هبة الله الطبري، نا محمد بن الحسـين بن الفضـل، نا عبد الله ابن جعفر بن دُرُســتُويهِ، نا يعقــوب بن

---

4 (?) حروراء: قرية بالعراق قريبة من الكوفة.

سـفيان، ثـني موسى بن مسـعود، ثنا عكرمة بن عمَّار، عن سماك أبي زُميل، قال: قال عبد الله بن عباس: إنه لما اعتزلت الخوارج دخلوا دارًا وهم ستة آلاف وأجمعوا على أن يخرجوا على علي بن أبي طالب، فكان لا يزالُ يجيء إنسان فيقول يا أمير المؤمنين إن القوم خارجون عليك، فيقول: دعوهم فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسوف يفعلون.

فلما كان ذات يوم أتيته قبل صلاة الظهر فقلت له: يا أمير المؤمنين أبرد بالصلاة لعلِّي أدخل على هؤلاء القوم فأُكلِّمهم، فقال: إني أخافُ عليك، فقلت: كلا وكنتُ رجلاً حسن الخلق لا أؤذي أحدًا، فأذن لي فلبستُ حُلَّةً من أحسن ما يكون من اليمن، وترجَّلتُ فدخلتُ عليهم نصف النهار، فدخلتُ على قومٍ لم أر قطُّ أشدَّ منهم اجتهادًا، جباهُهُمْ قرحةٌ من السُّجود وأياديهم كأنها ثفنُ[1] الإبل، وعليهم قُمُصٌ مرحَّضةٌ مُشمِّرين. مسهمة وجوههم من السهر، فسلمتُ عليهم فقالوا: مرحبًا با بن عباس ما جاء بك؟ فقلت: أتيتكم من عند المهاجرين والأنصار ومن عند صهرِ رسول الله وعليهم نزل القرآنُ وهم أعلمُ بتأويله منكم.

فقالت طائفة منهم: لا تخاصموا قريشًا فإن

---

[1] (?) الثفن: جمع ثفنة ركبة البعير وغيرها ما يحصل فيه غلظ من أثر البروك.

الله عز وجل يقـول: **بل هم قـوم خصـمون** [الزخـرف: 58]، فقـال اثنـان أو ثلاثة لنُكلمنَّهُ، فقلت: هـاتوا ما نقمتم على صـهر رسـول الله والمهـاجرين والأنصـار وعليهم نـزل القـرآن وليس فيكم منهم أحدٌ، وهم أعلم بتأويله.

قالوا: ثلاثًـا، قلت: هـاتوا، قـالوا: أما إحـداهن فإنه حكَّم الرجـال في أمر اللـه، وقد قـال الله عز وجـل: **إن الحكم إلا لله** [الأنعـام: 57]، فما شـأن الرجـال والحكم بعد قـول الله عز وجـل؟ فقلت: هـذه واحـدة ومـاذا؟ قـالوا: وأما الثانية فإنه قاتل وقتل ولم يَسْبِ ولم يغنم فإن كانوا مؤمنين فلم حـلَّ لنا قتـالهم وقتلهم ولم يحل لنا سـبيهم؟ قلت: وما الثالثـة؟ قـالوا: فإنه محا عن نفسه أمـير المؤمـنين فإنه إن لم يكن أمـير المؤمـنين فإنه لأمير الكافرين. قلت: هل عنـدكم غـير هـذا؟ قـالوا: كفانا هذا.

قلت لهم: أما قولكم: حكَّم الرجال في أمر الله أنا أقرأ عليكم في كتاب الله ما ينقضُ هذا، فـإذا نقض قولكم أترجعـون؟ قـالوا: نعم. قلت: فـإن الله قد صـيّر من حكمه إلى الرجـال في ربع درهم ثمن أرنب وتلا هـذه الآيـة: **لا تقتلـوا الصـيد وأنتم حرم** [المائـدة: 95]، إلى آخر الآيـة، وفي المرأة وزوجها: **وإن خفتم شـقاق بينهما فـابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها** [النسـاء: 35]،

إلى آخر الآية، فنشدتكم ب الله هل تعلمون حكم الرجـال في إصـلاح ذات بينهم وفي حقن دمـائهم أفضل أم حكمهم في أرنب وبُضع امـــــرأة، فأيهما تــرون أفضــل؟ قــالوا: بل هــذه. قلت: خــرجتُ من هذه؟ قالوا: نعم.

قلت: وأما قـــــــولكم: قاتل ولم يسب ولم يغنم فتسـبُون أُمَّكُم عائشة رضي الله تعـالى عنهـا، فو الله لئن قلتم ليست بأُمِّنا لقد خـــــــــــــرجتم من الإسـلام، وو الله لئن قلتم لنسـبينّها ونسـتحل منها ما نســتحل من غيرها لقد خـــرجتم من الإســلام، فأنتم بين ضلالتين لأن الله عز وجل قال: **النـبى أولى بـــــالمؤمنين من أنفســــهم وأزواجه أمهاتهم** [الأحزاب: 6]، أخرجتُ من هذه؟ قالوا: نعم.

قلت: وأما قولكم: محا عن نفسه أمير المؤمنين فأنا آتيكم بمن ترضـــون أن النـــبي يـــوم الحُديبية صالح المشركين أبا سـفيان بن حـربٍ وسـهيل بن عمروٍ، فقال لعلي رضي الله عنــه: اكتب لهم كتابًا فكتب لهم عليٌّ: هـــذا ما اصـــطلح عليه محمـــدُ رسولُ اللــه، فقـال المشـركون: والله ما نعلم أنك رسولُ اللـه، لو نعلمُ أنك رسـولُ الله ما قاتلنـاك، فقــــال رســـول الله صــــلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: « الله م إنك تعلمُ أني رسـولُ الله امحُ يا علي، اكتب: هذا ما اصطلح عليه محمد بن

عبد اللـه»[1]، فو الله لرسـولُ الله خـير من علي وقد محا نفســه. قــال: فرجع منهم ألفــان وخـــرج سائرهم فقُتلوا.

أَخْبَرَنَا أبو منصـور القــزَّاز، نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، نا ولاد بن علي الكــوفي، نا محمد بن علي بن دحيم الشــيباني، ثنا أحمد بن حــازم، ثنا أحمد بن عبد الرحمن، يعني ابن أبي ليلى، ثنا سعيد بن خُثيم، عن القعقــاع بن عُمـارة، عن أبي الخليل، عن أبي السابغة، عن جندب الأزدي، قال: لما عــــدلنا إلى الخــــوراج ونحن مع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، قال: فانتهينا إلى معسكرهم فإذا لهم دويٌّ كدويِّ النحل من قراءة القرآن[2].

قال المصـنف: وفي رواية أخـرى أن عليًا رضي الله عنه لما حكَّم أتـــاه من الخـــوارج زُرعــــةُ بن البُرج الطائي وحُرقُـوص بن زُهـيرٍ السـعدي فـدخلا عليه، فقالا له: لا حكم إلا لله. فقــال علي: لا حكم إلا لله، فقال له حرقـوص: تُب من خطيئتك وارجع عن قضـيتنا واخــرج بنا إلى عـدونا نقـاتلهم حـتى نلقى ربَّنا ولئن لم تـدع تحكيم الرجـال في كتـاب الله عز وجل لأُقاتلنَّك أطلبُ بـــذلك وجه اللـــــه.

---

1 (?) متفق عليـــه: أخرجه البخـــارى فى الشـــروط (2731، 2732)، ومسلم فى الجهاد (1783/92090) من حديث البراء بن عازب.

2 (?) ذكره الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد 7/249.

واجتمعت الخـــوارجُ في مـــنزل عبد الله بن وهب الراسبي فحمد الله وأثنى عليه، ثم قـال: ما ينبغي لقومٍ يؤمنون بالرَّحمن وينسبُون إلى حكم القـرآن، أن تكون هـذه الـدُّنيا الـتي إيثارُها عنـاءٌ آثر عنـدهُ من الأمر بـــالمعروف والنهي عن المنكر والقـــول بالحقِّ فاخرجوا بنا.

فكتب إليهم علي بن أبي طـــالب كـــرم الله وجهه: أما بعد، فإن هـذين الـرجلين اللـذين ارتُضـيا حكمين، فقد خالفا كتـــاب الله واتبعا أهواءهمـــا، ونحن على الأمر الأول. فكتبـوا إليه إنك لم تغضب لربك وإنما غضـــبت لنفسك فـــإن شـــهدت على نفسك بـــالكفر واســـتقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك، وإلا فقد نابذناك على سواء والسلام.

ولقي الخوارج في طــريقهم عبد الله بن خبَّابٍ فقـــالوا: هل ســـمعت من أبيك حـــديثًا تحدثه عن رسول الله تحدثناه، قـال: نعم. سـمعت أبي يحـدث عن رسـول الله «أنه ذكر فتنـةً القاعـدُ فيها خـير من القـــائم، والقـــائم فيها خـــير من الماشـــي، والماشي فيها خير من الساعي، فـإن أدركت ذلك فكُن عبد الله المقتول»[1]. قالوا: أنت سـمعت هـذا من أبيك تحدثه عن رســـول اللـــه؟ قـــال: نعم،

---

[1] (?) صـــحيح بشـــواهده: أخرجه أحمد فى المســـند 5/110 مختصـــرًا، وأبو يعلى فى مصـــنفه (7215)، والطـــبرانى فى الكبير 4/60.

فقدموه إلى شفير النهر فضربوا عُنُقهُ فسـال دمه كأنه شـراكُ نعـلٍ، وبقـروا بطن أم ولـده عما في بطنها وكـانت حُبلى، ونزلـوا تحت نخل مواقـير بنهروان فسقطت رُطبةٌ فأخذها أحدُهم فقـذف بها في فيه، فقـال أحـدهم: أخـذتها بغـير حـدها وبغـير ثمنها فلفظها من فيه. واخترط أحدهم سـيفه فأخذ يهزه فمر به خنزير لأهل الذمَّة فضـربه به يُجرِّبُـهُ فيه، فقـالوا: هـذا فسـاد في الأرض، فلقي صـاحب الخنزير فأرضاه في ثمنه.

قـال: فبعث إليهم علي رضي الله عنـه: أخرجـوا إلينا قاتل عبد الله بن خبَّاب، فقـالوا: كُلُّنَا قتلـهُ، فناداهم ثلاثًا، كل ذلك يقولـون هـذا القـول، فقـال علي رضي الله عنه لأصـحابه: دونكم القـوم، فما لبثوا أن قتلوهم، وكان وقت القتال يقـولُ بعضـهم لبعض: تهيَّأ للقاء الربِّ الرَّواح الرَّواح إلى الجنَّة.

وخرج على عليٍّ رضي الله عنه بعـدهم جماعة منهم فبعث إليهم من قـاتلهم ثم اجتمع عبـدالرحمن بن مُلجم بأصـحابه وذكـروا أهل النهـروان فـترحَّمُوا عليهم، وقـالوا: والله ما قنعنا بالبقاء في الدنيا شيء بعد إخواننا الـذين كـانوا لا يخـافون في الله لومة لائم فلو أنَّا شـرينا أنفسـنا لله والتمسـنا غـير هـؤلاء الأئمة الضُّلاَّل فثأرنا بهم إخواننا وأرحنا منهم العباد.

أَخْبَرَنَا محمد بن أبي طاهر البزّار، نا أبو محمد الجوهري، نا ابن حيُّويه، نا أبو الحسن بن معروف، نا الحسين بن الفهم، نا محمد بن سعد، عن أشياخ له، فقالوا: انتُدب ثلاثةُ نفرٍ من الخوارج: عبدُ الرحمن ابن مُلجم والبُركُ بن عبد الله، وعمرو بن بكرٍ التميمي، فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا لنقتلن هؤلاء الثلاثة: عليًا، ومعاوية، وعمرو بن العاص، ونريح العباد منهم، فقال ابن ملجم: أنا لكم بعليٍّ، وقال البرك: أنا لكم بمعاوية، وقال عمرو: أنا لكم بعمرو. فتواثقوا ألا ينقض رجلٌ منهم رجلاً عن صاحبه، فقدم ابن مُلجم الكوفة فلما كانت الليلة التي عزم على قتل علي رضي الله عنه فيها، خرج عليٌّ رضي الله عنه لصلاة الصبح فضربه فأصاب جبهته إلى قرنِهِ ووصل إلى دماغه، فقال علي رضي الله عنه: لا يفوتنَّكُمُ الرّجل. فأُخذ، فقالت أمُّ كُلثومٍ: يا عدُوَّ الله، قتلت أمير المؤمنين، فقال: ما قتلتُ إلا أباكِ، قالت: والله إني لأرجو ألا يكون على أمير المؤمنين بأسٌ، قال: فلم تبكين إذن، ثم قال: والله لقد سممتُهُ شهرًا يعني سيفه، فإن أخلفني فأبعده الله وأسحقه.

فلما مات عليٌّ رضي الله عنه أُخرج ابن ملجم ليقتل، فقطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه فلم يجزع ولم يتكلم. فكحل عينيه بمسمار

محميّ فلم يجزع، فجعل يقرأ **اقــرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق** [العلــق: 1-2]، حتى ختمها وإن عينيه لتسيلان، فعولج على قطع لسانه فجزع، فقيل له: لم تجزعُ؟ فقال: أكره أن أكون في الدنيا مواتًا لا أذكُر الله، وكـان رجلاً أسمر في جبهته أثرُ السُّجود لعنةُ الله عليه.

قال المصنف: قلت: ولما أراد الحسن رضي الله عنــه، أن يُصــالح معاوية خــرج عليه من الخــوارج الجرَّاحُ بن سنان، وقال: أشركت كما أشـرك أبـوك ثم طعنهُ في أصل فخذه. وما زالت الخوارجُ تخرجُ على الأمراء ولهم مذاهبُ مختلفـةٌ، وكـان أصـحاب نــافع بن الأزرق يقولــون: نحن مشــركون ما دمنا في دار الشِّرك فإذا خرجنا فنحن مسلمون. قــالوا: ومخالفونا في المذهب مشـركون، ومرتكبو الكبـائر مشــركون، والقاعــدون عن موافقتنا في القتــال كفــرة. وأبــاح هــؤلاء قتل النســاء والصِّــبيان من المسلمين وحكموا عليهم بالشِّرْك.

وكـــان نجـــدةُ بن عـــامرٍ الحنفي من القـــوم، فخــالف نــافع بن الأزرق، وقــال بتحــريم دمــاء المسلمين وأموالهم، وزعم أن أصحاب الذنوب من موافقيه يعـذبون في غـير نـار جهنم، وأن جهنم لا يُعذَّبُ بها إلا مخـالفوه في مذهبـه. وقـال إبـراهيم: الخوارج قوم كفـار وتحل لنا منـاكحتهم ومـوارثتهم كما كـان النـاس في بـدء الإسـلام. وكـان بعضـهم

يقــول: لو أن رجلاً أكل من مــال يــتيم فلســين وجبت له النـار، لأن الله عز وجل أوعد على ذلك النار.

قــال المصــنف: ولهم قصــصٌ تطــول ومــذاهبُ عجيبــةٌ لهم لم أر التطويل بـذكرها وإنما المقصـود النظر في حيل إبليس وتلبيسه على هـــــــــؤلاء الحمقى الذين عملـوا بواقعـاتهم واعتقـدوا أن عليَّ بن أبي طــالب كــرم الله وجهه على الخطأ ومن معه من المهـــاجرين والأنصـــار على الخطأ وأنهم على الصـــواب، واســـتحلُّوا دمـــاء الأطفـــال ولم يستحلّوا أكل ثمرةٍ بغير ثمنها وتعبـوا في العبـادات وســـهروا وجـــزع ابن مُلْجِمٍ عند قطع لســـانه من فوات الذكر. واستحلَّ قتل عليٍّ كرَّم الله وجهه.

ثم شهروا السُّيوف على المســلمين، ولا أعجب من اقتناع هؤلاء بعلمهم واعتقـادهم أنهم أعلمُ من عليٍّ رضي الله عنـــه، فقد قـــال ذو الخويصـــرة لرســول الله اعــدل فما عــدلت. وما كــان إبليسُ ليهتــدي إلى هـــذه المخـــازي، نعـــوذ ب الله من الخذلان.

أَخْبَرَنَا ابن الحصين، نا ابن المـذهب، نا أبو بكر بن مالــك، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبــل، ثــني أبي، قال: قرأت على عبد الـرحمن بن مالـك، عن يحـــيى بن ســـعيد، عن محمد بن إبـــراهيم ابن

الحارث التيمي، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي سعيد الخُدري، قال: سمعت رسول الله يقول: «يخرجُ قومٌ فيكم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكُم مع صيامهم وأعمالكم مع أعمالهم يقرأون القرآن لا يجاوزُ حناجرهُمْ يمرقون من الدين مُروق السهم من الرَّميَّة»[1]. أخرجاه في الصحيحين.

أَخْبَرَنَا سعد الله بن علي، نا أبو بكر الطُّريثيثي، ثنا هبةُ الله بن الحسن الطبري، نا أحمد بن عبيد، ثنا علي بن عبد الله بن مبشر، ثنا أحمد بن سنان، ثنا إسحاق بن يوسف الأزرق، عن الأعمش، عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: سمعتُ رسول الله يقول: «الخوارجُ كلاب أهل النار»[2].

رأي الخوارج

قال المصنف: ومن رأي الخوارج أنه لا تختص

---

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى استتابة المرتدين (6931)، ومسلم فى الزكاة (1064/147) من حديث أبى سعيد الخدرى.

2 (?) حسن لغيره: أخرجه أحمد فى المسند 4/355، وابن ماجه فى المقدمة (173) وقال البوصيرى فى الزوائد: «رجال الإسناد ثقات، إلا أن فيه انقطاعا»، لكن للحديث إسناد آخر: أخرجه أحمد فى المسند 4/382، والحكم فى المستدرك 3/571، وله شاهد عن أبى أمامة، انظر: السنة لابن أبى عاصم (904، 905).

الإمامة بشــخص إلا أن يجتمع فيه العلمُ والزهــد، فـإذا اجتمعا كـان إمامًا ولو كـان نبطيًا[1] ومن رأي هـؤلاء أحـدث المعتزلة في التحسـين والتقـبيح إلى العقل وأن العدل ما يقتضيه. ثم حدث القدريَّةُ في زمن الصَّحابة وصار معبدٌ الجُهنيُّ وغيلانُ الدمشقي والجعـدُ بن درهم إلى القــول بالقــدر، ونسج على منوال معبدٍ الجُهـني واصـلُ بن عطـاءٍ وانضم إليه عمـرو بن عبيـد، وفي ذلك الزمـان حـدثت سـنة المُرجئة حين قالوا: لا يضرُّ مع الإيمان معصـيةٌ كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

ثم طـالعت المعتزلـةُ مثـلُ أبي الهُـذيل العلاَّف والنظام ومعمر والجاحظ كُتُب الفلاسفة في زمـان المــأمون، واســتخرجوا منها ما خلطــوه بأوضــاع الشـــرع مثل لفظ الجـــوهر والعـــرض والزمـــان والمكـان والكـون، وأول مسـألة أظهروها القــول بخلق القرآن، وحينئذٍ سمي هذا الفصلُ فصل علم الكلام، وتلت هـذه المسـألة مسـائلُ الصـفات مثل العلم والقدرة والحياة والسَّمع والبصر، فقال قـوم: هي معـــانٍ زائـــدة على الـــذَّات ونفتها المعتزلـــةُ وقـالوا: عـالم لذاته قـادر لذاتـه. وكـان أبو الحسن الأشـعري على مـذهب الجُبَّائيِّ ثم انفـرد عنه إلى

---

1 (?) الأنبـاط: شـعب سـامى كـانت له دولة فى شـمال شـبه الجزيـرة العربيـة، وعاصـمتهم «سـلع». واسـتعمل أخـيرًا فى أخلاط الناس وأوباشهم.

مثبتي الصّفات، ثم أخذ بعض مثبـتي الصـفات في اعتقـاد التشـبيه وإثبـات الانتقـال في الـنزول والله الهادي لما يشاء.

ذكر تلبيسه على الرافضة

قــال المصــنف: وكما لَبَّسَ إبليسُ على هــؤلاء الخــوارج حــتى قـاتلوا عليّ بن أبي طـالب، حمل آخــرين على الغلو في حُبِّه فــزادوه على الحــد، فمنهم من كان يقول: هو الإلـه، ومنهم من يقـول: هو خـير من الأنبيـاء، ومنهم مَنْ حمله على سـبِّ أبي بكر وعمر حـــتى إن بعضـــهم كفَّر أبا بكر وعمر، إلى غير ذلك من المـذاهب السـخيفة الـتي يُرْغبُ عن تضييع الزمان بـذكرها، وإنما نشـير إلى بعضها.

أَخْبَرَنَا عبد الرحمن بن محمـد، نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، قال: حدث أبو يعقـوب إسـحاق بن محمد النخعي، عن عبيد الله بن محمد عن عائشـة، وأبي عثمـان المـازني وغيرهمـا، وسـمعت عبد الواحد ابن علي بن برهــان الأســدي يقــول: إســحاق بن محمد النخعي الأحمر كـان يقـول: إن عليًا هو اللــه، تعــالى الله عن ذلك علــوًا كبــيرًا. وبالمــدائن جماعة من الغلاة يعرفــون بالإســحاقية ينسبون إليه.

قـــــال الخطيب: ووقع إليّ كتـــــاب لأبي محمد

الحسن بن يحيى النوبختي من تصنيفه في الـردِّ على الغُلاة، وكـان النُّوبخـتي هـذا من متكلمي الشيعة الإمامية، فـذكر أصـناف مقـالات الغُلاة إلى أن قال: وقد كان ممن جرَّه الجنون في الغُلُوِّ في عصرنا إسحاقُ بن محمدٍ المعـروف بـالأحمر، كـان يــزعم أن عليًا هو الله عز وجــل، وأنه يظهر في كل وقت فهو الحســـنُ في وقت وكـــذلك هو الحسين، وهو الذي بعث محمدًا.

قــال المصــنف: قلت: وقد اعتقد جماعــةٌ من الرافضة أن أبا بكر وعمر كانا كــافرين، وقــال بعضــهم: ارتــدا بعد مــوت رســول الله ومنهم من يقول بالتبرّي من غير علي.

وقد روينا أن الشــيعة طــالبت زيد بن علي بـالتَّبرُّؤ ممن خـالف عليًا في إمامتـه، فـامتنع من ذلك فرفضوه فسموا الرَّافضة.

ومنهم أقــوام قــالوا: الإمامة فى موسى بن جعفر ثم ابنه علي ثم إلى على بن محمــد، ثم إلى الحسن بن محمد العســكرى ثم إلى ابنه محمــد، وهو الثـانى عشـر، الإمـام المنتظر الـذى يزعمــون أنه لم يمت وأنه يرجع فى آخر الزمـان فيملأ الأرض عدلاً، وكان أبو المنصور العجلى يقول بانتظـار محمد بن على البـاقر ويـدعى أنه خليفـة، وأنه عرج به الى السماء فمسح الـرب بيـده على

رأسه، وزعم أنه الكسف الساقط من السماء.

ومنهم طائفة يقال لها: الجناحية، وهم أصحاب عبد الله بن معاوية عبد الله بن جعفر ذي الجناحين، يقولون: إن روح الإله دارت في أصلاب الأنبياء والأولياء إلى أن انتهى إلى عبد الله، وأنه لم يمت، وهو المنتظر.

ومنهم طائفة يقال لها: الغُرابية يثبتون شركة عليٍّ في النبوة.

وطائفة يقال لها المُفوِّضة يقولون: إن الله عز وجل خلق محمدًا ثم فوَّض خلق العالم إليه.

وطائفة يقال لها الذَّاميَّة: يذُمُّون جبريل، ويقولون: كان مأمورًا بالنُّزول على عليٍّ فنزل على محمد.

ومنهم من يقول: إن أبا بكر ظلم فاطمة ميراثها.

وقد روينا عن السَّفَّاح أنه خطب يومًا فقام رجل من آل علي رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين أَعنِّي على من ظلمني، قال: ومن ظلمك؟ قال: أنا من أولاد علي رضي الله عنه والذي ظلمني أبو بكر رضي الله عنه حين أخذ فدك من فاطمة، قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم. قال: ومن قام بعده؟ قال: عمر رضي الله عنه، قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم، ومن قام

بعده؟ قال: عثمان رضي الله عنه، قال: ودام على ظلمكم؟ قـال: نعم. قـال: ومن قـام بعـده؟ فجعل يلتفت كذا وكذا ينظر مكانًا يهرب إليه.

قـال ابن عقيـل: الظـاهرُ أنَّ مَنْ وضع مـذهب الرافضة قصد الطعن في أصل الـــدين والنبـــوة وذلك أن الذي جاء به رسولُ الله أمرٌ غـائب عنَّا، وإنما نثـــقُ في ذلك بنقـــلِ الســـلفِ وجـــودة نظر النـاظرين إلى ذلك منهم، فكأننا نظرنا إذا نظر لنا من نثقُ بدينه وعقله، فإذا قال قائـلٌ أنهم أول ما بـــدأوا بعد موته بظلم أهل بيته في الخلافة وابنته في إرثها وما هذا إلا لسـوء اعتقـاد في المتـوفى، فإن الاعتقادات الصحيحة سـيما في الأنبيـاء تُـوجبُ حفظ قوانينهم بعدهم لاسيما في أهليهم وذريتهم.

فإذا قالت الرافضة: أن القوم استحلُّوا هذا بعده خـــابت آمالنا في الشـــرع، لأنه ليس بيننا وبينه إلا النقل عنهم والثقة بهم.

فإذا كان هذا محصـول ما حصل لهم بعد موته خِبْنَا في المنقــــــول، وزالت ثقتنا فيما عوَّلنا عليه من اتباع ذوي العقول ولم نـأمن أن يكـون القـومُ لم يـــروا ما يُـوجبُ اتِّباعـهُ فراعـوه مُـدَّة الحيـاة وانقلبـوا عن شـــريعته بعد الوفـــاة، ولم يبق على دينه إلا الأقل من أهلــــه، فطـــاحت الاعتقــــاداتُ، وضعفت النفـوس، عن قبـول الروايـات في الأصل

وهو المعجـــزات، فهـــذا من أعظم المحن على الشريعة.

قـــال المصـــنف: وغلـــوّ الرافضة في حُبِّ علي رضي الله عنه حملهُم على أن وضـــعوا أحـــاديث كثيرة في فضائله أكثرها تشينُهُ وتؤذيه، وقد ذكرت منها جملة في كتاب الموضوعات.

منهـا: أن الشـمس غـابت ففـاتت عليًا صـلاةُ العصر فـرُدَّتْ له الشـمسُ، وهـذا من حيث النقل موضـوعٌ، لم يـروه ثقـة، ومن حيث المعـنى فـإن الـوقت قد فـات وعَوْدُها طلـوعٌ متجـدد فلا يُـراد الوقت.

وكـذلك وضـعوا أن فاطمة اغتسـلت ثم مـاتت وأوصت أن تكتفي بذلك الغُسل

وهذا من حيث النقل كذبٌ، ومن حيث المعـنى قلَّةُ فهمٍ، لأن الغسل عن حـــدث المـــوت فكيف يصـــحُّ قبلـــه. ثم لهم خرافـــاتٌ لا يســـندونها إلى مستند، ولهم مذاهبُ في الفقه ابتدعوها وخرافـات تخالف الإجماع.

فنقلت منها مسـائل من خط ابن عقيـل، قـال: نقلتها من كتـــــاب المرتضى فيما انفـــــردت به الإماميـة. منهـا: أنه لا يجـوز السـجودُ على ما ليس بأرضٍ ولا من نبات الأرض، فأما الصُّـوف والجلـود والوبرُ فلا. وأن الاسـتجمار لا يُجـزئ في البـول بل

في الغائط خاصـــة. ولا يُجــزئ مســحُ الــرأس إلا بباقي البلل الـذي في اليد فـإن اسـتأنف للـرأس بللاً مسـتأنفًا لم يجـزه حـتى لو نشـفت يـده من البلل احتاج إلى استئناف الطهارة. وانفردوا بتحـريم من زُني بها وهي تحت زوجٍ أبـــــــدًا، فلو طلقها زوجها لم تحلَّ للزاني بها بنكاح أبدًا.

وحرَّمُـــوا الكتابيـــات، وأن الطلاق المعلق على شرط لا يقع وإن وُجد شرطُهُ، وأن الطلاق لا يقعُ إلا بحضور شاهدين عدلين.

وأن من نـام عن صـلاة العشـاء إلى أن مضى نصف الليل وجب عليه إذا اســتيقظ القضــاء وأن يصبح صائمًا كفارة لذلك التفريـط، وأن المـرأة إذا جزَّت شعرها فعليها الكفارةُ مثل قتل الخطـأ، وأن من شـــقَّ ثوبه في مـــوت ابن له أو زوجة فعليه كفـارةُ يمين، وأن من تـزوَّج امـرأةً ولها زوجٌ وهو لا يعلمُ لزمـهُ الصـدقة بخمسة دراهم. وأن شـارب الخمر إذا حُدَّ ثانية قُتِلَ في الثالثـة، وَيُحـدُّ شـاربُ الفُقَّاع[1] كشـــارب الخمـــر، وأنَّ قطع الســـارق من أصـول الأصـابع ويبقى له الكـفُّ فـإن سـرق مـرة أخــرى قطعت الرجل اليســرى. فـإن ســرق الثالثة خُلِّد في الحبس إلى أن يموت.

وحرَّمـوا السـمك الجـري وذبـائح أهل الكتـاب،

---

1 (?) الفقاع: شراب الشعير.

واشـترطوا في الـذَّبح اسـتقبال القبلة في مسـائل كثيرة يطول ذكرها خرقوا فيها الإجماع وسوَّل لهم إبليسُ وضعها على وجـهٍ لا يسـتندون فيه إلى أثر ولا قياس، بل إلى الواقعات. ومقابح الرَّافضة أكـثرُ من أن تحصـى، وقد حرمـوا الصـلاة لكـونهم لا يغسـلون أرجلهم في الوضـوء، والجماعة لطلبهم إمامًا معصومًا، وابتُلُوا بسبِّ الصحابة.

وفي الصـحيحين عن رسـول الله صـلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «لا تَسُبُّوا أصـحابي فـإن أحدكُم لو أنفق مثل أُحُدٍ ذهبًا ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»[1].

وقد أخبرنا محمد بن عبد الملك ويحـيى بن علي، قـالا: أخبرنا محمد بن أحمد بن المسـلمة، نا أبو ظاهر المخلص، ثنا البغـوي، ثنا محمد بن عبَّاد المكي، ثنا محمد بن طلحة المـديني، عن عبد الـرحمن بن سـالم بن عبد الله بن عـويم بن ساعدة، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسـول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم: «إن الله اختـارني واختـار لي أصـحابًا فجعل لي منهم وزراء وأنصـارًا وأصـهارًا فمن سـبَّهم فعليه لعنـةُ الله والملائكة والنـاس أجمعين لا يقبـلُ الله منه يـوم القيامة

---

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى فضائل الصحابة (3673)، ومسـلم فى فضـائل الصـحابة (2541/222) من حـديث أبى سعيد الخدرى.

صرفًا ولا عدلاً»[2].

قال المصنف: والمراد بالعدل: الفريضة، والصرف: النافلة.

أَخْبَرَنَا أبو البركات بن علي البزاز، نا أبو بكر الطريثيثي، نا هبة الله بن الحسن الطبري، نا عبيد الله بن محمد بن أحمد، نا علي بن محمد بن أحمد بن يزيد الرِّياحي، ثنا أبي، ثنا الحسن بن عمارة، عن المنهال بن عمرو، عن سويد بن غفلة، قال: مررتُ بنفرٍ من الشيعة يتناولون أبا بكرٍ وعمر رضي الله عنهما وينتقصونهما فدخلت على علي ابن أبي طالب فقلت: يا أمير المؤمنين، مررتُ بنفرٍ من أصحابك يذكرون أبا بكرٍ وعُمر رضي الله عنهما بغير الذي هما له أهلٌ، ولولا أنهم يرون أنَّك تُضمِرُ لهما على مثل ما أعلنوا ما اجترأوا على ذلك.

قال علي: أعوذ ب الله، أعوذ ب الله أن أُضْمِرَ لهما إلا الذي ائتمنني النبيُّ عليه، لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل، أخوا رسول

---

2 (?) ضعيف: أخرجه الطبرانى فى الكبير 17/140، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد 10/17 وقال: «وفيه من لم أعرفه»، والحاكم فى المستدرك 3/632 وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبى، قلت الحديث فى إسناده عبد الرحمن بن سالم وهو مجهول كما فى التقريب (3868).

الله وصاحباه ووزيراه رحمـةُ الله عليهمـا. ثم نهض دامع العيــنين يبكي قابضًــا على يــدي حــتى دخل المسـجد فصـعد المنـبر وجلس عليه مُتمكِّنًا قابضًـا على لحيته وهو ينظر فيها وهي بيضــــاء، حــــتى اجتمع لنا النـاس، ثم قـام فتشـهد بخطبة مـوجزة بليغة، ثم قال: ما بالُ أقوام يذكرون سيِّدي قريشٍ وأبـوي المسـلمين بما أنا عنه مُتـنزِّهٌ، ومما قـالوه بــريءٌ، وعلى ما قــالوا مُعــاقبٌ. أما والــذي فلق الحبَّة وبــرأ النســمة لا يُحبُّهُما إلا مــؤمنٌ تقي ولا يبغضهما إلا فـاجرٌ شـقي، صـحبا رسـول الله على الصدق والوفاء، يأمران وينهيان، ويغضبان ويعاقبان، فما يتجــاوزان فيما يصــنعان رأي رســول الله ولا كان رسول الله يرى غير رأيهما، ولا يحبُّ كحُبِّهما أحـدًا. مضى رسـول الله وهو راضٍ عنهمـا، ومضـيا والمؤمنون عنهما راضون.

أمّرهُ رسـول الله على صـلاة المؤمـنين فصـلى بهم تسـعة أيـام في حيـاة رسـول الله فلما قبض الله نبيه واختار له ما عنده، ولاَّهُ المؤمنـون ذلـك، وفوَّضُوا إليه الزكاة ثم أعطوه البيعة طـائعين غـير مكرهين، وأنا أولُ من سـنَّ له ذلك من بـني عبد المطلب وهو لذلك كارهٌ يود لو أنَّ منا أحدًا كفاه ذلـــك، وكـــان والله خـــير من أبقى أرحمه رحمة وأرأفه رأفة وأســنه ورعًا وأقدمه سِــنًّا وإســلامًا، شبَّههُ رسول الله بميكائيل رأفةً ورحمـةً وبـإبراهيم

عفوًا ووقارًا فسار بسيرة رسـول الله حـتى مضى على ذلك رحمةُ الله عليه.

ثم ولي الأمر بعـده عمر رضي الله عنه وكنتُ فيمن رضي، فأقـام الأمر على منهـاج رسـول الله وصـاحبه، يتبع أثرهما كما يتبع الفصـيل أثر أمـه، وكـان والله رفيقًا رحيمًا بالضـعفاء ناصـرًا للمظلومين على الظالمين، لا يأخذه في الله لومةُ لائمٍ وضرب الله الحقَّ على لسـانه وجعل الصـدق من شأنه حتى إن كُنَّا لنظنُّ أن ملكًا ينطـقُ على لسـانه، أعـزَّ الله بإسـلامه الإسـلام، وجعل هجرتـهُ للـدِّين قوامًـا، وألقى له في قلـوب المنـافقين الرهبة، وفي قلوب المؤمنين المحبة، شبَّهُهُ رسـول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم بجبريل فظًا غليظًا على الأعداء.

فمن لكم بمثلهما رحمـةُ الله عليهمـا، ورزقنا المُضـيَّ في سـبيلهما فمن أحبَّني فليحبهمـا، ومن لم يُحبهُما فقد أبغضـني، وأنا منه بـريء، ولو كنت تقـدمت إليكم في أمرهما لعـاقبت في هـذا أشـدَّ العقوبـة، ألا فمن أُتيتُ به يقـولُ بعد هـذا اليـوم فـإنَّ عليه ما على المفـتري. ألا وخـيرُ هـذه الأمة بعد نبيها أبو بكـرٍ وعمر رضي الله عنهما ثم الله أعلمُ بـالخير أين هـو؟ أقـولُ قـولي وأسـتغفرُ الله لي ولكم.

أَخْبَرَنَا سعد الله بن علي، نا الطريثيثي، نا هبة الله الطبري، نا محمد بن عبد الرحمن، نا البغوي، ثنا سويد بن سعيد، ثنا محمد بن خازم، عن أبي جنابٍ الكلبيِّ عن أبي سليمان الهمداني، عن علي كرم الله وجهه قال: يخرجُ في آخر الزمان قومٌ لهم نبز يقال لهم الرافضة ينتحلون شيعتنا وليسوا من شيعتنا وآيةُ ذلك أنهم يشتمون أبا بكرٍ وعمر رضي الله عنهما، أينما أدركتموهم فاقتلوهم أشدَّ القتل فإنهم مشركون.

ذكر تلبيس إبليس على الباطنية

قال المصنف: الباطنية: قوم تستَّروا بالإسلام ومالوا إلى الرفض، وعقائدهم وأعمالهم تُباينُ الإسلام بالمرَّة، فمحصولُ قولهم تعطيلُ الصانع وإبطال النبوة والعبادات وإنكار البعث، ولكنهم لا يُظهرُون هذا في أول أمرهم، بل يزعُمُون أن الله حقّ وأنَّ محمدًا رسول الله، والدين صحيح، لكنهم يقولون لذلك سِرّ غيرُ ظاهر، وقد تلاعب بهم إبليسُ فبالغ وحسَّن لهم مذاهب مختلفة ولهم ثمانية أسماء:

الاسم الأول: الباطنية: سُمُّوا بذلك لأنهم يدعُون أن لظواهر القرآن والأحاديث بواطن تجري من الظواهر مجرى اللُّبِّ من القشر، وأنها بصورتها توهم الجُهَّال صورًا جليَّة، وهي عند العقلاء رموزٌ

وإشارات إلى حقائق خفية، وأن من تقاعد عقله من الغوص على الخفايا والأسرار والبواطن والأغوار وقنع بظواهرها كانت تحت الأغلال التي هي تكليفاتُ الشرع، ومن ارتقى إلى علم الباطن انحطَّ عنه التكليفُ واستراح من أعبائه.

قالوا: وهم المرادون بقوله تعالى: ﴿**ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم**﴾ [الأعراف: 157]، ومُرادُهم أن ينزعوا من العقائد موجب الظواهر ليقدرُوا بالتحكُّم بدعوى الباطل على إبطال الشرائع.

الاسم الثاني: الإسماعيلية: نُسِبُوا إلى زعيمٍ لهم يقال له محمد بن إسماعيل بن جعفر، ويزعمون أنَّ دور الإمامة انتهى إليه، لأنه سابع، واحتجوا بأنَّ السموات سبعٌ والأرضين سبعٌ وأيام الأسبوع سبعةٌ، فدلَّ على أن دور الأئمة يتمُّ بسبعة، وعلى هذا فيما يتعلق بالمنصور فيقولون: العباس ثم ابنه عبد الله ثم ابنه علي ثم ابنه محمد بن علي ثم إبراهيم ثم السفاح ثم المنصور.

وذكر أبو جعفر الطبري في «تاريخه» قال: قال علي بن محمد، عن أبيه، إن رجلاً من الرَّاوندية كان يقال له الأبلق وكان أبرص. فبكى بالعلو ودعا الرَّاوندية إليه وزعم أن الرُّوح التي كانت في عيسى بن مريم صارت إلى علي ابن أبي طالب

كــرَّم الله وجهــه، ثم في الأئمة واحــدًا بعد واحد إلى أن صارت إلى إبــراهيم بن محمــد، واسـتحلُّوا الحُرُمــات فكــان الرَّجُــلُ منهم يــدعو الجماعة إلى منزلــه، فيطعمهم ويســقيهم ويحملهم على امرأتــه، فبلغ ذلك أسد بن عبد الله فقتلهم وصــــلبهُمْ. فلم يـــزل ذلك فيهم إلى اليـــوم، وعبـــدوا أبا جعفـــرٍ وصعدوا الخضــراء وألقــوا نفوسـهم كـأنهم يطـيرون فلا يبلغون الأرض إلا وقد هلكُوا، وخــرج جمــاعتهم على النَّاس في السِّــلاح وأقبلــوا يصــيحون يا أبا جعفر أنت أنت.

الاسم الثــالث: الســبعيَّةُ: لُقِّبُــوا بــذلك لأمــرين، أحدهما: اعتقادهم أن دور الإمامة سبعةٌ سبعة على ما بيَّنَّا، وأن الانتهــاء إلى الســابع هو آخر الأدوار، وهو المــراد بالقيامــة، وأن تعــاقب هــذه الأدوار لا آخر له. والثـاني: لقـولهم إنَّ تـدبير العـالم السـفلي منُــوطٌ بــالكواكب الســبعة: زُحل ثم المُشــترى ثم المــرِّيخ، ثم الزُّهــرة، ثم الشــمس، ثم عُطــارد، ثم القمر.

الاسم الرابـع: البابكِيَّة: قـال المصـنف: وهو اسـمٌ لطائفة منهم تبعــوا رجلاً يقــال له بابــكُ الخُــرَّميُّ، وكــان من الباطنيــة، وأصــله أنه ولــدُ زنى، فظهر في بعض الجبـــال بناحية أذربيجـــان ســـنة إحـــدى ومــائتين وتبعه خلـــقٌ كثـــير، واســتفحل أمـــرهم، واستباح المحظـورات، وكـان إذا علم أن عند أحـدٍ

بنتًا جميلة أو أختًا جميلة طلبها فإن بعثها إليه وإلا قتله وأخذها، ومكث على هذا عشـرين سـنة فقتل ثمانين ألفًا وقيل خمسة وخمسـين ألفًا وخمسـمائة إنسان، وحاربه السُّلطان وهـزم خلقًا من الجيـوش حـتى بعث المعتصم الأفشـين فحاربـه، فجـاء ببابك وأخيه في سنة ثلاث وعشرين ومائتين، فلما دخلا، قـال لبابك أخـوهُ: يا بابـكُ قد عملت ما لم يعمله أحـدٌ فاصـبر الآن صـبرًا لم يصـبره أحـد، فقـال: سـترى صـبري، فـأمر المعتصـمُ بقطع يديه ورجليه فلما قطعـوا مسح بالـدم وجهـه، فقـال المعتصـمُ: أنت في الشجاعة كذا وكـذا، ما بالك قد مسـحت وجهك بالـدَّم أجزعًا من المـوت؟ فقـال: لا، ولكنّي لما قطعت أطـرافي نـزف الـدَّمُ، فخفتُ أن يُقـال عــني إنه اصْـفَرَّ وجهه جزعًا من المــوت، قــال: فيظنُّ ذلك بي فســترتُ وجهي بالــدم كيلا يُــرى ذلك مــني، ثم بعد ذلك ضــربت عنقُــهُ وأُضــرمت عليه النــارُ، وفُعِل مثل ذلك بأخيــه، فما فيهما مَن صاح ولا تأوَّه ولا أظهر جزعًا، لعنهما الله.

وقد بقي من البابكيِّة جماعةٌ يقال إنَّ لهم ليلةً في السَّنة تجتمع فيها رجالُهُمْ ونسـاؤهُم ويُطفئـون السُّرُج ثم يتناهضون للنساء فيثبُ كُـلُّ رجـلٍ منهم إلى إمـرأة، ويزعمـون أن من احتـوى على امـرأةٍ يستحلُّها بالاصطياد لأن الصيد مُباحٌ.

الاسم الخـامس: المُحمِّرةُ: قـال المصـنف: سُـمُّوا

بـذلك لأنهم صـبغوا ثيـابهم بـالحمرة في أيـام بابك ولبسوها.

الاسم السادس: القرامطة: قال المصنف: وللمؤرخين في سبب تسميتهم بهذا قولان:

أحدهما: أن رجلاً من ناحية خوزستان قَدِمَ سواد الكوفة فأظهر الزهد ودعا إلى إمام من أهل بيت الرسول ونزل على رجل يقال له كرميتة لُقِّب بهذا لحمرة عينيه وهو بالنَّبطية حاد العين، فأخذه أمير تلك الناحية فحبسه وترك مفتاح البيت تحت رأسه ونام، فرقَّت له جاريةٌ فأخذت المفتاح ففتحت البيت وأخرجته وردَّت المفتاح إلى مكانه، فلما طُلِب فلم يُوجد زاد افتتانُ الناس به فخرج إلى الشام فسمي: كرميتة باسم الذي كان نازلاً عليه ثم خفف فقيل قُرْمط ثم توارث مكانه أهله وأولاده.

والثاني: أن القوم لُقِّبُوا بهذه نسبةً إلى رجلٍ يقال له حمدان قرمط، كان أحد دعاتهم في الابتداء، فاستجاب له جماعة فسُمُّوا قرامطة وقرمطية، وكان هذا الرجل من أهل الكوفة وكان يميل إلى الزُّهد فصادفه أحدُ دعاة الباطنية في فريق وهو متوجه إلى قرية وبين يديه بقرٌ يسوقها، فقال حمدان لذلك الرَّاعي وهو لا يعرفُهُ: أين مقصدُك؟ فذكر قرية حمدان، فقال له: اركب

بقــرةً من هــذه لئلا تتعب، فقــال: إني لم أؤمر بـذلك، فقـال: وكأنَّك لا تعمـلُ إلا بـأمرٍ، قـال: نعم. قال: وبأمر مَنْ تعمـلُ؟ قـال: بـأمر مـالكي ومالكك ومالك الدنيا والآخرة، فقـال: ذلك إذن هو الله ربُّ العـالمين. فقـال: صـدقت. قـال لـه: فما غرضُـك في هـذه القرية الـتي تقصـدُها؟ قـال: أُمِـرْتُ أن أدعو أهلها من الجهل إلى العلم، ومن الضـــــلالة إلى الهدى، ومن الشَّقاء إلى السـعادة، وأن اسـتنقذهم من ورطات الذُّلِّ والفقر، وأملّكهم ما يستغنون به عن الكـدِّ. فقـال له حمـدان: أنقـذني أنقـذك الله وأفضْ عليَّ من العلم ما تُحييـــني به فما أشـــدَّ احتياجي إلى مثل هـذا. فقـال: ما أُمـرتُ أن أُخـرج السـرَّ المخـزون إلى كـلِّ أحـدٍ إلا بعد الثقة به والعهد إليـه، فقـال: اذكر عهـدك فـإني ملـتزمٌ بـه، فقـال لـه: أن تجعل لي وللإمـام على نفسك عهد الله وميثاقهُ ألا تُخرج سِرَّ الإمام الـذي أُلْقِيـهِ إليك ولا تُفْشِ سِـرِّي أيضًـا، فـالتزم حمـدان عهـده، ثم اندفع الدَّاعي في تعليمه فنون جهله حتى استغواه فاسـتجاب له ثم انتـدب للـدُّعاء، وصـار أصـلاً من أصـــول هـــذه البدعة فسُـــمِّي أتباعـــهُ القرامطة والقرمطيَّة.

ثم لم يزل بنـوه وأهله يتوارثـون مكانـه، وكـان أشدَّهم بأسًـا رجـلٌ يقـال له أبو سـعيد، ظهر في سنة ستٍ وثمانين ومائتين، وقـوي أمـره، وقتل ما

لا يحصى من المسلمين، وخرَّب المساجد، وأحـرق المصـاحف، وفتك بالحـاجّ، وسـنَّ لأهله وأصـحابه سـننًا، وأخـبرهم بمحـالات، وكـان إذا قاتل يقـول: وُعِـدْتُ النصر في هـذه السـاعة، فلما مـات بنـوا على قـبره قُبَّةً وجعلـوا على رأسـها طـائرًا من جص.

وقالوا: إذا طار هذا الطائر خـرج أبو سـعيد من قـبره، وجعلـوا عند القـبر فرسًـا وخلعة ثيـاب وسـلاحًا. وقد سـوَّل إبليسُ لهـذه الجماعة أنه من مـات وعلى قـبره فـرسٌ حُشر راكبًا وإن لم يكن له فرسٌ حُشِرَ ماشيًا.

وكـان أصـحابُ أبي سـعيد يصـلّون عليه إذا ذكـروه ولا يصـلّون على رسـول الله فـإذا سـمعوا من يصـلي على رسـول الله يقولـون: أتأكـلُ رزق أبي سعيد وتصلي على أبي القاسم.

وخلَّف بعـده ابنه أبا طـاهر ففعل مثل فعله وهجم على الكعبة فأخذ ما فيها من الـذَّخائر وقلع الحجر الأسود، فحمله إلى بلده، وأوهم النـاس أنه الله عز وجل.

الاسم السابع: الخُرَّميَّةُ: وخُرَّم لفظ أعجمي ينـبي عن الشـيء المُسـتلذِّ المُسـتطاب الـذي يرتـاحُ الإنسـانُ لـه. ومقصـود هـذا الاسم تسـليطُ النـاس على اتِّبـاع اللـذَّات وطلب الشـهوات كيف كـانت،

وطيٌّ بساط التكليف وحطٌّ أعباء الشرع عن العباد، وقد كان هذا الاسم لقبًا للمزدكية، وهم أهل الإباحة من المجوس الذين شنعوا في أيام قُبَاذَ وأباحوا النِّساء المُحرَّمات، وأحلُّوا كلَّ محظور، فسموا هؤلاء بهذا الاسم لمشابهتهم إياهم في نهاية هذا المذهب وإن خالفوهم في مقدماته.

الاسم الثامن: التعليمية: لُقِّبُوا بذلك لأنَّ مبدأ مذهبهم إبطالُ الرأي وإفسادُ تصرُّف العقول ودعاء الخلق إلى التعليم من الإمام المعصوم وأنه لا يدرك العلوم إلا بالتعليم.

نقد مذهب الباطنية في ذكر السبب الباعث لهم على الدخول في هذه البدعة

قال المصنف: اعلم أنَّ القوم أرادوا الانسلال من الدين فشاوروا جماعة من المجوس والمزدكية والثنوية وملحدة الفلاسفة في استنباط تدبيرٍ يُخفِّفُ عنهم ما نابهم من استيلاء أهل الدين عليهم حتى أخرسوهم عن النُّطق بما يعتقدونه من إنكار الصانع وتكذيب الرُّسُل وجحد البعث وزعمهم أنَّ الأنبياء مُمخرقُون ومُنمِّسُون[1].

ورأوا أمر محمد قد استطار في الأقطار وأنهم قد عجزوا عن مقاومته، فقالوا: سبيلنا أن ننتحل

1 (?) ممخرقون: أى مكذبون مموهون. ومنمسون: أى ملبسون على الناس الحق بالباطل.

عقيـدة طائفـةٍ من فـرقهم أركِّهم عقلاً وأحمقهم رأيًا وأقبلهم للمُحـالات والتصـديق بالأكـاذيب: وهم الروافضُ، فنتحصَّـن بالانتسـاب إليهم، ونتـودد إليهم بـالحزن على ما جـرى على آلِ محمـدٍ من الظلم والـذل، ليُمكننا شـتمُ القـدماء الـذين نقلـوا إليهم الشريعة، فـإذا هـان أولئك عنـدهم لم يلتفتـوا إلى ما نقلـوا، فـأمكن اسـتدراجهم إلى الانخـداع عن الـدين، فـإن بقي منهم معتصـمٌ بظـواهر القـرآن والأخبـار أوهمنـاه أن تلك الظـواهر لها أسـرارٌ وبـواطنُ وأنَّ المُنخـدع بظواهرها أحمـقُ، وإنما الفطنةُ في اعتقاد بواطنها، ثم نَبُثُّ إليهم عقائـدنا، ونـزعم أنها المـرادُ بظواهرها عنـدكم، فـإذا تكثرنا بهؤلاء سَهُل علينا استدراجُ باقي الفرق.

ثم قـالوا: وطريقنا أن نختـار رجلاً ممن يسـاعدُ على المـذهب ويـزعُمُ أنه من أهل الـبيت، وأنه يجب على كـلِّ الخلق كافة متابعتُـهُ، ويتعينُ عليهم طاعتُـهُ لكونه خليفة رسـول الله والمعصـوم من الخطأ والزلل من جهة الله عز وجل، ثم لا تظهر هـذا الـدعوة عن القـرب من جـوار هـذا الخليفة الـذي وسـمناه بالعصـمة، فـإنّ قُـرْب الـدار يهتـكُ الأستار.

وإذا بعدت الشُّقَّةُ وطالت المسافةُ، فمتى يقـدر المسـتجيب للـدعوة أن يُفتِّش عن حـال الإمـام أو يطَّلع على حقيقة أمره، وقصدهم بهـذا كلِّه المُلـكُ

والاستيلاءُ على أموال الناس، والانتقام منهم لما عاملوهم به من سفك دمائهم ونهب أموالهم قديمًا، فهذا غايةُ مقصودهم ومبدأُ أمرهم.

(فصل):

قال المصنف: وللقوم حِيَلٌ في استذلال الناس فهم يميزون من يجوز أن يُطمع في استدراجه ممن لا يطمع فيه، فإذا طمعوا في شخص نظروا في طبعِهِ، فإذا كان مائلاً إلى الزهد دعوه إلى الأمانة والصدق وترك الشهوات، وإن كان مائلاً إلى الخلاعة قرروا في نفسه أن العبادَة بلهٌ، وأن الورع حماقةٌ، وإنما الفِطنَةُ في اتباع اللَّذَّاتِ من هذه الدنيا الفانية.

ويثبتون عند كل ذي مذهب ما يليقُ بمذهبه ثم يُشكِّكُونهُ فيما يعتقدُهُ، فيستجيب لهم: إما رجُلٌ أبلهُ أو رجلٌ من أبناء الأكاسرة وأولاد المجوس ممن قد انقطعت دولةُ أسلافه بدولة الإسلام أو رجلٌ يميل إلى الاستيلاء ولا يساعده الزمان فيعدُونهُ بنيلِ آماله، أو شخصٌ يحب التَّرفُّع عن مقامات العوامِّ ويرُومُ بزعمه الاطِّلاع على الحقائق، أو رافضيٌ يتديَّن بسبِّ الصحابة رضي الله عنهم، أو ملحدٌ من الفلاسفة والثنوية والمتحيرين في الدِّين، أو من قد غلب عليه حُبُّ اللَّذَّات، وثقُلَ عليه التكليفُ.

(فصل) ذكر نبذة من مذاهبهم

قال أبو حامد الطُّوسي: الباطنيةُ قومٌ يدَّعُون الإسلام ويميلون إلى الرفض، وعقائدهم وأعمالهم تُباينُ الإسلام. فمن مذهبهم: القول بإلهين قديمين لا أوَّل لوجودهما من حيثُ الزمان إلا أن أحدهما علَّةٌ لوجود الثاني. قالوا: والسابقُ لا يُوصَفُ بوجودٍ ولا عدم ولا هو موجود ولا هو معدوم ولا هو معلوم ولا هو مجهول، ولا هو موصوف ولا غير موصوف وحدث عن السابق الثاني، وهو أول مبدع. ثم حديث النفس الكلية.

وعندهم أنَّ النبيَّ عبارةٌ من شخصٍ فاضت عليه من السابق بواسطة الثاني قوةٌ قُدُسيَّة صافية، وزعموا أن جبريل عبارة عن العقل الفائض عليه لا أنه شخص.

واتفقوا على أنه لا بدَّ لكل عصرٍ من إمامٍ معصوم قائمٍ بالحق، يُرجعُ إليه في تأويل الظواهر مساوٍ للنبيِّ في العصمة، وأنكروا المعاد وقالوا: معنى المعاد عودُ الشيء إلى أصله وتعود النفس إلى أصلها. وأما التكليف؛ فالمنقول عنهم الإباحةُ المطلقة واستباحة المحظورات وقد ينكرون هذا إذا حكي عنهم وإنما يقرون بأنه لا بدَّ للإنسان من التكليف، فإذا اطلع على بواطن الظواهر ارتفعت التكاليفُ.

ولما عجـزُوا عن صـرف النـاس عن القـرآن والسـنة صـرفوهم عن المـراد بهما إلى مخـاريق زخرفوها إذْ لو صـرَّحُوا بـالنفي المحض لَقُتِلـوا. فقـالوا: معـنى الجنابـة: مبـادرة المسـتجيب بإفشـاء السـر. ومعـنى الغُسْـل: تجديد العهد على مَنْ فعل ذلك، ومعنى الزنـا: إلقـاءُ نطفـةِ العلم البـاطن في نفس مَنْ لم يسـبق معه عقْـدُ العهـد، والصِّـيام: الإمسـاكُ عن كشف السـر، والكعبـة: هي النـبي، والبـاب: علي، والطُّوفـان: طُوفـان العلم أُغـرق به المتمسـكون بالشُّـبهة والظـواهر، والسـفينة: الحِـرْزُ الذي يُحصَّنُ به من استجاب لدعوته. ونار إبـراهيم: عبـارة عن غضب نمـروذ لا عن نـار حقيقيـة. وذَبحُ إسـحاق معنـاه أخـذه العهد عليـه. وعصا موسـى: حُجَّته ويأجوج ومأجوج: هم أهل الظاهر.

وذكر غـيره أنهم يقولـون: إن الله عز وجل لما أوجد الأرواح ظهر لهم فيما بينهم كهُم فلم يشُكُّوا أنه واحدٌ منهم فعرفـوه، فـأول من عرفـهُ سـلمانُ الفارسيُّ، والمقدادُ، وأبو ذر، وأولُ المنكـرين الـذي يسـمى إبليس: عمر بن الخطـاب، في خرافـاتٍ ينبغي أن يُصان الوقتُ العزيز عن التضييع بذكرها.

ومثل هـؤلاء لم يتمسـكوا بشـبهة فتكُـون معهم منـاظرةٌ وإنما اخـترعوا بواقعـاتهم ما أرادوا، فـإن اتفقت منـاظرةٌ لأحـدهم فليقل لـه: أعـرفتُم هـذه الأشياء الـتي تـذكرونها عن ضـرورة، أو عن نظـر،

أو عن نقل عن الإمــام المعصــوم؟ فــإن قلتم: ضرورة، فكيف خالفكُم ذوو العُقـول السـليمة، ولو ساغ للإنسان أن يهذي بـدعوى الضـرُورة في كـلِّ ما يهواه جـاز لخصـمه دعـوى الضـرورة في نقض ما ادَّعَاهُ، وإن قلتم بالنظر فـالنظرُ عنـدكم باطـل، لأنه تصرُّفٌ بالعقل وقضايا العقول عندكم لا يُوثــقُ بها، وإن قلتم: عن إمـامٍ معصـوم، قلنـا: فما الـذي دعـاكم إلى قبـول قوله بلا معجـزة، وتـرك قــولِ محمد مع المعجـزات. ثم ما يـؤمنكم أن يكـون ما سمع من الإمام المعصوم له باطن غير ظاهر.

ثم يقــال لهم: هــذه البــواطن والتــأويلات يجبُ إخفاؤها أم إظهارهــا؟ فــإن قــالوا: يجب إظهارهــا، قلنــا: فَلِمَ كتمها محمــدٌ وإن قــالوا: يجب إخفاؤُهــا، قلنا: ما وجب على الرسول إخفاؤه كيف حـلَّ لكم إفشاؤُهُ.

قال ابن عقيل: هلك الإســلام بين طــائفتين: بين الباطنية والظاهرية.

فأما أهلُ البواطن فإنهم عطَّلوا ظـواهر الشـرع بما ادعوه من تفاسيرهم التي لا برهان لهم عليها حــتى لم يبق في الشَّــرْع شــيءٌ إلا وقد وضــعوا وراءه معنى حتى أسقطوا إيجـاب الـواجب، والنهي عن المنهي.

وأما أهل الظــاهر فــإنهم أخــذوا بكل ما ظهر

مما لا بد من تأويلـه، فحملـوا الأسـماء والصـفات على ما عقلــوه، والحــقُّ بين المنزلــتين، وهو أن نأخذ بالظـاهر ما لم يصـرفنا عنه دليـلٌ، ونـرفض كل باطن لا يشهدُ به دليلٌ من أدلَّة الشَّرع.

قــال المصـنف: ولو لقيتُ مُقــدَّم هــذه الطائفة المعروفة بالباطنية لم أكن ســــــالكًا معه طريق العلم، بل التـــوبيخ والازدراء على عقله وعقـــول أتباعه، بأن أقـول: إن للآمـال طرقًا تُسـلكُ ووجوهًا تُوصلُ، ووضعُ الأمل في وجه اليأس حُمْقٌ.

ومعلوم أن هـذه الملل الـتي قد طبقت الأرض أقربُها شـــريعةُ الإســلام الــتي تتظــاهرون بهــا، وتطمعــون في إفســادها قد تمكَّنت تمكنًا يكــون الطمع في تمحيقها فضــلاً عن إزالتها حُمْقًــا، فلها مجمـعٌ كـلَّ سـنةٍ بعرفـة، ومجمـعٌ كل أسـبوعٍ في الجوامــع، ومجمـعٌ كل يــوم في المســاجد. فمــتى تحدثكم نفوسكم بتكدير هــذا البحر الزاخر وتمحيق هذا الأمر الظاهر: في الآفـاق يُـؤذَّنُ كل يـومٍ على ما بين ألــوف المنــابر بأشــهد أن لا إله إلَا الله وأشهد أن محمدًا رسول اللــه، وغاية ما أنتم عليه حــديثٌ في خلــوة، أو متقــدم في قلعــة: إن نبس بكلمةٍ رُمِي رأسه وقُتل قَتْلَ الكلاب.

فمتى يُحدِّثُ العاقل منكم نفسه بظهور ما أنتم عليه على هـذا الأمر الكلي الـذي طبَّق البلاد، فما

أعـــــرفُ أحمق منكم إلى أن يجيء إلى بـــــاب المناظرة بالبراهين العقلية.

قال المصنف: والتهبت جمرة الباطنية المتـأخرين في سـنة أربع وتسـعين وأربعمائة فقتل السـلطان جلال الدولة بَرْقْيارُقُ خلقًا منهم لما تحقَّق مذهبهم فبلغت عـدة القتلى ثلاثمائة ونيفًا وتُتُبِّعت أمــوالُهُم فوُجد لأحـــدهم ســبعون بيتًا من اللآلئ المحفــور وكتب بذلك كتابٌ إلى الخليفة: فتقدم بالقبض على قوم يظن فيهم ذلك المذهب ولم يتجاسر أحدٌ أن يشفع في أحـدٍ لئلا يُظنَّ ميلُـهُ إلى ذلك المـذهب، وزاد تتبـعُ العـوامِّ لكـلِّ من أرادوا، وصـار كـلُّ من في نفسه شـيء من إنسـان يرميه بهـذا المـذهب فيُقصِيه وينهبُ ماله.

وأول ما عُــرِف من أحــوال الباطنيَّة في أيــام الملك شـاه جلال الدولــة، أنهم اجتمعــوا فصــلوا صـــلاة العيد في ســـاوة، ففطن بهم الشـــحنة، فأخذهم وحبسهم ثم أطلقهم، ثم اغتالوا مؤذنًا من أهل سـاوة فاجتهــدوا أن يــدخل معهم فلم يفعل فخافوه أن ينمَّ عليهم، فاغتالوه فقتلوه، فبلغ الخبر إلى نظــام المُلك فتقــدَّم يأخذ من يُتهمُ فيقتلــه، فقتل المتهم وكـان نجـارًا، وكـانت أول فتكـةٍ لهم فتكهم بنظــام الملــك، وكــانوا يقولــون: قتلتم منا نجارًا فقتلنا به نظام الملك.

واستفحل أمرهم بأصبهان فلما مات الملك شاه، وآل الأمر إلى أنهم كانوا يسرقون الإنسان ويقتلونه ويلقونه في البئر، وكان الإنسان إذا دنا وقتُ العصر ولم يعد إلى منزله أيسُوا منه، وفتش الناس المواضع فوجدوا امرأة في دار لا تبرح فوق حصير، فأزالوها فوجدوا تحت الحصير أربعين قتيلاً، فقتلوا المرأة وأحرقوا الدار والمحلة.

وكان يجلس رجلٌ ضريرٌ على باب الزُّقاق الذي فيه هذه الدار، فإذا مر إنسانٌ سأله أن يقودهُ خُطُوات إلى الزقاق فإذا حصل هناك جذبهُ من في الدار واستولوا عليه، فجدَّ المسلمون في طلبهم بأصبهان وقتلوا منهم خلقًا كثيرًا.

وأولُ قلعةٍ تملَّكها الباطنية قلعة في ناحية يقال لها الرُّوذَبارُ من نواحي الدَّيْلَم وكانت هذه القلعة لقماح صاحب ملكشاه وكان يستحفظها متهمًا بمذهب القوم، فأخذ ألفًا ومائتي دينار وسلم إليهم القلعة في سنة ثلاث وثمانين في أيام ملكشاه وكان مقدمها الحسنُ بن الصباح وأصله من مرو، وكان كاتبًا للرئيس عبد الرزاق بن بُهرام إذ كان صبيًا ثم ذهب إلى مصر، وتلقى من دعاتهم المذاهب، وعاد داعية القوم ورأسًا فيهم، وحصلت له هذه القلعة وكانت سيرته في دعاته ألا يدعو إلا غبيًا لا يفرقُ بين يمينه وشماله مثلاً ومن لا يعرف أمور الدنيا، ويطعمه الجوز والعسل

والشُّونيز[1] حتى ينبسط دماغُهُ ثم يذكرُ له حينئذٍ ما تمَّ على أهل بيت المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعليهم من الظلم والعُدوان حتى يستقرَّ ذلك في نفسه، ثم يقول: إذا كانت الأزارقةُ والخوارجُ سمحوا بنفوسهم في قتال بني أميَّة فما سبب بُخلِكَ بنفسك في نُصْرَةِ إمامك فيترُكُه بهذه المقالة طُعمةً للسيف.

وكان ملكْشاه قد أرسل إلى ابن الصباح يدعوه إلى الطاعة ويتهدده إن خالفه ويأمره بالكفِّ عن بثِّ أصحابه لقتل العلماء والأمراء، فقال في جواب الرسالة والرسولُ حاضرٌ: الجوابُ ما تراه. ثم قال لجماعة وقوفٍ بين يديه: أريد أن أُنفذكُمْ إلى مولاكم في حاجة فمن ينهضُ لها؟ فاشرأبَّ كل منهم لذلك، فظنَّ رسولُ السلطان أنها رسالةٌ يُحمِّلُها إياهم، فأومأ إلى شابَ منهم فقال: اقتل نفسك، فجذب سكِّينهُ وضرب بها غلصمتهُ[2] فخرَّ ميتًا، وقال لآخر: ارم نفسك من القلعة، فألقى نفسه فتمزَّق، ثم التفت إلى رسول السُّلطان فقال: أخبرهُ أن عندي من هؤلاء عشرين ألفًا هذا حَدُّ طاعتهم لي وهذا هو الجواب، فعاد الرسولُ

---

1 (?) الشونيز: الحبة السوداء، وهى المعروفة بحبة البركة.

2 (?) الغلصمة: صفيحة غضروفية عند أصل اللسان، سرجية الشكل، مغطاة بغشاء مخاطى، وتنحدر إلى الخلف لتغطية فتحة الحنجرة لإقفالها فى أثناء البلع. والجمع: غلاصم.

إلى السُّلطان ملكشاه فأخبره بما رأى فعجب من ذلك وترك كلامهُمْ، وصارت بأيديهم قلاعٌ كثيرة، ثم قتلوا جماعة من الأمراء والوزراء.

قال المصنف: وقد ذكرنا من صفة القوم في التاريخ أحوالاً عجيبة فلم نر التطويل بها هنا.

وكم من زنديقٍ في قلبه حِقْدٌ على الإسلام خرج فبالغ واجتهد فزخرف دعاوى يلقى بها من يصحبُهُ، وكان غورُ مقصدِهِ في الاعتقاد الانسلال من ربقةِ الدِّين، وفي العمل نيل الملذَّات واستباحة المحظورات، فمنهم بابكُ الخُرَّميُّ حصل له مقصوده من اللذَّات ولكن بعد أن قتل النّاس وبالغ في الأذى، ثم بالقرامطة، وصاحب الزَّنج الذي خرج فاستغوى المماليك السودان ووعدهم الملك، فنهب وفتك وقتل وبالغ، وكانت عواقبهُمْ في الدُّنيا أقبح العواقب، فما وفى ما نالوا بما نيل منهم، ومنهم مَنْ لم يبرح على تعثيره ففاتته الدّنيا والآخرة مثل ابن الرَّاوندي والمعرِّي.

أنبأنا محمد بن أبي طاهر، عن أبي القاسم علي بن المُحسِّن التَّنُوخي، عن أبيه، قال: كان ابن الرَّاوندي مُلازِم الرافضة وأهل الإلحاد، فإذا عُوتِب قال: إنما أُريدُ أن أعرف مذاهبهم ثم كاشف وناظر.

قال المصنف: من تأمَّل حال ابن الراوندي

وجـــده من كبـــار المُلحـــدة وصـــنَّف كتابًا ســـماه «الدَّامغ»، زعم أنه يدمغ به هذه الشّريعة. فسبحان من دمغـهُ فأخـذه وهو في شـرخ الشـباب، وكـان يعترض على القـرآن ويـدعي عليه التنـاقض وعـدم الفصاحة، وهو يعلم أن فصحاء العرب تحيَّرت عند سـماعه فكيف بـالألكن؟!، وأما أبو العلاء المعـرِّي فأشـعاره ظـاهرة الإلحـاد، وكـان يبـالغ في عـداوة الأنبيـــاء ولم يـــزل متخبطًا في تعثـــيره خائفًا من القتل إلى أن مات بخسرانه.

وما خلا زمانٌ من خلف للفريقين إلا أن جمرة المنبسطين قد خبت بحمد الله.

فليس إلا باطني مسـتترٌ ومتفلسِـفٌ متكـاتمٌ هو أعثرُ النـاس وأخسـأُهُمْ قـدرًا، وأردأُهُمْ عيشًـا، وقد شـرحنا أحـوال جماعة من الفـريقين في التـاريخ فلم نر التطويل بذلك والله الموفق.

الباب السادس في ذكر تلبيس إبليس على العلماء في فنون العلم

قـــال المصـــنف: اعلم أن إبليس يـــدخل على الناس في التلـبيس من طـرق منهـا: ظـاهر الأمـر، ولكن يغلب الإنسـان في إيثـار هـواه فيغمض على علم يذللــه. ومنهــا: غــامض وهو الــذي يخفى على كثير من العلماء.

ونحن نشـــير إلى فنـــون من تلبيسه يســـتدل

بمــذكورها على مُغفلها إذ حصــرُ الطــرق يطــولُ والله العاصم.

ذكر تلبيسه على القراء

فمن ذلك أن أحدهم يشتغل بـالقراءات الشَّـاذة وتحصيلها، فيفني أكثر عمره، في جمعها، وتصنيفها والإقــراء بها ويشــغله ذلك عن معرفة الفــرائض والواجبات، فربما رأيت إمام مسجد يتصدَّى للإقراء ولا يعــرف ما يُفْسِــدُ الصَّــلاة، وربما حمله حُبُّ التصدر حـتى لا يـرى بعين الجهل على أن يجلس بين يــدي العلمــاء ويأخذ عنهم العلم، ولو تفكــروا لعلموا أن المراد حفظ القـرآن وتقـويم ألفاظه ثم فهمه ثم العمل به ثم الإقبـــال على ما يصـــلح النفس ويطهر أخلاقها ثم التشـــاغل بـــالمهم من علوم الشرع، ومن الغُ بن الفاحش تضييعُ الزمــان فيما غيرُهُ الأهمُّ.

قـال الحسن البصـري: أُنـزل القـرآنُ ليعمل بـه، فاتخذ الناس تلاوته عملاً، يعني أنهم اقتصـروا على التلاوة وتركــوا العمل بــه، ومن ذلك أن أحــدهم يقرأ في محرابه بالشاذِّ ويترك المتـواتر المشـهور، والصــحيح عند العلمــاء أن الصــلاة لا تصح بهــذا الشاذ وإنما مقصود هذا إظهـار الغـريب لاسـتجلاب مـدح النـاس وإقبـالهم عليـه، وعنـده أنه متشـاغل بـالقرآن، ومنهم من يجمع القـراءات فيقـول: مَلِـكِ،

مالِكِ، ملاك وهذا لا يجوز لأنه إخـراج للقـرآن عن نظمه.

ومنهم من يجمع السَّـــــــــجدات والتَّهليلات والتَّكبيرات وذلك مكروه.

وقد صــاروا يوقــدون النــيران الكثــيرة للختمة فيجمعــون بين تضــييع المــال والتشــبه بــالمجوس والتســبب إلى اجتمــاع النســاء والرجــال بالليل للفساد. ويُريهم إبليسُ أن في هذا إعزازًا للإســلام، وهـذا تلـبيسٌ عظيم لأن إعـزاز الشـرع باسـتعمال المشروع.

ومِنْ ذَلِكَ أنَّ منهم من يتسامحُ بادِّعـاء القـراءة على من لم يقرأ عليه وربما كانت له إجازة منه، فقـال أخبرنا تدليسًـا وهو يـرى أن الأمر في ذلك قــريب لكونه يــروي القــراءات ويراها فِعل خــير، وينسى أن هذا كذب يلزمه إثمُ الكذَّابين.

ومِنْ ذَلِـكَ أن المقـرئ المُجيد يأخذ على اثـنين وثلاثة ويتحــــدث مع من يـــدخل عليه والقلبُ لا يُطيـقُ جمع هـذه الأشـياء، ثم يكتبُ خطَّهُ بأنه قد قرأ على فلان بقراءة فلان.

وقد كـــان بعض المحققين يقــــول: ينبغي أن يجتمع اثنان أو ثلاثة ويأخـذوا على واحد ومن ذلك أن أقوامًا من القُرَّاء يتبارون بكثرة القراءة.

وقد رأيت من مشــــايخهم من يجمع النـــاس

ويقيم شخصًا ويقرأ في النهار الطويل ثلاث ختمات فإن قصَّر عيب وإن أتمَّ مُدح، وتجتمع العوامُّ لذلك ويحسنونه كما يفعلون في حق السُّعاة ويريهم إبليسُ أن في كثرة التلاوة ثوابًا، وهذا من تلبيسه لأن القراءة ينبغي أن تكون لله تعالى لا للتحسين بها، وينبغي أن تكون على تمهُّلٍ، وقال عزَّ وجل: ﴿**لتقرأه على الناس على مكث**﴾ [الإسراء: 106]، وقال عز وجل: ﴿**ورتل القرآن ترتيلا**﴾ [المزمل: 4]، ومن ذلك أن جماعة من القراء أحدثوا قراءة الألحان وقد كانت إلى حد قريب. وعلى ذلك فقد كرهها أحمد بن حنبل وغيره ولم يكرها الشافعي.

أنبأنا محمد بن ناصر، نا أبو علي الحسين بن سعد الهمذاني، نا أبو بكر أحمد بن علي بن لال، ثنا الفضل بن الفضل، ثنا السَّاجي، ثنا الرَّبيع بن سليمان قال: قال الشافعي: أما استماعُ الحِدَاء ونشيدُ الأعراب فلا بأس به، ولا بأس بقراءة الألحان وتحسين الصوت.

قال المصنف: وقلت: إنما أشار الشافعي إلى ما كان في زمانه وكانوا يلحنون يسيرًا، فأما اليوم فقد صيَّروا ذلك على قانون الأغاني وكلما قرُب ذلك من مشابهةِ الغناء زادتْ كراهته.

فإن أُخرِجَ القرآنُ عن حدِّ وضعه حَرُمَ ذلك،

ومن ذلك أن قومًا من القـراء يتسـامحون بشـيء من الخطايا كالغيبة للنظـراء، وربما أتـوا أكـبر من ذلك الذنب واعتقـدوا أن حفظ القـرآن يرفع عنهم العـذاب واحتجـوا بقوله عليه الصلاة والسـلام: «لو جُعِـلَ القـرآن في إهـابٍ ما احـترق»[1]. وذلك من تلبيس إبليس عليهم لأنَّ عذاب مَنْ يعلم أكثر من عـذاب من لم يعلم، إذ زيـادةُ العِلم تُقـوِّي الحُجَّة، وكون القارئ لم يحـترم ما يحفظ ذنبٌ آخـر. قـال الله عـزَّ وجـلَّ: ﴿**أفمن يعلم أن ما أنـزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى**﴾ [الرعـد: 19]. وقـال في أزواج رسـول اللـه: ﴿**من يـأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضـعفين**﴾ [الأحزاب: 30].

وقد أخبرنا أحمد بن أحمد المتـــوكلي، نا أحمد بن علي بن ثـابت، نا أبو الحسن ابن رزقويـه، نا إسماعيل الصَّفَّار، ثنا زكريا بن يحـيى، ثنا معـروف الكـرخي، قـال: قـال بكر بن خُـنيس: إن في جهنم لواديًا تتعوَّذُ جهنمُ من ذلك الوادي كُـلَّ يـومٍ سـبع

1 (?) ضعيف: أخرجه أحمد فى المسند 4/151، 155، وأبو يعلى فى مصنفه 3/284، من حديث عقبة بن عامر، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد 7/158 وقـــــال: «وفيه ابن لهيعة وفيه خلاف».
وأخرجه الطـبرانى فى الكبـير 17/186 من حـديث عصـمة وقـال الهيثمى فى مجمع الزوائد 7/158: «وفيه الفضل بن المختــار وهو ضعيف».

مرَّاتٍ، وإن في الـوادي لَجُبًّا يتعـوذ الـوادي وجهنمُ من ذلك الجُبِّ كـلَّ يـومٍ سـبع مـرَّاتٍ، وإن في الجُبِّ لحيَّةً يتعـوذُ الجُبُّ والـوادي وجهنمُ من تلك الحيَّة كـلَّ يـوم سـبع مـرّاتٍ، يُبـدأُ بفسـقة حملة القـرآن فيقولـون: أي ربّ يُبـدأُ بنا قبل عبـدة الأوثان، فقيل لهم: ليس من يعلمُ كمن لا يعلم.

قال المصنف: فلنقتصر على هـذا الأنمـوذج فيما يتعلق بالقراء.

ذكر تلبيس إبليس على أصحاب الحديث

من ذلك أن قومًا اسـتغرقوا أعمـارهم في سماع الحـديث والرحلة فيه وجمع الطـرق الكثـيرة وطلب الأسانيد العالية والمتون الغريبة.

وهؤلاء على قسمين: قسم قصدوا حفظ الشرع بمعرفة صحيح الحديث من سقيمه وهم مشكورون على هـذا القصد إلا أن إبليس يُلبِّسُ عليهم بـأن يشـغلهم بهـذا عما هو فـرض عين من معرفة ما يجبُ عليهم والاجتهـاد في أداء اللازم والتفقه في الحديث.

فـإن قـال قائـل: لقد فعل هـذا خَلْـقٌ كثـير من السلف كيحيى بن معين وا بن المـديني والبخـاري ومسلم.

فـالجواب: أن أولئك جمعـوا بين معرفة المهم من أمـور الـدين والفقه فيه وبين ما طلبـوا من

الحـــديث، وأعـــانهم على ذلك قصر الإســـناد وقلة الحديث فاتسع زمانهم للأمرين.

فأما في هذا الزمان فإن طرق الحديث طـالت والتصـانيف فيه اتسـعت وما في هـذا الكتـاب في تلك الكتب، وإنما الطـــرق تختلف فقـــلّ أن يُمكَّن أحدٌ أن يجمع بين الأمـرين، فـترى المُحـدِّث يكتب ويسـمع خمسـين سـنة ويجمع الكتب ولا يـدري ما فيها ولو وقعت له حادثة في صـــــلاته لافتقر إلى بعض أحداث المُتفقِّهة الذين يـترددون إليه لسـماع الحـــديث منـــه، وبهـــؤلاء تمكَّن الطـــاعنون على المُحـــدِّثين فقـــالوا: زوامـــلُ[1] أســـفارٍ لا يـــدرون ما معهم.

فـإن أفلح أحـدهم ونظر في حديثه فربما عمل بحـديث منسـوخ، وربما فهم من الحـديث ما يفهم العـاميُّ الجاهل وعمل بـــذلك، وليس بـــالمرادِ من الحـــديث، كما روينا أن بعض المحـــدثين روى عن رسـول الله أنه نهى أن يسـقي الرجل مـاءه زرع غـيره[2] فقـال جماعة من حضـر: قد كنا إذا فضل عنا مـاء في بسـاتيننا سـرحناه إلى جيراننا ونحن

---

1 (?) الزاملة: ما يحمل عليه من الإبل وغيرها. والجمع: زوامل.

2 (?) حسن: أخرجه أبو داود فى النكاح (2158)، والترمذى فى النكاح (1131) وقال: «حديث حسن»، والدارمى فى النكـاح (2477)، وأحمد فى المســند 4/108، والــبيهقى فى الســنه الكبرى 7/449 كلهم من حديث رويفع بن ثابت الأنصارى.

نســتغفر اللــه، فما فهم القــارئ ولا الســامع ولا شعروا أن المراد وطء الحبالى من السبايا.

قـــال الخطَّابي: وكـــان بعض مشـــايخنا يـــروي الحــديث أن النــبي «نهى عن الحَلْق قبل الصــلاة يوم الجمعة» بإسكان اللام، قال: وأخــبرني: أنه بقي أربعين ســـنةً لا يحلـــقُ رأسه قبل الصــلاة، قــال: فقلت لــه: إنما هو الحِلَـقُ جمع حلقــةٍ، وإنما كــره الاجتمـــاع قبل الصــلاة للعلم والمـــذاكرة وأمر أن يشــتغل بالصــلاة وينصت للخطبــة، فقــال: فــرَّجت عليَّ. وكان من الصالحين.

وقد كان ابن صاعدٍ كبـير القــدر في المحــدِّثين لكنه لما قلَّت مخالطتـــهُ للفقهـــاء كـــان لا يفهم جـــواب فتـــوى، حـــتى أنه قد أخبرنا أبو منصـــور القـزَّاز، نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثـابت، قــال ســمعت البرقــاني، يقــول: قــال أبو بكر الأبهــريُّ الفقيه قــال: كنت عند يحــيى بن محمد بن صــاعد فجاءته امرأة فقالت: أيها الشيخ ما تقـولُ في بـئرٍ سـقطت فيه دجاجـةٌ فمـاتت فهل المـاء طـاهر أو نجس؟ فقال يحيى: ويحــك، كيف ســقطت الدجاجة إلى البئر؟ قالت: لم تكن البئر مغطاة، قال يحيى: ألا غطيتها حــتى لا يقع فيها شــيء. قــال الأبهــري: فقلت: يا هــذه إنْ كـان المـاءُ تغيَّر فهو نجس وإلا فهو طاهر.

قال المصنف: وكان ابن شاهين قد صنَّف في الحديث مصنَّفات كثيرة أقلُّها جزءٌ وأكثرها التفسيرُ وهو ألف جزء وما كان يعرفُ من الفقه شيئًا، وقد كان فيهم من يقدم على الفتوى بالخطأ لئلا يُرى بعين الجهل فكان فيهم مَنْ يصيرُ بما يفتي به ضُحكةً، فسئل بعضهم عن مسألة من الفرائض فكتب في الفتوى: تُقْسمُ على فرائض الله سبحانه وتعالى.

وأنبأنا محمد بن أبي منصور، نا أحمد بن الحسن بن خيرون، نا أحمد بن محمد العتيقي، نا أبو عمر ابن حيُّويه، نا سليمان بن إسحاق الجلاّب، ثنا إبراهيم الحربي، قال: بلغني أنَّ امرأةً جاءت إلى علي بن داود وهو يُحدِّثُ وبين يديه مقدار ألف نفس، فقالت له: حلفت بصدقة إزاري، فقال لها: بكم اشتريتيه؟ قالت: باثنين وعشرين درهمًا. قال: اذهبي فصومي اثنين وعشرين يومًا، فلما مرت جعل يقول: آهِ، آهِ، غلطنا والله أمرناها بكفارة الظِّهار.

قال المصنف: قلت: فانظروا إلى هاتين الفضيحتين فضيحة الجهل وفضيحة الإقدام على الفتوى بمثل هذا التخليط.

وَاعْلَمْ أن عموم المحدثين حملوا ظاهر ما تعلَّق من صفات الباري سبحانه على مقتضى

الحس فشبَّهُوا لأنهم لم يخالطوا الفقهاء فيعرفوا حمل المتشابه على مقتضى الحكم، وقد رأينا في زماننا من يجمع الكتب منهم ويكثر السماع ولا يفهم ما حصّل.

ومنهم من لا يحفظُ القرآن ولا يعرفُ أركان الصلاة، فتشاغل هؤلاء - على زعمهم - بفروض الكفاية عن فروض الأعيان وإيثار ما ليس بمهم على المهم من تلبيس إبليس.

القسم الثاني: قوم أكثروا سماع الحديث ولم يكن مقصودهم صحيحًا ولا أرادوا معرفة الصحيح من غيره بجمع الطرق، وإنما كان مرادهم العوالي والغرائب فطافوا البلدان ليقول أحدُهُم: لقيتُ فلانًا ولي من الأسانيد ما ليس لغيري وعندي أحاديث ليست عند غيري.

وقد كان دخل إلينا إلى بغداد بعض طلبة الحديث وكان يأخذ الشيخ فيُقعدُهُ في الرقَّة، وهي البستان الذي على شاطئ دجلة فيقرأ عليه، ويقول في مجموعاته حدثني فلان وفلان بالرَّقَّة، ويوهم الناس أنها البلدة التي بناحية الشام ليظنوا أنه قد تعب في الأسفار لطلب الحديث.

وكان يقعد الشيخ بين نهر عيسى والفرات ويقول: حدثني فلان من وراء النهر، يوهم أنه قد عبر خراسان في طلب الحديث، وكان يقول:

حـــدثني فلان في رحلـــتي الثانية والثالثـــة، ليعلم الناس قدر تعبه في طلب الحديث، فما بــورك له ومات في زمان الطلب.

قـال المصـنف: وهـذا كله من الإخلاص بمعـزل، وإنما مقصودهم الرياسة والمباهـاة، ولـذلك يتّبعـون شاذَّ الحديث وغريبه وربما ظفر أحـدهم بجـزء فيه سماع أخيه المسلم فأخفاه لينفرد هو بالرواية وقد يموت هو ولا يرويه فيفوت الشخصـين. وربما رحل أحدهم إلى شيخ أول اسمه قـاف أو كـاف ليكتب ذلك في مشيخته فحسب.

ومن تلبيس إبليس على أصحاب الحـديث: قـدحُ بعضـــهم في بعض طلبًا للتشـــفي ويُخرجُـــون ذلك مخرج الجرح والتعديل الذي اسـتعمله قـدماء هـذه الأمة للذَّبِّ عن الشرع والله أعلم بالمقاصد. ودليلُ مقصدِ خُبْث هؤلاء سكوتُهُمْ عمن أخـذوا عنـه، وما كــان القــدماء هكــذا فقد كــان علي بن المــديني يحدث عن أبيه وكان ضعيفًا ثم يقول: وفي حـديث الشيخ ما فيه.

أَخْبَرَنَا أبو بكر بن حبيب العـامري، نا أبو سـعد بن أبي صادق، نا أبو عبد الله بن باكويه، ثنا بكر أن ابن أحمد الجيلي، قـــال: ســـمعت يوسف بن الحسين، يقول: سـألت حارثًا المحاسـبي عن الغيبة فقال: احذرها فإنها شـرٌّ مكتسب وما ظنُّك بشـيء

يسلبك حسناتك فيُرضي به خصماءك، ومن تُبغضُـهُ في الـــدنيا كيف ترضى به خصـــمك يـــوم القيامة يأخذ من حســـناتك أو تأخذ من ســـيئاته إذ ليس هناك درهمٌ ولا دينار فاحـذرها وتعـرَّف منبعها فـإن منبع غيبة الهمج والجهـــــال من إشـــــفاء الغيظ والحمية والحسد وسوء الظن وتلك مكشـوفة غـير خفية، وأما غيبة العلمـاء فمنبعها من خُدعة النفس على إبـداء النصـيحة وتأويل ما لا يصـحُّ من الخـبر ولو صـــحَّ ما كـــان عونًا على الغيبة وهو قولـــه: «أترغبـــون عن ذكـــره؟! اذكُـــرُوهُ بما فيه ليحـــذرهُ الناس»[1].

ولو كـان الخـبر فيه إبـداء شـناعة على أخيك المسلم من غـير أن تسـأل عنـه، وإنما إذا جـاءك مسترشـدٌ فقـال: أريد أن أزوج كريمـتى من فلان فعـرفت منه بدعة أو أنه غـير مـأمون على حـرم المسـلمين صـرفته عنه بأحسن صـرف، أو يجيئك رجل موضعًا للأمانة، فتصرفه عنه بأحسن الوجـوه. أو يقول لـك: يا رجـل، أريد أن أصـلي خلف فلان أو أجعله إمـــامي فى علم، فتصـــرفه عنه بأحسن الوجـــوه، ولا تشف غيظك من غيبتـــه. وأما منبع

---

1 (?) موضـوع: أخرجه الـبيهقى فى السـنه الكـبرى 10/215، والعقيلى فى الضـعفاء (248)، وابن حبـان فى المجـروحين 1/220، وابن عـدى فى الكامل 2/174 وقـال الألبـانى فى الضعيفة (583): «موضوع».

الغيبة من القـــراء والنســـاك فمن طريق التعجب يبـــدي عـــوار الأخ، ثم يتصـــنع بالـــدعاء في ظهر الغيب، فيتمكن من لحم أخيه المســلم ثم يــتزين بالدعاء له. وأما منبع الغيبة من الرؤساء والأسـاتذة فمن طريق إبـداء الرحمة والشـفقة حـتى يقـول: مســكينٌ فلان ابتلي بكــذا وامتحن بكــذا نعــوذ ب الله من الخـذلان فيتصـنع بإبـداء الرحمة والشـفقة على أخيـــه، ثم يتصـــنع بالـــدعاء له عند إخوانه ويقــول: إنما أبــديتُ لكم ذاك لتكــثروا دعــاءكُمْ له ونعوذ ب الله من الغيبة تعريضًا أو تصريحًا، فـاتَّق الغيبة فقد نطق القـرآن بكراهتها فقـال عز وجـل: **أيحب أحـــــــدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه** [الحجرات: 12]، وقد روي عن النبي في ذلك أخبار كثيرة.

ومن تلبيس إبليس على علماء المحــدثين: رواية الحديث الموضـوع من غـير أن يُـبيِّنُوا أنه موضـوع وهذه جنايـةٌ منهم على الشـرع ومقصـودهم تـرويجُ أحاديثهم وكثرة رواياتهم وقد قـال صـلى الله عليه وسلم: «من روى عـني حـديثًا يُـرى أنه كـذبٌ فهو أحد الكـــاذبين»[1]. ومن هـــذا الفن تدليســـهم في

---

[1] (?) صحيح: أخرجه مسـلم فى المقدمـة، بـاب وجـوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين 1/9، والترمذى فى العلم (2662) وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه فى المقدمة (40)، وأحمد فى المسند 4/250، 252، 255 كلهم من حديث المغيرة بن شعبة.

الرواية فتارة يقول أحدهم: فلان عن فلان، أو قال فلان عن فلان يــوهم أنه ســمع منه المنقطع ولم يســمع وهــذا قــبيح لأنه يجعل المنقطع في مرتبة المتصل، ومنهم من يــروي عن الضــعيف والكــذَّاب فينفي اسمه فربما سمَّاه بغير اسمه، وربما كنــاه، وربما نسبهُ إلى جدِّه لئلا يُعرف، وهذه جنايةٌ على الشــرع لأنه يثبتُ حكمًا بما لا يثبت بــه، فأما إذا كان المرويُّ عنه ثقــةً فنســبه إلى جــده أو اقتصر على كُنيته لئلا يــــرى أنه قد ردد الرواية عنه أو يكــون المــروي عنه في مرتبة الــراوي فيســتحي الــراوي من ذكــره فهــذا على الكراهة والبعد من الصواب قريب بشرط أن يكون المــرويُّ عنه ثقــةً والله الموفق.

ذكر تلبيس إبليس على الفقهاء

قال المصنف: كان الفقهاء في قديم الزمان هم أهل القرآن والحديث فما زال الأمر يتنــاقص حــتى قال المتأخرون: يكفينا أن نعرف آيات الأحكــام من القــــرآن وأن نعتمد على الكتب المشــــهورة في الحديث كسنن أبي داود ونحوها، ثم استهانوا بهــذا الأمر أيضًا وصار أحدهم يحتجُّ بآيةٍ لا يعرف معناها وبحــديث لا يــدري أصــحيحٌ هو أم لا؟ وربما اعتمد على قيــاسٍ يعارضه حــديثٌ صــحيح ولا يعلم لقلة التفاته إلى معرفة النقل وإنما الفقه استخراج من الكتاب والسنة فكيف يستخرج من شيء لا يعرفه

ومن القبيح تعليق حكم على حديث لا يُدرى أصحيح هو أم لا؟ ولقد كانت معرفة هذا تصعب ويحتاج الإنسان إلى السفر الطويل والتعب الكثير حتى يعرف ذلك، فصُنِّفت الكُتُبُ وتقررت السُّننُ وعُرِف الصَّحيحُ من السَّقيم.

ولكن غلب على المتأخِّرين الكسلُ بالمرة على أن يطالعوا علم الحديث حتى إني رأيت بعض الأكابر من الفقهاء يقول في تصنيفه عن ألفاظ في الصحاح: لا يجوز أن يكون رسول الله قال هذا، ورأيته يحتجُّ في مسألة فيقول: دليلنا ما روى بعضهم أن رسول الله قال كذا ويجعل الجواب عن حديث صحيح قد احتجَّ به خصمُهُ أن يقول هذا الحديث لا يُعرف هذا كله جنايةٌ على الإسلام.

ومن تلبيس إبليس على الفقهاء: أن جُلَّ اعتمادهم على تحصيل علم الجدل يطلبون بزعمهم تصحيح الدليل على الحكم والاستنباط لدقائق الشرع وعلل المذاهب، ولو صحت هذه الدّعوى منهم لتشاغلوا بجميع المسائل، وإنما يتشاغلون بالمسائل الكبار ليتَّسع فيها الكلامُ فيتقدم المُناظرُ بذلك عند النَّاس في خصام النظر، فَهَمُّ أحدهم بترتيب المجادلة والتفتيش على المتناقضات طلبًا للمفاخرات والمباهاة وربما لم يعرف الحكم في مسألة صغيرة تعُمُّ بها البلوى.

ذكر تلبيسه عليهم بإدخالهم في الجدل كلام الفلاسفة واعتمادهم على تلك الأوضاع

ومِنْ ذَلِكَ إيثارهم للقياس على الحديث المُستدلِّ به في المسألة ليتسع لهم المجال في النظر، وإن استدلَّ أحد منهم بالحديث هُجِّن، ومن الأدب تقديم الاستدلال بالحديث، ومن ذلك أنهم جعلوا النظر جُلَّ اشتغالهم ولم يمزجوه بما يُرَقِّقُ القلوب من قراءة القرآن وسماع الحديث وسيرة الرسول وأصحابه.

ومعلوم أن القلوب لا تخشع بتكرار إزالة النجاسة والماء المتغير، وهي محتاجة إلى التَّذكار والمواعظ لتنهض لطلب الآخرة، ومسائل الخلاف وإن كانت من علم الشرع إلا أنها لا تنهضُ بكل المطلوب.

ومن لم يطلع على أسرار سِير السَّلف وحال الذي تمذهب له لم يمكنهم سلوك طريقهم. وينبغي أن يعلم أنَّ الطبع لصٌّ فإذا ترك مع أهل هذا الزمان سرق من طبائعهم فصار مثلهم.

فإذا نظر في سير القدماء زاحمهم وتأدَّب بأخلاقهم.

وقد كان بعض السّلف يقول: حديثٌ يرقُّ له

قلبي أحبُّ إليَّ من مائة قضية من قضـايا شُـريح، وإنما قـــال هـــذا لأن رقة القلب مقصـــودة ولها أسباب.

ومِنْ ذَلِـــكَ أنهم اقتصــــروا على المنـــاظرة وأعرضوا عن حفظ المذهب وبـاقي علـوم الشـرع فترى الفقيه المُفتي يُسـألُ عن آيـةٍ أو حـديثٍ فلا يدري. وهذا غ بن فأين الأنفةُ من التقصير.

ومِنْ ذَلِـكَ أنّ المجادلة إنما وضـعت ليسـتبين الصـوابُ، وقد كـان مقصـود السـلف المناصـحة بإظهـار الحـق، وقد كـانوا ينتقلـون من دليل إلى دليل وإذا خفي على أحدهم شيء نبَّهُه الآخـرُ لأن المقصود كان إظهار الحق فصـار هـؤلاء إذا قـاس الفقيه على أصلٍ بعلَّةٍ يظنها، فقيل لـه: ما الـدليلُ على أن الحكم في الأصل معللٌ بهذه العلة فقال: هـذا الـذي يظهـرُ لي فـإن ظهر لكم ما هو أولى من ذلك فـاذكروه فـإن المعـترض لا يلزمـني ذكر ذلك.

ولقد صـدق في أنه لا يلزمه ولكن فيما ابتـدع من الجـــدل، بل في بـــاب النصح وإظهـــار الحق يلزمه.

ومِنْ ذَلِـكَ أن أحـــدهم يتــبين له الصــواب مع خصـمه ولا يرجع ويضـيق صـدره كيف ظهر الحق مع خصـــــمه، وربما اجتهد في رده مع علمه أنه

الحــق، وهــذا من أقبح القــبيح لأن المنــاظرة إنما وُضعت لبيان الحق.

وقد قال الشافعي رحمه الله: ما نـاظرتُ أحـدًا فــأنكر الحُجَّة إلا ســقط من عيــني، ولا قبلها إلا هِبْتُــهُ، وما نــاظرتُ أحــدًا فبــاليتُ مع من كــانت الحُجَّةُ إن كانت معه صِرْتُ إليه.

ومِنْ ذَلِــكَ أن طلبهم للرياسة بالمنــاظرة تثــير الكـــامن في النفس من حب الرياسة فـــإذا رأى أحــدهم في كلامه ضــعفًا يــوجب قهر خصــمه له خرج إلى المكـابرة فـإن رأى خصـمه قد اسـتطال عليه بلفـظٍ أخذته حميَّةُ الكِبْـرِ فقابل ذلك بالسـبِّ فصارت المجادلةُ مُخاذلةً.

ومِنْ ذَلِـــكَ ترخُّصُـــهُمْ في الغيبة بحُجَّةِ الحكاية عن المناظرة فيقـول أحـدهم: تكلمت مع فلان فما قال شـيئًا، ويتكلم بما يـوجب التشـفِّي من غـرض خصمه بتلك الحُجَّة.

ومِنْ ذَلِـــكَ أن إبليس لَبَّسَ عليهم بـــأن الفقه وحــده علمُ الشــرع ليس ثمَّ غـيرُهُ فـإن ذُكر لهم مُحــدِّثٌ قـــالوا: ذاك لا يفهم شـــيئًا وينســـون أن الحــديث هو الأصــل، فــإن ذكر لهم كلام يلين به القلب قالوا: هذا كلامُ الوُعَّاظ.

ومِنْ ذَلِــكَ إقــدامهم على الفتــوى وما بلغــوا مرتبتها وربما أفتــوا بواقعــاتهم المخالفة للنصــوص

ولو توقفوا في المشكلات كان أولى.

فقد أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي، نا محمد بن هبة الله الطبري، ثنا محمد بن الحسين بن الفضل، نا عبد الله بن جعفر بن دُرسْتُويْه، ثنا يعقوب بن سفيان، ثنا الحُميْدي، ثنا سُفيان، ثنا عطاء بن السائب، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: أدركت مائة وعشرين من أصحاب رسول الله يسألُ أحدُهم عن المسألة فيردُّها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول.

قال يعقوب: وثنا أبو نعيم، ثنا سفيان، عن عطاء بن السائب، قال: سمعت عبد الرحمن ابن أبي ليلى أيضًا يقول: أدركت في هذا المسجد عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله ما منهم من يُحدِّثُ حديثًا إلا ودَّ أنَّ أخاه كفاه الحديث ولا يسأل عن فتيا إلا ودَّ أن أخاه كفاه الفتيا[1].

قال المصنف: وقد روينا عن إبراهيم النَّخعي أن رجلاً سأله عن مسألة فقال: ما وجدت من تسألُهُ غيري.

وعن مالك بن أنس رضي الله عنه قال: ما أفتيتُ حتى سألت سبعين شيخًا هل ترون لي أن أفتي؟ فقالوا: نعم. فقيل له: فلو نَهوْك؟ قال: لو

1 (?) انظر: أبو نعيم فى حلية الأولياء 4/351.

نهوني انتهيتُ.

وقال رجل لأحمد بن حنبل: إني حلفتُ ولا أدري كيف حلفتُ؟ قال: ليتك إذ دريتْ كيف حلفت دريتُ أنا كيف أُفتيك.

قال المصنف: وإنما كانت هذه سجية السلف لخشيتهم الله عزَّ وجل وخوفهم منه ومن نظر في سيرتهم تأدب.

ومن تلبيس إبليس على الفقهاء: مخالطتهم الأمراء والسلاطين ومداهنتهم وترك الإنكار عليهم مع القدرة على ذلك، وربما رَخَّصُوا لهم فيما لا رخصة لهم فيه لينالوا من دنياهم عرضًا فيقع بذلك الفساد لثلاثة أوجه:

الأول: الأميرُ يقولُ: لولا أني على صوابٍ لأنكر عليَّ الفقيهُ، وكيف لا أكونُ مُصيبًا وهو يأكل من مالي.

والثاني: العاميُّ أنه يقول لا بأس بهذا الأمير ولا بماله ولا بأفعاله فإن فلانًا الفقيه لا يبرحُ عندهُ.

والثالث: الفقيهُ فإنه يُفسدُ دينهُ بذلك.

وقد لَبَّس إبليسُ عليهم في الدُّخول على السُّلطان فيقول: إنما ندخلُ لنشفع في مسلم وينكشفُ هذا التلبيس بأنه لو دخل غيرهُ يشفعُ لما أعجبه ذلك وربما قدح في ذلك الشخص

لتفرُّدِهِ بالسُّلطان.

ومن تلـــبيس إبليس عليه في أخذ أمـــوالهم فيقـولُ: لك فيها حـقٌّ، ومعلـومٌ أنها إن كـانت من حرام لم يحل له منها شيءٌ وإن كانت من شُبهةٍ فتركُها أولى، وإن كـانت من مُبـاحٍ جـاز له الأخـذُ بمقـدار مكانه من الـدِّين لا على وجه إنفاقه في إقامة الرُّعونـة، وربما اقتـدى العـوام بظـاهر فعله واستباحوا ما لا يستباح.

وقد لبَّس إبليسُ على قـــومٍ من العلمــــاء: ينقطعون عن السُّلطان إقبـالاً على التَّعبُّد والـدِّين، فـيزين لهم غيبة من يـدخلُ على السُّـلطان من العلمـاء، فيجمع لهم آفـتين: غيبة النـاس ومـدح النَّفس.

وفي الجملة فالـدُّخول على السـلاطين خطر عظيم لأن النية قد تحسن في أول الـــدخول ثم تتغـير بـإكرامهم وإنعـامهم أو بـالطَّمع فيهم، ولا يتماسكُ عن مداهنتهم وترك الإنكار عليهم.

وقد كان سفيانُ الثـوريُّ رضي الله عنه يقـول: ما أخافُ من إهانتهم لي إنما أخـافُ من إكـرامهم فيميلُ قلبي إليهم.

وقد كان علماء السلف يبعدون عن الأمراء لما يظهر من جورهم فتطلبهم الأمـراء لحـاجتهم إليهم في الفتاوى والولايـات، فنشأ أقـوامٌ قـويت رغبتهم

في الـدنيا فتعلَّمُـوا العلـوم الـتي تصـلح للأمـراء وحملوها إليهم لينالوا من دنياهم.

ويـدلُّك على أنهم قصـدوا بـالعلوم الأمـراء أن الأمراء كانوا قديمًا يميلـون إلى سـماع الحُجج في الأصول، فأظهر النـاس علم الكلام، ثم مـال بعض الأمراء إلى المناظرة في الفقه فمـال النـاس إلى الجدل، ثم (مال) بعض الأمراء إلى المواعظ فمـال خلق كثـير من المتعلمين إليهـا، ولما كـان جمهـور العـوامِّ يميلـون إلى القصص كثُر القُصَّـاصُ وقـلَّ الفُقهاءُ.

ومن تلـبيس إبليس على الفقهـاء: أن أحـدهم يأكـلُ من وقف المدرسة المبنية على المشـتغلين بـالعلم فيمكثُ فيها سـنين ولا يتشـاغل ويقنع بما عـرف، أو ينتهي في العلم فلا يبقى له في الوقف حظٌّ لأنه إنما جُعِلَ لمن يتعلم إلا أن يكون ذلك الشخصُ معيدًا أو مدرِّسًا فإن شغلهُ دائمٌ.

ومِنْ ذَلِـكَ ما يحكى عن بعض الأحـداث المتفقهة من الانبسـاط في المنهيـات فبعضـهم يلبسُ الحرير ويتحلى بالذَّهب، ويُحـال على المكس فيأخـذه إلى غـير ذلك من المعاصـي، وسـبب انبسـاط هـؤلاء مختلـف، فمنهم من يكـونُ فاسد العقيـدة في أصل الـدين وهو يتفقه ليسـتر نفسه أو ليأخذ من الوقف أو ليرأس أو ليناظر.

ومنهم من عقيدتـهُ صـحيحة لكن يغلبُـهُ الهـوى وحبُّ الشهوات، وليس عنده صـارفٌ عن ذلك لأن نفس الجدل والمناظرة تُحـرِّكُ إلى الكـبر والعُجب، وإنما يتقـــوَّمُ الإنســـانُ بالرياضة ومطالعة ســـير السـلف، وأكـثر القـوم في بُعـدٍ عن هـذا، وليس عنـــدهم إلا ما يعين الطَّبع على شُـــمُوخه فحينئـــذٍ يسرحُ الهوى بلا زاد.

ومنهم من يُلبِّسُ عليه إبليس بأنه عـالمٌ وفقيـهٌ ومُفتٍ والعلمُ يدفع عن أربابه وهيهـات فـإن العلم أولى أن يُحاجَّهُ ويُضـــاعف عذابـــهُ كما ذكرنا في حق القُرَّاء.

وقد قـــال الحســـنُ البصـــريُّ: إنما الفقيـــهُ من يخشى الله عز وجل.

قال ابن عقيلٍ: رأيت فقيهًا خُراسانيًا عليه حريرٌ وخـــواتمُ ذهبٍ فقلت لـــه: ما هـــذا؟ فقـــال: خلـــعُ السُّـلطان وكمـدُ الأعـداء. فقلتُ لـه: بل هو شـماتةُ الأعداء بك إن كنت مسلمًا لأن إبليس عدوُّك وإذا بلغ منك مبلغك ألبسك ما يُســـخطُ الشـــرع فقد أشـمتَّهُ بنفسـك، وهل خلـعُ السـلطان سـائغةٌ لنهي الرحمن. يا مسـكينُ خلع عليك السُّـلطانُ فـانخلعت به من الإيمـــــان، وقد كـــــان ينبغي أن يخلع بك السـلطان لبـاس الفِسق ويُلبسك لبـاس التقـوى. رمـاكم الله بخزيـةٍ حيث هـونتم أمـرهُ هكـذا، ليتك

قُلت: هـذه رُعونـات الطبـع. الآن تمت محنتُك لأن عُدوانك دليلٌ على فساد باطنك.

ومن تلبيسه عليهم: أن يُحسِّـن لهم ازدراء الوعاظ ويمنعهم من الحضور عندهم فيقولـون: من هـؤلاء؟ هـؤلاء قُصَّـاص، ومـراد الشـيطان أن لا يحضـروا في موضع يلينُ فيه القلبُ ويخشـع. والقصَّاصُ لا يُذمُّون من حيث هـذا الاسم لأن الله عز وجل قـال: ﴿**نحن نقص عليك أحسن القصص**﴾ [يوسـف: 3]، وقـال: ﴿**فاقصص القصص**﴾ [الأعراف: 176].

وإنما ذُمَّ القصـاصُ لأن الغـالب منهم الاتسـاع بـذكر القصص دون ذكر العلم المفيـد، ثم غـالبهم يخلـطُ فيما يـورده، وربما اعتمد على ما أكـثرُهُ مُحالٌ، فأما إذا كان القصصُ صـدقًا ويـوجبُ وعظًا فهو ممـدوحٌ، وقد كـان أحمد بن حنبل يقـول: ما أحوج الناس إلى قاصٍّ صدوق.

ذكر تلبيسه على الوُعَّاظ والقُصَّاص

قـال المصـنف: كـان الوُعَّاظُ في قـديم الزمـان علمـاء فقهـاء، وقد حضر مجلس عُبيد ابن عُمـيرٍ عبد الله بن عمر رضي الله عنـه، وكـان عمر بن عبد العزيز يحضر مجلس القـاص. ثم خسّـت هـذه الصـناعة فتعـرض لها الجُهَّال فبعد عن الحضـور عنـدهم الممـيزون من النـاس وتعلق بهم العـوام

والنساء فلم يتشاغلوا بالعلم وأقبلـوا على القصص وما يعجبُ الجهلة وتنوَّعت البدعُ في هذا الفن.

وقد ذكرنا آفــــاتهم في كتــــاب القُصَّـــــاص والمُــذكِّرين، إلا أنَّا نــذكرُ هنا جملة فمن ذلــك: أن قومًا منهم كانوا يضعون أحاديث الترغيب والترهيب ولبَّس عليهم إبليسُ: بأننا نقصــدُ حثَّ النــاس على الخــير وكفَّهُم عن الشر وهــذا افتيـات منهم على الشريعة لأنها عندهم على هذا الفعل ناقصةٌ تحتاجُ إلى تتمة ثم نســوا قوله صــلى الله عليه وســلم: «من كـــذب عليَّ متعمـــدًا فليتبـــوأ مقعـــدهُ من النار»[1]. ومن ذلك أنهم تلمحـوا ما يـزعج النفـوس ويطرب القلوب فنوعوا فيه الكلام فتراهم ينشدون الأشعار الرائقة الغزلية في العشق.

ولبَّس عليهم إبليسُ: بأننا نقصد الإشــــــارة إلى محبَّة الله عز وجل ومعلـــــــــــــومٌ أنَّ عامة من يحضــرهم العــوام الــذين بــواطنُهم مشــحونةٌ بحبِّ الهوى فيُضـلُّ القـاصُّ ويضـلُّ. ومن ذلك من يُظهـرُ من التواجد والتخاشع زيـــــــادةً على ما في قلبه وكـثرة الجمع تـوجب زيـادة تُعمـلُ فتسـمح النفس

---

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى العلم (110)، ومسلم فى المقدمة (3/3) من حديث أبى هريرة.
وأخرجه البخــارى فى العلم (108)، ومســلم فى المقدمة (2/2) من حديث أنس. وقد جمع علماء الحديث له ما يزيد عن سنين طريق.

بفضل بكـاء وخُشـوع فمن كـان منهم كاذبًا فقد خسر الآخـرة، ومن كـان صـادقًا لم يسـلم صـدقُه من رياءٍ يخالطُهُ.

ومنهم من يتحرك الحركات التي يوقع بها على قـراءة الألحـان، والألحـان الـتي قد أخرجوها اليـوم مشابهة للغنـاء فهي إلى التحـريم أقـربُ منها إلى الكراهة، والقارئ يطرب والقاصّ يُنشـدُ الغـزل مع تصفيقٍ بيديه وإيقاعٍ برجليه، فتشبه السكر، ويوجب ذلك تحريك الطِّباع وتهييج النُّفوس وصـياح الرِّجـال والنساء وتمزيق الثِّياب لما في النُّفوس من دفائن الهـوى، ثم يخرجـون فيقولـون: كـان المجلس طيبًا ويشيرون بالطّيبة إلى ما لا يجوز.

ومنهم من يجـري في مثل تلك الحالة الـتي شـرحناها لكنه يُنشـدُ أشـعار النَّوح على المـوتى، ويصف ما يجـري لهم من البلاء ويـذكر الغُربـة، ومن مات غريبًا، فيُبكي بها النِّساء ويصـير المكـانُ كالمـأتم، وإنما ينبغي أن يـذكر الصَّـبر على فقد الأحباب لا ما يُوجبُ الجـزع، ومنهم من يتكلم في دقـائق الزُّهد ومحبة الحق سـبحانه، فلبَّس عليه إبليس: إنك من جملة الموصـوفين بـذلك لأنك لم تقدر على الوصف حتى عرفت ما تصـفُ وسـلكت الطريـق، وكشف هـذا التلـبيس أن الوصف علمٌ والسُّلوك غيرُ العلم.

ومنهم من يتكلم بالطَّامــات والشــطح الخــارج عن الشَّــرع ويستشــهدُ بأشـعار العشق وغرضه أن يكثُر في مجلسه الصّياحُ ولو على كلام فاسد.

ومنهم من يُـزوِّقُ عبـارةً لا معـنى تحتها وأكـثر كلامهم اليـــوم في موسى والجبل وزليخا ويوسف ولا يكادون يذكرون الفـرائض ولا ينهـون عن ذنب، فمتى يرجع صاحب الزِّنا ومسـتعمل الرِّبـا، وتعـرفُ المرأة حقَّ زوجهـا، وتحفظ صـلاتها، هيهـات، هـؤلاء تركوا الشـرع وراء ظهـورهم ولهـذا نفقت سـلعهم لأنَّ الحق ثقيلٌ والباطل خفيفٌ.

ومنهم من يحُثُّ على الزّهد وقيـــــام اللّيل ولا يُــبيِّنُ للعامة المقصــود فربما تــاب الرجــلُ منهم وانقطع إلى زاوية أو خرج إلى جبل فبقيت عائلتُهُ لا شيء لهم.

ومنهم من يتكلمُ في الرّجــاء والطمع من غــير أن يمـزج ذلك بما يُـوجبُ الخـوف والحـذر، فيزيـدُ النـــاس جـــرأةً على المعاصي ثم يقـــوي ما ذكر بميله إلى الـــدُّنيا من المـــراكب الفارهة والملابس الفاخرة فيفسد القلوب بقوله وفعله.

(فصل):

وقد يكون الواعظُ صادقًا قاصدًا للنصيحة إلا أن منهم من شـــرب الرّئاسة في قلبه مع الزّمـــان فيُحبُّ أن يُعظَّم، وعلامتُه أنه إذا ظهر واعـــــظٌ

ينوب عنه أو يعينه على الخلق كره ذلك ولو صح قصده لم يكره أن يعينه على خلائق الخلق.

(فصل):

ومن القصــاص من يخلط في مجلسه الرجــال والنسـاء وتـرى النسـاء يُكـثرْن الصِّـياح وجـدًا على زعمهنَّ فلا يُنكـرُ ذلك عليهنَّ جمعًا للقلـوب عليـه، ولقد ظهر في زماننا هـــذا من القُصَّــــاص ما لا يـدخل في التّلـبيس لأنه أمـرٌ صـريح من كـونهم جعلــوا القصص معاشًـــا يســتمنحون به الأمـــراء والظلمة والأخذ من أصحاب المكوس والتكسُّب به في البلدان، وفيهم من يحضرُ المقابر فيذكرُ البِلى وفراق الأحبة فيبكي النسوة ولا يحثّ على الصبر.

وقد يُلبِّسُ إبليسُ على الواعظ المحقق فيقــول لـه: مِثلُك لا يعـظُ وإنما يعـظُ مُتيقِّظٌ فيحملـهُ على السُّكوت والانقطاع، وذلك من دسـائس إبليس لأنه يمنع فعل الخير ويقول: إنك تلتـذُّ بما تُـوردهُ وتجـدُ راحـــةً، فربما دخل الريـــاء في قولــــك، وطريق الوحدة أسلمُ، ومقصوده بذلك سدَّ باب الخير.

وعن ثابت قال: كـان الحسـنُ في مجلس فقيل للعلاء: تكلم فقـــال: أوهنـــاك أنـــا، ثم ذكر الكلام ومؤونته وتبعتهُ. قـال ثـابتٌ: فـأعجبني. قـال: ثم تكلم الحسـن: وإننا هنـاك يـود الشـيطان أنكم أخـذتموها عنه فلم يأمر أحدًا بخير ولم يَنْهَهُ عن شر.

ذكر تلبيسه على أهل اللغة والأدب

قال المصنِّفُ: قد لبَّس على جمهورهم فشغلهم بعلوم النَّحو واللغة من المهمات اللازمة التي هي فرض عين عن معرفة ما يلزمهم عرفانه من العبادات وما هو أولى بهم من آداب النفوس وصلاح القلوب، وبما هو أفضل من علوم التفسير والحديث والفقه، فأذهبوا الزمان كله في علومٍ لا تُرادُ لنفسها بل لغيرها فإن الإنسان إذا فهم الكلمة فينبغي أن يترقى إلى العمل بها إذ هي مرادة لغيرها، فترى الإنسان منهم لا يكادُ يعرف من آداب الشريعة إلا القليل ولا من الفقه ولا يلتفتُ إلى تزكية نفسه وصلاح قلبه.

ومع هذا ففيهم كِبرٌ عظيمٌ وقد خيَّل لهم إبليسُ أنكم علماء الإسلام لأن النّحو واللّغة من علوم الإسلام وبها يُعرفُ معنى القرآن العزيز، ولعمري إنَّ هذا لا ينكر، ولكن معرفة ما يلزم من النحو لإصلاح اللسان وما يحتاج إليه من اللّغة في تفسير القرآن والحديث أمر قريب، وهو أمر لازم وما عدا ذلك فضل لا يُحتاجُ إليه وإنفاق الزَّمان في تحصيل هذا الفاضل، وليس بمُهم مع ترك المُهمِّ غلطٌ وإيثاره على ما هو أنفع وأعلى رتبة كالفقه والحديث غُبْنٌ، ولو اتسع العمر لمعرفة الكل كان حسنًا. لكن العمر قصيرٌ فينبغي إيثار الأهم والأفضل.

(فصل):

ومما ظنُّوه صـوابًا وهو خطـأ، ما أخبرنا به أبو الحسـين بن فـارس قـال: قيل لفقيه العـرب: هل يجب على الرجل - إذا أشهد - الوضوءُ؟، قال: نعم. قال: والإشهاد أن يُمذِي الرجل.

قـال المصـنف: وذكر من هـذا الجنس مسـائل كثيرة وهذا غاية في الخطأ، لأنه مـتى كـان الاسم مشـتركًا بين مُسـمَّيين كـان إطلاق الفتـوى على أحـــــدهما دون الآخر خطـــــأ، مثاله أن يقــــول المسـتفتي: ما تقـولُ في وطءِ الرجل زوجتـهُ في قُرئِها؟ فإن القُـرْء يقع عند اللغـويين على الإطهـار وعلى الحيض. فيقــول الفقيــه: يجــوز إشــارة إلى الطُّهر، أو لا يجوز إشارة إلى الحيض خطأ. وكذلك لو قـال السـائل: هل يجـوز للصـائم أن يأكل بعد طلـوع الفجـر؟ لم يجز إطلاق الجـواب. فما ذكـره فقيه العـرب هو خطأ من وجهين، أحـدهما: أنه لم يستفصل في المحتملات، والثـــــاني: أنه صـــــرف الفتــوى إلى أبعد المحتملات وتــرك الأظهــر، وقد استحسنوا هذا، وقلة الفقه أوجبت هذا الزَّلل.

(فصل):

ولما كان عموم اشتغالهم بأشـعار الجاهلية ولم يجد الطبع صـــــــادًّا عما وضع عليه من مطالعة الأحاديث ومعرفة سير السَّلف الصـالح سـالت بهم

الطباع إلى هُوَّة الهوى فـانبثَّ شـرعُ البطالة يعبث فقلَّ أن ترى منهم متشاغلاً بالتقوى أو ناظرًا في مطعم فـــإن النحو يغلب طلبه على الســـلاطين، فيأكل النحــاة من أمــوالهم الحــرام كما كــان أبو علي الفارسي في ظل عضد الدولة وغـــيره. وقد يظنون جـواز الشـيء وهو غـير جـائز لقلة فقههم، كما جرى للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السـري، قـال: كنتُ أؤدبُ القاسم بن عبد الله فـأقول لـه: إن بلغت إلى مبلغ أبيك ووليت الوزارة ماذا تصـنع بي؟ فيقــول: ما أحببت. فــأقول لــه: أن تعطيــني عشرين ألف دينار، وكـانت غاية أُمنيَّتي فما مضت إلا ســنون حــتى وُلِّي القاســمُ الــوزارة وأنا على ملازمتي له، وقد صرت نديمهُ فـدعتني نفسي إلى إذكاره بالوعد ثم هبته، فلما كان في اليوم الثالث من وزارته قال لي: يا أبا إسحاق لم أرك أذكرتني بالنـذر، فقلت: عـوَّلتُ على رعاية الـوزير أيَّدهُ الله وأنه لا يحتاج إلى إذكار لنـذرٍ عليه في أمر خـادم واجب الحــق. فقــال لي: إنه المعتضــد. ولــولاه ما تعـــاظمني دفع ذلك إليك في مكـــان واحد ولكن أخـاف أن يصـير لي معه حـديث فاسـمح بأخـذه متفرقًا.

فقلت: أفعلُ. فقـال: اجلس للنـاس وخذ رقـاعهم في الحوائج الكبـار واسـتجعل[1] عليها ولا تمتنع من

---

1 (?) أى أطلب عليها جعلا، وهو الأجر.

مساءلتي شيئًا تخاطبُ فيه صحيحًا كـان أو مُحـالاً إلى أن يحصل لك مــالُ النَّذْر، ففعلت ذلك وكنت أعرض عليه كلَّ يوم رقاعًا فيوقع فيها وربما قــال لي: كم ضُـمِنَ لك على هـذا؟ فـأقول: كـذا وكـذا، فيقول: غُبِنْتَ هذا يساوي كذا وكذا فاستزد، فأُراجعُ القــوم، ولا أزال أُماكسُــهُم ويزيــدونني حــتى أبلغ الحدَّ الذي رسمهُ. قـال: فعرضت عليه شـيئًا عظيمًا فحصل عندي عشـرون ألف دينـار وأكـثرُ منها في مـدةٍ مديـدةٍ. فقـال لي بعد شُـهور: يا أبا اسـحاق حصل مـال النَّذْر؟ فقلت: لا. فسـكت. وكنت أُعـرِضُ ثم يســألني في كل شــهر أو نحــوه هل حصل المـال؟ فـأقول: لا، خوفًا من انقطـاع الكسب إلى أن حصل عنــدي ضــعف المــال، وســألني يومًا فاسـتحييت من الكـذب المتصـل، فقلت: قد حصل ذلك بسعادة الوزير. فقـال: فـرجت والله عـني فقد كنتُ مشـغول القلب إلى أن يحصل لـك، قـال: ثم أخذ الـدَّواة ووقَّع لي إلى خازنه بثلاثة آلاف دينـار صلةً فأخذتها وامتنعت أن أعـرض عليه شـيئًا، ولم أدر كيف أقـــعُ منه فلما كـــان من الغد جئتُـــهُ وجلســتُ على رســمي، فأومأ إليّ هـات ما معك ليســتدعي مــني الرِّقــاع على الرســم، فقلت: ما أخذتُ من أحدٍ رقعـةً لأن النَّذْر قد وقع الوفـاءُ به ولم أدر كيف أقع من الــوزير، فقــال: يا ســبحان الله أتــراني كنتُ أقطـعُ عنك شـيئًا قد صـار لك

عادةً وعَلِمَ به الناسُ وصارت لك به منزلةٌ عندهم وجـــاهٌ وغُـــدوٌّ ورواحٌ إلى بابـــك، ولا يعلم ســـبب انقطاعه فيُظنُّ ذلك لضـعف جاهك عنـدي أو تغيُّر رُتبتـــك، اعـــرض عليَّ رســـمك وخُذ بلا حســـاب، فقبلت يده وباكرتُهُ من غدٍ بالرقـاع، وكنت أعـرضُ عليه كل يوم شيئًا إلى أن مات وقد تأثلت[1] مالي هذا.

قال المصنف: انظروا ما يصنع قلة الفقـه، فـإنَّ هـذا الرجل الكبـير القـدر في معرفته النحو واللغة لو علم أن هذا الذي جـرى له لم يَجُـزْ شـرعًا ما حكاه وتبجح به، فإن إيصـال الظلامـات واجبٌ، ولا يجـــوز أخذ البرطيل[2] عليها ولا على شـــيء مما نصب الوزير له من أمور الدولة، وبهذا تبين مرتبة الفقه على غيره.

ذكر تلبيس إبليس على الشعراء

قال المصنف: وقد لبَّس عليهم فأراهم أنهم من أهل الأدب وأنهم قد خصُّـوا بفطنة تمـيزوا بها عن غـيرهم، ومن خصَّـكم بهـذه الفطنة ربما عفا عن زللكم، فـتراهم يهيمـون في كل واد من الكـذب والقذف والهجاء وهتك الأعراض والإقرار بالفواحش وأقلُّ أحـوالهم أن الشـاعر يمـدح الإنسـان فيخـاف أن يهجُـــوهُ فيعطيه اتقـــاء شـــرِّه أو يمدحه بين

---

1 (?) تأثلت مالى: أى ادخرته.

2 (?) البراطيل: الرشوة.

جماعة فيعطيه حيـــاءً من الحاضـــرين. وجميع ذلك من جنس المصادرة.

وترى خلقًا من الشـعراء وأهل الأدب لا يتحاشـون من لُبس الحريـر، والكـذب في المـدح خارجًا عن الحدّ، ويحكـون اجتمـاعهم على الفسق وشـرب الخمر وغـير ذلـك، ويقـول أحـدهم: اجتمعت أنا وجماعة من الأدباء ففعلنا كذا وكذا، هيهات هيهات، ليس الأدب إلا مع الله عز وجل باستعمال التقوى له، ولا قـدر للفطن في أمـور الـدنيا ولا تحسن العبـارة عند الله إذا لم يتقـهِ. وجمهور الأدباء والشعراء إذا ضاق بهم رزق تسـخَّطُوا فكفـروا وأخـذوا في لـوم الأقـدار كقـول بعضهم: (الـبسيط)

إن أصبحت همتيٍ ... فإن حظِّي ببطن

كم يفعلُ الدهرُ بي ... وكم يُسيءُ زمانٌ

وقد نسي هـؤلاء أن معاصـيهم تضـيقُ أرزاقهم فقد رأوا أنفســهم مســتحقين للنعم، مســتوجبين للسلامة من البلاء ولم يتلمَّحُوا ما يجبُ عليهم من امتثال أوامر الشـرع فقد ضـلت فطنتهم في هـذه الغفلة.

ذكر تلبيس إبليس على الكاملين من العلماء

قـال المصـنف: إن أقوامًا علت هممهم فحصـلوا علوم الشـرع من القـرآن والحـديث والفقه والأدب وغـير ذلـك، فأتـاهم إبليس بخفيِّ التلـبيس فـأراهم أنفسهم بعينٍ عظيمة لما نالوا وأفادوا غيرهم.

فمنهم من يســتفزه لطـــول عنائِه في الطلب فحسن له اللَّذَّاتِ وقـال لـه: إلى مـتى هـذا التعب

فـأرِح جوارحك من كُلف التكـاليف وافسح لنفسك في مشـتهاها. فـإن وقعت في زلة فـالعلمُ يـدفعُ عنك العقوبة، وأورد عليه فضل العلماء. فـإن خـذل هـذا العبد وقبل هـذا التلـبيس يهلك وإن وفق فينبغي له أن يقول: جوابك من ثلاثة أوجه:

أحدها: إنه إنما فُضِّلَ العلماءُ بالعلم ولولا العمل به ما كـان له معـنى. وإذا لم أعمل به كنتُ كمن لم يفهم المقصـود به ويصـير مثلي كمثل رجـلٍ جمع الطعـام وأطعم الجيـاع ولم يأكل فلم ينفعه ذلك من جوعه.

والثـاني: أن يعارضه بما ورد في ذمِّ من لم يعمل بـالعلم لقوله صـلى الله عليه وسـلم: «أشـدُّ النـاس عـذابًا يـوم القيامة عـالمٌ لم ينفعه الله بعلمه»[1].

وحكايته عن رجل يُلقى في النار فتنـدلق أقتابه فيقـول: كنت آمر بـالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه[2]. وقول أبي الـدرداء رضي الله عنـه:

---

[1] (?) ضعيف جدًا: أخرجه الطبرانى فى الصغير 1/183، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد 1/185 وقال: «وفيه عثمان الـبرى، قـال الفلاس: صـدوق لكنه كثـير الغلـط، صـاحب بدعة ضـعفه أحمد والنسائى والدارقطنى»، والبيهقى فى الشعب (1778)، وابن عـدى فى الكامل 5/158 كلهم من حـديث أبى هريـرة. وانظر: الضعيفة (1643).

[2] (?) متفق عليـه: أخرجه البخـارى فى بـدء الخلق (3267)، ومسـلم فى الزهد (2989/51) من حـديث أسـامة بن زيـد.

ويلٌ لمن لا يعلم مـرة، وويل لمن علم ولم يعمل سبع مرات[1].

والثـــالث: أن يـــذكر له عقـــاب من هلك من العلمــاء التــاركين للعمل بــالعلم كــإبليس وبلعــام. ويكفي في ذم العـــالم إذ لم يعمل قولُه تعـــالى: **كمثل الحمار يحمل أسفارًا** [الجمعة: 5].

نقد مسالك الكاملين من العلماء

وقد لبس إبليس على أقوام من المُحكمين في العلم والعمل من جهة أخـرى، فحسَّـن لهم الكِـبر بـالعلم، والحسد للنظـير، والريـاء لطلب الرياسـة، فتـارة يُـريهم أن هـذا كـالحق الـواجب لهم، وتـارة يُقوِّي حب ذلك عندهم فلا يتركونه مع علمهم بأنه خطـأ، وعلاج هـذا لمن وُفِّق إدمـانُ النظر في إثم الكــبر والحسد والريــاء وإعلامُ النفس أنَّ العلم لا يــدفعُ شــرَّ هــذه المكتســبات بل يضــاعف عــذابها لتضــاعُف الحُجَّة بهــا، ومن نظر في ســير الســلف من العلمــاء العــاملين اســتحقر نفسه فلم يتكــبر، ومن عـــرف الله لم يُـــراءِ، ومن لاحظ جريـــان أقداره على مقتضى إرادته لم يحسد.

وقد يــدخل إبليس على هــؤلاء بشــبهة ظريفة فيقـــول: طلبُكُم للرِّفعة ليس بتكـــبر لأنكم نـــوابُ

وقوله: أقتابه: أى أمعائه.

1 (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 1/211.

الشرع فإنكم تطلبون إعزاز الدين ودحض أهلِ البدع، وإطلاقكم اللسان في الحساد غضب للشرع إذ الحساد قد ذموا من قام به وما تظنونه رياء فليس برياءٍ لأن من تخاشع منكم وتباكى اقتدى به الناسُ كما يقتدون بالطبيب إذا احتمى أكثر من اقتدائهم بقوله إذا وصف.

وكشف هذا التلبيس: أنه لو تكبر متكبرٌ على غيرهم من جنسهم وصعد في المجلس فوقهُ أو قال حاسد عنه شيئًا، لم يغضب هذا العالم لذلك كغضبه لنفسه وإن كان المذكور من نواب الشرع فعلم أنه إنما لم يغضب لنفسه بل للعلم.

وأما الرياء فلا عذر فيه لأحد ولا يصلح أن يجعل طريقًا لدعاية الناس، وقد كان أيوبُ السختيانيُّ إذا حدث بحديث فرق ومسح وجهه وقال: ما أشدَّ الزُّكام، وبعد هذا، فالأعمال بالنيات والنَّاقدُ بصيرٌ وكم من ساكتٍ عن غيبة المسلمين إذا اغتيبُوا عنده فرح قلبُه، وهو آثمٌ بذلك من ثلاثة أوجه: أحدها: الفرح فإنه حصل بوجود هذه المعصية من المغتاب، والثاني: لسروره بثلب المسلمين. والثالث: أنه لا يُنكرُ.

وقد لبس إبليسُ على الكاملين في العلوم فيسهرون ليلهم ويدأبون نهارهم في تصانيف العلوم ويُريهم إبليسُ أن المقصود نشرُ الدين

ويكــون مقصــودهم البــاطن انتشــار الــذكر وعُلو الصــيت والرّياسة وطلب الرحلة من الآفــاق إلى المصنف.

وينكشف هـذا التلـبيس بأنه لو انتفع بمصـنفاته النـاس من غـير تـردد إليه أو قـرأت على نظـيره في العلم فـرح بـذلك إن كـان مـراده نشر العلم، وقد قـــال بعض الســـلف: ما مِن علمٍ علمته إلا أحببتُ أن يستفيدهُ الناس من غير أن يُنسب إليّ، ومنهم: من يفرح بكـثرة الاتبـاع ويُلبِّسُ عليه إبليس بـأن هـذا الفـرح لكـثرة طلاب العلم وإنما مـراده كثرة الأصحاب واستطارة الـذِّكر، ومن ذلك العجب بكلمـاتهم وعلمهم، وينكشف هـذا التلـبيس بأنه لو انقطع بعضـهم إلى غـيره ممن هو أعلم منه ثقل ذلك عليـه، وما هـذه صـفة المخلص في التعليم، لأن مثل المخلص مثل الأطبـــاء الـــذين يـــداوون المرضى لله ســبحانه وتعــالى فــإذا شــفي بعض المرضى على يد طــبيبٍ منهم فـــرِحِ الآخـــرُ. وقد ذكرنا آنفًا حديث ابن أبي ليلى ونعيده بإسـناد آخر عن عبد الـــــرحمن بن أبي ليلى قـــــال: أدركتُ عشـرين ومائة من أصـحاب النـبي من الأنصـار ما منهم رجلٌ يسألُ عن شيء إلا ودَّ أن أخـاه كفـاه ولا يحدثُ بحديثٍ إلا ود أن أخاه كفاه.

قال المصنف: وقد يتخلص العلماء الكاملون من تلبيسات إبليس الظاهرة فيـأتيهم بخفي من تلبيسه

بأن يقول له: ما لقيتُ مثلك، ما أعرفك بمداخلي ومخارجي فإن سكن إلى هذا هلك بالعُجب، وإن سلم من المسالمة له سلم.

وقد قال السَّريُّ السقطيُّ: لو أن رجلاً دخل بستانًا فيه من جميع ما خلق الله عز وجل من الأشجار عليها من جميع ما خلق الله تعالى من الأطيار فخاطبه كلُّ طائر بلغته وقال: السلامُ عليك يا وليَّ الله فسكنت نفسه إلى ذلك كان في أيديها أسيرًا. والله الهادي لا إله إلا هو.

الباب السابع في تلبيس إبليس على الولاة والسلاطين

قال المصنف: قد لبَّس عليهم إبليسُ من وجوهٍ كثيرة نذكر أُمَّهاتها.

فالوجه الأول: أنه يريهم أن الله عز وجل يحبهم ولولا ذلك ما ولاَّهم سلطانه ولا جعلهم نوابًا عنه في عباده، وينكشف هذا التلبيس بأنهم إن كانوا نوابًا عنه في الحقيقة فليحكموا بشرعه وليتبعوا مراضيهُ، فحينئذٍ يُحبُّهم لطاعته.

فأما صورة المُلك والسلطنة فإنه قد أعطاها خلقًا ممن يبغضه، وقد بسط الدنيا لكثير ممن لا ينظر إليه، وسلَّط جماعةً من أولئك على الأولياء والصالحين فقتلوهم وقهروهم فكان ما أعطاهم عليهم لا لهم، ودخل ذلك في قوله تعالى: ﴿**إنما**

نملى لهم ليزدادوا إثمًا [آل عمران: 178].

والثـاني: أنه يقـول لهم: الولاية تفتقر إلى هيبـة، فيتكـــــبرون عن طلب العلم ومجالسة العلمـــــاء بآرائهم فيتلفون الدين، والمعلـوم أن الطبع يسـرق من خصال المخالطين فـإذا خـالطوا مـؤثري الـدنيا الجهَّال بالشـرع، سـرق الطبع من خصـالهم مع ما عنده منها ولا يرى ما يقاومها ولا ما يزجُـرُهُ عنها وذلك سبب الهلاك.

والثـالث: أنه يُخـوِّفهم الأعـداء ويـأمرهم بتشـديد الحجاب فلا يصل إليهم أهلُ المظالم، ويتوانى من جُعِل بصـــدد رفع المظـــالم. وقد روى أبو مـــريم الأسـدي عن النـبي قـال: «من ولاهُ الله شـيئًا من أمر المســـلمين فـــاحتجب دون حـــاجتهم وخلَّتهم وفقـــرهم احتجب الله عز وجل دون حاجته وخلَّته وفقره»[1].

والرابــع: أنهم يســتعملون مَنْ لا يصــلحُ ممن لا عِلم عنده ولا تقوى، فيجتلب الـدعاء عليهم بظلمه الناس، ويطعمهم الحرام بالبيوع الفاسدة ويحدُّ من لا يجبُ عليه الحـدّ، ويظنـون أنهم يتخلصـون من الله عز وجل مما جعلوه في عنق الوالي، هيهـات

---

1 (?) صـحيح: أخرجه أبو داود فى الخـراج والإمـارة (2948)، والترمذى فى الأحكام (1333) بنحوه، والحاكم فى المستدرك 4/93، 94، والبيهقى فى السـنة الكـبرى 10/10، والحـديث إسناده صحيح كما فى الصحيحة (629).

إنَّ العامل على الزكـاة إذا وكَّل الفُسَّـاق بتفرقتها فخانوا ضمن.

والخـــامس: أنه يُحسِّـــنُ لهم العمل بـــرأيهم فيقطعون من لا يجوزُ قطعه ويقتلون من لا يحــلُّ قتلـه، ويـوهمهم أن هـذه سياسـة، وتحت هـذا من المعنى أنَّ الشريعة ناقصة تحتاج إلى إتمـام ونحن نتمها بآرائنا.

وهـذا من أقبح التَّلـبيس لأن الشـريعة سياسـةٌ إلهيةٌ، ومُحالٌ أن يقع في سياسة الإله خللٌ يحتاج معه إلى سياسة الخلق قــال الله عز وجــل: **ما فرطنا فى الكتـاب من شـىء** [الأنعـام: 38]. وقـال: **لا معقب لحكمه** [الرعـد: 41]. فمـدعي السياسة مدعي الخلل في الشـريعة، وهـذا يـزاحم الكفر.

وقد روينا عن عضد الدولة أنه كـان يميـلُ إلى جاريةٍ فكانت تشغلُ قلبه فأمر بتغريقها لئلا يشتغل قلبهُ عن تدبير الملـك، وهـذا هو الجنـون المُطبـقُ لأن قتل مسلمٍ بلا جُرمٍ لا يحل، واعتقاده أنَّ هذا جائزٌ كُفرٌ وإن اعتقده غير جـائزٍ لكنه رآه مصـلحةً فلا مصلحة فيما يخالفُ الشرع.

والسادس: أنه يُحسِّنُ لهم الانبساط في الأموال ظـانين أنها بحكمهم، وهـذا تلـبيس يكشـفه وجـوبُ الحجر على المُفـــرِّط في مـــال نفسه فكيف

بالمُستأجر في حفظ مال غيره، وإنما له من المال بقدر عمله فلا وجه للانبساط.

قال ابن عقيل: وقد روي عن حماد الراوية أنه أنشد الوليد بن يزيد أبياتًا فأعطاه خمسين ألفًا وجاريتين. قال: وهذا مما يروى على وجه المدح لهم، وهو غايةُ القدح فيهم لأنه تبذيرٌ في بيت مال المسلمين، وقد يُزَيِّنُ لبعضهم منع المستحقين وهو نظير التبذير.

والسابع: أنه يُحسِّنُ لهم الانبساط في المعاصي ويُلبِّسُ عليهم أنَّ حفظكم للسبيل وأمن البلاد بكم يمنعُ عنكم العقاب، وجواب هذا أن يقال: إنما وُلِّيتم لتحفظوا البلاد وتؤمنوا السُّبُل، وهذا واجبٌ عليهم، وما انبسطوا فيه من المعاصي منهيٌ عنه فلا يرفعُ هذا ذلك.

والثامن: أنه يلبس على أكثرهم بأنه قد قام بما يجبُ من جهة أنَّ ظواهر الأحوال مستقيمةٌ، ولو حقق النظر لرأى اختلالاً كثيرًا.

وقد روينا عن القاسم بن طلحة بن محمد الشاهد قال: رأيت علي بن عيسى الوزير وقد وكَّل بدُور البطيخ رجلاً برزقٍ يطوف على باعة العنب، فإذا اشترى أحدٌ سلَّة عنب خمريَ لم يعرض له، وإن اشترى سلَّتين فصاعدًا طرح عليها الملح لئلا يتمكن من عملها خمرًا.

قـال: وأدركتُ السّـلاطين يمنعـون المنجِّمين من القعود في الطرق حـتى لا يفشو العمـلُ بـالنجوم. وأدركنا الجُند ليس فيهم أحــدٌ معه غلامٌ أمــردُ له طُرَّة ولا شعرٌ إلى أن بُدئ بحكم العجم.

والتاســع: أنه يُحسِّــنُ لهم اســتجلاب الأمــوال واســتخراجها بالضــرب العــنيف وأخذ كل ما يملكه الخائن واســتحلافه، وإنما الطريق إقامة البيِّنة على الخائن.

وقد روينا عن عمر بن عبد العزيز أن غلامًا كتب لــه: أن قومًا خــانوا في مــال الله ولا أقــدرُ على اســـتخلاص ما في أيـــديهم إلا أن أنـــالهُمْ بعـذابٍ، فكتب إليـه: لأن يلقُـوا الله بخيـانتهم أحبُّ إليَّ من أن ألقاه بدمائهم.

والعاشــر: أنه يُحسِّــنُ لهم التصــدق بعد الغصب يُـريهم أنَّ هـذا يمحو ذلـك، ويقـول: إن درهمًا من الصدقة يمحو إثم عشرة من الغصب، وهذا محالٌ، لأنَّ إثم الغصب باقٍ، ودرهم الصـدقة إن كـان من الغصب لم يُقبـل، وإن كـانت الصـدقة من الحلال لم يـدفع أيضًـا إثم الغصب لأن إعطـاء الفقـير لا يمنع تعلُّق الذمة بحق آخر.

والحادي عشر: أنه يُحسِّنُ لهم مع الإصرار على المعاصي زيارة الصالحين وسـؤالهُمُ الـدُّعاء ويـريهم أن هذا يخفِّفُ ذلك الإثم، وهذا الخير لا يدفع ذلك

الشرَّ.

وفي الحديث عن الحسين بن زياد قال: سمعت منيعًا يقول: مرَّ تاجرٌ بعُشَّـار فحبسـوا عليه سـفينته فجـاء إلى مالك بن دينـار فـذكر له ذلـك، فقـام مالك فمشى معه إلى العشار، فلما رأوه، قالوا: يا أبا يحيى ألا بعثت إلينا في حاجتـك؟ قـال: حـاجتي أن تخلوا عن سفينة هذا الرجـل، قـالوا: قد فعلنـا، قـال: وكـان عنـدهم كُـوزٌ يجعلـون ما يأخـذون من النـاس من الـدَّراهم فيـه، فقـالوا: ادعُ لنا يا أبا يحيى، قال: قولوا للكوز يدعو لكم، كيف ادعو لكم وألـفٌ يـدعُون عليكم؟! أتُـرى يُسـتجابُ لواحـدٍ ولا يُستجابُ لألفٍ؟!

والثـاني عشـر: أن من الـوُلاة من يعمـلُ لمن فوقـهُ فيـأمره بـالظلم فيظلمُ ويُلبِّسُ عليهم إبليسُ بـأن الإثم على الأمـير لا عليـك، وهـذا باطـلٌ لأنه مُعينٌ على الظلم، وكـــــلُّ معينٍ على المعاصي عــــاصٍ فــــإن رســــول الله «لعن في الخمر عشـــرة»[1]. «ولعن آكل الرِّبا ومُوكلـــهُ وكاتبـــهُ وشاهديه»[2].

---

[1] (?) صحيح: أخرجه أبو داود فى الأشربة (3674)، وابن ماجه فى الأشـربة (3380)، وأحمد فى المسـند 2/25، وصـححه الحـاكم فى المسـتدرك 2/32 كلهم من حـديث ابن عمـر. وأخرجه الترمذى في البيوع (1295)، وابن ماجه فى الأشربة (3381) من حديث أنس بن مالك.

[2] (?) صحيح: أخرجه مسلم فى المسـاقاة (1597/105)، وأبو

ومن هذا الفن أن يجبي المال لمن هو فوقــه، وقد علم أنه يبــذر فيه ويخــون، فهــذا معين على الظلم أيضًا.

وفي الحــديث: بإســناد مرفــوع إلى جعفر بن سليمان قال: سـمعت مالك بن دينـار يقـول: «كفى بالمرء خيانةً أن يكـون أمينًا للخونـة» والله الهـادي إلى الصواب.

الباب الثامن ذكر تلبيس إبليس على العباد في العبادات

قــال المصــنف: اعلم أن البــاب الأعظم الــذي يــدخل منه إبليس على النــاس هو الجهــل، فهو يــدخل منه على الجُهَّال بأمــانٍ، وأما العــالم فلا يــــدخل عليه إلا مُســــارقةً وقد لبَّس إبليسُ على كثــيرٍ من المتعبــدين بقلة علمهم لأن جمهــورهم يشــتغل بالتعبد ولم يُحكِمِ العلم. وقد قـــال الرَّبيع بن خثيم: تفقه ثم اعتزل.

فــأوَّلُ تلبيسه عليهم: إيثــارُهُمُ التَّعبُّد على العلم، والعلمُ أفضل من النوافل فأراهم أن المقصود من العلم العمــــل، وما فهمــــوا من العمل إلا عمل الجوارح وما علموا أن العمل عمــلُ القلب وعمــلُ القلب أفضلُ من عمل الجوارح.

داود فى البيوع (3333)، والترمذى فى البيوع (1206)، وابن ماجه فى البخارات (2277).

قال مطرف بن عبد الله: فضلُ العلم خـيرٌ من فضل العبادة.

وقال يوسف بن أسـباط: بـابٌ من العلم تتعلمه أفضل من سبعين غزاةً.

وقـال المُعـافى بن عمـران: كتابـةُ حـديثٍ واحـدٍ أحبُّ إليَّ من صلاة ليلة.

قــال المصــنف: فلما مر عليهم هــذا التلــبيس وآثروا التعبُّد بالجوارح على العلم تمكَّن إبليسُ من التلبيس عليهم في فنون التعبد.

ذكر تلبيسه عليهم في الاستطابة والحدث

من ذلـك: أنه يـأمرهم بطـول المُكثِ في الخلاء وذلك يـؤذي الكبـد، وإنما ينبغي أن يكـون بمقـدار. ومنهم من يقــــوم فيمشي ويتنحنح ويرفع قـــــدمًا ويحط أخـرى وعنـده أنه يسـتنقي بهـذا وكلما زاد في هـذا نـزل البـول، وبيـان هـذا أن المـاء يرشح إلى المثانة ويجمع فيها فــإذا تهيَّأ الإنســان لبــول خــرج ما اجتمع فــإذا مشى وتنحنح وتوقف رشح شــــيء آخر فالرّشح لا ينقطـــــعُ وإنما يكفيه أن يحتلب ما في الذَّكر بين أصبعيه ثم يتبعه الماء.

ومنهم من يُحسِّــنُ له اســتعمال المــاء الكثــير وإنما يجزيه بعد زوال العين سبع مرات على أشدّ المــذاهب، فــإن اســتعمل الأحجــار فيما لم يتعد

المخرج أجزأه ثلاثةُ أحجــار إذا أنقى بهن، ومن لم يقنع بما قنع الشرعُ به فهو مُبتــدعٌ شــرعًا لا متبع والله الموفق.

ذكر تلبيسه عليهم في الوضوء

منهم من يلبسُ عليه في النيَّة فـــتراه يقـــول: أرفـعُ الحـدث، ثم يقـول: أسـتبيحُ الصـلاة، ثم يعيد فيقـول: أرفع الحـدث. وسـبب هـذا التلـبيس الجهل بالشرع، لأنَّ النيَّة بالقلب لا باللفظ، فتكلُّف اللفظ أمرٌ لا يحتاج إليه ثم لا معنى لتكرار اللفظ.

ومنهم من يلبس عليه بـــــالنظر في المــــــاء المتوضأ به، فيقـول: من أين لك أنه طـاهر ويُقـدرُ له فيه كل احتمالٍ بعيد، وفتوى الشرع تكفيه بـأن أصل الماء الطهارة فلا يترك الأصل بالاحتمال.

ومنهم من يُلبِّسُ عليه بكـثرة اسـتعمال المــاء وذلك يجمع أربعة أشــياء مكروهــة: الإســراف في المـاء، وتضـييع العمر القيم فيما ليس بـواجب ولا منـدوب، والتعـاطي على الشـريعة إذ لم يقنع بما قنعت به من استعمال الماء القليل، والدخول فيما نهت عنه من الزيـــادة على الثلاث، وربما أطـــال الوضــوء ففـات وقتُ الصـلاة، أو فـات أوله وهو الفضيلة، أو فاتته الجماعة.

وتلبيسُ إبليس على هذا بأنَّك في عبـادةٍ ما لم تصحَّ لا تصحُّ الصلاةُ، ولو تدبَّر أمــره لعلم أنه في

مخالفــةٍ وتفريــط، وقد رأينا من ينظر في هــذه الوسـاوس ولا يبـالي بمطعمه ومشـربه ولا يحفظ لسانه من غيبة فليته قلب الأمر.

وفي الحـــــديث عن عبد الله بن عمـــــرو بن العاص: أن النبي صلى الله عليه وسلم مـرَّ بسـعدٍ وهو يتوضأ، فقال: «ما هذا السرفُ يا سعدُ؟» قال: أفي الوضــوء ســرفٌ، قــال: «نعم وإن كنت على نهرٍ جارٍ».

وفي الحديث عن أبيّ عن النبي قال: «للوضـوء شــيطانٌ يقــال له الولهــان فــاتقوه»، أو قــال: «فاحذروه»[1].

وعن الحسن رضي الله عنه قـــال: شــــيطان الوضوء يدعى الولهان يضحكُ بالناس في الوضوء.

وبإسناد مرفـوع إلى أبي نعامة أن عبد الله بن مُغفـــلٍ ســـمع ابنه يقـــول: الله م إني أســـألك الفــردوس وأســألُك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها، فقـال عبد اللـه: سَـلِ الله الجنة وتعـوَّذْ به من النار، فإني سـمعت النـبي يقـول: «سـيكون

---

1 (?) ضعيف: أخرجه الترمذى فى الطهارة (57) وقال: «حديث غريب، وليس إسـناده قـوى» ثم قـال: «وخارجة ليس بـالقوى عند أصحابنا، وضعفه ابن المبـارك» وابن ماجه فى الطهـارة (421)، وأحمد فى المسـند 5/136، وأبو داود الطيالسى فى مسنده (547)، وانظر: تلخيص الحبير 1/101.

في هـــذه الأمة قـــوم يعتـــدون في الـــدعاء والطهور»[1].

وعن ابن شوذب، قـال: كـان الحسن يُعـرِّضُ با بن ســيرين يقــول: يتوضأ أحــدهم بقربة ويغتسل بمـزادةٍ صـبًّا صـبًّا، ودلكًا دلكًـا، تعـذيبًا لأنفسـهم، وخلافًا لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم.

وكان أبو الوفاء بن عقيل يقول: أجـلُّ محصـولٍ عند العقلاء الوقت، وأقل مُتعبَّدٍ به الماءُ.

وقد قال: «صـبوا على بـول الأعـرابي ذنوبًا من ماء»[2]. وقال في المـني: «أمِطـهُ عنك بـإذخرةٍ»[3]، وقال في الحذاء: «طهـوره بـأن يُـدلك بـالأرض»[4]،

---

1 (?) صحيح: أخرجه أبو داود فى الطهارة (96)، وابن ماجه فى الدعاء (3864)، وأحمد فى المسند 4/86، 87، وابن حبان فى صحيحه (171 مـوارد)، والـبيهقى فى السـنة الكـبرى 1/197، والحديث إسناده صحيح كما فى تلخيص الحبير 1/144.

2 (?) متفق عليـه: أخرجه البخـارى فى الوضـوء (219، 221)، ومســلم فى الطهــارة (284/98، 99) من حــديث أنس بن مالــك. وأخرجه البخــارى فى الوضــوء (220) من حــديث أبى هريرة.

3 (?) صــحيح موقوفــا: أخرجه الــدارقطنى فى ســنته 1/124 مرفوعا وقـــال: «لم يرفعه غـــير إســـحاق الأزرق»، وأخرجه الــبيهقى فى الســنة الكــبرى 2/418 موقوفا علىّ بن عبــاس، وقال: «وهذا هو الصحيح موقوف».

4 (?) صـــحيح: أخرجه أبو داود فى الطهـــارة (385، 386)، وصححه الحاكم فى المسـتدرك 1/166 ووافقه الـذهبى، وابن خزيمة فى صحيحه (292)، وابن حبان فى صـحيحه (1401)،

وفي ذيل المرأة: «يُطهرُهُ ما بعده»[1].

وقال: «يُغسْلُ بولُ الجارية ويُنضحُ بولُ الغلام»[2]. «وكان يحمل ابنة أبي العاص بن الربيع في الصلاة»[3]. ونهى الراعي عن إعلام السَّائل له عن الماء يردُهُ، وقال: «يا صاحب الماء لا تُخبرهُ»[4]. وقال: «ما أبقيت لنا من طهور؟»، «وقد صافح رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعراب، وركب الحمار مُعروريًا»[5]، وما عُرف من خُلُقِهِ

والبيهقى فى السنه الكبرى 2/430 كلهم من حديث أبى هريرة.

1 (?) صحيح: أخرجه أبو داود فى الطهارة (383)، والترمذى فى الطهارة (143)، والدارمى فى الطهارة (742)، ومالك فى الموطأ فى الطهارة (16)، والبيهقى فى السنه الكبرى 2/406 كلهم من حديث أم سلمة.

2 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الوضوء (222)، ومسلم فى الطهارة (286/102) من حديث عائشة.

وأخرجه البخارى فى الوضوء (223)، ومسلم فى الطهارة (287/103) من حديث أم قيس بنت محصن.

3 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الصلاة (516)، ومسلم فى المساجد (543/41) من حديث أبى قتادة الأنصارى.

4 (?) ضعيف: أخرجه ابن ماجه فى الطهارة (519) من حديث أبى سعيد، وقال البوصيرى فى الزوائد: «هذا إسناد ضعيف، عبد الرحمن بن زيد، قال فيه الحاكم: روى عن أبيه أحاديث موضوعة، وقال ابن الجوزى: أجمعوا على ضعفه». وأخرجه مالك فى الموطأ فى الطهارة 1/23، موقوفا على ابن عمر. وانظر: تلخيص الحبير (15).

5 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الجهاد (2866)، ومسلم فى الفضائل (2307/48) من حديث أنس بن مالك.

التعبُّدُ بكـثرة المـاء، وتوضأ من سـقاية المسـجد، ومعلـوم حـالُ الأعـراب الـذين يـأتي أحـدهم من البادية كأنه بهيمة، أو ما سمعت أن أحـدهم أقـدم على البول في المسجد، كل ذلك لتعليمنا وإعلامنا أن المـاء على أصل الطهـارة، وتوضأ من غـدير كأن ماءهُ نُقاعةُ الحِنَّاء[1].

فأما قوله: «استنزهوا من البـول»[2] فـإن للتـنزه حـدًا معلومًا وهو أن لا يغفل عن محل قد أصـابه حتى يتبعه المـاء، فأما الاسـتنثار فإنه إذا علق نما وانقطع الوقت بما لا يقضي بمثله الشرع.

قال المصـنف: وكـان أسـود بن سـالم وهو من كبار الصالحين يستعمل مـاءً كثـيرًا في وضـوئه ثم تـرك ذلـك، فسـأله رجل عن سـبب تركـه، فقـال: نمتُ ليلة فإذا بهاتفٍ يهتفُ بي: يا أسـود ما هـذا؟ يحـيى بن سـعيد الأنصـاري، حـدثني عن سـعيد بن المُسيِّب قال: إذا جـاوز الوضـوءُ ثلاثًا لم يرفع إلى السـماء. قـال: قلتُ: لا أعـودُ لا أعـودُ، فأنا اليـوم يكفيني كفٌّ من ماء.

ذكر تلبيسه عليهم في الأذان

---

1 (?) ضعيف جدًا: ذكره ابن حجر فى تلخيص الحبير 1/13، 14 وقال: «لم أجد له أصلا..».

2 (?) انظر: البخارى فى الوضوء (218)، ومسلم فى الطهارة (292/111) من حديث ابن عباس.

وانظر: الترغيب والترهيب 1/139، ونصب الراية 1/128.

ومِنْ ذَلِكَ التلحين في الأذان وقد كرههُ مالكُ بن أنس وغيره من العُلماء كراهيةً شديدة، لأنه يُخرجُهُ عن موضع التعظيم إلى مشابهة الغناء، ومنه أنهم يخلطُون أذان الفجرِ بالتذكيرِ والتسبيح والمواعظ ويجعلون الأذان وسطًا فيختلطُ. وقد كره العلماءُ كل ما يُضافُ إلى الأذان.

وقد رأينا من يقوم بالليل كثيرًا على المنارة فيعظُ ويذكر، ومنهم من يقرأ سورًا من القرآن بصوتٍ مرتفع فيمنعُ الناس من نومهم ويخلط على المتهجدين قراءتهم وكل ذلك من المنكرات.

ذكر تلبيسه عليهم في الصلاة

من ذلك تلبيسه عليهم في الثياب التي يستتر بها فترى أحدهم يغسل الثوب الطاهر مرارًا وربما لمسه مسلم فيغسله، ومنهم من يغسل ثيابه في دجلة لا يرى غسلها في البيت يجزئ ومنهم من يدليها في البئر كفعل اليهود وما كانت الصحابةُ تعملُ هذا؛ بل قد صلوا في ثياب فارس لما فتحوها واستعملوا أوطئتهم وأكسيتهم.

ومن الموسوسين من يقطر عليه قطرة ماء فيغسل الثوب كله وربما تأخر لذلك عن صلاة الجماعة، ومنهم من ترك الصلاة جماعة لأجل مطرٍ يسيرٍ يخافُ أن ينتضح عليه، ولا يظن ظانٌّ أنني أمتنع من النظافة والورع ولكن المبالغة

الخارجة عن حدِّ الشرع المضيعة للزمان هي التي ننهى عنها.

ومن ذلك تلبيسه عليهم في نية الصلاة فمنهم من يقول: أصلي صلاة كذا ثم يعيد هذا ظنًا منه أنه قد نقض النية، والنية لا تُنقضُ وإن لم يُرض اللفظُ، ومنهم من يكبر ثم ينقض ثم يكبر ثم ينقض فإذا ركع الإمام كبَّر المُوسوسُ وركع معه، فليت شعري ما الذي أحضر النية حينئذٍ وما ذاك إلا لأن إبليس أراد أن يفوتهُ الفضيلة.

وفي الموسوسين من يحلف ب الله لا كبرت غير هذه المرة. وفيهم من يحلف ب الله بالخروج من ماله أو بالطلاق، وهذه كلُّها تلبيسات إبليس.

والشريعة سمحةٌ سهلةٌ سليمةٌ من هذه الآفات، وما جرى لرسول الله ولا لأصحابه شيءٌ من هذا، وقد بلغنا عن أبي حازم أنه دخل المسجد فوسوس إليه إبليسُ أنك تصلي بغير وضوء فقال: ما بلغ نصحك إلى هذا.

وكشف هذا التلبيس أن يقال للمُوسوس: إن كنت تريدُ إحضار النية فالنيةُ حاضرةٌ لأنك قُمت لتؤدي الفريضة وهذه هي النيةُ ومحلُّها القلبُ لا اللفظُ إن كنت تريدُ تصحيح اللفظ، فاللفظ لا يجبُ، ثم قد قلته صحيحًا، فما وجه الإعادة، أفتراك تظنُّ وقد قلت إنك ما قلت. هذا مرضٌ.

قال المصنف: وقد حكى لي بعض الأشـياخ عن ابن عقيل حكاية عجيبة أن رجلاً لقيه فقـال: إني أغسلُ العضو وأقولُ ما غسلته، وأُكبِّرُ وأقول ما كبَّرتُ. فقـال له ابن عقيـل: دع الصـلاة فإنها ما تجبُ عليك. فقال قوم لا بن عقيل: كيف تقول هذا؟ فقال لهم: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «رُفع القلمُ عن المجنون حتى يُفيق»[1]، ومن يُكبِّرُ ويقولُ ما كبرتُ فليس بعاقلٍ، والمجنونُ لا تجبُ عليه الصلاة.

قـال المصـنف: واعلم أن الوسوسة في نية الصـلاة سـببها خبـلٌ في العقل وجهل بالشـرع. ومعلومٌ أن من دخل عليه عالم فقام له وقال: نويتُ أن أنتصب قائمًا لدخول هـذا العـالم لأجل علمه مقبلاً عليه بوجهي، سُفِّهَ في عقلـه، فـإن هذا قد تُصُوِّر في ذهنه منذ رأى العالم.

فقيام الإنسان إلى الصلاة ليؤدي الفـرض أمر يُتصوَّرُ في النفس في حالة واحدة لا يطول زمانه وإنما يطولُ زمانُ نظم هـذه الألفـاظ والألفـاظ لا

---

1 (?) صحيح: أخرجه أبو داود فى الحدود (4399 ـــ 4401)، وابن خزيمة فى صحيحه (1003)، وابن حبان فى صحيحه (143 موارد)، وصححه الحاكم فى المستدرك 2/59 ووافقه الذهبى، كلهم من حديث علىّ بن أبى طالب.
وأخرجه أبو داود فى الحدود (4398)، والنسائى فى الطلاق (3432)، وابن ماجه فى الطلاق (2041)، وأحمد فى المسند 6/100، 101 كلهم من حديث عائشة.

تلزم والوسواس جهل محض.

وإن الموسوس يُكلِّفُ نفسه أن يُحضر في قلبه الظهرية والأدائية والفرضية في حالة واحدة مفصلة بألفاظه وهو يطالعها وذلك محال. ولو كلف نفسه ذلك في القيام للعالم لتعذر عليه، فمن عرف هذا عرف النية، ثم إنه يجوز تقديمها على التكبير بزمان يسير ما لم يفسخها. فما وجه هذا التعب في إلصاقها بالتكبير على أنه إذا حصلها ولم يفسخها فقد التصقت بالتكبير.

وعن مسعر قال: أخرج إليَّ معنُ بن عبد الرحمن كتابًا وحلف ب الله أنه خط أبيه وإذا فيه: قال عبد الله: والذي لا إله غيره ما رأيت أحدًا كان أشدَّ على المُتنطِّعين من رسول الله ولا رأيتُ بعده أشد خوفًا عليهم من أبي بكر، وإني لأظنُّ عمر كان أشد أهل الأرض خوفًا عليهم.

(فصل):

ومن الموسوسين من إذا صحَّت له النيةُ وكبَّر ذهل عن باقي صلاته كأنه المقصود من الصلاة التكبير فقط، وهذا تلبيس يكشفه أن التكبير يُراد للدُّخول في العبادة، فكيف تُهْمَلُ العبادةُ وهي كالدَّار ويقتصر على التُّشاغل بحفظ الباب.

(فصل):

ومن المُوسوسين من تصحُّ له التكبيرةُ خلف

الإمـــام وقد بقي من الرَّكعة يســـيرٌ فيســـتفتحُ ويستعيذُ فيركعُ الإمام، وهذا تلبيس أيضًا لأن الـذي شـرع فيه من التعـوذ والاسـتفتاح مسـنُونٌ والـذي تركه من قـــراءة الفاتحة وهو لازم للمـــأموم عند جماعة من العلماء فلا ينبغي أن يقدّم عليه سُنَّة.

قال المصنف: وقد كنتُ أصلي وراء شـيخنا أبي بكر الدينوري الفقيه في زمان الصـبا فـرآني مـرة أفعل هذا فقال: يا بني إن الفقهاء قد اختلفوا في وجوب قراءة الفاتحة خلف الإمام ولم يختلفوا في أن الاستفتاح سُنَّةٌ فاشتغل بالواجب ودع السُّنن.

ترك السنن

(فصل):

وقد لبَّس إبليسُ على قــوم فــتركوا كثــيرًا من السّنن لواقعات وقعت لهم. فمنهم من كان يتخلف عن الصف الأول ويقـول: إنما أراد قُـرب القلـوب، ومنهم من لم ينزل يدًا على يد في الصلاة وقال: أكـرهُ أن أُظهر من الخشـوع ما ليس في قلـبي، وقد روينا هذين الفعلين عن بعض أكابر الصالحين. وهـذا أمـرٌ أوجبه قلَّةُ العلم، ففي الصـحيحين من حـديث أبي هريـرة رضي الله عنه عن النـبي أنه قــال: «لو يعلمُ النــاسُ ما لهم في النِّداء والصف الأول ثم لم يجـــــدوا إلا أن يســــتهمُوا عليه

لاستهمُوا»[1].

وفي أفــراد مســلم في حديثه عن النــبي أنه قال: «خيرُ صفوف الرِّجال أوَّلُها وشـرُّها آخرُهـا»[2]. وأما وضع اليد على اليد فسنة، روى أبو دواد في سننه أن ابن الزبـير قـال: وضع اليد على اليد من السنة[3]، وأن ابن مسعود كـان يصـلِّي فوضع يـدهُ اليسرى على اليمنى فرآه النبي فوضع يده اليمنى على اليسرى[4].

قال المصنف: ولا يكبُـرنَّ عليك إنكارنا على من قال: أراد قُرب القلـوب ولا أضع يـدًا على يد وإن كان من الأكابر، فإن الشرع هو المُنكرُ لا نحنُ.

وقد قيل لأحمد بن حنبل رحمة الله عليــه: إن ابن المبارك يقول كذا وكذا. فقال: إن ابن المبارك لم ينزل من السماء.

---

1 (?) متفق عليـه: أخرجه البخـارى فى الأذان (653)، ومسـلم فى الصلاة (437/129).

2 (?) صحيح: أخرجه مسلم فى الصـلاة (440/132)، وأبو داود فى الصلاة (678)، والترمذى فى الصـلاة (224)، والنسـائى فى الإمامة (819)، وابن ماجه فى الإقامة (1000) كلهم من حديث أبى هريرة.

3 (?) إسـناده ضـعيف: أخرجه أبو داود فى الصـلاة (754)، فى إسـناده العلاء ابن صـاع وهو مقبـول كما فى التقـريب، وأيضًـا زرعة بن عبد الرحمن.

4 (?) حسن: أخرجه أبو داود فى الصلاة (755)، والنسـائى فى الافتتاح (887)، وابن ماجه فى إقامة الصلاة (811)، وحسنه ابن حجر فى الفتح 2/262.

وقيل له: قال إبراهيم بن أدهم. فقال: جئتموني بِبُنيَّات الطريق عليكم بالأصل. فلا ينبغي أن يترك الشرع لقول مُعظَّم في النفس، فإن الشرع أعظم، والخطأ في التأويل على الناس يجري، ومن الجائز أن تكون الأحاديثُ لم تبلُغْهُ.

(فصل):

وقد لبَّس إبليسُ على بعض المصلين في مخارج الحروف فتراه يقول: الحمدُ الحمد، فيخرج بإعادة الكلمة عن قانون أدب الصلاة، وتارة يلبس عليه في تحقيق التشديد، وتارة في إخراج ضاد المغضوب، ولقد رأيت من يقول المغضوب فيخرج بصاقه مع إخراج الضاد لقوة تشديده، وإنما المراد تحقيق الحرف فحسب، وإبليسُ يُخرجُ هؤلاء بالزّيادة عن حدِّ التحقيق ويشغلهم بالمبالغة في الحروف عن فهم التّلاوة وكل هذه الوساوس من إبليس.

وعن سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء، أن سهل بن أبي أُمامة حدَّثه: أنه دخل هو وأبوه على أنس بن مالك رضي الله عنه وهو يصلي صلاة خفيفة كأنها صلاة مسافر فلما سلم قال: يرحمك الله أرأيت هذه الصلاة المكتوبة كصلاة رسول الله أم شيء تنفَّلته. قال: إنها لصلاةُ رسول الله ما أخطأتُ إلا شيئًا سهوتُ عنه أن رسول

الله كان يقـول: «لا تُشـدِّدُوا على أنفسـكم فيُشـدِّد الله عليكم، فإن قومًا شدَّدوا على أنفسهم فشـدَّد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والدِّيارات[1] ﴿ورهبانية ابتـــــدعوها ما كتبناها عليهم﴾» [الحديد: 27].

وفي أفـراد مسـلم من حـديث عثمـان بن أبي العـاص قـال: قلت لرسـول الله صـلى الله عليه وسـلم: إن الشـيطان قد حـال بيـني وبين صـلاتي وقراءتي يُلبِّسُها علي، فقال رسول الله صـلى الله عليه وسلم: «ذاك الشـيطانُ يُقـال له خـنزبٌ فـإذا أحسســـتهُ فتعـــوَّذ ب الله منه ثلاثًا واتفل عن يسارك» ففعلتُ ذلك، فأذهبه الله عني[2].

(فصل):

وقد لبَّس إبليس على خلق كثـــير من جهلة المتعبـدين، فـرأوا أن العبـادة هي القيـام والقعـود فحســب، وهم يـدأبون في ذلك ويُخلُّون في بعض واجباتهم ولا يعلمون، وقد تـأملت جماعة يسـلمون إذا ســلم الإمـــام وقد بقي عليهم من التشـــهد

---

1 (?) إسناده ضعيف: أخرجه أبو داود فى الأدب (4904)، وأبو يعلى كما فى مجمع الزوائد 6/256، وقـال الهيثمى: «ورجاله رجال الصحيح غـير سـعيد بن عبد الـرحمن ابن أبى العميا وهو ثقة»، قال ابن حجر فى التقريب: «سعيد مقبـول»، والحـديث ضعفه الألبانى فى ضعيف أبى داود.

2 (?) صحيح: أخرجه مسلم فى السلام (2203/68)، وأحمد فى المسند 4/316.

الواجب شيءٌ وذلك لا يحمله الإمام عنهم.

ولبَّس على آخـرين منهم فهم يطيلـون الصـلاة ويكـثرون القـراءة ويـتركون المسـنون في الصـلاة ويرتكبـون المكـروه فيهـا. وقد دخلت على بعض المتعبدين وهو يتنفل بالنهـار ويجهر بـالقراءة فقلت له: إن الجهر بالقراءة بالنهار مكـروه فقـال لي: أنا أطردُ النوم عـني بـالجهر فقلت لـه: إن السـنن لا تـترك لأجل سـهرك ومـتى غلبك النـومُ فنم فـإن للنفس عليك حقًّا.

وعن بُريـدة قـال: قـال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم: «من جهر بـالقراءة في النهـار فارجموه بالبعر»[1].

الإكثار من صلاة الليل

(فصل):

وقد لبَّس إبليس على جماعة من المتعبـدين فـأكثروا من صـلاة الليل وفيهم من يسـهره كله ويفرح بقيام الليل وصلاة الضـحى أكـثر مما يفـرح بـأداء الفـرائض، ثم يقع قبيل الفجر فتفوته الفريضـة. أو يقـوم فيتهيأ لها فتفوته الجماعة أو يصبح كسلان فلا يقـدر على الكسب لعائلتـه، ولقد

---

[1] (?) لا أصل لـه: ذكـره الخطيب فى تـاريخ بغـداد 14/334، وانظر: ابن عدى فى الكامل 7/268، وميزان الاعتدال للذهبى 4/442.

رأيت شـــيخًا من المتعبـــدين يقـــال له حســـين القزويـــني يمشي كثـــيرًا من النهـــار في جـــامع المنصـور فسـألت عن سـبب مشـيه فقيل لي لئلا ينام، فقلت: هذا جهلٌ بمقتضى الشـــرع والعقل أما الشـــرع فـــإن النـــبي قـــال: «إن لنفسك عليك حقًّا فقُم ونم»[1].

وكان يقول: «عليكم هديًا قاصدًا فإنه من يُشـادَّ هذا الدين يغلبهُ»[2].

وعن أنس بن مالك قـــــال: دخل رســـــولُ الله المسجد وحبلٌ ممدودٌ بين ساريتين فقال: ما هـذا؟ قالوا: لزينب تصلي فإذا كسلت أو فـترت أمسـكت به، فقال: «حُلُّوه». ثم قال: «لِيُصلِّ أحـدُكم نشـاطهُ فإذا كسل أو فتر فليقعُدْ»[3].

وعن عائشة قالت: قـال رسـول الله «إذا نعس أحدكم فليرقد حـتى يـذهب عنه النـومُ فـإذا صـلى

---

1. (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى التهجد (1153)، ومسلم فى الصـيام (1159/181) من حـديث عبد الله بن عمـرو بن العاص.
2. (?) صحيح: أخرجه أحمد فى المسند 5/350، وصححه الحاكم فى المســـتدرك 1/312 ووافقه الـــذهبى، وابن خزيمة فى صحيحة (1179) والبيهقى فى السنه الكبرى 3/18 من حديث بريدة، وانظر: الصحيحة 4/286، 355. وفى صـحيح البخـارى ما يشهد طعناه فى كتاب الإيمان (39) من حديث أبى هريرة.
3. (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى التهجد (1150)، ومسلم فى صلاة المسافرين (784/219).

وهو ينعس لعله يــذهب ليســتغفر فيــذهب فيسب نفسه»[1].

قال المصنف: هذا حديث صحيح أخرجه البخاري ومسـلم وانفـرد بالـذي قبله البخـاري. وأما العقـل، فـإن النـوم يجـدد القـوى الـتي قد كلَّت بالسـهر فمـــتى دفعه الإنســـان وقت الحاجة إليه أثَّر في بدنه وعقله فنعـوذ ب الله من الجهـل، فـإن قـال قائـل: فقد رويت لنا أن جماعة من السـلف كـانوا يحيون الليـل. فـالجواب: أولئك تـدرجوا حـتى قـدروا على ذلك وكـانوا على ثقة من حفظ صـلاة الفجر في الجماعـــة، وكـــانوا يســـتعينون بالقائلة مع قِلَّةِ المطعم وصح لهم ذلـــك، ثم لم يبلغنا أن رســـول الله سهر ليلة لم ينم فيها فسنته هي المتبوعة.

(فصل):

وقد لبس إبليس على جماعة من قـــوام الليل فتحـــدثوا بـــذلك بالنهـــار، فربما قـــال أحـــدهم: فلان المـؤذن أذن بـوقت ليعلم النـاس أنه كـان منتبهًـا، فأقل ما في هـــذا إن سَـــلِمَ من الريـــاء أن ينقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية فيقلّ الثواب.

(فصل):

وقد لبس على آخـــرين انفـــردوا في المســـاجد

[1] (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الوضوء (212)، ومسـلم فى صلاة المسافرين (786/222).

للصلاة والتعبد فعرفوا بذلك واجتمع إليهم ناس فصلوا بصلاتهم وشاع بين الناس حالهم، وذلك من دسائس إبليس وبه تقوى النفس على التعبد لعلمها أن ذلك يشيع ويوجب المدح، وعن زيد بن ثابت أن النبي قال: «إن أفضل صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة»[1]. قال المصنف: أخرجاه في الصحيحين.

وكان عامر بن عبد قيس يكره أن يروه يصلي، وكان لا يتنفّل في المسجد، وكان يصلي كل يوم ألف ركعة. وكان ابن أبي ليلى إذا صلى ودخل عليه داخل اضطجع.

(فصل):

وقد لبس على قوم من المتعبدين وكانوا يبكون والناس حولهم وهذا قد يقع عليه فلا يمكن دفعه، فمن قدر على ستره فأظهره فقد تعرض للرياء. وعن عاصم قال: كان أبو وائل إذا صلى في بيته نشج نشيجًا[2] ولو جُعِلت له الدنيا على أن يفعله وأحدٌ يراه ما فعله. وقد كان أيوبُ السختيانيُّ إذا غلبه البكاء قام.

(فصل):

---

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الأذان (731)، ومسلم فى صلاة المسافرين (781/213).

2 (?) نشج نشيجا: تردد البكاء فى صدره من غير انتحاب.

وقد لبس على جماعة من المتعبِّدين فـــــتراهم يُصلُّون الليل والنهار، ولا ينظرون في إصـلاح عيب بـــاطن ولا في مطعم، والنظر في ذلك أولى بهم من كثرة التَّنفل.

ذكر تلبيسه عليهم في قراءة القرآن

وقد لبس على قوم بكـثرة التلاوة فهم يهـزُّون هـزّا من غــير ترتيل ولا تثبت وهــذه حالة ليست بمحمـودة، وقد روي عن جماعة من السـلف أنهم كـانوا يقــرأون القــرآن في كل يــوم أو في كل ركعة وهذا يكـون نـادرًا منهم ومن داوم عليه فإنه وإن كــان جــائزًا إلا أن الترتيل والتثبت أحب إلى العلمـاء وقد قـال رسـول الله «لا يفقه من قـرأ القرآن في أقل من ثلاث»[1].

قـال المصـنف: وقد لبَّس إبليس على قـوم من القـراء فهم يقـرأون القـرآن في منـارة المسـجد بالليل بالأصوات المجتمعة المرتفعة الجزء والجزأين فيجمعــون بين أذى النــاس في منعهم من النــوم وبين التعرُّض للرِّياء، ومنهم من يقرأ في مسـجده وقت الأذان لأنه حين اجتماع الناس في المسجد.

قـــال المصـــنف: ومن أعجب ما رأيت فيهم أنَّ

---

[1] (?) صــحيح: أخرجه أبو داود فى الصــلاة (1390، 1394)، والترمذى فى القراءات (2949) وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه فى إقامة الصلاة (1347)، وأحمد فى المسـند 2/164، 193 كلهم من حديث عبد الله بن عمرو.

رجلاً كان يصلي بالناس صلاة الصبح يوم الجمعة ثم يلتفت فيقرأ المعوذتين ويدعو دعاء الختمة ليعلم الناس أنه قد ختم الختمة. وما هذه طريقة السلف فإن السلف كانوا يسترون عبادتهم، وكان عمل الربيع بن خثيم كله سرًا فربما دخل عليه الداخل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه، وكان أحمد بن حنبل يقرأ القرآن كثيرًا ولا يُدْرَى متى يختم.

قال المصنف: قد سبق ذكر جملة من تلبيس إبليس على القراء والله أعلم بالصواب وهو الموفق.

ذكر تلبيسه عليهم في الصوم

قال المصنف: وقد لبس على أقوام فَحسَّن لهم الصوم الدائم، وذلك جائز إذا أفطر الإنسان الأيام المحرم صومها إلا أن الآفة فيه من وجهين: أحدهما: أنه ربما عاد بضعفِ القُوى فأعجز الإنسان عن الكسب لعائلته ومنعه من إعفاف زوجته، وفي الصحيحين عن رسول الله أنه قال: «إن لزوجك عليك حقًا»[1]، فكم من فرض يضيع بهذا النفل.

والثاني: أنه يفوت الفضيلة فإنه قد صح عن

[1] (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الصوم (1975)، ومسلم فى الصيام (1159/182) من حديث عبد الله بن عمرو.

رسـول الله أنه قـال: «أفضل الصـيام صـيامُ داود عليه الصـلاة والسـلام كـان يصـوم يومًا ويفطر يومًا»[1].

وبالإسـناد عن عبد الله بن عمـرو قـال: لقيـني رسـول الله فقـال: «ألم أحـدث عنك أنك تقـوم الليـل؟ وأنت الـذي تقـول: لأقُـومنَّ الليل ولأصُـومنَّ النهار؟»، قال: أحسبه قـال: نعم يا رسـول الله قد قلت ذلـك، فقـال: «فقم ونم وصم وأفطـر، وصم من كل شهر ثلاثة أيام، ولك مثل صـيام الـدهر»، قال: قلتُ: يا رسول الله إني أطيقُ أكـثر من ذلك قـال: «فصم يومًا وأفطر يـومين»، قلت: إني أطيق أفضل من ذلك، قال: «فصم يومًا وأفطر يومًا وهو أعدل الصوم وهو صيام داود عليه السـلام»، قلت: إني أُطيقُ أفضل من ذلك، فقـال رسـول الله «لا أفضل من ذلك»[2]، أخرجاه في الصحيحين.

فـإن قـال قائـل: فقد بلغنا عن جماعة من السلف أنهم كانوا يسردون الصـوم، فـالجواب أنهم كـانوا يقـدرون على الجمع بين ذلك وبين القيـام بحقـوق العائلة ولعل أكـثرهم لم تكن له عائلة ولا حاجة إلى الكسب، ثم إن فيهم من فعل هذا في

---

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الصوم (1976)، ومسلم فى الصيام (1159/192) من حديث عبد الله بن عمرو.

2 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الصوم (1976)، ومسلم فى الصيام (1159/181).

آخر عمره، على أن قول رسول الله «لا أفضل من ذلك» قطع هذا الحديث.

وقد داوم جماعة من القدماء على الصوم مع خشونة المطعم وقلته، ومنهم من ذهبت عينه، ومنهم من نشف دماغه، وهذا تفريط في حق النفس الواجب وحملٌ عليها ما لا تطيق فلا يجوز.

(فصل):

وقد يشيعُ عن المتعبد أنه يصومُ الدهر فيعلمُ بشياع ذلك فلا يفطر أصلاً، وإن أفطر أخفى إفطاره لئلا ينكسر جاهه وهذا من خفيِّ الرياء، ولو أراد الإخلاص وستر الحال لأفطر بين يدي من قد علم أنه يصومُ، ثم عاد إلى الصوم ولم يعلم به، ومنهم من يخبر بما قد صام، فيقول: اليوم منذ عشرين سنة ما أفطرتُ، ويُلبِّسُ عليه بأنك إنما تخبر ليقتدى بك، والله أعلم بالمقاصد.

قال سفيان الثوري رضي الله عنه: إن العبد ليعمل العمل في السر فلا يزالُ به الشيطان حتى يتحدث به فينتقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية.

وفيهم من عادته صوم الإثنين والخميس فإذا دعي إلى طعام، قال: اليوم الخميس، ولو قال: أنا صائم كانت محنة، وإنما قوله: اليوم الخميس معناه أني أصوم كل خميس، وفي هؤلاء من يرى

الناس بعين الاحتقـار لكونه صـائمًا وهم مفطـرون، ومنهم من يلازم الصوم ولا يبالي على ماذا أفطر، ولا يتحاشى في صــومه عن غيبة ولا عن نظــرة ولا عن فضـــول كلمـــة، وقد خيَّل له إبليسُ أنَّ صومك يدفعُ إثمك وكل هذا من التبليس.

ذكر تلبيسه عليهم في الحج

قال المصنف: قد يسقط الإنسان الفرض بـالحج مرة، ثم يعود لا عن رضـاء الوالـدين وهـذا خطـأ، وربما خــرج وعليه ديــون أو مظــالم، وربما خــرج للنزهة وربما حج بمـــال فيه شـــبهة، ومنهم من يحب أن يُتلقَّى، ويقـال: الحـاجُّ، وجمهـورهم يضـيع في الطريق فـــرائض من الطهـــارة والصـــلاة ويجتمعون حول الكعبة بقلوب دنسةٍ وبـواطن غـير نقيـةٍ، وإبليسُ يُـريهم صـورة الحج فيغُـرُّهم، وإنما المراد من الحج القرب بـالقلوب لا بالأبـدان، وإنما يكون ذلك مع القيام بالتقوى.

وكم من قاصـــدٍ إلى مكة همته عـــدد حجاته فيقــول لي عشــرون وقفــة، وكم من مجــاورٍ قد طــال مُكثُــهُ ولم يشــرع في تنقية باطنــه، وربما كــانت همته متعلقة بفتــوح يصل إليه ممن كــان، وربما قـال: إنَّ لي اليـوم عشـرين سـنة مجـاورًا، وكم قد رأيت في طريق مكة من قاصد إلى الحج يضــرب رفقــاءه على المــاء ويضــايقهم في

الطريق.

وقد لبَّس إبليسُ على جماعة من القاصدين إلى مكَّة فهم يضيعون الصلوات، ويُطففُون إذا باعوا، ويظُنُّون أن الحجَّ يدفعُ عنهم، وقد لبَّس إبليسُ على قومٍ منهم فابتدعوا في المناسك ما ليس منها، فرأيتُ جماعة يتصنعون في إحرامهم فيكشفون عن كتفٍ واحدةٍ ويبقون في الشمس أيامًا فتُكشطُ جلودهُم وتنتفخُ رؤوسُهُم ويتزينون بين النَّاس بذلك.

وفي أفراد البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي رأى رجلاً يطوف بالكعبة بزمام فقطعه، وفي لفظ آخر: رأى رجلاً يقود إنسانًا بخزامةٍ في أنفه فقطعها بيده ثم أمره في أن يقودهُ بيده[1].

قال المصنف: وهذا الحديث يتضمن النهي عن الابتداع في الدين وإن قُصدت بذلك الطاعة.

تلبيسه عليهم في التوكل

(فصل):

وقد لبَّس على قومٍ يدعون التوكل فخرجوا بلا زادٍ وظنوا أن هذا هو التوكل، وهم على غاية من

---

1 (?) صحيح: أخرجه البخارى فى الحج (1621)، وأبو داود فى الأيمان والنذور (3302)، والنسائى فى مناسك الحج (2920)، وغيرهم.

الخطأ. قال رجل للإمـام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: أريد أن أخرج إلى مكة على التَّوكُّل من غـير زاد. فقال له أحمد: فاخرج في غير القافلة. قال: لا، إلا معهم: قال: فعلى جراب الناس توكلت؟ فنسـأل الله أن يوفقنا.

ذكر تلبيس إبليس على الغزاة

قال المصـنف: قد لبس إبليس على خلـقٍ كثـير فخرجوا إلى الجهاد ونيتهم المباهاة والريـاء ليقـال: فلانٌ غازٍ، وربما كان المقصود أن يقـال: شـجاع أو كان طلب الغنيمة، وإنما الأعمال بالنيات.

وعن أبي موسى قـال: جـاء رجل إلى النـبي فقـال: يا رسـول الله أرأيت الرجل يقاتل شـجاعةً ويقاتل حميَّةً ويقاتل ريـاءً فـأي ذلك في سـبيل اللـه؟ فقـال رسـول الله «من قاتل لتكُـون كلمـةُ الله هي العليا فهو في سبيل الله»[1]. أخرجـاه في الصحيحين.

وعن ابن مسـعود رضي الله عنه قـال: «إيـاكم أن تقولوا مـات فلان شـهيدًا أو قُتِـلَ فلان شـهيدًا فإن الرجل ليقاتلُ ليغنم ويُقاتلُ ليُذكر ويقاتل ليُرى مكانه».

وبالإسـناد عن أبي هريـرة رضي الله عنـه، عن

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الجهاد (2810)، ومسلم فى الإمارة (1904/149).

النبي أنه قال: «أول الناس يُقضى فيه يوم القيامة ثلاثة، رجل استُشهد فأُتي به فعرّفـهُ نعمـهُ فعرفها فقال: ما عملت فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى قتلتُ، قـال: كـذبت ولكنك قـاتلت ليقـال هو جـريءٌ فقد قيـل، ثم أُمر فسُـحب على وجهه حـتى أُلقي في النار، ورجلٌ تعَلَّمَ العلمَ وعَلَّمَهُ وقَـرَأَ القـرآنَ فَـأُتِيَ بِـهِ فَعَرَّفَـهُ نِعَمَـهُ فَعَرَفَهَـا، فقـال: ما عملتَ فيهـا؟ قـال: تعلمتُ فيك العلمَ وعَلَّمْتُـهُ وقـرأتُ القـرآنَ فقـالَ: كـذبتَ ولكنَّك تعلمتَ ليقـالَ: هو عـالمٌ فقد قيلَ، وقـرأتَ القـرآن ليقـالَ هو قـارىءٌ فقد قيـلَ، ثم أمر به فسُـــحِبَ على وجهه حـــتى أُلْقِيَ في النـار، ورجل وسع الله عليه فأعطـاهُ من أصـناف المال كله فأُتي به فعرَّفهُ نعمهُ فعرفهـا، فقـال: ما عملت فيها؟ فقال: ما تـركت من سـبيل أنت تُحبُّهُ أن يُنفق فيها إلا أنفقتُ فيها لـــك، قـــال: كـــذبت ولكنك فعلت ليقال: هو جوادٌ فقد قيل، ثُمّ أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النـار»[1]. انفـرد بإخراجه مسلم.

وبإسـناد مرفـوع عن أبي حـاتم الـرازي قـال: سمعت عبدة بن سليمان يقول: كنا في سـريَّةٍ مع عبد الله بن المبـــارك في بلاد الـــروم، فصـــادفنا العـدو فلما التقى الصـفان خـرج رجل من العـدو

---

1 (?) صـــحيح: أخرجه مســـلم فى الإمـــارة (1905/152)، والنسائى فى الجهاد (3137).

فدعا إلى البراز، فخـرج إليه رجل فطـارده سـاعة فطعنه فقتلـــــه، ثم آخر فقتلـــــه، ثم آخر فطعنه فقتلـه، ثم آخر فقتلـه، ثم دعا إلى الـبراز فخــرج إليه رجل فطـــارده ســـاعة فطعنه الرجل فقتلـــه، فازدحم الناس عليه فكنت فيمن ازدحم عليه فـإذا هو مُلَثِّمٌ وجهـهُ بكُمِّهِ فأخـذت بطـرف كمه فمددته فـإذا هو عبد الله بن المبـارك فقـال: وأنت يا أبا عمرو ممن يُشنِّعُ علينا، قلت: فانظروا رحمكم الله إلى هذا السـيِّد المخلص، كيف خـاف على إخلاصه برؤية النَّاس له ومدحهم إياه فستر نفسه.

وقد كان إبراهيم بن أدهم يقاتل فإذا غنموا لم يأخذ شيئًا من الغنيمة ليوفر له الأجر.

(فصل):

وقد لبّس إبليس على المجاهد إذا غنم، فربما أخذ من الغنيمة ما ليس له أخـذه فإما أن يكـون قليل العلم فـــيرى أن أمـــوال الكفـــار مباحة لمن أخذها ولا يدري أن الغلول من الغنائم معصية.

وفي الصـحيحين:من حـديث أبي هريـرة، قـال: خرجنا مع رسـول الله إلى خيـبر ففتح الله علينـا، فلم نغنم ذهبًا ولا ورقًـــا، غنمنا المتـــاع والطعـــام والثيـاب، ثم انطلقنا إلى الـوادي ومع رسـول الله عبدٌ له فلما نزلنا قام عبدُ رسول الله يَحُلُّ رحلـهُ فـرُمي بسـهمٍ فكـان فيه حتفُـهُ. فلما قلنا له هنيئًا

له الشهادة يا رسول الله، فقال: «كلاّ والذي نفسُ محمدٍ بيده إن الشملة لتلتهبُ عليه نارًا أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تُصبها المقاسمُ»، قال: ففزع الناس، فجاء رجل بشراك أو شراكين فقال: أصبته يوم خيبر. فقال رسول الله: «شراك من نار أو شِراكان من نار»[1].

(فصل):

وقد يكون الغازي عالمًا بالتحريم إلا أنه يرى الشيء الكثير فلا يصبرُ عنه، وربما ظن أن جهاده يدفعُ عنه ما فعل، وها هنا يتبين أثر الإيمان والعلم.

روينا بإسناد عن هبيرة بن الأشعث عن أبي عبيدة العنبري، قال: لما هبط المسلمون المدائن وجمعوا الأقباض، أقبل رجل بِحُقّ معه فدفعه إلى صاحب الأقباض فقال الذين معه: ما رأينا مثل هذا قط. ما يعدله ما عندنا ولا ما يقاربه، فقال له: هل أخذت منه شيئًا؟ فقال: أما والله لولا الله ما أتيتكم به، فعرفوا أن للرجل شأنًا فقالوا: من أنت؟ فقال: والله لا أخبركم لتحمدوني ولا أغريكم لتقرظوني، ولكني أحمد الله وأرضى بثوابه، فأتبعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه، فسأل عنه

---

[1] (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الأيمان والنذور (6707)، ومسلم فى الإيمان (115/183).

فإذا هو عامر بن عبد قيس.

ذكر تلبيسه على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر

وهم قسمان: عالم وجاهل، فـدخول إبليس على العالم من طريقين:

الطريق الأول: الـــتزين بـــذلك وطلب الـــذكر والعجب بذلك الفعل.

روينا بإسـناد عن أحمد بن أبي الحـواري، قـال سـمعت أبا سـليمان يقـول: سـمعت أبا جعفر المنصور يبكي في خطبته يوم الجمعة، فاسـتقبلني الغضب وحضرتني نية أن أقوم فأعظهُ بما أعـرفُ من فعلِـهِ إذا نـزل، قـال: فكـرهتُ أن أقـوم إلى خليفة فأعظهُ والناس جلـوسٌ يرمقونـني بأبصـارهم فيعـرضُ لي تـزين فيـأمر بي فأقتل على غـير صحيح فجلستُ وسكت.

والطريق الثـاني: الغضب للنفس: وربما كـان ابتـداء، وربما عـرض في حالة الآمر بـالمعروف لأجل ما يلقى به المُنكِـرُ من الإهانة فتصـير خصـومة لنفسه كما قـال عمر بن عبد العزيز لرجـل: لـولا أني غضـبان لعاقبتـك، وإنما أراد أنك أغضـبتني فخفت أن تمـتزج العقوبة من غضب لله ولي.

(فصل):

فأما إذا كان الآمر بالمعروف جاهلاً فإن الشيطان يتلاعب به، وإنما كان إفساده في أمره أكثر من إصلاحه، لأنه ربما نهى عن شيء جائز بالإجماع، وربما أنكر ما تأول فيه صاحبه وتبع فيه بعض المذاهب، وربما كسر الباب وتسوَّر الحيطان وضرب أهل المنكر وقذفهم، فإن أجابوه بكلمة تصعب عليه صار غضبه لنفسه، وربما كشف ما قد أمر الشرع بستره، وقد سئل أحمد بن حنبل عن القوم يكون معهم المنكر مغطى مثل طُنبور[1] ومسكر، قال: إذا كان مغطى فلا تكسره.

وقال في رواية أخرى: اكسرْهُ. وهذ محمولٌ على أنه يكونُ مغطَّى بشيء خفيفٍ يصفُه فيتبين والأولى على أنه لا يتبينُ، وسئل عن الرجل يسمعُ صوت الطبل والمزمار ولا يعرف مكانه فقال: ولا عليك ما غاب عنك فلا تُفتِّشْ. وربما رفع هذا المُنكرُ أهل المنكر إلى من يظلمُهُمْ، وقد قال أحمد بن حنبل: إن علمت أن السُّلطان يقيم الحدود فارفع إليه.

(فصل):

ومن تلبيس إبليس على المُنكر أنه إذا أنكر جلس في مجمع يصفُ ما فعل ويتباهى به ويسبُّ

---

1 (?) الطنبور: آلة من آلات اللعب واللهو والطرب، ذات عنق وأوتار.

أصـحاب المنكر سب الحنــقِ عليهم ويلعنهم، ولعل القــوم قد تــابوا، وربما كــانوا خــيرًا منه لنــدمهم وكـبره، وينـدرج في ضـمن حديثه كشـفُ عـورات المســـلمين لأنه يُعلِمُ من لا يعلم والســـتر على المســـلم واجب مهما أمكن. وســـمعت عن بعض الجهلة بالإنكــار أنه يهجم على قــوم ما يــتيقن ما عنـدهم ويضـربهم الضـرب المـبرح ويكسر الأواني وكل هذا يوجبه الجهل، فأما العالم إذا أنكر فـأنت منه على أمان.

وقد كـان السـلفُ يتلطَّفـون في الإنكـار، ورأى صـلةُ بن أشـيم رجلاً يكلم امـرأةً، فقـال: إن الله يراكما، سترنا الله وإيَّاكما. وكان يمر بقوم يلعبـون، فيقول: يا إخواني ما تقولون فيمن أراد سفرًا فنام طول الليل ولعِبَ طول النهار مـتى يقطع سـفره. فانتبه رجل منهم فقــال: يا قــوم إنما يعلمنا هــذا. فتاب وصحبه.

(فصل):

وأولى النـاس بـالتلطُّف في الإنكـار هم الأمـراء فيصـلح أن يقـال لهم: إن الله قد رفعكم فـاعرفوا قدر نعمته.

فـإن النعم تـدوم بالشـكر فلا يحسُـنُ أن تُقابل بالمعاصي.

(فصل):

وقد لبَّس إبليس على بعض المتعبِّدين فيرى منكرًا فلا يُنكرُهُ ويقول: إنما يأمرُ وينهى من قد صلح وأنا ليس بصالح فكيف آمر غيري؟! وهذا غلط لأنه يجب عليه أن يأمر وينهى ولو كانت تلك المعصية فيه، إلا أنه متى أنكر متنزهًا عن المنكر أثَّر إنكارهُ وإذا لم يكن متنزهًا لم يكد يعمل إنكاره، فينبغي للمنكر أن ينزه نفسه ليؤثر إنكاره.

قال ابن عقيل: رأينا في زماننا أبا بكر الأقفالي في أيام القائم إذا نهض لإنكار منكر استتبع معه مشايخ لا يأكلون إلا من صنعة أيديهم كأبي بكر الخبَّاز شيخ صالح أُضرَّ من اطلاعه في التنور وتبعه، وجماعةٍ ما فيهم من يأخذ صدقة، ولا يدنس بقبول عطاء، صُوَّام النهار قُوَّام الليل أرباب بكاءٍ، فإذا تبعه مخلط ردَّهُ وقال: متى لقينا الجيش بمخلط؛ انهزم الجيش.

الباب التاسع في ذكر تلبيس إبليس على الزهاد والعباد

قال المصنف: قد يسمع العامِّيُّ ذمَّ الدُّنيا في القرآن المجيد والأحاديث فيرى أن النجاة تركُها، ولا يدري ما الدُّنيا المذمومة فيُلبِّسُ عليه إبليسُ: بأنك لا تنجو في الآخرة إلَّا بترك الدُّنيا فيخرج على وجهه إلى الجبال فيبعد عن الجمعة

والجماعة والعلم، ويصير كالوحش، ويخيل إليه أن هذا هو الزُّهد الحقيقي.

كيف لا وقد سمع عن فلان أنه هام على وجهه وعن فلان أنه تعبَّد في جبل وربما كانت له عائلة فضاعت أو والدة فبكت لفراقه وربما لم يعرف أركان الصلاة كما ينبغي وربما كانت عليه مظالم لم يخرج منها.

وإنما يتمكَّنُ إبليسُ من التلبيس على هذا لقلة علمه ومن جهله رضاه عن نفسه بما يعلم، ولو أنه وُفِّق لصحبة فقيهٍ يفهم الحقائق لعرفه أن الدنيا لا تُذمُّ لذاتها وكيف يذمُّ ما منَّ الله تعالى به وما هو ضرورةٌ في بقاء الآدمي وسببٌ في إعانته على تحصيل العلم والعبادة من مطعمٍ ومشربٍ وملبس ومسجد يصلي فيه، وإنماً المذمومُ أخذُ الشيء من غير حلِّه أو تناوله على وجه السَّرف لا على مقدار الحاجة، ويصرف النفس فيه بمقتضى رعوناتها لا بإذن الشرع.

وإن الخروج إلى الجبال المنفردة فمنهيٌّ عنه فإن النبي «نهى أن يبيت الرَّجلُ وحده»[1]، وإن التعرُّض لترك الجماعة والجمعة خسرانٌ لا ربح، والبعد عن العلم والعلماء يقوي سلطان الجهل،

---

[1] (?) صحيح: أخرجه أحمد فى المسند 2/92 من حديث ابن عمر وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد 8/104 وقال: «ورجاله رجال الصحيح»، وانظر: الصحيحة (60).

وفـــراق الوالد والوالـــدة في مثل هـــذا عقـــوق والعقوق من الكبائر، وأما من سمع عنه أنه خــرج إلى جبل فأحوالهم تحتمل أنهم لم يكن لهم عيال ولا والد ولا والدة فخرجوا إلى مكان يتعبـدون فيه مجتمعين، ومن لم يحتمل حـــالهم وجهًا صـــحيحًا فهم على الخطأ من كـــــانوا، وقد قـــــال بعض الســـلف: خرجنا إلى جبل نتعبـــدُ فجاءنا ســـفيان الثوري فردَّنا.

تلبيسه على الزهاد

(فصل):

ومن تلبيسه على الزهــاد: إعراضــهم عن العلم شـغلاً بالزهد فقد اسـتبدلوا الـذي هو أدنى بالـذي هو خير، وبيان ذلك: أن الزاهد لا يتعدى نفعُهُ عتبة بابه والعـالم نفعه مُتعـدَ. وكم قد رد إلى الصـواب من متعبد.

(فصل):

ومن تلبيسه عليهم: أنه يـوهمهم أن الزهد تـرك المباحــات فمنهم من لا يزيد على خــبز الشــعير، ومنهم من لا يــــذوق الفاكهـــة، ومنهم من يقلل المطعم حـــتى ييبس بدنـــه، ويعــذب نفسه بلبس الصــوف، ويمنعها المــاء البــارد وما هــذه طريقــةُ الرسول ولا طريق أصحابه وأتباعهم.

وإنما كـانوا يجوعـون إذا لم يجـدوا شـيئًا فـإذا

وجـدوا أكلـوا، وقد كـان رسـول الله يأكـلُ اللحم ويُحبُّهُ[1] ويأكـلُ الـدجاج[2] ويحبُّ الحلـوى[3] ويسـتعذب له الماء البارد[4] ويختـار المـاء البـائت[5] فـإن المـاء الجـاري يـؤذي المعـدة ولا يـروي. وقد كـان رجل يقـول: أنا لا آكل الخـبيصُ[6] لأني لا أقـومُ بشُـكره. فقال الحسن البصري: هذا رجل أحمق، وهل يقوم بشكر الماء البارد؟.

وقد كـان سـفيان الثـوري إذا سـافر حمل في سـفرته اللحم المشـوي والفـالوذج. وينبغي للإنسـان

---

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى التفسير (4712)، ومسلم فى الإيمـان (194/327) من حـديث أبى هريـرة قـال: «أتى رسـول الله e يومـاً بلحم. فرفع إليه الـذراع وكـانت تعجبـه، فنهش منها فهشة....».

2 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الذبائح والصـيد (5517)، ومسـلم فى الأيمـان (1649/9) من حـديث أبى موسى قـال: رأيت النبى e ياكل دجاجا.

3 (?) متفق عليـــه: أخرجه البخـــارى فى الأطعمة (5431)، ومسلم فى الكلام (1474/21) من حديث عائشة قـالت: كـان رسول الله e يحب الحلواء والعسل.

4 (?) صحيح: أخرجه أبو داود فى الأشربة (3735)، وأحمد فى المسند 6/100 من حديث عائشة أن النبى e كان يستعذب له الماء من بيوت السقيا.

5 (?) صحيح: أخرجه البخارى فى الأشربة (5613، 5621)، وأبو داود فى الأشـربة (3724)، وأحمد 3/328، 343 من حـديث جـــابر بن عبد اللـــه، وفيه أن النـــبى e دخل على رجل من الأنصار... وفيه فقال النـبى e: «إن كـان عنـدك مـاء بـات فى شنة وإلا كر عنا».

6 (?) الخبيص: الحلواء المخلوطة من التمر والسمن.

أن يعلم أنَّ نفسه مطيّته ولا بد من الرِّفق بها ليصل بها إلى المقصود فليأخذ ما يصلحها وليـترك ما يؤذيها من الشبع والإفراط في تناول الشـهوات فإن ذلك يؤذي البدن والدين.

ثم إن النـاس يختلفـون في طبـاعهم، فـإن الأعراب إذا لبسوا الصـوف واقتصـروا على شـرب الل بن لم نلمهم لأن مطايا أبـدانهم تحمل ذلـك. وأهل السواد إذ لبسوا الصُّوف وأكلـوا الكـوامخ لم نلمهم أيضًـا، ولا نقـول في هـؤلاء من قد حمل على نفسه لأن هذه عادةُ القوم.

فأما إذا كـان البـدن مترفًا قد نشأ على التنعم فإنا ننهى صـاحبه أن يحمل عليه ما يؤذيـه، فـإن تزهد وآثر ترك الشهوات إما لأن الحلال لا يحتمل السَّرف، أو لأن الطعام اللذيذ يُوجبُ كثرة التنـاوُل فيكثر النوم والكسل، فهذا يحتاجُ أن يعلم ما يضرُّ تركه وما لا يضـرُّ فيأخذ قـدر القـوام من غـير أن يؤذي النفس.

وقد ظن قوم أن الخبز القفاز يكفي في قوام البدن ولو كفى إلا أن الاقتصار يؤذي من جهة أن أخلاط البـدن تفتقر إلى الحـامض والحلو والحـار والبـارد والممسك والمسـهل. وقد جعل في الطبع ميلٌ إلى الملائم، فتـارة يميل إلى الحـامض وتـارة يميل إلى الحلـو، ولـذلك أسـباب: مثل أن يقل

عنـدها البلغم الـذي لا بد في قوامها منه فتشـتاق إلى اللَّبن، ويكـــثر عنـــدها الصـــفراء فتميل إلى الحموضـــة، فمن كفَّها عن التصـــرُّف على مقتضى ما قد وضع في طبعها مما يُصلحُها فقد آذاهـا، إلا أن يكفها عن الشـبعِ والشَّـره وما يخـافُ عاقبتُـهُ فإن ذلك يُفسدُها.

فأما الكف المطلق فخطـــأ، فـــافهم هـــذا ولا تلتفت إلى قـول الحـارث المحاسـبي وأبي طـالب المكي فيما ذكـــرا من تقليل المطعم ومجاهـــدة النفس بترك مباحاتها فـإن اتِّبـاع الشـارع وصـحابته أولى، وكــان ابن عقيل يقــول: ما أعجب أُمــوركم في التَّديُّن إما أهواء متبعة أو رهبانية مبتدعة، بين تجرير أذيال المرح في الصِّبا واللَّعب، وبين إهمـال الحقوق واطـراح العيـال واللُّحـوق بزوايا المسـاجد، فهلا عبدُوا على عقلٍ وشرع.

(فصل):

ومن تلبيسه عليهم أنه يــــوهمهم أن الزهد هو القناعة بالدُّون من المطعم والملبس فحسب، فهم يقنعـون بـذلك وقلـوبهم راغبـةٌ في الرياسة وطلب الجـاه فـتراهم يترصـدون لزيـارة الأمـراء إيـاهم، ويكرمــون الأغنيــاء دون الفقــراء ويتخاشـعون عند لقاء الناس كـأنهم قد خرجـوا من مشـاهدة، وربما رد أحـدهم المـال لئلا يقـال: قد بـدا له من الزهد

وهم من تــردد النــاس إليهم وتقبيل أيــديهم في أوسع بــاب من ولايــات الــدنيا لأن غاية الــدنيا الرياسة.

تلبيسه على العباد

(فصل):

وأكـــثر ما يُلبِّسُ به إبليسُ على العُبَّاد والزُّهَّاد خفيّ الرياء.

فأما الظاهر من الريـاء فلا يـدخلُ في التلـبيس مثل إظهـار النحـول وصـفار الوجه وشـعث الشـعر ليســتدل به على الزهــد، وكــذلك خفض الصــوت لإظهار الخشـوع، وكـذلك الريـاء بالصـلاة والصـدقة ومثل هــذه الظــواهر لا تخفى، وإنما نشــير إلى خفي الريــاء، وقد قــال النــبي «إنما الأعمــالُ بالنيَّات»[1]. ومـــتى لم يـــرد بالعمل وجه الله عز وجل لم يقبل. قال مالك بن دينـار: قولـوا لمن لم يكن صادقًا: لا تتعب.

واعلم أن المـــــــؤمن لا يريد بعمله إلا الله ســبحانه وتعــالى، وإنما يــدخل عليه خفيُّ الريــاء فيُلبِّسُ الأمر، فنجاتُهُ منه صعبةٌ.

وفي الحـــديث مرفوعًا عن يســـار قـــال لي يوسف بن أسباط: تعلموا صـحة العمل من سـقمه

---

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى بدء الوحى (1)، ومسـلم فى الإمارة (1907/155) من حديث ابن عمر.

فإني تعلمته في اثنتين وعشرين سنة[2].

وفي الحديث مرفوعًا عن إبراهيم الحنظلي قال: سمعت بقيَّة بن الوليد يقول: سمعت إبراهيم ابن أدهم يقول: تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان، دخلت عليه في صومعته فقلت له يا سمعانُ: منذ كم أنت في صومعتك هذه؟ قال: منذ سبعين سنة. قلت: ما طعامُك؟ قال: يا حنيفي وما دعاك إلى هذا؟ قلتُ: أحببتُ أن أعلم. قال: في كل ليلة حمَّصةٌ. قلت: فما الذي يهيجُ من قلبك حتى تكفيك هذه الحمَّصةُ؟ قال: ترى الذين بحذائِكَ؟ قلت: نعم، قال: إنهم يأتونني في كل سنة يومًا واحدًا فيزينون صومعتي ويطوفون حولها يعظمونني بذلك وكلما تثاقلت نفسي عن العبادة ذكرتها تلك الساعة. فأنا احتمل جهد سنة لعز ساعة، فاحتمل يا حنيفي جهد ساعة لعزِّ الأبد. فوقر في قلبي المعرفة، فقال: أزيدك. قلتُ: نعم. قال: انزل عن الصومعة فنزلتُ فأدلى إليَّ ركوةً فيها عشرون حمَّصةً فقال لي: ادخل الدّير فقد رأوا ما أدليتُ إليك، فلما دخلتُ الدَّير اجتمعت النصارى، فقالوا: يا حنيفي ما الذي أدلى إليك الشيخ؟ قلتُ: من قوته، قالوا: وما تصنع به؟ نحن أحق، ساوم، قلتُ: عشرين دينارًا، فأعطوني عشريني دينارًا، فرجعتُ إلى الشيخ فقال: أخطأت

---

[2] (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 8/244.

لو ساومتهم عشرين ألفًا لأعطـوك، وهـذا عـزُّ من لا يعبـده، فـانظر كيف تكـون بعـزِّ من تعبـده يا حنيفي، أقبل على ربك[1].

قلت: ولخـوف الرِّيـاء سـتر الصـالحون أعمـالهم حـذرًا عليها وبهرجُوها بضـدِّها، فكـان ابن سـيرين يضحكُ بالنهار ويبكي بالليل، وكـان في ذيل أيـوب السختيانيِّ بعض الطول، وكان ابن أدهم إذا مرض يرى عنده ما يأكله الأصحاء.

وبالإسـناد عن عبد الله بن المبـارك، عن بكَّار بن عبد الله، أنه سـمع وهب بن مُنبِّهٍ يقـول: كـان رجل من أفضل أهل زمانه وكـان يـزار فيعظهم فـاجتمعوا إليه ذات يـوم فقـال: إنا قد خرجنا من الدنيا وفارقنا الأهل والأمـوال مخافة الطغيـان، وقد خفتُ أن يكـون قد دخل علينا في هـذه حالة من الطغيـان أكـثر مما يـدخل على أهل الأمـوال في أمـوالهم، أرانا يُحبُّ أحـدُنا أن تُقضى له حاجتـه، وإن اشترى بيعًا أن يقارب لمكان دينـه، وإن لُقي حُيِّي ووُقِّر لمكان دينه، فشاع ذلك الكلامُ حتى بلغ الملك فعجب به فـركب إليه ليسـلم عليه وينظر إليه فلما رآه الرجل قيل له: هـذا الملـكُ قد أتـاك ليسلِّم عليك، فقـال: وما يصـنعُ؟ قـال: للكلام الـذي وعظت به، فسأل غلامهُ: هل عندك طعامٌ؟ فقـال:

---

1 (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 8/29.

شيءٌ من ثمر الشَّجر مما كنت تفطرُ به فأمر به فـأتى على مسح فوضع بين يديـه، فأخذ يأكل منه وكـان يصـوم النهـار ولا يفطـر، فوقف عليه الملك فسلم عليه فأجابه بإجابةٍ خفية وأقبل على طعامه يأكله، فقال الملك: أين الرجل؟ فقيل لـه: هو هـذا. قال: هذا الذي يأكل؟ قالوا: نعم، قال: فما عند هذا من خــير فــأدبر. فقــال الرجــل: الحمد لله الــذي صرفك عني بما صرفك به.

وفي رواية أخـــــــرى عن وهب، أنه لما أقبل الملك قدم الرجل طعامه فجعل يجمع البقول في اللقمة الكبــيرة ويغمســها في الــزيت فيأكل أكلاً عنيفًـا. فقـال له الملـك: كيف أنت يا فلان؟ فقـال: كالناس. فرد الملك عنـان دابته وقـال: ما في هـذا من خـير. فقـال: الحمد لله الـذي أذهبه عـني وهو لائم لي.

وبإســناد عن عطــاء قــال: أراد الوليد بن عبد الملك أن يـــــــولي يزيد بن مرثد فبلغ ذلك يزيد فلبس فــروة فجعل الجلد على ظهــره والصــوف خارجًا وأخذ بيــده رغيفًا وعَرْقًا وخــرج بلا رداء ولا قلنســـــــــوة ولا نعل ولا خف فجعل يمشي في الأســواق ويأكــل. فقيل للوليــد: إن يزيد قد اختلط وأخبر بما فعل فتركه، ومثل هذا كثير.

(فصل):

ومن الزُّهاد من يستعمل الزهد ظـاهرًا وباطنًـا، لكنه قد علم أنه لا بد أن يتحـــدث بتركه للـــدُّنيا أصـحابه أو زوجتـه، فيهـون عليه الصـبر كما هـان على الــراهب الــذي ذكرنا قصــته مع إبــراهيم بن أدهم، ولو أنه أراد الإخلاص في زهـــــده لأكل مع أهله قـــــدر ما ينمحي به جـــــاهُ النفس ويقطع الحــديث عنه فقد كــان داود بن أبي هنــد، صــام عشرين سنة ولم يعلم به أهله، كـان يأخذ غـذاءه ويخرج إلى السوق فيتصدق به في الطريق، فأهلُ السوق يظنون أنه قد أكل في البيت، وأهلُ البيت يظنون أنه قد أكل في السوق، هكذا كان الناس.

نقد مسالك الزهاد

(فصل):

ومن المتزهدين: من قُوتُهُ الانقطـاع في مسـجد أو رباط أو جبل فلذَّتُهُ عِلْمُ النـاس بـانفراده وربما احتجَّ لانقطاعه بــأني أخــافُ أن أرى في خــروجي المنكرات.

وله في ذلك مقاصد: منها الكبرُ واحتقارُ الناس، ومنهـا: أنه يخـاف أن يقصـروا في خدمتـه، ومنهـا: حفظ ناموسه ورياسته، فإن مخالطة الناس تُـذهبُ ذلك، وهو يريد أن يبقى إطراؤُهُ وذكرُهُ.

وربما كان مقصوده سـتر عيوبه ومقابحه وجهله بالعلم فيرى هذا، ويحب أن يُزار ولا يزور، ويفـرح

بمجيء الأمـــراء إليه واجتمـــاع العـــوامِّ على بابه وتقـبيلهم يـده، فهو يـترك عيـادة المرضى وشـهود الجنائز، ويقول أصحابه: اعذروا الشـيخ فهـذه عادته - لا كانت عادةٌ تخالفُ الشَّريعة-.

ولو احتـاج هـذا الشخصُ إلى القـوت ولم يكن عنده من يشتريه له صـبر على الجـوع لئلا يخـرج لشراء ذلك بنفسه فيضيع جاهُهُ لمشيهِ بين العوامِّ، ولو أنه خـــــرج فاشــــترى حاجته لانقطعت عنه الشُّهرة ولكن في باطنه حفظ الناموس، وقد كان رســول الله يخــرج إلى السُّــوق ويشــتري حاجته ويحملها بنفسه[1].

وكـــان أبو بكر رضي الله عنه يحمل الثيـــاب على كتفه فيبيع ويشتري.

والحـديث بإسـناد عن محمد بن القاسم قـال: روي عن عبد الله بن حنظلة قــال: مــرَّ عبد الله بن ســلام وعلى رأسه حزمـــةُ حطبٍ، فقـــال له ناس: ما يحملُك على هـذا وقد أغنـاك اللـه؟ قـال: أردتُ أن أدفع به الكبر وذلك أني سمعت رسـول

1 (?) ضـعيف: أخرجه الطـبرانى فى الأوسط (6594)، وذكـره الهيثمى فى مجمع الزوائد 5/122 وقــــال: «رواه أبو يعلى والطــبرانى فى الأوسط وفيه يوسف بن زيــاد البصــرى وهو ضـعيف»، وقـال الحافظ العـراقى فى تخـريج أحـاديث الإحيـاء 2/241: «أخرجه أبو يعلى من حديث أبى هريرة بسند ضـعيف فى حملة السـراويل الـذى اشـتراه»، وانظـر: كشف الخفـاء 2/25، وإتحاف السادة المتقين 6/371.

الله يقـول: «لا يـدخل الجنَّة عبـدٌ في قلبه مثقـالُ ذرَّةٍ من الكِبْر»[1].

(فصل):

قـال المصـنف: وهـذا الـذي ذكرته من الخـروج لشـــراء الحاجة ونحوها من التبـــذل كـــان عـــادة السـلف القـــدماء، وقد تغـــيرت تلك العـــادة كما تغيرت الأحوال والملابس، فلا أرى للعالم أن يخرج اليـوم لشـراء حاجتـه؛ لأن ذلك يكشف نـور العلم عند الجهلة وتعظيمه عنـــدهم مشـــروع، ومراعـــاة قلوبهم في مثل هذا يخـرج إلى الريـاء واسـتعمال ما يـوجب الهيبة في القلـوب لا يمنع منـه، وليس كُـلُّ ما كـان في السـلف مما لا يتغـيرُ به قلـوبُ الناس يومئذٍ ينبغي أن يُفعل اليوم.

قـال الأوزاعي: كنا نضـحك ونمـزح فـإذا صـرنا يُقتـــدى بنا فلا أرى ذلك يســـعنا، وقد روينا عن إبراهيم ابن أدهم أن أصحابه كانوا يومًا يتمـازحون فـدقَّ رجـلٌ البـاب فـأمرهم بالسـكوت والسـكون. فقالوا له: تُعلِّمُنا الرياء؟ فقال: إني أكره أن يُعصى

---

[1] (?) حسن: أخرجه الطبرانى فى الكبـير كما فى مجمع الزوائد 1/99 وقـــال الهيثمى: «وإســـناده حســـن» والحـــاكم فى المســتدرك 3/316 وقــال: «صـحيح الإسـناد ولم يخرجـاه» وتعقبه الذهبى بقوله: «سالم بن إبـراهيم واه». لكن له شـاهد صـحيح من حـديث ابن مسـعود، أخرجه مسـلم فى الإيمـان (91/147 ــ 149).

الله فيكم.

قال المصنف: وإنما خاف قول الجهلة، انظروا إلى هؤلاء الزهاد كيف يفعلون، وذلك أن العوام لا يحتملون مثل هذا للمُتعبِّدين.

(فصل):

ومن هؤلاء قوم لو سئل أحدهم أن يلبس اللين من ثوبه ما فعل لئلا يتوكس[1] جاهه في الزهد، ولو خرج روحه لا يأكل والناس يرونه، ويحفظ نفسه في التبسم فضلاً عن الضحك، ويوهمه إبليسُ أن هذا لإصلاح الخلق، وإنما هو رياء يحفظ به قانون الناموس فتراه مطأطىء الرأس عليه آثار الحزن فإذا خلا رأيته ليث شرى.

(فصل):

وقد كان السَّلفُ يدفعون عنهم كل ما يوجب الإشارة إليهم، ويهربون من المكان الذي يُشارُ إليهم فيه، والحديث بإسناد عن عبد الله بن خُبيق، قال: قال يوسف بن أسباط: خرجت من منبج راجلاً حتى أتيتُ المصيصة وجرابي على عُنُقي. فقام ذا من حانوته يسلم عليَّ وذا يسلم، فطرحتُ جرابي ودخلتُ المسجد أصلي ركعتين فأحدقوا بي فطلع رجل في وجهي، فقلت في نفسي: كمل بقاء قلبي على هذا فأخذت جرابي

---

1 (?) يتوكس: وكس الشىء أى: نقص.

ورجعت بعـرقي وعنـائي إلى منبج فما رجعت إلى قلبي سنين[1].

(فصل):

ومن الزُّهَـــادِ من يلبسُ الثـــوب المُخـــرَّق ولا يخيطه ويترك إصـلاح عمامته وتسـريح لحيته ليُـرى أنه ما عنده من الدنيا خير. وهذا من أبواب الرياء، فإن كان صادقًا في إعراضه عن أغراضه كما قيل لـداود الطَّائي: ألا تُسـرِّحُ لحيتـك؟ فقـال: إني عنها لمشغول، فليعلم أنه سلك غـير الجـادَّة، إذ ليست هذه طريقة الرَّسُول ولا أصحابه، فإنه كـان يُسـرِّحُ شـعره[2] وينظر في المـرآة ويـدَّهنُ[3] ويتطيـب[4] وهو أشـغلُ الخلق بـالآخرة، وكـان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يخضـــبان بالحنـــاء والكتم وهما أخـــوفُ الصـــحابة وأزهـــدهم. فمن ادَّعى رُتبـــةً تزيد على السنة وأفعال الأكابر لم يلتفت إليه.

---

1 (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 8/244.

2 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى اللباس (5925)، ومسلم فى الحيض (297/6 ــ 9) من حديث عائشة قالت: كنت أرجل رأس رسول الله e وأنا حائض.

3 (?) صـــحيح: أخرجه مســـلم فى الفضـــائل (2344/108)، والنسائى فى الزينة (5129) من حديث جابر بن سـمرة، وفيه سئل عن شيب النبى e؟ فقال: كـان إذا دهن رأسه لم ير منه شىء، وإذا لم يدهن رئى منه.

4 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى اللباس (5928)، ومسلم فى الحج (1189/37) من حـــديث عائشة قـــالت: كنت أطيب النبى e عند إحرامه بأطيب ما أجد.

(فصل):

ومن الزهاد من يلزمُ الصمت الدائم، وينفرد عن مخالطة أهله فيؤذيهم بقُبحِ أخلاقه وزيادة انقباضه وينسى قول النبي «إن لأهلك عليك حقًّا»[1]. وقد كان رسول الله يمزح[2] فيلاعبُ الأطفال[3] ويحدث أزواجه، وسابق عائشةَ[4] إلى غير ذلك من الأخلاق اللطيفة.

فهذا المتزهد الجاعلُ زوجتَه كالأيِّم وولدَه كاليتيم لانفراده عنهم وقبح أخلاقه لأنه يرى أن ذلك يشغلُهُ عن الآخرة ولا يدري - لقلَّة علمه - أن الانبساط إلى الأهل من العون على الآخرة.

وفي الصحيحين أن النبي قال لجابر: «هلا تزوجت بكرًا تلاعبُها وتلاعبُك»[5].

---

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الصوم (1975)، ومسلم فى الصيام (1159/182) من حديث عبد الله بن عمرو.

2 (?) صحيح: أخرجه الترمذى فى البر والصلة (1990) وقال: «حسن صحيح»، وأحمد فى المسند 2/340، 360 من حديث أبى هريرة.

3 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الأدب (6129)، ومسلم فى الآداب (2150/30) من حديث أنس بن مالك.

4 (?) صحيح: أخرجه أبو داود فى الجهاد (2578)، والنسائى فى الكبرى فى عشرة النساء (8943، 8945)، وأحمد فى المسند 6/39 من حديث عائشة. وإسناده صحيح، انظر: تلخيص الحبير (2483)، والصحيحة (131).

5 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى النكاح (5079، 5080)، ومسلم فى الرضاع (715/45 ـ 57).

وربما غلبت على هـذا المتزهد التجفـفُ فـترك مباضعة الزوجة فيُضيِّعُ فرضًا بنافلةٍ غير ممدوحة.

(فصل):

ومن الزهـاد من يـرى عمله فيعجبـه، فلو قيل لـه: أنت من أوتـاد الأرض رأى ذلك حقًـا، ومنهم من يترصَّدُ لظهور كرامته ويخيل إليه أنه لو قـرب من الماء قدر أن يمشي عليه، فإذا عرض له أمرٌ فدعا فلم يُجب تذمَّر في باطنه فكأنه أجيرٌ يطلبُ أجر عملـه، ولو رُزِق الفهم لعلم أنه عبـدٌ مملـوك والمملـــوك لا يمُنُّ بعملـــه، ولو نظر إلى توفيقه للعمل لـرأى وجـوب الشُّـكر فخـاف من التقصـير فيه.

وقد كـان ينبغي أن يشـغلهُ خوفُـهُ على العمل من التقصـير فيه عن النظر إليه كما كـانت رابعة تقـول: أسـتغفر الله من قلَّة صـدقي في قـولي. وقيل لهـا: هل عملت عملاً تـرين أنه يُقبـلُ منـك. فقالت: إذا كان فمخافتي أن يُردَّ عليَّ.

(فصل):

ومن تلبيس إبليس على قوم من الزُّهـاد الـذي دخل عليهم فيه من قلة العلم أنهم يعملـــــــون بواقعاتهم ولا يلتفتـون إلى قـول الفقيـه، قـال ابن عقيل: كان أبو إسحاق الخراز صالحًا وهو أول من لقنـني كتـاب اللـه، وكـان من عادته الإمسـاك عن

الكلام في شهر رمضان، فكان يخاطب بآي القرآن فيما يعرض إليه من الحوائج فيقول في إذنه: ﴿**أدخلوا عليهم الباب**﴾ [المائدة: 23]، ويقول لابنه في عشية الصوم ﴿**من بقلها وقثائها**﴾ [البقرة: 61]، آمرًا له أن يشتري البقل.

فقلت له: هذا الذي تعتقده عبادة هو معصيةٌ، فصعُب عليه، فقلت: إن هذا القرآن العزيز أُنْزِلَ في بيان أحكامٍ شرعية فلا يستعمل في أغراض دنيوية، وما هذا إلا بمثابة صرِّك السِّدْر والأُشنان في ورق المصحف أو توسدك له. فهجرني ولم يُصغ إلى الحجة.

قال المصنف: قلت: وقد يسمع الزاهد القليل العلم أشياء من العوام فيفتي به حدثني أبو حكيم إبراهيم بن دينار الفقيه، أن رجلاً استفتاه فقال: ما تقولُ في امرأة طلقت ثلاثًا فولدت ذكرًا هل تحل لزوجها. قال: فقلت لا.

وكان عندي الشريف الدحالي وكان مشهورًا بالزهد عظيم القدر بين العوامِّ. فقال لي: بل تحل. فقلت: ما قال بهذا أحد، فقال: والله لقد أفتيتُ بهذا من هاهنا إلى البصرة.

قال المصنف: فانظر ما يصنع الجهلُ بأهله ويضاف إليه حِفظُ الجاه خوفًا أن يُرى الزاهدُ بعين الجهل.

وقد كــان الســلفُ ينكــرون على الزاهد مع معرفته بكثــير من العلم أن يُفــتي لأنه لم يجمع شُــروط الفتــوى، فكيف لو رأوا تخبيط المتزهــدين اليوم في الفتوى بالواقعات.

وبالإســناد عن إســماعيل بن شــبة قــال: دخلت على أحمد بن حنبل وقد قدم أحمد بن حرب من مكة، فقال لي أحمد بن حنبل: من هذا الخراساني الـذي قد قـدم؟ قلت: من زهـده كـذا وكـذا، ومن ورعه كــذا وكــذا. فقــال: لا ينبغي لمن يــدعي ما يدعيه أن يدخل نفسه في الفتيا.

احتقار العلماء وذمّهم

(فصل):

ومن تلبيسه على الزُّهــاد: احتقــارهم العلمــاء وذمُّهُم إيّــاهم، فهم يقولــون: المقصــودُ العمل ولا يفهمــون أنَّ العلم نــورُ القلب، ولو عرفــوا مرتبة العلمــاء في حفظ الشــريعة وأنها مرتبــةُ الأنبيــاء لعـدُّوا أنفسـهم كـالبُكم عند الفصـحاء، والعمي عند البُصــراء، والعلمــاءُ أدلَّةُ الطريق والخلــقُ وراءهم، وسليم هؤلاء يمشي وحده.

وفي الصحيحين من حديث سـهل بن سـعد أن النـبي قـال لعلي بن أبي طـالب رضي الله عنـه: «والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من

حُمر النعم»[1].

تفسّح العلماء في بعض المباحات (فصل):

ومما يعيبـــون به العلمـــاء: تفسح العلمـــاء في بعض المباحـــات الـــتي يتقـــوون بها على دراسة العلم، وكـذلك يعيبـون جـامع الأمـوال، ولو فهمـوا معنى المباح لعلموا أنه لا يُذمُّ فاعلُـهُ، وغاية الأمر أن غيره أولى منـه، أفيحسن لمن صـلى الليل أن يعيب على من أدى الفرض ونام؟!

ولقد روينا بإســـــــــناد عن محمد بن جعفر الخولاني، قال: حدثني أبو عبد الله الخـوَّاص وكـان من أصـحاب حـاتمٍ الأصـمِّ، قـال: دخلنا مع حـاتمٍ البلخي إلى الرَّيِّ ومعه ثلاثمائة وعشرون رجلاً من أصحابه يريد الحج، وعليهم الصـوف والزرمانقـات[2] ليس فيهم من معه جراب ولا طعــام، فنزلنا على رجل من التجـــار متنسك فضـــافنا تلك الليلة فلما كان من الغد، قـال لحـاتم: يا أبا عبد الـرحمن لك حاجة فإني أريد أن أعود فقيهًا لنا هو عليل. فقال حـاتم: إن كـان لكم فقيـهٌ عليل فعيـادةُ الفقيه لها فضل كبـــير والنظر إلى الفقيه عبـــادة وأنا أجيءُ معك، وكـان العليل محمد بن مقاتل قاضي الـريِّ،

---

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الجهاد (2942)، ومسلم فى فضائل الصحابة (2406/34) من حديث سهل بن سعد.

2 (?) الزرمانقة: جبة من الصوف.

فقال له: مر بنا يا أبا عبد الرحمن، فجاءوا إلى باب داره فإذا البواب، فبقي حاتم متفكرًا يقول: يا رب دار عالم على هذه الحال، ثم أذن لهم فدخلوا فإذا بدار قوراء وآلة حسنة وبزة وفرش وستور، فبقي حاتم متفكرًا ينظر حتى دخلوا إلى المجلس الذي فيه محمد بن مقاتل، وإذا بفراش حسن وطيء وهو عليه راقد، وعند رأسه مذبَّةٌ وناسٌ وقوف؛ فقعد الرازي وبقي حاتم قائمًا فأومأ إليه محمد بن مقاتل بيده أن اجلس، فقال حاتمٌ: لا أجلسُ، فقال له ابن مقاتل: فلك حاجةٌ، قال: نعم، قال: وما هي؟ قال: مسألةٌ أسألك عنها، قال: فاسألني، قال حاتم: قُمْ فاستوِ جالسًا حتى أسألك عنها، فأمر غلمانه فأسندوه، فقال حاتم: علمك هذا من أين جئت به؟ فقال: حدَّثني الثقاتُ عن الثقات من الأئمة، قال: عمَّن أخذوه؟ قال: عن التابعين، قال: والتابعون عمَّن أخذوه؟ قال: عن أصحاب رسول الله قال: وأصحاب رسول الله عمن أخذوه؟ قال: عن رسول الله قال: ورسول الله من أين جاء به؟ قال: عن جبريل عن الله عز وجل، فقال حاتم: ففيم أدَّاهُ جبريلُ عن الله عزَّ وجلَّ إلى النبي وأداه النبي إلى الصحابة، وأداه الصحابة إلى تابعيهم، وأداه التابعون إلى الأئمة، وأداه الأئمة إلى الثقات، وأداه الثقات إليكم، هل سمعت في هذا العلم من كانت دارهُ في الدنيا

أحسن وفراشُهُ ألين وزينتُـهُ أكـثر، كـان له المنزلة عند الله عز وجل أكــبر؟ قــال: لا، قــال: فكيف سـمعت؟ قـال: سـمعت من زهد في الـدُّنيا ورغب في الآخرة وأحبَّ المساكين وقدَّم لآخرته كان عند الله عـزَّ وجـلَّ له منزلة أكـثر وإليه أقـرب؛ قـال حاتم: وأنت بمن اقتديت أبالنبيّ وبأصحابه والتـابعين من بعــدهم والصــالحين على أثــرهم أو فرعــون ونمروذ؟ فإنهما أول من بنى بالجصِّ والآجُرِّ.

يا علمــاء السّــوء إن الجاهل المتكــالب على الـدُّنيا الـراغب فيها يقـول: هـذا العـالم على هـذه الحالة ألا أكون أنـا، قـال: فخـرج من عنـده وازداد محمد بن مقاتل مرضًـا وبلغ أهل الـريِّ ما جـرى بين حاتم وبين ابن مقاتل، فقالوا لحاتم: إن محمد بن عُبيد الطنافسي بقـزوين أكـثرُ شـيئًا من هـذا، فصار إليه فدخل عليه وعنده الخلقُ يحدثهم، فقال لــه: رحمك الله أنا رجل أعجمي جئتك لتعلمــني مبـدأ ديـني ومفتـاح صـلاتي كيف أتوضأ للصـلاة، فقال: نعم وكرامـة، يا غلام، إنـاءً فيه مـاءٌ، فجـاءه بإناء فيه ماءٌ فقعد محمد بن عُبيد فتوضَّـأ ثلاثًا ثم قال له: هكذا فتوضأ، قال حاتم: مكانك رحمك الله حتى أتوضأ بين يديك ليكون أوكد لما أريـد، فقـام الطنافسي وقعد حــاتم مكانه فتوضأ وغسل وجهه ثلاثًا حــتى إذا بلغ الــذراع غسل أربعًــا، فقــال الطنافسـي: أسـرفت، قـال حـاتم: فبمـاذا أسـرفتُ؟

قال: غسلت ذراعك أربعًا، قال: يا سبحان الله أنا في كفِّ ماءٍ أسرفتُ، وأنت في جميع هذا الذي أراه كله لم تُسرف! فعلم الطنافسي أنه أراده بذلك، فدخل البيت ولم يخرج إلى الناس أربعين يومًا.

وخرج حاتم إلى الحجاز فلما صار إلى المدينة أحب أن يخصم علماء المدينة، فلما دخل المدينة قال: يا قوم أي مدينةٍ هذه؟ قالوا: مدينة الرسول قال: فأين قصرُ رسول الله حتى أذهب إليه فأصلي فيه ركعتين؟ قالوا: ما كان لرسول الله قصر، إنما كان له بيت لاطِئ. قال: فأين قصورُ أهله وأصحابه وأزواجه؟ قالوا: ما كان لهم قصور إنما كان لهم بيوت لاطئة. فقال حاتم: فهذه مدينة فرعون، قال: فسبوه وذهبوا به إلى الوالي، وقالوا: هذا العجمي يقول: هذه مدينة فرعون. فقال الوالي: لم قُلت ذلك؟ قال حاتم: لا تعجل عليَّ أيها الأمير أنا رجلٌ غريب دخلتُ هذه المدينة فسألت أي مدينة هذه؟ قالوا: مدينةُ رسول الله وسألت عن قصر رسول الله وقصور أصحابه، قالوا: إنما كانت لهم بيوت لاطئة، وسمعت الله عز وجل يقول: ﴿**لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة**﴾ [الأحزاب: 21]، فأنتم بمن تأسَّيتُم برسول الله أو بفرعون[1].

1 (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 8/83080.

قــال المصــنِّف: قلتُ: الويل للعلمــاء من الزاهد الجاهل الذي يقتنع بعلمه فيرى الفضل فرضًا. فـإن الذي أنكره مباح، والمباح مـأذون فيـه، والشـرع لا يأذن في شيء ثم يعاتب عليه، فما أقبح الجهل.

ولو أنه قـــال لهم: لو قصـــرتُم فيما أنتم فيه لتقتدي الناسُ بكم كان أقرب حالة، ولو سمع هذا بـأن عبد الـرحمن بن عـوف، والزُّبـير بن العـوام، وعبد الله بن مســعود رضــوان الله عليهم، وفلانًا وفلانًا من الصحابة خلَّفُـوا مـالاً عظيمًا أتُـراهُ مـاذا كـان يقــول وقد اشـترى تميمٌ الـداريُّ حُلَّةً بـألف درهم وكان يقوم فيها بالليـل، ففـرضٌ على الزاهد التعلُّم من العلمـــاء فـــإذا لم يتعلم فليســـكُت، والحــديث بإســناد عن مالك بن دينــار رضي الله عنه قــال: إن الشــيطان ليلعب بــالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز[1].

وبإســناد عن حــبيب الفارسي يقــول: والله إن الشـــيطان ليلعب بـــالقراء كما يلعب الصـــبيان بالجوز[2].

قال المصنف: قلت: المراد بالقراء الزهـاد، وهـذا اسم قــديم لهم معــروف والله الموفق للصــواب وإليه المرجع والمآب.

---

1 (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 2/376.
2 (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 6/152، 153.

الباب العاشر في ذكر تلبيسه على الصوفية من جملة الزهّاد

قال المصنف: الصُّوفيَّةُ من جملة الزُّهاد وقد ذكرنا تلبيس إبليس على الزُّهاد، إلا أن الصوفية انفردوا عن الزُّهاد بصفاتٍ وأحوال وتوسَّمُوا بسمات فاحتجنا إلى إفرادهم بالذكر، والتصوُّف طريقةٌ كان ابتداؤها الزُّهد الكلي، ثم ترخَّص المنتسبون إليها بالسماع والرَّقص فمال إليهم طلابُ الآخرة من العوامِّ لما يُظهرونهُ من التَّزهُّد، ومال إليهم طلاَّب الدُّنيا لما يرون عندهم من الرَّاحة واللّعب، فلا بد من كشف تلبيس إبليس عليهم في طريقة القوم، ولا ينكشفُ ذلك إلا بكشف أصل هذه الطريقة وفروعها وشرح أمورها، والله الموفق للصواب.

(فصل):

قال المصنف: كانت النسبة في زمن رسول الله إلى الإيمان والإسلام، فيقال: مسلمٌ ومؤمن. ثم حدث اسم زاهد وعابد، ثم نشأ أقوام تعلّقوا بالزُّهد والتعبُّد فتخلوا عن الدُّنيا وانقطعوا إلى العبادة واتخذوا في ذلك طريقة تفرَّدُوا بها، وأخلاقًا تخلَّقُوا بها، ورأوا أن أول من انفرد به بخدمة الله سبحانه وتعالى عند بيته الحرام رجلٌ يقال له: صوفة، واسمه الغوث ابن مُرَ فانتسبوا إليه

لمشـابهتهم إيـاه في الانقطـاع إلى الله سـبحانه وتعالى فسُمُّوا بالصوفية.

أنبأنا محمد بن ناصر، عن أبي إسحاق إبـراهيم بن سعيد الحبَّال، قـال: قـال أبو محمد عبد الغـني بن سعيد الحافـظ، قـال: سـألت وليد بن القاسـم: إلى أي شيء يُنسـبُ الصـوفيُّ؟ فقـال: كـان قـوم في الجاهليَّة يقـال لهم: صـوفة، انقطعـوا إلى الله عز وجل وقطنـوا الكعبة فمن تشـبَّه بهم فهم الصُّوفيَّة، قال عبد الغني: فهؤلاء المعروفون بصوفة ولدُ الغوث بن مر بن أخي تميم ابن مُرَ.

وبالإسناد إلى الزبير بن بكار قال: كانت الإجازة بالحجِّ للناس من عرفة إلى الغوث ابن مر ابن أد بن طابخة ثم كـانت في ولـده وكـان يقـال لهم صُوفة. وكان إذا حانت الإجـازة قـالت العـرب: أجِـزْ صوفة. قال الزبير: قال أبو عبيدة: وصوفة وصـوفان يقال لكل من ولي من البيت شـيئًا من غـير أهله أو قام بشيء من أمر المناسك يقـال لهم صـوفة وصوفان. قال الزبير: حدثني أبو الحسن الأثرم، عن هشـام بن محمد بن السـائب الكلـبي، قـال: إنما سُـمِّي الغـوثُ بن مـرَ: صـوفة لأنه ما كـان يعيش لأمه ولد. فنـذرت لئن عـاش لتعلِّقنَّ برأسه صـوفة ولتجعلنه ربيط الكعبـة. ففعلت. فقيل لـه: صـوفة، ولولده من بعده.

قال الزبير: وحدثني إبراهيم بن المنذر، عن عبد العزيز بن عمران، قال: أخبرني عقال بن شبَّة قال: قالت أم تميم بن مر وقد ولدت نسوة فقالت: لله عليَّ إن ولدتُ غلامًا لأُعبِّدنَّهُ للبيت، فولدت الغوث بن مُرَ فلما ربطته عند البيت أصابهُ الحرُّ فمرَّت به وقد سقط واسترخى، فقالت: ما صار ابني إلا صوفة، فسمي صوفة، وكان الحجُّ وإجازةُ الناس من عرفة إلى منى ومن منى إلى مكة لصُوفة.

فلم تزل الإجازة في عقب صوفة حتى أخذتها عدوانُ، فلم تزل في عدوان حتى أخذتها قُريشٌ.

نقد مسالك الصوفية

(فصل):

قال المصنف: وقد ذهب قوم إلى أن التصوف منسوبٌ إلى أهل الصُّفَّة، وإنما ذهبوا إلى هذا لأنهم رأوا أهل الصُّفَّة على ما ذكرنا من صفة صوفة في الانقطاع إلى الله عز وجل وملازمة الفقر، فإن أهل الصفة كانوا فقراء يقدمون على رسول الله وما لهم أهلٌ ولا مال فبنيت لهم صُفَّةٌ في مسجد رسول الله وقيل: أهل الصُّفَّة.

والحديث بإسناد عن الحسن، قال: بنيت صُفَّةٌ لضعفاء المسلمين فجعل المسلمون يُوصلُون إليها ما استطاعوا من خير، وكان رسول الله يأتيهم

فيقول: السلام عليكم يا أهل الصُّفَّة، فيقولون: وعليك السلام يا رسول الله، فيقولُ: كيف أصبحتم؟ فيقولون: بخير يا رسول الله[1].

وبإسناد عن نعيم بن المُجَمِّر، عن أبيه، عن أبي ذرٍّ قال: كنتُ من أهل الصُّفَّة وكنا إذا أمسينا حضرنا باب رسول الله فيأمرُ كل رجلٍ فينصرفُ برجلٍ فيبقى من بقي من أهل الصُّفَّة عشرةٌ أو أقلَّ فيؤثرنا النبيُّ بعشائه فنتعشى، فإذا فرغنا قال رسول الله ناموا في المسجد[2].

قال المصنف: وهؤلاء القوم إنما قعدوا في المسجد ضرُورةً، وإنما أكلوا من الصدقة ضرورة، فلما فتح الله على المسلمين استغنوا عن تلك الحال وخرجوا.

ونسبة الصوفي إلى أهل الصُّفَّة غلطٌ لأنه لو كان كذلك لقيل: صُفِّيٌّ، وقد ذهب قوم إلى أنه من الصُّوفانة وهي بقلةٌ رعناءُ قصيرةٌ. فنسبوا إليها لاجتزائهم بنبات الصحراء، وهذا أيضًا غلطٌ لأنه لو نُسِبُوا إليها لقيل: صُوفاني. وقال آخرون: هو منسوب إلى صُوفة القفا، وهي الشعرات النابتة في مُؤخَّره، كأن الصُّوفي عطف به إلى الحقِّ وصرفهُ عن الخلق. وقال آخرون: بل هو منسوبٌ

---

1 (?) ضعيف: ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 1/340 مرسلا.

2 (?) ضعيف: ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 1/352، وفى إسناده الواقدى وهو متروك.

إلى الصُّوف، وهذا يحتمل، والصحيحُ الأولُ.

وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبَّروا عن صفته بعبارات كثيرة وحاصلها أن التصوف عندهم رياضةُ النفس ومجاهدة الطبع بردِّه عن الأخلاق الرذيلة، وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب في الأخرى.

والحديث بإسناد عن الطُّوسي يقول: سمعت أبا بكر بن المثاقف يقول: سألتُ الجنيد بن محمد عن التصوف فقال: الخروجُ عن كل خُلُقٍ رديء، والدخول في كل خلق سنيّ.

وبإسناد عن عبد الواحد بن بكر قال: سمعت محمد بن خفيف يقول: قال رُويمٌ: كلُّ الخلق قعدوا على الرسوم وقعدت هذه الطائفة على الحقائق، وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع وهم طالبوا أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق.

قال المصنف: وعلى هذا كان أوائلُ القوم فلبس إبليسُ عليهم في أشياء ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم فكلما مضى قرنٌ زاد طمعه في القرن الثاني فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن.

وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صـدهُم عن العلم وأراهم أن المقصـــود العمل فلما أطفأ مصـــباح العلم عندهم تخبَّطُوا في الظلمات. فمنهم من أراه أن المقصـــود من ذلك تـــرك الـــدنيا في الجملة فرفضوا ما يصلح أبدانهم، وشبهوا المال بالعقارب، ونسوا أنه خلق للمصـالح وبـالغوا في الحمل على النفـــوس حـــتى أنه كـــان فيهم من لا يضـــطجع، وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غـير أنهم على غـير الجـادة، وفيهم من كـان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري.

ثم جاء أقـوام فتكلمـوا لهم في الجـوع والفقر والوســـاوس والخطـــرات وصـــنفوا في ذلك مثل الحـارث المحاسـبي. وجـاء آخـرون فهـذَّبُوا مـذهب التصوف وأفردوه بصفات ميَّزُوه بها من الاختصاص بالمرقعة والســـماع والوجد والـــرقص والتصـــفيق وتميزوا بزيـادة النظافة والطهـارة. ثم ما زال الأمر ينمي والأشـــياخ يضـــعون لهم أوضـــاعًا ويتكلمـــون بواقعاتهم. ويتفق بُعـدُهُمْ عن العلمـاء لا بل رؤيتهم ما هُمْ فيه أوفى العلوم حتى سموه العلم الباطن وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر.

ومنهم من خـــرج به الجُـــوعُ إلى الخيـــالات الفاسدة فادعى عِشق الحقِّ والهيمـان فيه فكـأنهم تخـــايلوا شخصًـــا مُستحسن الصُّـــورة فهـــاموا بـــه، وهؤلاء بين الكفر والبدعة.

ثم تشعَّبت بأقوامٍ منهم الطرق، ففسدت عقائدُهم.

فمن هؤلاء من قال بالحُلول ومنهم من قال بالاتحاد.

وما زال إبليسُ يخبُطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سننًا، وجاء أبو عبد الرحمن السُّلمي فصنف لهم «كتاب السُّنن» وجمع لهم حقائق التفسير فذكر عنهم فيه العجب في تفسيرهم القرآن بما يقعُ لهم من غير إسناد ذلك إلى أصلٍ من أصول العلم، وإنما حملوه على مذاهبهم، والعجب من ورعهم في الطعام وانبساطهم في القرآن.

وقد أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن القزَّازُ، قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب، قال: قال لي محمد بن يوسف القطان النيسابوري، قال: كان أبو عبد الرحمن السُّلمي غير ثقةٍ ولم يكن سمع من الأصمِّ إلا شيئًا يسيرًا، فلما مات الحاكم أبو عبد الله بن البيع حدَّث عن الأصم بتاريخ يحيى بن معين وبأشياء كثيرةٍ سواه، وكان يضعُ للصُّوفية الأحاديث.

قال المصنف: وصنف لهم أبو نصر السرَّاج كتابًا سماه: «لمع الصوفية» ذكر فيه من الاعتقاد القبيح والكلام المرذول ما سنذكرُ منه جملة إن شاء

الله تعالى. وصنف لهم أبو طالب المكِّي: «قوت القلوب» فذكر فيه الأحاديث الباطلة وما لا يستند فيه إلى أصلٍ من صلوات الأيام والليالي، وغير ذلك من الموضوع وذكر فيه الاعتقاد الفاسد.

وردد فيه قول - قال بعضُ المُكاشفين - وهذا كلام فارغٌ، وذكر فيه عن بعض الصوفية أن الله عز وجل يتجلى في الدنيا لأوليائه.

أَخْبَرَنَا أبو منصور القزَّاز، أخبرنا أبو بكر الخطيب، قال: قال أبو طاهر محمد بن العلاَّف قال: دخل أبو طالب المكِّيُّ إلى البصرة بعد وفاة أبي الحسين بن سالم فانتمى إلى مقالته وقدم بغداد فاجتمع الناسُ عليه في مجلس الوعظ، فخلط في كلامه فحُفظ عنه أنه قال: ليس على المخلوق أضرُّ من الخالق. فبدَّعهُ الناسُ وهجروه، فامتنع من الكلام على الناس بعد ذلك، قال الخطيب: وصنف أبو طالب المكيُّ كتابًا سماه «قوت القلوب» على لسان الصوفية وذكر فيه أشياء منكرة مستبشعة في الصفات.

قال المصنف: وجاء أبو نُعيم الأصبهاني فصنف لهم كتاب «الحلية»، وذكر في حدود التصوُّف أشياء مُنكرةً قبيحة ولم يستح أن يذكر في الصُّوفية أبا بكرٍ وعمر وعثمان وعليًّا وسادات الصحابة رضي الله عنهم، فذكر عنهم فيه العجب

وذكر منهم شُريحًا القاضي والحسن البصري وسفيان الثوري وأحمد بن حنبلٍ وكذلك ذكر السُّلميُّ في «طبقات الصوفية» الفُضيل وإبراهيم بن أدهم ومعروفًا الكرخي وجعلهم من الصُّوفية بأن أشار إلى أنَّهم من الزُّهاد.

فالتصوُّفُ مذهب معروفٌ يزيد على الزُّهد، ويدُل على الفرق بينهما أن الزُّهد لم يذمه أحدٌ، وقد ذمُّوا التصوُّف على ما سيأتي ذكرُه، وصنف لهم عبد الكريم بن هوازن القُشيري كتاب «الرسالة» فذكر فيها العجائب من الكلام في الفناء والبقاء والقبض والبسط والوقت والحال والوجد والوجود والجمع والتفرقة والصحو والسُّكر والذوق والشرب والمحو والإثبات والتجلي والمحاضرة والمكاشفة واللوائح والطوالع واللوامع والتكوين والتمكين والشريعة والحقيقة إلى غير ذلك من التخليط الذي ليس بشيء وتفسيرُه أعجبُ منه.

وجاء محمد بن طاهر المقدسي فصنف لهم «صفوة التصوف» فذكر فيه أشياء يستحيي العاقلُ من ذكرها، سنذكر منها ما يصلح ذكره في مواضعه إن شاء الله تعالى.

وكان شيخنا أبو الفضل بن ناصر الحافظ يقول: كان ابن طاهر يذهبُ مذهب الإباحة: قال:

وصنف كتابًا في جـواز النظر إلى المُـرد أورد فيه حكاية عن يحيى بن معين قال: رأيت جارية بمصر مليحة صـلى الله عليهـا، فقيل لـه: تصـلي عليهـا؟! فقال: صلى الله عليها وعلى كل مليح.

قـال شـيخنا ابن ناصـر: وليس ابن طـاهرٌ ممن يُحتجُّ به.

وجـــاء أبو حامد الغـــزالي فصـــنف لهم كتـــاب «الإحيـــاء» على طريقة القـــوم وملأه بالأحـــاديث الباطلة وهو لا يعلمُ بطلانها وتكلَّم في علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقه، وقال: إن المراد بـالكوكب والشـمس والقمر اللـواتي رآهن إبـراهيمُ صلوات الله عليه أنـوارٌ هي حُجُب الله عز وجـل، ولم يُـرد هـذه المعروفـات، وهـذا من جنس كلام الباطنيـة. وقـال في كتابه «المفصح بـالأحوال»: إن الصُّـــوفية في يقظتهم يشـــاهدون الملائكة وأرواح الأنبيـاء ويسـمعون منهم أصـواتًا ويقتبسـون منهم فوائد، ثم يترقَّى الحالُ من مشـاهدة الصُّـورة إلى درجاتٍ يضيقُ عنها نطاقُ النُّطق!!

قال المصنف: وكـان السـبب في تصـنيف هـؤلاء مثل هــذه الأشــياء قلة علمهم بالســنن والإســلام والآثــار وإقبــالهم على ما استحســنوه من طريقة القوم، وإنما استحسنوها لأنه قد ثبت في النفـوس مدح الزهـد، وما رأوا حالة أحسن من حالة هـؤلاء

القوم في الصورة ولا كلامًا أرق من كلامهم.

وفي سير السلف نوع خشونة ثم إن ميل الناس إلى هؤلاء القوم شديد لما ذكرنا من أنها طريقة ظاهرها النظافةُ والتعبد وفي ضمنها الراحةُ والسماع والطباع تميلُ إليها، وقد كان أوائل الصوفية ينفرون من السلاطين والأمراء فصاروا أصدقاء.

(فصل):

وجمهور هذه التصانيف التي صنفت لهم لا تستند إلى أصل وإنما هي واقعات تلقفها بعضهم عن بعض ودوَّنوها وقد سموها بالعلم الباطن، والحديث بإسناد إلى أبي يعقوب إسحاق بن حية قال: سمعت أحمد بن حنبل وقد سئل عن الوساوس والخطرات. فقال: ما تكلم فيها الصحابة ولا التابعون.

قال المصنف: وقد روينا في أول كتابنا هذا عن ذي النون نحو هذا، وروينا عن أحمد بن حنبل أنه سمع كلام الحارث المحاسبي، فقال لصاحب له: لا أرى لك أن تجالسهم. وعن سعيد بن عمرو البردعي قال: شهدتُ أبا زرعة وسُئِل عن الحارث المحاسبي وكتبه، فقال للسائل: إياك وهذه الكتب، هذه الكتب كتبُ بدعٍ وضلالات، عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب، قيل له: في

هذه الكتب عـبرة. قـال: من لم يكن له في كتـاب الله عز وجل عـــبرة فليس له في هـــذه الكتب عـبرة. بلغكم أن مالك بن أنس، وسـفيان الثـوري، والأوزاعي، والأئمة المتقدمــة، صــنفوا هــذه الكتب في الخطرات والوساوس وهذه الأشياء، هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم يأتوننا مـرة بالحـارث المحاسـبي ومــرة بعبد الــرحيم الــدَّيبُلي ومــرة بحــاتم الأصم ومرة بشقيق، ثم قال: ما أسرع الناس إلى البدع.

أَخْبَرَنَا محمد بن عبد الباقي، نا أبو محمد رزق الله بن عبد الوهـــــــــاب التميمي، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: أول من تكلم في بلدته في تــرتيب الأحــوال ومقامــات أهل الولاية ذو النــون المصـــــري، فــــأنكر عليه ذلك عبد الله بن عبد الحكم، وكـان رئيس مصـر، وكـان يـذهبُ مـذهب مالك، وهجـره لـذلك علمـاءُ مصر لما شـاع خـبره أنه أحدث علمًا لم يتكلم فيه السلفُ حـتى رمـوه بالزندقة.

قال السلمي: وأخـرج أبو سـليمان الـداراني من دمشـق، وقـالوا: إنه يـزعم أنه يـرى الملائكة وأنهم يكلمونه، وشهد قـوم على أحمد بن أبي الحـواري: أنه يفضل الأولياء على الأنبيـاء فهـرب من دمشق إلى مكـــــة، وأنكر أهل بســــطام على أبي يزيد البسطامي ما كـان يقـول، حـتى إنه ذُكر للحسـين بن عيسى أنه يقـول: لي معـراجٌ كما كـان للنـبي

معراج، فأخرجوه من بسطام، وأقـام بمكة سـنتين ثم رجع إلى جرجـــان فأقـــام بها إلى أن مـــات الحسين بن عيسى ثم رجع إلى بسطام.

قال السـلمي: وحكى رجـل، عن سـهل بن عبد الله التُّسـتري أنه يقـول: إن الملائكة والجن والشياطين يحضرونه وإنه يتكلم عليهم فـأنكر ذلك عليه العوامُّ حـتى نسـبوه إلى القبـائح، فخـرج إلى البصرة فمات بها.

قـال السُّـلمي: وتكلَّم الحـارثُ المُحاسـبي في شيء من الكلام والصـفات فهجـره أحمد بن حنبل فاختفى إلى أن مات.

قـــال المصـــنف: وقد ذكر أبو بكر الخلاَّل في «كتاب السنة» عن أحمد بن حنبل أنه قال: حـذِّروا من الحـارث أشـدَّ التحـذير. الحـارثُ أصل البليَّة، يعـــني في حـــوادث كلام جهم، ذاك جالسه فلان وفلان وأخــــرجهم إلى رأي جهم، ما زال مـــأوى أصـحاب الكلام. حـارث بمنزلة الأسد المرابط انظر أي يوم يثب على الناس.

أوائل الصوفية يقرّون بأن التعويل على الكتاب والسنّة

(فصل):

قال المصـنف: وقد كـان أوائل الصُّـوفية يقـرون بـــأنَّ التعويل على الكتـــاب والسُّـــنة، وإنما لبس

الشيطان عليهم لقلة علمهم.

وبإسناد عن جعفر الخلدي يقول: سمعتُ الجنيد يقول: قال أبو سليمان الدَّاراني قال: ربما تقع في نفسي النُّكتة من نكت القوم أيامًا فلا أقبلُ منه إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة.

وبإسناد عن طيفورٍ البسطامي يقول: سمعت موسى بن عيسى يقول: قال لي أبي: قال أبو يزيد: لو نظرتم إلى رجل أُعطي من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود.

وبإسناد عن أبي موسى يقول: سمعت أبا يزيد البسطاميَّ قال: من ترك قراءة القرآن والتقشُّف ولزوم الجماعة وحضور الجنائز وعيادة المرضى وادعى بهذا الشأن فهو مبتدع.

وبإسناد عن علي بن عبد الحميد الحلبي يقول: سمعت سريًّا يقول: من ادَّعى باطن علمٍ ينقضُ ظاهر حُكمٍ فهو غالطٌ.

وعن الجُنيد أنه قال: مذهبنا هذا مُقيَّدٌ بالأصول: الكتاب والسنة.

وقال أيضًا: علمنا منوطٌ بالكتاب والسنة. من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يُقتدى به.

وقال أيضًا: ما أخذنا التصوُّف عن القِيل والقال، لكن عن الجـوع وتـرك الـدنيا وقطع المألوفـات والمُستحسنات لأن التصوف من صفاء المعاملة مع الله سبحانه وتعالى، وأصله التفرق عن الـدُّنيا كما قال حارثة: عرفتُ نفسي في الدنيا فأسهرتُ ليلي وأظمأت نهاري[1].

وعن أبي بكر الشَّـقَّاف: من ضـيَّع حـدود الأمر والنهي في الظـاهر حُـرم مشـاهدة القلب في الباطن.

وقال الحسين النوري لبعض أصـحابه: من رأيتـهُ يدَّعي مع الله عز وجل حالةً تُخرجُـهُ عن حد علم الشـرع فلا تقربنَّهُ، ومن رأيته يـدعي حالة لا يـدُلُّ عليها دليلٌ ولا يشهدُ لها حفظٌ ظاهرٌ فاتهمـهُ على دينه.

وعن الجريري قال: أمرُنا هذا كله مجمـوعٌ على فضـلٍ واحد هو أن تُلـزم قلبك المراقبة ويكـون

---

1 (?) ضـعيف: أخرجه الطـبرانى فى الكبـير 3/302، وذكـره الهيثمى فى مجمع الزوائد 1/57 وقال: «وفيه ابن لهيعة، وفيه من يحتاج الكشف عنـه». عن الحـارث بن مالك الأنصـارى أنه مر بالنبى e فقال له: «كيف أصبحت يا حارثة؟» قال: أصبحت مؤمنا حقا. قـال: «انظر ما تقـول فـإن لكل قـول حقيقـة، فما حقيقة إيمانك؟» قال: عزفت نفسى عن الدنيا، فأسهرت ليلى وأظمأت نهـارى، وكـأنى أنظر عـرش ربى بـارزا، وكـأنى أنظر إلى أهل الجنة يـتزاورون فيهـا، وكـأنى أنظر إلى أهل النـار يتضاغون فيها. قال: «يا حارثة عرفت فالزم».

العلم على ظاهرك قائمًا.

وعن أبي جعفر قـــــال: من لم يـــــزن أقواله وأفعاله وأحواله بالكتاب والسُّـنة ولم يتهم خـاطره فلا تعُدَّهُ في ديوان الرجال[1].

(فصل):

قــال المصــنف: وإذ قد ثبت هــذا من أقــوال شيوخهم وقعت من بعض أشياخهم غلطاتٌ لبعدهم عن العلم فإن كان ذلك صـحيحًا عنهم توجَّهُ الـردُّ عليهم إذ لا محابـاة في الحـقِّ وإن لم يصح عنهم حذرنا من مثل هذا القـول وذلك المـذهب من أي شخص صدر.

فأما المشبَّهون بـالقوم وليسـوا منهم فـأغلاطهم كثيرة، ونحن نذكر بعض ما بلغنا من أغلاط القوم، الله يعلمُ أننا لم نقصد ببيـــــــان غلط الغالط إلا تنزيه الشريعة والغـيرة عليها من الـدخل وما علينا من القائل والفاعل وإنما نـؤدي بـذلك أمانة العلم، وما زال العلماءُ يبيِّنُ كلُّ واحد منهم غلط صـاحبه قصدًا لبيان الحق لا لإظهار عيب الغالط ولا اعتبار بقــول جاهــلٍ يقــول: كيف يــرد على فلان الزاهد المتبرَّك به، لأن الانقياد إنما يكـون إلى ما جـاءت به الشــريعة لا إلى الأشــخاص، وقد يكــون الرجُل من الأوليـــاء وأهل الجنة وله غلطـــات فلا تمنـــعُ

1 (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 10/230.

منزلته بيان زللهِ.

وَاعْلَمْ أنَّ من نظر إلى تعظيم شخص ولم ينظر بالدليل إلى ما صدر عنه كان كمن ينظر إلى ما جرى على يد المسيح صلوات الله عليه من الأمور الخارقة ولم ينظر إليه فادَّعى فيه الألوهية. ولو نظر إليه وأنه لا يقوم إلا بالطعام لم يُعطِهِ إلا ما يستحقه.

وقد أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي بإسناد إلى يحيى بن سعيد قال: سألت شعبة وسفيان بن سعيدٍ وسفيان بن عُيينة ومالك بن أنس عن الرجل لا يحفظُ أو يُتهمُ في الحديث، فقالوا جميعًا: يُبينُ أمره.

وقد كان الإمام أحمد بن حنبل يمدح الرجل ويبالغ ثم يذكرُ غلطهُ في الشيء بعد الشيء وقال: نِعْمَ الرجل فلان لولا أن خلةً فيه. وقال عن سريَ السقطي: الشيخُ المعروف بطيب المطعم؛ ثم حُكي له عنه أنه قال: إن الله عزَّ وجلَّ لما خلق الحروف سجدت الباءُ، فقال: نفِّرُوا الناس عنه.

وسيأتي ما يروى عن جماعة منهم من سوء الاعتقاد.

ذكر تلبيس إبليس في السماع وغيره

عن أبي عبد الله الرملي قال: تكلم أبو حمزة

في جـامع طرسُـوس فقبلـوه، فبينا هو ذات يـوم يتكلم إذ صاح غـرابٌ على سـطح الجـامع، فزعق أبو حمـزة وقـال: لبيك لبيـك، فنسـبوه إلى الزندقة وقـالوا: حلـولي زنـديق. وبيع فرسه بالمنـاداة على باب الجامع هذا فرس الزنديق.

وبإسـناد إلى أبي بكر الفرغـاني أنه قـال: كـان أبو حمزة إذا سمع شيئًا يقول: لبيك لبيك، فأطلقوا عليه أنه حلـــولي، ثم قـــال أبو علي: وإنما جعله داعيًا من الحق أيقظه للـــــــذكر. وعن أبي علي الروذباري قـال: أطلق على أبي حمـزة أنه حُلـولي وذلك أنه كان إذا سـمع صـوتًا مثل هبـوب الريـاح وخرير الماء وصياح الطيور كان يصيح ويقول: لبيك لبيك، فرموه بالحلول.

قـال السَّـراج: وبلغـني عن أبي حمـزة أنه دخل دار الحارث المُحاسبي فصاحت الشاة: مـاء، شـهق أبو حمـزة شـهقة، وقـال: لبيك يا سـيدي، فغضب الحارث المحاسبي وعمد إلى سكين، وقـال: إن لم تتُب مِنْ هـــذا الـــذي أنت فيه أذبحـــك. قـــال أبو حمزة: إذا أنت لم تحسن تسمع هذا الـذي أنا فيه فَلِمَ تأكل النخالة بالرماد.

وقـال السَّـراج: وأنكر جماعة من العلمـاء على أبي سـعيد أحمد بن عيسى الخـرّاط ونسـبوه إلى الكفر بألفاظ وجدوها في كتاب صنَّفه وهو «كتـاب

السر» ومنه قوله: عبد طائع ما أذن له فلزم التعظيم لله فقدس الله نفسه، قال: وأبو العباس أحمد بن عطاء نُسب إلى الكفر والزندقة، قال: وكم من مرة قد أُخذ الجنيدُ مع علمه وشُهِد عليه بالكفر والزندقة وكذلك أكثرهم.

وقال السراج: ذكر عن أبي بكرة محمد بن موسى الفرغاني الواسطي أنه قال: من ذكر افترى ومن صبر اجترى. وإياك أن تلاحظ حبيبًا أو كليمًا أو خليلاً وأنت تجد إلى ملاحظة الحق سبيلاً. فقيل له: أَوَ لاَ أصلي عليهم؟ قال: صلِّ عليهم بلا وقار ولا تجعل لها في قلبك مقدار.

قال السراج: وبلغني أن جماعة من الحلوليين زعموا أن الحق عز وجل اصطفى أجسامًا حلَّ فيهما بمعاني الربوبية، وأزال عنها معاني البشرية. ومنهم من قال بالنظر إلى الشواهد المستحسنات ومنهم من قال حالٌّ في المستحسنات. قال: وبلغني عن جماعة من أهل الشام أنهم يدعون الرؤية بالقلوب في الدنيا كالرؤية بالعيان في الآخرة.

قال السراج: وبلغني أن أبا الحسين النوري شهد عليه غلام الخليل أنه سمعه يقول: أنا أعشق الله عز وجل وهو يعشقني، فقال النوري: سمعت الله يقول: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ [المائدة: 54]،

وليس العشق بـأكثر من المحبـة. قـال القاضي أبو يعلى: وقد ذهبت الحلولية إلى أن الله عز وجل يُعشق.

قال المصنف: وهذا جهل من ثلاثة أوجه: أحـدها: من حيث الاسم فـــإن العشق عند أهل اللغة لا يكــون إلا لما ينكح، والثــاني: أن صــفات الله عز وجل منقولة فهو يُحبُّ ولا يقال يعشـقُ كما يقـال يعلم ولا يقال يعرف، والثـالث: من أين له أن الله تعالى يحبه فهذه دعوى بلا دليل، وقد قـال النـبي «من قال إني في الجنة فهو في النار»[1].

وعن أبي عبد الـــرحمن السـلمي، حكي عن عمــرو المكِّي أنه قــال: كنت أُماشي الحُســين بن منصــور في بعض أزقة مكة وكنتُ أقــرأ القــرآن فسمع قراءتي فقـال: يمكنـني أن أقـول مثل هـذا. ففارقته.

وعن محمد بن يحــيى الــرازي قــال: ســمعت عمــرو بن عثمــان يلعن الحلاج ويقــول: لو قــدرت عليه لقتلته بيــدي، فقلت: بــأيِّ شــيءٍ وجد عليه الشيخُ؟ فقـال: قـرأتُ آية من كتـاب الله عز وجل

---

1 (?) ضــعيف: أخرجه الطــبرانى فى الصــغير 1/65 وذكــره الهيثمى فى مجمع الزوائد 1/186 وقـال: «وفيه محمد بن أبى العطار الثقفى، ضعفه أحمد وقـال: هو منكر الحـديث، وذكـره ابن حبـان فى الثقـات، ومع ذلك فهو من قــول يحــيى موقوفًا عليه».

فقال: يمكنني أن أقول أو أؤلف مثله وأتكلم به.

وبإسناد عن أبي القاسم الرازي يقول: قـال أبو بكر بن ممشـاذ: قـال: حضر عنـدنا بالـدِّينور رجـلٌ ومعه مخلاةٌ فما كـان يفارقُها لا باللّيل ولا بالنّهـار ففتِّشـوا المخلاة فوجـدوا فيها كتابًا للحلاَّج عنوانـه: (من الـرحمن الـرحيم إلى فلان بن فلان)، فوجه إلى بغـداد فأُحضر وعُـرض عليه فقـال: هـذا خطّي وأنا كتبته، فقالوا: كنت تدَّعي النبوة فصرت تـدعي الرُّبوبيـة؟! فقـال: ما أدعي الرُّبوبية ولكن هـذا عين الجمع عندنا، هل الكـاتب إلا الله تعـالى واليد فيه آلـة، فقيل لـه: هل معك أحـد؟ فقـال: نعم ابن عطـاء، وأبو محمد الجريـري، وأبو بكر الشـبلي، وأبو محمد الجريـري يتسـترُ والشـبلي يتسـترُ فـإن كان: فا بن عطاء، فأحضر الجريـري وسـئل فقـال: قائل هذا كافر، يُقتلُ من يقول هذا. وسُئل الشبليُّ فقال: من يقولُ هـذا يمنـع، وسـئل ابن عطـاء عن مقالة الحلاَّج فقال بمقالته وكان سبب قتله.

وبإسـناد عن ابن باكويه قـال: أسـمعت عيسى بن بـردل القزويـني وقد سـئل أبو عبد الله بن خفيف عن معنى هذه الأبيات: (السريع)

سبحان من ... سرَّ سنا لاهوتِهِ
ثُم بدا في ... صورة الآكل
حتى لقد عاينهُ ... كلحظة الحاجب

فقال الشيخ: على قائله لعنه الله. قال عيسى بن فورك: هذا شعر الحسين بن منصور. قال: إن كان هذا اعتقاده فهو كافر إلا أنه ربما يكون مُتقوَّلاً عليه.

وبإسناد عن علي بن المحسن القاضي، عن أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن زنجي، عن أبيه، أن بنت السمري أدخلت على حامد الوزير، فسألها عن الحلاّج فقالت: حملني أبي إليه فقال: قد زوجتك من ابني سليمان وهو مقيمٌ بنيسابور فمتى جرى شيء تُنكرينه من جهته فصومي يومك واصعدي في آخر النهار إلى السطح، وقومي على الرماد واجعلي فطرك عليه وعلى ملح جريش، واستقبليني بوجهك واذكري لي ما أنكرتيه منه فإني أسمع وأرى. قالت: وكنتُ ليلةً نائمة في السطح فأحسست به قد غشيني فانتبهت مذعورة لما كان منه، فقال: إنما جئتك لأوقظك للصلاة، فلما نزلنا قالت ابنته: اسجدي له. فقلت: أو يسجد أحد لغير الله، فسمع كلامي، فقال: نعم إله في السماء وإله في الأرض.

قال المصنف: اتفق علماء العصر على إباحة دم الحلاَّج. فأول من قال: إنه حلالُ الدَّم أبو عمر القاضي ووافقه العلماء. وإنما سكت عنه أبو العباس بن سريج قال: وقال: لا أدري ما يقول. والإجماع دليل معصوم من الخطأ.

وبإسناد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله «إن الله أجاركم أن تجتمعوا على ضلالة كلِّكم»[1].

وبإسناد عن أبي القاسم يوسف بن يعقوب النعماني قال: سمعت والدي يقول: سمعتُ أبا بكر محمد بن داود الفقيه الأصبهاني يقول: إن كان ما أنزل الله عز وجل على نبيه حقًا فما يقولُ الحلاَّج باطلٌ، وكان شديدًا عليه.

قال المصنف: وقد تعصَّب للحلاَّج جماعةٌ من الصُّوفيَّة جهلاً منهم وقلَّة مبالاةٍ بإجماع الفقهاء. وبإسناد عن محمد بن الحسين النيسابوري قال: سمعت إبراهيم بن محمد النصر اباذي كان يقول: إن كان بعد النبيين والصديقين مُوحِّدٌ فهو الحلاج.

وعلى هذا أكثرُ قُصَّاص زماننا وصوفية وقتنا جهلاً من الكل بالشرع وبُعدًا عن معرفة النقل، وقد جمعتُ في أخبار الحلاَّج كتابًا بيَّنتُ فيه حِيله ومخاريقه وما قال العلماء فيه، والله المعينُ على قمع الجُهال.

وبإسناد عن أبي نعيم الحافظ قال: سمعت عمر البنَّا البغدادي بمكة يحكي أنه لما كانت محنة

---

1 (?) حسن لغيره: أخرجه أبو داود فى الفتن والملاحم (4253) من حديث أبى مالك الأشعرى، وابن أبى عاصم فى السنة (82، 83) ولا تخلو من ضعف، وفيه انقطاع بين شرع وأبى مالك. وقال الألبانى فى الصحيحة (1331): «الحديث بمجموع هذه الطرق حسن». وقد ذكر له طرق عدة.

غلام الخليل ونسبة الصوفية إلى الزندقة أمر الخليفة بالقبض عليهم فأخذ النُّوري في جماعة فأدخلوا على الخليفة فأمر بضرب أعناقهم فتقدم النُّوري مبتدرًا إلى السيَّاف ليضرب عنقه، فقال له السيَّاف: ما دعاك إلى البدار، قال: آثرتُ حياة أصحابي على حياتي هذه اللحظة فتوقف السياف فرفع الأمر إلى الخليفة فرد أمرهم إلى قاضي القضاة إسماعيل بن إسحاق فأمر بتخليتهم.

وبإسناد إلى أبي العباس أحمد بن عطاء قال: كان يسعى بالصُّوفية ببغداد غُلام الخليل إلى الخليفة فقال: ههنا قوم زنادقة، فأُخذ أبو الحسين النُّوري، وأبو حمزة الصوفي، وأبو بكر الدقَّاق، وجماعة من أقران هؤلاء واستتر الجُنيد بن محمد بالفقه على مذهب أبي ثور، فأدخلوا إلى الخليفة فأمر بضرب أعناقهم، فأولُ من بدر أبو الحسين النوري، فقال له السيَّاف: لم بادرت أنت من بين أصحابك ولم تُرعْ؟ قال: أحببتُ أن أؤثر أصحابي بالحياة مقدار هذه الساعة فردَّ الخليفة أمرهم إلى القاضي فأُطلقوا.

قال المصنف: ومن أسباب هذه القصّة قول النّوري: أنا أعشقُ الله والله يعشقني، فشهد عليه بهذا، ثم تقدم النُّوري إلى السيَّاف ليُقتل إعانة على نفسه فهو خطأ أيضًا.

وبإسناد عن ابن باكويه، قال: سـمعتُ أبا عمـرو تلميذ الـرقِّي قـال: سـمعت الـرقِّي يقـول: كـان لنا بيتُ ضيافة، فجاءنا فقيرٌ، عليه خرقتان يكنى بـأبي سليمان فقـال: الضِّـيافة. فقلت لابـني: امض به إلى البيت فأقام عنـدنا تسـعة أيـام فأكل في كل ثلاثة أيام أكلة، فسألته المُقام فقال: الضِّيافة ثلاثة أيـام. فقلت لــه: لا تقطع عنا أخبـارك فغـاب عنا اثنـتي عشرة سنة، ثم قدم، فقلت: من أين؟ فقال: رأيت شـيخًا يقـال له أبو شـعيب المُقفَّع مُبتلىً، فـأقمت عنده أخدمهُ سـنة فوقع في نفسي أن أسـألهُ: أيُّ شـيء كـان أصل بلائـه؟ فلما دنـوتُ منه ابتـدأني قبل أن أسـألهُ فقـال: وما سـؤالُك عمَّا لا يعنيـك، فصــبرت حــتى تم لي ثلاث ســنين، فقــال في الثالثـة: لا بد لـك، فقلت لـه: إن رأيت. فقـال: بينما أنا أصــلي بالليل إذْ لاح لي من المحــراب نــورٌ فقلت: إخسـأ يا ملعـون فـإنَّ ربي عز وجل غـني عن أن يبرز للخلق ثلاث مـرات، قـال: ثم سـمعت نــداءً من المحــراب: يا أبا شــعيب، فقلت: لبيــك، فقــال: تحبُّ أن أقبضك في وقتك أو نجازيك على ما مضى لــــــــك، أو نبتليك ببلاءٍ نرفعُك به في علــيين؟ فـاخترتُ البلاء فسـقطت عينـاي ويـداي ورجلاي، قـال: فمكثتُ أخدمه تمـام اثنـتي عشـرة سنة: فقال يومًا من الأيام: ادْن مني، فـدنوتُ منـه، فسمعت أعضاءه يخاطبُ بعضُـها بعضًـا ابـرُزْ حـتى

برزت أعضاؤه كلها بين يديه وهو يسبِّحُ ويقدِّسُ، ثم مات.

قال المصنف: وهذه الحكاية توهم أن الرجل رأى الله عزَّ وجلَّ، فلما أنكر عوقب، وقد ذكرنا أن قومًا يقولون: إن الله عزَّ وجلَّ يُرى في الدُّنيا.

وقد حكى أبو القاسم عبد الله بن أحمد البلخي في كتاب «المقالات» قال: قد حكى قوم من المُشبِّهة أنهم يُجيزون رؤية الله تعالى بالأبصار في الدنيا، وأنهم لا ينكرون أن يكون بعض من تلقاهم في السِّكك، وإن قومًا يُجيزون مع ذلك مُصافحتهُ ومُلازمتهُ وملامسته ويدعون أنهم يزورونه ويزورهم، وهم يُسمَّون بالعراق: أصحاب الباطن وأصحاب الوساوس وأصحاب الخطرات.

قال المصنف: وهذا فوق القبيح، نعوذ ب الله من الخذلان.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في الطهارة

قال المصنف: قد ذكرنا تلبيسه على العُبَّاد في الطهارة إلا أنه قد زاد في حق الصوفية على الحد فقوّى وساوسهم في استعمال الماء الكثير حتى بلغني أن ابن عقيل دخل رباطًا فتوضأ فضحكوا لقلة استعماله الماء، وما علموا أن من أشبع الوضوء برطلٍ من الماء كفاهُ.

وبلغنا عن أبي حامد الشيرازي أنه قال لفقير: من أين تتوضأ؟ فقال: من النهر، بي وسوسةٌ في الطهارة. قال: كان عهدي بالصُّوفية يسخرون من الشيطان، والآن يسخرُ بهم الشيطان، ومنهم من يمشي بالمداس على البواري وهذا لا بأس به، إلا أنه ربما نظر المبتدىء إلى من يقتدي به فيظنُّ ذلك شريعةً وما كان خيارُ السلف على هذا، والعجبُ ممن يبالغُ في الاحتراز إلى هذا الحدِّ مُتصفًا بتنظيف ظاهره وباطنُهُ محشُوٌ بالوسخ والكدر، والله الموفق.

ذكر تلبيس إبليس عليهم في الصلاة

قال المصنف: وقد ذكرنا تلبيسه على العُبَّاد في الصلاة وهو بذلك يلبس على الصوفية ويزيد، وقد ذكر محمد بن طاهر المقدسي أن من سنتهم التي ينفردون بها وينتسبون إليها صلاة ركعتين بعد لبس المرقعة والتوبة، واحتجَّ عليه بحديث ثُمامة بن أثالٍ:أن النبي أمرهُ حين أسلم أن يغتسل[1].

قال المصنف: وما أقبح بالجاهل إذا تعاطى ما ليس من شغله فإن ثُمامة كان كافرًا فأسلم، وإذا

1 (?) صحيح: أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (9834)، والبيهقى فى السنن الكبرى 1/171، وابن خزيمة فى صحيحة (253)، والبغوى فى شرح السنة (2712) والحديث له أصل أخرجه البخارى فى الصلاة (462)، ومسلم فى الجهاد (1764/59) من حديث أبى هريرة وفيه قصة.

أسلم الكافر وجب عليه الغُسلُ في مذهب جماعة من الفقهــاء منهم أحمد ابن حنبــل، وأما صــلاة ركعـتين فما أمر بها أحد من العلمـاء لمن أسـلم، وليس في حديث ثمامة ذكرُ صـلاةٍ فيُقـاس عليـه، وهل هذا إلا ابتداع في الواقع سموه سنة.

ثم من أقبح الأشياء قوله أن الصّوفية ينفـردون بســنن، لأنها إن كــانت منســوبةً إلى الشــرع فالمسلمون كلهم فيها سواء، والفقهاء أعـرفُ بهـا، فما وجه انفـراد الصّـوفية بهـا، وإن كـانت بـآرائهم فإنما انفردوا بها لأنهم اخترعوها.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في المساكن

قـال المصـنف: أما بنـاء الأربطة فـإن قومًا من المتعبدين الماضين اتخذوها للانفراد بالتعبـد. وهـؤلاء إذا صح قصدهم فهم على الخطأ من ستة أوجه:

أحدها: أنهم ابتدعوا هذا البنـاء، وإنما بنيـانُ أهل الإسلام المساجد.

والثاني: أنهم جعلوا للمساجد نظيرًا يُقلِّلُ جمعها.

والثـالث: أنهم أفــاتوا أنفســهم نقل الخُطا إلى المساجد.

والرابـع: أنهم تشــبَّهوا بالنصــارى بــانفرادهم في الأديرة.

والخامس: أنهم تعذَّبوا وهم شبابٌ وأكثرُهم محتاجٌ إلى النِّكاح.

والسادس: أنهم جعلوا لأنفسهم علمًا ينطقُ بأنهم زُهَّادٌ فيوجبُ ذلك زيارتهُم والتبرُّك بهم، وإن كان قصدُهم غير صحيحٍ، فإنهم قد بنوا دكاكين للكوبة[1] ومُناخًا للبطالة وأعلامًا لإظهار الزُّهد.

وقد رأينا جمهور المتأخّرين منهم مستريحين في الأربطة من كدِّ المعاش متشاغلين بالأكل والشرب والغناء والرقص يطلبون الدنيا من كل ظالم ولا يتورعون من عطاء ماكسٍ، وأكثر أربطتهم قد بناها الظلمةُ ووقفوا عليها الأموال الخبيثة، وقد لبَّس عليهم إبليسُ أن ما يصلُ إليكم رزقُكُم، فأسقطوا عن أنفسكم كُلفة الورع.

فمهمتهم دوران المطبخ والطعام والماء المبرد، فأين جوعُ بشرٍ، وأين ورع سري، وأين جد الجُنيد؟ وهؤلاء أكثر زمانهم ينقضي في التفكُّه بالحديث أو زيارة أبناء الدُّنيا، فإذا أفلح أحدهم أدخل رأسه في زرمانقته فغلبت عليه السوداءُ فيقول: حدثني قلبي عن ربي، ولقد بلغني أن رجلاً قرأ القرآن في رباطٍ فمنعوه، وأن قومًا قرأوا الحديث في رباط فقالوا لهم: ليس هذا موضعهُ، والله الموفق.

---

1 (?) الكوبة: آلة موسيقية تشبه العود، والنرد أو الشطرنج.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في الخروج عن الأموال والتجرد عنها

كان إبليس يلبس على أوائل الصوفية لصدقهم في الزهد فيريهم عيب المال ويُخوِّفهم من شره فيتجردون من الأموال ويجلسون على بساط الفقر، وكانت مقاصدهم صالحة، وأفعالهم في ذلك خطأ لقلة العلم. فأما الآن فقد كُفي إبليسُ هذه المؤنة فإن أحدهم إذا كان له مال أنفقه تبذيرًا وضياعًا، والحديث بإسناد عن محمد بن الحسين السليمي قال: سمعت أبا نصر الطُّوسي: قال: سمعت جماعة من مشايخ الريِّ يقولون: ورث أبو عبد الله المقري من أبيه خمسين ألف دينار سوى الضِياع والعقارِ فخرج عن ذلك كله وأنفقه على الفقراء.

وقد روي مثلُ هذا عن جماعة كثيرة، وهذا الفعل لا ألومُ صاحبه إذا كان يرجع إلى كفاية قد ادخرها لنفسه، أو إن كانت له صناعة يستغني بها عن الناس، أو كان المال عن شُبهةٍ فتصدَّق به. أما إذا أخرج المال الحلال كله ثم احتاج إلى ما في أيدي الناس وأفقر عيالهُ فهو إما أن يتعرض لمنن الاخوان أو لصدقاتهم أو أن يأخذ من أرباب الظلم والشبهات فهذا هو الفعل المذموم المنهي عنه.

ولست أتعجب من المتزهدين الذين فعلـوا هـذا مع قلة علمهم، وإنما العجب من أقـوام لهم عقل وعلم كيف حثُّوا على هذا وأمروا به مع مصـادمته للعقل والشـرع، وقد ذكر الحـارث المحاسـبي في هذا كلامًا طويلاً وشيده أبو حامد الغزالي ونصـره، والحارثُ عندي أعذر من أبي حامـد، لأنَّ أبا حامد كان أفقه غير أن دخوله في التصوف أوجب عليه نُصرة ما دخل فيه.

فمن كلام الحارث المحاسبي في هذا أنه قال: أيها المفتـون مـتى زعمت أن جمع المـال الحلال أعلى وأفضل من تركـــــــه، فقد أزريت بمحمد والمرسـلين، وزعمت أن محمـدًا لم ينصح الأمة إذ نهـاهم عن جمع المـال وقد علم أن جمعه خـير لهم، وزعمت أن الله لم ينظر لعبـاده حين نهـاهم عن جمع المال، وقد علم أن جمعه خير لهم، وما ينفعك الاحتجاج بمـال الصـحابة. ودَّ ابن عـوفٍ في القيامة أن لو لم يؤت من الدنيا إلا قوتًا.

قال: ولقد بلغني أنّه لما توفي عبد الـرحمن بن عـوف، فقـال نـاس من أصـحاب رسـول الله إنّا نخـافُ على عبد الـرحمن فيما تـرك، قـال كعب: سبحان الله وما تخافون على عبد الــرحمن كسب طيِّبًا وأنفق طيِّبًـا، فبلغ ذلك أبا ذر فخــرج مُغضـبًا يريد كعبًا، فمر بلحي بعير فأخـذه بيـده ثم انطلق يطلب كعبًـا، فقيل لكعب: إن أبا ذر طلبك فخــرج

هاربًا حـتى دخل على عثمـان يسـتغيثُ به وأخـبره الخـــبر، فأقبل أبو ذر يقتصُّ الأثر في طلب كعب حـتى انتهى إلى دار عثمـان، فلما دخل قـام كعب فجلس خلف عثمـــان هاربًا من أبي ذرَ فقـــال له أبو ذر: هيه يا ابن اليهودية تـزعُمُ أنه لا بـأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف، لقد خرج رسول الله يومًا فقال: «الأكثرون هم الأقلُّون يـوم القيامـة، إلا من قـال هكـذا وهكـذا» ثم قـال: «يا أبا ذر وأنت تريد الأكــثر وأنا أريد الأقـــل»، فرســول الله يريد هذا وأنت تقـول يا ابن اليهوديَّة: لا بـأس بما تـرك عبد الــرحمن بن عــوف كــذبت وكــذب من قــال بقولك. فلم يرد عليه حرفًا حتى خرج[1].

قال الحارث: فهذا عبد الرحمن مع فضله يُوقف في عرصة القيامة بســبب مــالٍ كســبه من حلال للتعفف ولصنائع المعـروف فيُمنـعُ من السـعي إلى الجنَّة مع فقراء المهاجرين وصار يحبو في آثــارهم حبوًا.

وقد كان الصـحابةُ رضي الله عنهم إذا لم يكن عنـدهم شـيءٌ فرحـوا وأنت تـدَّخرُ المـال وتجمعُـهُ خوفًا من الفقـــر، وذلك من ســـوء الظن ب الله وقلة اليقين بضـــمانه، وكفى به دائمًـــا، وعســـاك

---

1 (?) القصة لا أصل لها: وسيتحكم عليها ابن الجوزى قريبًا. والقـول المرفـوع فيهـا: أخرجه البخـارى فى الاسـتئذان (6268)، وأحمد فى المسند 5/152 من حديث أبى ذر.

تجمع المال لنعيم الدُّنيا وزهرتها ولذَّاتها؟ وقد بلغنا أن رسـول الله قـال: «من أسِـفَ على دنيا فاتتـهُ قرُب من النار مسيرة سنةٍ»[1].

وأنت تأسف على ما فاتك غـير مكـترثٍ بقربك من عـــذاب الله عز وجـــل. ويحك هل تجـــدُ في دهرك من الحلال كما وجدت الصحابةُ وأين الحلال فتجمعـــــه. ويحك إني لك ناصح أرى لك أنك تقنع بالبُلغة ولا تجمع المــال لأعمــال الــبر، فقد سـئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المــال لأعمــال البرِّ فقال: تركُهُ أبرُّ منه.

وبلغنا أن بعض خيار التـابعين سـئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالاً فأصابها فوصل بها رحمهُ وقــدَّم منها لنفســه، والآخر جانبها ولم يطلبها ولم يبذلها، فأيهما أفضـل؟ فقـال: بعيد والله ما بينهمـا، الـــــذي جانبها أفضل كما بين مشـــــارق الأرض ومغاربها.

قال المصنف: فهذا كله كلام الحارث المحاسـبي ذكـره أبو حامد وشـيده وقـواه بحـديث ثعلبة فإنه أعطي المـال فمنع الزكـاة[2]، قـال أبو حامـد: فمن

---

1 (?) ضعيف جدًا: أنظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة (1770).

2 (?) ضعيف جدًا: أخرجه الطبرانى فى الكبير (7873)، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد 7/31، 32 وقـــال: «وفيه علىّ بن يزيد الألهانى وهو متروك»، والبيهقى فى دلائل النبوة 5/290، وقصة ثعلبــة: ضــعفها الحافظ العــراقى فى تخــريج أحــاديث

راقب أحـوال الأنبيـاء والأوليـاء وأقـوالهم لم يشك في أن فقد المـال أفضل من وجـوده وإن صُـرِف إلى الخـيرات، إذ أقل ما فيه اشـتغالهم بإصـلاحه عن ذكر الله عز وجل فينبغي للمريد أن يخـــرج من ماله حـتى لا يبقى له إلا قـدر ضـرورته فما بقي له درهم يلتفت إليه قلبه فهو محجـــوب عن الله عز وجل.

قال المصـنف: وهـذا كله بخلاف الشـرع والعقل وسوء فهم للمراد بالمال.

نقد مسالك الصوفية في تجرّدهم (فصل):

فى رد هذا الكلام: أما شـرف المـال فـإن الله عز وجل عظَّم قـدرهُ وأمر بحفظه إذ جعله قوامًا للآدمي الشـريف فهو شـريف. فقـال تعـالى: **﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم الـتى جعل الله لكم قيامًا﴾** [النســاء: 5]، ونهى عز وجل أن يُســلم المالُ إلى غير رشيد، فقال: **﴿فإن آنسـتم منهم رشـدًا فـأدفعوا إليهم أمـوالهم﴾** [النسـاء: 6]، وقد صح عن رســول الله أنه نهى عن إضـــاعة المال[1] وقال لسعد: «لأن تـترك ورثتك أغنيـاء خـيرٌ

الإحياء 3/266، والزبيدى فى اتحاف السادة المتقين 8/225.

[1] (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الأدب (5975)، ومسـلم فى الأقضية (593/14012) من حديث المغيرة بن شعبة.

وأخرجه مسلم فى الأقضية (1715/10) من حديث أبى هريرة.

لك من أن تتركهم عالةً يتكففُون الناس»[1].

وقال: «ما نفعني مالٌ كَمَالِ أبي بكر»[2].

والحديث بإسناد مرفوع عن عمـرو بن العـاص، قال: بعث إليّ رسـولُ الله فقـال: «خذ عليك ثيابك وسـلاحك ثم ائتـني»، فأتيته فقـال: «إني أريد أن أبعثك على جيش فيسـلمك الله ويغنمـك، وأرغب لك من المال رغبة صالحة». فقلت: يا رسول الله: ما أسـلمتُ من أجل المـال ولكـني أسـلمت رغبة في الإسـلام. فقـال: «يا عمـرو نِعْمَ المـالُ الصـالح للرجل الصالح»[3].

والحديث بإسناد عن أنس بن مالك، أن رسـول الله دعا له بكل خـير. وكـان في آخر دعائه أن قال: « الله م أكثر مالهُ وولده وبارك له»[4].

---

1 (?) متفق عليـه: أخرجه البخـارى فى الـدعوات (6373)، ومسلم فى الوصية (1628/5) من حديث سعد.

2 (?) صحيح: أخرجه الترمذى فى المناقب (3661)، وابن ماجة فى المقدمة (94)، وأحمد فى المسند 2/253، من حديث أبى هريرة، وإسناده صحيح كما فى صحيح ابن ماجه (77).

3 (?) صحيح: أخرجه أحمد فى المسند 4/197، 202، وصححه الحـاكم فى المسـتدرك 2/2 ووافقه الـذهبى، وذكـره الهيثمى فى مجمع الزوائد 9/353 وقـال: «ورجـال أحمد وأبى يعلى رجال الصحيح».

4 (?) متفق عليـه: أخرجه البخـارى فى الـدعوات (6334، 6344)، ومسلم فى فضائل الصحابة (2480/141) من حديث أم سليم. وأخرجه البخارى فى الدعوات (6378)، ومسلم فى فضـائل الصـحابة (2481/142، 143) من حـديث أنس بن

وبإسناد عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن عبيد الله بن كعب بن مالك قال: سمعت كعب ابن مالك يحدث حديث توبته، قال: فقلت يا رسول الله: إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقةً إلى الله عز وجل وإلى رسوله فقال: «أمسِك بعض مالك فهو خيرٌ لك»(5).

قال المصنف: فهذه الأحاديث مخرجة في الصحاح وهي على خلاف ما تعتقده المتصوفة من أنَّ إكثار المال حجابٌ وعقوبة وأن حبسه ينافي التوكل. ولا ينكر أنه يخاف من فتنته وأن خلقًا كثيرًا اجتنبوه لخوف ذلك، وأن جمعه من وجهه يعز وسلامة القلب من الافتنان به يبعد، واشتغال القلب مع وجوده بذكر الآخرة يندر ولهذا خيف فتنته.

فأما كسب المال فإنَّ من اقتصر على كسب البلغة من حِلِّهَا فذلك أمرٌ لا بد منه. وأما من قصد جمعه والاستكثار منه من الحلال نظرنا في مقصوده، فإن قصد نفس المفاخرة والمباهاة فبئس المقصود، وإن قصد إعفاف نفسه وعائلته وادَّخر لحوادث زمانه وزمانهم وقصد التوسعة على الإخوان وإغناء الفقراء وفعل المصالح أثيب على

مالك.

5 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى المغازى (4418)، ومسلم فى التوبة (2769/53).

قصده وكان جمعه بهذه النية أفضل من كثـير من الطاعات.

وقد كـان نيَّاتُ خلـقٍ كثـير من الصـحابة رضي الله عنهم أجمعين في جمع المـال سـليمة لحسن مقاصدهم لجمعه فحرصوا عليه وسألوا زيادته.

وبإســـنادٍ عن ابن عمر أن رســـول الله أقطع الزبير حفر[1] فرسه بأرض يقال لهـا: ثرثـر، فـأجرى فرسه حتى قام، ثم رمى سـوطه فقـال: «أعطـوه حيث بلغ السَّـوطُ»[2] وكـان سـعد بن عبـادة يـدعو فيقول: الله م وسِّع عليَّ.

قـال المصـنف: وأبلـغُ من هـذا أن يعقـوب عليه الصـلاة والسـلام لما قـال له بنـوه: **ونزداد كيل بعــير** [يوســف: 65] مــال إلى هــذا وأرسل ابنه بنيامين معهم، وأن شعيبًا طمع في زيـادة ما يناله فقـــال: **فـــإن أتممت عشـــرًا فمن عنـــدك** [القصــص: 27]، «وأن أيـــوب عليه الســـلام لما عُوفي، نُثر عليه رجلُ[3] جـرادٍ من ذهب فأخذ يحثو

---

1 (?) حضر: عدو فرسه، والمراد: مسافة ما يجرى فرسه حـتى يقف.

2 (?) ضـعيف: أخرجه أبو داود فى الخــراج والإمــارة (3072)، وأحمد فى المســند 2/156، والــبيهقى فى الســنن الكــبرى 6/144 من حديث ابن عمر، وضـعفه الألبـانى فى ضـعيف أبى داود (673)، فى إســـناده عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم. قال الحافظ: ضعيف.

3 (?) رجل جراد: هو الطائفة العظيمة من الجراد، والمراد عـدد

في ثوبه يستكثرُ منه، فقيل له: أما شبعت؟ قال: يا ربِّ من يشبعُ من فضلك»[1]. وهذا أمر مركوز في الطباع فإذا قُصدَ به الخير كان خيرًا محضًا.

وأما كلام المحاسبي فخطأ يدل على الجهل بالعلم وقوله: إن الله عز وجل نهى عباده عن جمع المال، وأن رسول الله نهى أمته عن جمع المال، فهذا محال، إنما النهي عن سوء القصد بالجمع أو عن جمعه من غير حِلِّهِ.

وما ذكره من حديث كعب وأبي ذرٍّ فمحال من وضع الجُهَّالِ وخفاء صحته عنه ألحقه بالقوم، وقد روي بعض هذا وإن كان طريقه لا يثبت.

وبإسناد عن مالك بن عبد الله الزيادي عن أبي ذرَ أنه جاء يستأذنُ على عثمان فأذن له وبيده عصاه، فقال عثمان: يا كعبُ إن عبد الرحمن تُوفِّي وترك مالاً فما ترى فيه؟ فقال: إن كان يصلُ فيه حقَّ الله تعالى فلا بأس، فرفع أبو ذر عصاه فضرب كعبًا، وقال: سمعتُ رسول الله يقول: «ما أُحبُّ لو أن لي هذا الجبل ذهبًا أُنفقُهُ ويُتقبَّلُ منّي. أذرُ خلفي ستَّ أواقٍ»، أنشدك ب الله يا عثمانُ أسمعت هذا؟ ـ ثلاث مرات ـ قال: نعم.

كثير منه.

[1] (?) صحيح: أخرجه البخارى فى أحاديث الأنبياء (3391) من حديث أبى هريرة.

قــال المُصــنفُ: وهــذا الحــديثُ لا يثبُتُ، وا بن لهيعـة: مطعـونٌ فيـه. قـال يحـيى: لا يُحتجُّ بحديثـه. والصحيح في التاريخ أن أبا ذرَ تـوفي سـنة خمس وعشرين وعبد الرحمن توفي سـنة اثنـتين وثلاثين، فقد عــاش بعد أبي ذر ســبع ســنين. ثم لفظ ما ذكروه من حديثهم يدل على أن حديثهم موضوع.

ثم كيف تقـــولُ الصـــحابةُ رضي الله عنهم: إنَّا نخافُ على عبد الرحمن، أو ليس الإجمـاع منعقـدًا على إباحة جمع المال من حِلِّه، فما وجـهُ الخـوف مع الإباحة، أو يأذنُ الشـرعُ في شـيء ثم يعـاقب عليه، هذا قلَّةُ فهمٍ وفقـه، ثم تعلقه بعبد الـرحمن وحده دليل على أنه لم يسِر سـير الصـحابة، فإنه قد خلَّف طلحة ثلاثمائة بهــار، في كل بهــار ثلاثة قناطير، والبهار: الحِملُ، وكان مـال الزبـير خمسـين ألف ألف ومـائتي ألـف، وخلف ابن مسـعود رضي الله عنه تســعين ألفًــا، وأكــثرُ الصَّــحابة كســبوا الأموال وخلَّفوها ولم يُنكر أحدٌ منهم على أحد.

وأما قولــه: إن عبد الــرحمن يحبو حبــوًا يــوم القيامة، فهذا دليلٌ على أنه لا يعـرف الحـديث، أو كان هذا منامًا وليس هو في اليقظة. أعوذ ب الله من أن يحبو عبد الرحمن في القيامة، أفـترى من يســبق إذا حبا عبد الــرحمن بن عــوف وهو من العشــــرة المشــــهود لهم بالجنَّة، ومن أهل بــــدر المغفور لهم، ومن أصحاب الشُّورى.

ثم الحـــديث يرويه عُمـــارة بن زاذان، وقـــال البخاري: ربما اضطرب حديثه.

وقـال أحمـد: يـروي عن أنس أحـاديث منـاكير. وقـــال أبو حـــاتم الـــرازي: لا يحتجُّ بـــه. وقـــال الدارقطني: ضعيف.

أَخْبَرَنَا أبو الحصـــين مرفوعًا إلى عمـــارة عن ثـابت عن أنس رضي الله عنه قـال: بينما عائشة رضي الله عنها في بيتها ســـمعت صـــوتًا في المدينة، فقالت: ما هذا؟ فقالوا: عِـيرٌ لعبد الـرحمن بن عوف قدِمت من الشام تحملُ من كلِّ شـيءٍ، قـال: وكـانت سـبعمائة بعـيرٍ، فـارتجت المدينـةُ من الصـوت. فقـالت عائشـةُ رضي الله عنهـا: سـمعت رســول الله يقــول: «قد رأيتُ عبد الـــرحمن بن عوف يدخلُ الجنَّة حبوًا»[1]، فبلغ ذلك عبد الرحمن ابن عــوف، فقــال: إن اســتطعتُ لأدخُلنَّها قائمًــا، فجعلها بأقتابها وأحمالها في سبيل الله عز وجل.

وقولـه: تـرك المـال الحلال أفضل من جمعـه، ليس كذلك؛ بل متى صحَّ القصد فجمعهُ أفضل بلا خلاف عند العلماء. والحديثُ الذي ذكره عن رسول الله «من أسف على دنيا فاتتـه...» الخ مُحـالٌ، ما قالهُ رسول الله قط.

---

1 (?) ضعيف: أخرجه أحمد فى المسند 1/63، وذكـره الهيثمى فى مجمع الزوائد 10/239 وقـــال: «وفيه ابن لهيعـــة، وقد ضعفه غير واحد».

وقوله: هل تجد في دهرك حلالاً، فيقال لـه: وما الــذي أصــاب الحلال والنــبيُّ يقــول: «الحلالُ بيِّنُ والحرامُ بيِّن»[2] أتُرى يريدُ بالحلال وجود حبة (مــذ) خــرجت من المعــدن ما تقلَّبت في شُــبهة، هــذا يبعُدُ، وما طُولبنا به.بل لو باع المسلمُ يهوديًا كـان الثمن حلالاً بلا شـك.هـذا مـذهب الفقهـاء. وأعجبُ لســـكوتِ أبي حامد بل لنصـــرته ما حَكى، وكيف يقول: إن فقد المال أفضل من وجوده وإن صُرِفَ إلى الخـيرات. ولو ادُّعي الإجمـاعُ على خلاف هـذا لصحَّ، ولكن تصوفه غير فتواه.

وعن المـروزي قـال: سـمعتُ رجلاً يقـول لأبي عبد الله: إني في كفاية فقـال: الـزم السـوق تصل به الرحم وتعود المرضى.

وقوله: ينبغي للمريد أن يخرج من ماله، قد بينا أنه إن كــان حرامًا أو فيه شــبهة أو إن يقنع هو باليسير أو بالكسب جاز له أن يخرج منـه. وإلا فلا وجه لذلك، وأما ثعلبة فما ضرَّهُ المــالُ إنما ضـرَّهُ البُخلُ بالواجب.

وأما الأنبيــاء: فقد كــان لإبــراهيم عليه الصــلاة والسلام زرعٌ ومالٌ، ولشعيب ولغيره، وكـان سـعيد بن المسيّب رضي الله عنه يقول: لا خـير فيمن لا

---

2 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى البيوع (2051)، ومسـلم فى المساقاة (1599/107) من حديث النعمان بن بشير.

يطلب المــال يقضي به دينــهُ ويصــون به عرضه ويصلُ به رحمه فإن مـات تركه ميراثًا لمن بعـده، وخلَّف ابن المُسـيَّب أربعمائة دينـار، وقد ذكرنا ما خلفت الصـحابة. وقد خلَّف سـفيانُ الثـوريُّ رضي الله عنه مـائتين، وكـان يقـول: المــالُ في هــذا الزمـان سـلاحٌ، وما زال السَّـلفُ يمـدحون المـال ويجمعونه للنوائب وإعانة الفقراء. وإنما تجافاهُ قومٌ منهم إيثارًا للتشاغل بالعبادات وجمع الهمم فقنعـوا باليسير، لو قال هـذا القائـلُ أن التقلُّل منه أولى، قرب الأمر، ولكنه زاحم به مرتبة الإثم.

الصبر على الفقر والمرض

(فصل):

وَاعْلَمْ أن الفقر مـــرض فمن ابتُلي به فصـــبر أُثيب على صبره، ولهـذا يـدخلُ الفقـراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام لمكـان صـبرهم على البلاء، والمال نعمة والنعمة تحتاج إلى شكر، والغني وإن تعب وخاطر كالمفتي والمجاهد، والفقـير كـالمعتزل في زاوية.

وقد ذكر أبو عبد الـرحمن السـلمي في كتـاب سنن الصوفية باب كراهية أن يخلف الفقـير شـيئًا، فـذكر حـديث الـذي مـات من أهل الصـفة وخلَّف دينارين، فقال رسول الله: «كيّتان»[1].

---

1 (?) حسن لغـيره: أخرجه أحمد فى المســند 1/412، 415،

قال المصنف: وهذا احتجاج من لا يفهم الحال فإن ذلك الفقير كان يزاحمُ الفقراء في أخذ الصدقة وحبس ما معه فلذلك قال: كيَّتان، ولو كان المكروهُ نفس ترك المال لما قال رسول الله لسعد: «إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهُم عالةً يتكفَّفُون الناس»[1] ولما كان أحدٌ من الصحابة يخلف شيئًا.

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حثَّ رسول الله على الصدقة فجئتُ بنصف مالي، فقال رسول الله «وما أبقيتَ لأهلك؟». فقلت: مثله[2] فلم يُنكر عليه رسولُ الله صلى الله عليه

421، وأبو يعلى والبزار من حديث ابن مسعود كما فى مجمع الزوائد 10/240 وقال الهيثمى: «وفيه عاصم بن بهدلة وقد ثقة غير واحد، وبقية رجاله رجال الصحيح».

وأخرجه أحمد فى المسند 5/252، 258 من حديث أبى أمامة، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد 10/240 وقال: «رواه كله أحمد بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح غير شهر بن حوشب وقد وثق».

وأخرجه ابن حبان فى صحيحة (3263)، وأبو يعلى (4997 ــ 5037)، والبزار (3652) بأسانيد مختلفة.

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الوصايا (2742) ومسلم فى الوصية (1628/5). من حديث سعد بن أبى وقاص.

2 (?) حسن: أخرجه أبو داود فى الزكاة (1678)، والترمذى فى المناقب (3675)، والدارمى فى الزكاة (1660)، وابن أبى عاصم فى السنة (1240)، والبيهقى فى السنة الكبرى 4/180، 181، وصححه الحاكم فى المستدرك 1/414 ووافقه الذهبى، وقال الألبانى فى صحيح أبى داود (1472): «حسن».

وسلم.

قال ابن جرير الطبري: وفي هذا الحـــديث دليل على بطلان ما يقولُه جهلـــةُ المتصـــوِّفة أن ليس للإنسـان ادخـارُ شـيءٍ في يومه لغـده، وأنّ فاعل ذلك قد أســـاء الظَّنَّ بربه ولم يتوكَّل عليه حـــقَّ توكُّلـه. قـال ابن جريـر: وكـذلك قوله عليه الصـلاة والسـلام: «اتخـذُوا الغنم فإنها بركــة»[1]، فيه دلالة على فســاد قــول من زعم من المتصــوفة أنه لا يصــحُّ لعبــدٍ التوكل على ربه إلا بــأن يصــبح ولا شيء عنده من عين ولا عـرض ويمسي كـذلك. ألا ترى كيف ادَّخر رسول الله لأزواجه قُوتَ سنةٍ[2].

(فصل):

وقد خرج أقـوامٌ من أمـوالهم الطيبة ثم عـادوا يتعرضـــون للأوســـاخ ويطلبـــون، وهـــذا لأن حاجة الإنسان لا تنقطع، والعاقل يُعـدُّ للمسـتقبل وهـؤلاء مثلُهُم في إخــراج المــال عند بداية تزهــدهم مثل من روى في طريق مكة فبدد الماء الذي معه.

---

1 (?) صــحيح:أخرجه ابن ماجه فى التجــارات (2304)، وفى الزوائد: «إسـناده صـحيح، ورجاله ثقـات»، وأحمد فى المسـند 6/424، والطبرانى فى الكبير 24/427 من حـديث أم هـانئ، وقال الألبانى فى الصحيحة (773): «صحيح».

2 (?) متفق عليــه: أخرجه البخــارى فى المغــازى (4033)، ومسلم فى الجهاد والسـير (1757/48، 49) من حـديث عمر بن الخطاب.

والحديث بإسناد عن جابر بن عبد الله قال: قدم أبو حُصينٍ السُّلميُّ بذهب من معدنهم فقضى دينًا كان عليه وفضل معه مثلُ بيضة الحمامة، فأتى بها رسول الله فقال: يا رسول الله ضع هذه حيثُ أراك الله أو حيثُ رأيت، قال: فجاءه عن يمينه فأعرض عنه، ثم جاءه عن يساره فأعرض عنه، ثم جاءه من بين يديه فنكس رسول الله رأسه، فلما أكثر عليه أخذها من يديه فحذفه بها لو أصابتهُ لعقرتهُ، ثم أقبل عليه رسول الله فقال: «يعمد أحدُكم إلى ماله فيتصدَّقُ به ثم يقعد فيتكفَّفُ النّاس، وإنما الصدقةُ عن ظهر غنىً وابدأ بمن تعولُ»(3).

وقد رواه أبو داود في سننه من حديث محمود بن لبيد عن جابر بن عبد الله قال: كنا عند رسول الله إذ جاءه رجل بمثل البيضة من ذهب فقال: يا رسول الله أصبتُ هذه من معدنٍ فخُذها فهي صدقةٌ ما أملكُ غيرها، فأعرض عنه رسول الله ثم أتاه من قبل رُكنه الأيمن فقال مثل ذلك فأعرض عنه، ثم أتاه من قِبل رُكنه الأيسر، فأعرض عنه رسول الله ثم أتاه من خلفه فأخذها

---

3 (?) ضعيف: أخرجه ابن سعد فى الطبقات الكبرى 4/2/19، من طريق عمر بن الحكم ابن ثوبان، وعبد الله بن أبى يحيى، قال الذهبى فى الميزان 2/525: «قال البخارى: منكر الحديث».

رسول الله فحذفهُ بها فلو أصابته لأقصعته أو لعقرتهُ، فقال رسول الله «يأتي أحدكم بما يملكُ فيقول: هذه صدقة ثم يقعد يتكفف الناس. خير الصدقة ما كان عن ظهر غنىً»[1]، وفي رواية أخرى: «خذ عنا مالك لا حاجة لنا به»[2].

وروى أبو داود من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: دخل رجل المسجد فأمر رسول الله أن يطرحوا ثيابًا فطرحوا. فأمر له منها بثوبين، ثم حثَّ على الصدقة، فجاء فطرح أحد الثوبين فصاح به: «خُذ ثوبك»[3].

قال المصنف: ونقلت من خط أبي الوفاء بن عقيل: قال ابن شاذان: دخل جماعة من الصُّوفية على الشِّبلي، فأنفذ إلى بعض المياسير يسأله مالاً ينفقه عليهم، فردَّ الرَّسول وقال: يا أبا بكر، أنت تعرفُ الحق فهلاَّ طلبت منه، فقال للرسول: ارجع إليه وقل له: الدُّنيا سفلةٌ أطلبها من

---

1 (?) ضعيف: أخرجه أبو داود فى الزكاة (1673)، والدارمى فى سننه (1659)، وابن خزيمة فى صحيحة (2441)، وصححه الحاكم فى المستدرك 1/413 ووافقه الذهبى، وهو ليس كما قالا، فإن فيه ابن إسحاق مدلس وقد؟؟؟والبيهقى فى السنن الكبرى 4/154، وضعفه الألبانى فى ضعيف أبى داود (369).

2 (?) ضعيف: أخرجه أبو داود فى الزكاة (1674)، وإسناده هو إسناد الحديث السابق.

3 (?) حسن: أخرجه أبو داود فى الزكاة (1675).

سـفلةٍ مثلك وأطلب الحـقَّ من الحـقِّ، فبعث إليه بمائة دينـار. قـال ابن عقيـل: إن كـان أنفذ إليه المائة دينار للافتداء من هـذا الكلام القـبيح وأمثاله فقد أكل الشـبلي الخـبيث من الـرزق وأطعم أضيافه منه.

(فصل):

وقد كان لبعضهم بضاعة فأنفقها، وقال: ما أريد أن تكون ثقتي إلا ب اللـه، وهـذا قلـةُ فهمٍ لأنهم يظنون أن التوكُّل قطع الأسباب وإخراج الأموال.

أخبرنا القزَّازُ، قـال: أخبرنا الخطيب، قـال: أخبرنا أبو نُعيم الحافظ قـال: أنبأنا جعفر الخلـدي في كتابه قـال: سـمعتُ الجُنيد يقـول: دققت على أبي يعقوب الزيَّات بابه في جماعة من أصحابنا، فقال: ما كان لكم شغلٌ في الله عز وجل يشغلُكُم عن المجيء إليَّ، فقلتُ لـه: إذا كـان مجيئنا إليك من شغلنا به فلم ننقطع عنه. فسـألته عن مسـألة في التوكل فـأخرج درهمًا كـان عنـده ثم أجـابني، فـأعطى التوكُّل حقَّهُ، ثم قـال: اسـتحييتُ من الله أن أُجيبك وعندي شيء.

قال المصنُّف: لو فهم هـؤلاء معـنى التوكُّل وأنه ثقةُ القلب ب الله عزَّ وجلَّ لا إخراج صُور المال، ما قـال هـؤلاء هـذا الكلام. ولكن قل فهمهم، وقد كان سادات الصـحابة والتـابعين يتجـرُون ويجمعـون

الأموال وما قال مِثل هذا أحدٌ منهم.

وقد روينا عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال حين أُمر بترك الكسب لأجل شغله بالخلافة: فمن أين أطعم عيالي؟

وهذا القولُ منكر عند الصوفية يُخرجُون قائلهُ من التوكل، وكذلك ينكرون على من قال: هذا الطعام يضرني، وقد رووا في ذلك حكاية عن أبي طالب الرازي قال: حضرت مع أصحابنا في موضع فقدموا الل بن وقال لي: كُلْ، فقلت: لا آكُلُه فإنه يضرُّني، فلما كان بعد أربعين سنة صلَّيت يومًا خلف المقام ودعوت الله عز وجل وقلت: الله م إنك تعلمُ أني ما أشركت بك طرفة عين. فسمعت هاتفًا يهتف بي ويقول: ولا يوم اللَّبن.

قال المصنف: وهذه الحكايةُ الله أعلمُ بصحتها ـ واعلم أن من يقول: هذا يضُرُّني، لا يريد أن ذلك يفعل الضرر بنفسه وإنما يريد أنه سبب الضَّرر كما قال الخليل صلوات الله وسلامه عليه: ﴿**رب إنهن أضللن كثيرًا من الناس**﴾ [إبراهيم: 36] وقد صحَّ عن رسول الله أنه قال: «ما نفعني مال كمال أبي بكر»[1] وقوله: ما نفعني مقابلٌ لقول

---

[1] (?) صحيح: أخرجه الترمذى فى المناقب (3661)، وابن ماجه فى المقدمة (94)، وأحمد فى المسند 2/253، من حديث أبى هريرة، وقال الألبانى فى صحيح ابن ماجه (77): «إسناده صحيح».

القائل: ما ضرني. ويصح عنه أنه قال: «ما زالت أكلةُ خيبر تُعاودُني فهذا أوانُ قطعت أبهري»[1].

وقد ثبت أنه لا رتبة أولى من رتبة النبوة، وقد نسب النفع إلى المال والضرر إلى الطعام، فالتحاشي عن سلوك طريقه تعاطٍ على الشريعة فلا يُلتفتُ إلى هذيان من هذى في مثل هذا.

زهد الصوفية في المال

(فصل):

قال المصنف: وقد بيَّنا أنه كان أوائل الصُّوفية يخرجون من أموالهم زهدًا فيها، وذكرنا أنهم قصدوا بذلك الخير إلا أنهم غلطوا في هذا الفعل. كما ذكرناه من مخالفتهم بذلك الشرع والعقل؛ فأما متأخروهم فقد مالوا إلى الدُّنيا وجمع المال من أي وجه كان إيثارًا للراحة وحُبًّا للشهوات. فمنهم من يقدر على الكسب ولا يعمل ويجلس في الرِّباط أو المسجد ويعتمد على صدقات الناس وقلبه مُعلَّقٌ بطرق الباب. ومعلومٌ أن الصدقة لا تحلُّ لغنيَ ولا لذي مرَّةٍ[2] سوي[3]، ولا

1 (?) صحيح: أخرجه البخارى فى المغازى (4428) من حديث عائشة. والأبهر: هو شريان الأورطى، وهو الشريان الرئيسى الذى يحمل الدم إلى القلب.

2 (?) مرة: بكسر الميم، القوة.

3 (?) صحيح: أخرجه أبو داود الزكاة (1634)، والترمذى فى الزكاة (652)، والدارمى فى سننه (1639)، والدارقطنى فى

يبـــــــالون من بعث إليهم، فربما بعث الظـــــــالمُ والمـاكسُ فلم يـردوه. وقد وضـعوا في ذلك بينهم كلماتٍ منها تسـميةُ ذلك بـالفتوح، ومنهـا: إن رزقنا لا بد أن يصل إلينـــا. ومنهـــا: إنه من الله فلا يـــرد عليه ولا نشكر سواه.

وهذا كله خلافُ الشريعة وجهــلٌ بها وعكس ما كان السلف الصالح عليه. فإن النـبي قـال: «الحلالُ بيِّنٌ والحرامُ بيِّن وبينهما أمورٌ مشـتبهاتٌ لا يعلمهنَّ كثـيرٌ من النـاس فمن اتَّقى الشُّـبُهات فقد اسـتبرأ لدينه وعرضه»[1]، وقد قاء أبو بكـرٍ الصـديق رضي الله عنه من أكل الشبهة.

وكـان الصـالحون لا يقبلـون عطـاءَ ظـالمٍ ولا ممن في ماله شُبهةٌ، وكثـير من السـلف لم يقبل صلة الإخوان عفافًا وتنزهًا. وعن أبي بكر المـروزي قـــال: ذَكـــرتُ لأبي عبد الله رجلاً من المحـــدثين فقال رحمه الله: أيّ رجـلٍ كـان لـولا خلة واحـدة، ثم سكت، ثم قال: ليس كل الخلال يكملها الرجل، فقلت له: أليس كان صـاحب سـنة؟ فقـال: لعمـري لقد كتبت عنه ولكن خلة واحـــدة كـــان لا يبـــالي ممن أخذ.

قـــال المصـــنف: ولقد بلغنا أن بعض الصُّـــوفية

سننه 2/119، وانظر: الإرواء (877).

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى البيوع (2051)، ومسـلم فى المساقاة (1599/107) من حديث النعمان بن بشير.

دخل على بعض الأمــراء الظلمة فوعظه فأعطــاه شيئًا فقبله، فقال الأمير: كلنا صيَّادون وإنما الشِّباكُ تختلـف، ثم أين هـؤلاء من الأنفة من الميل للـدُّنيا فـــإن النـــبي قـــال: «اليـــدُ العليا خـــيرٌ من اليد السفلى»[1] واليدُ العليا هي المعطيـة، هكـذا فسـره العلماء وهو الحقيقة، وقد تأوَّلهُ بعض القوم فقال: العليا هي الآخذة، قال ابن قتيبـة: ولا أرى هـذا إلا تأويل قومٍ استطابوا السؤال.

(فصل):

قال المصنف: ولقد كان أوائل الصوفية ينظرون في حصـول الأمـوال من أيِّ وجـهٍ ويفتشـون عن مطـــاعمهم، وســئل أحمد بن حنبل عن السَّـــريِّ السـقطي فقـال: الشـيخ المعـروف بطيب المطعم، وقـال السَّـريُّ: صـحبت جماعة إلى الغـزو فاكترينا دارًا فنصبت فيها تنُّورًا فتورعوا أن يأكلوا من خبز ذلك التنُّور. فأما من يرى ما قد تجدَّد من صــوفية زماننا من كــونهم لا يبــالون من أين أخــذوا فإنه يعجبُ.

ولقد دخلتُ بعض الأربطة فســألتُ عن شــيخه فقيل لي: قد مضى إلى الأمــير فلان يهنئه بخُلعــةٍ قد خُلعت عليـــه، وكـــان ذلك الأمـــيرُ من كبـــار

---

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الزكاة (1429)، ومسلم فى الزكاة (1033/94) من حديث عبد الله بن عمر.

الظلمة، فقلتُ: ويحكم ما كفاكم أن فتحتم الـدُّكان حـتى تطوفـوا على رؤوسـكم بالسِّـلع. يقعد أحـدكم عن الكسب مع قدرته عليه مُعوِّلاً على الصـدقات والصِّلات ثم لا يكفيه حـتى يأخذ ممن كـان، ثم لا يكفيه حــتى يــدور على الظلمة فيســتعطي منهم، ويهـنئهم بملبـوسٍ لا يحـلُّ، وولايـةٍ لا عـدل فيهـا، والله إنكم أضرُّ على الإسلام من كل مُضرَ.

(فصل):

قـال المصـنِّف: وقد صـار جماعة من أشـياخهم يجمعون المال من الشُّـبُهات ثم ينقسـمون، فمنهم من يــدَّعي الزُّهد مع كــثرة المــال وحرصه على الجمع وهــذه الـدعوى مضـادةٌ للحـال، ومنهم من يُظهــرُ الفقــراء مع جمعه المــال وأكــثر هــؤلاء يُضيقون على الفقر بأخـذهمُ الزكـاة ولا يجـوز لهم ذلك، وقد كان أبو الحسن البسطامي شـيخُ ربـاط ابن المجيان يلبسُ الصُّـوف صـيفًا وشـتاء وتقصـده الناس يتبركون به فمات فخلف أربعة آلاف دينار.

قال المصنف: وهـذا فـوق القـبيح، وقد صح عن النــبي أن رجلاً من أهل الصُّــفَّة مــات فخلف دينارين فقال «كيتان»[1].

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في

---

[1] (?) حسن لغـيره: أخرجه أحمد فى المسـند 1/415، 421، وانظر: مجمع الزوائد 10/240 وقد سبق تخريجه قريبًا.

لباسهم

قال المصنف: لما سمع أوائل القوم أن النبي كان يرقع ثوبه[1] وأنه قال لعائشة رضي الله عنها: «لا تخلعي ثوبًا حتى ترقعيه»[2] وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان في ثوبه رقاعٌ، وأن أُويسًا القرني كان يلتقطُ الرِّقاع من المزابل فيغسلها في الفرات ثم يُخيطُها فيلبسُها، اختاروا المُرقَّعات، وقد أبعدوا في القياس فإن رسول الله وأصحابه كانوا يؤثرون البذاذة ويعرضُون عن الدنيا زهدًا، وكان أكثرُهم يفعل هذا لأجل الفقر، كما روينا عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز وعليه قميصٌ وسخٌ فقال لامرأته فاطمة: اغسلي قميص أمير المؤمنين، فقال: والله ما لهُ قميصٌ غيره، فأما إذا لم يكن هذا لفقر، وقصد البذاذة فما له من معنىً.

الزهد في اللباس

(فصل):

---

1 (?) صحيح: أخرجه أحمد فى المسند 6/106، 121، 167، وابن حبان فى صحيحه (2113)، وأبو الشيخ فى أخلاق النبى (12، 13)، وقال الألبانى فى صحيح الجامع (4937): «صحيح».

2 (?) ضعيف جدًا: أخرجه الترمذى فى اللباس (1780) وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث صالح بن حسان، قال: وسمعت محمدًا يقول: صالح بن حسان منكر الحديث»، وانظر: الضعيفة (1294).

قال المصنِّف: فأما صوفيَّةُ زماننا فإنهم يعمدون إلى ثوبين أو ثلاثة، كل واحد منها على لون، فيجعلوها خرقًا ويلفِّقونها فيجمع ذلك الثوب وصفين: الشُّهرة والشَّهوة، فإنَّ لبس مثل هذه المرقعات أشهى عند خلقٍ كثير من الدِّيباج، وبها يشتهر صاحبها أنه من الزُّهاد، أفتراهم يصيرون بصورة الرقاع كالسلف؟ كذا قد ظنوا وإن إبليس قد لبَّس عليهم وقال: أنتم صوفيةٌ لأن الصوفية كانوا يلبسون المرقعات وأنتم كذلك، أتراهم ما علموا أن التصوف معنى لا صورة، وهؤلاء قد فاتهم التشبيه في الصورة والمعنى، أما الصورة فإنَّ القدماء كانوا يرقعون ضرورة ولا يقصدون التحسُّن بالمرقع ولا يأخذون أثوابًا جُدُدًا مختلفة الألوان فيقطعون من كل ثوبٍ قطعة ويلفقونها على أحسن الترقيع ويخيطونها ويُسمُّونها مرقعة.

وأما عمرُ رضي الله عنه لما قدم بيت المقدس حين سأل القسِّيسُون والرهبان عن أمير المسلمين فعرضوا عليهم أمراء العساكر مثل: أبي عبيدة وخالد بن الوليد وغيرهما، فقالوا: ليس هذا المُصوَّر عندنا، ألكم أميرٌ أو لا؟ فقالوا: لنا أمير غيرُ هؤلاء، فقالوا: هو أمير هؤلاء؟ قالوا: نعم، هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقالوا: أرسلوا إليه ننظُرهُ فإن كان هو سلَّمنا إليكم من غير قتالٍ وإن لم يكن هو فلا، فلو حاصرتمونا ما

تقدرون علينـا، فأرسل المسـلمون إلى عمر رضي الله عنه وأعلموه بذلك، فقـدم عليهم وعليه ثـوبٌ مرقع ســبع عشـــرة رقعة بينها رقعة من أديم[1]، فلما رأوه - الرُّوحانيـــةُ والقســـوسُ - على هـــذه الصـفة سـلَّموا بيت المقـدس إليه من غـير قتـال، فـأين هـذا مما يفعله جُهَّالُ الصُّـوفية في زماننـا، فنسألُ الله العفو والعافية، وأما المعنى فإن أولئك كانوا أصحاب رياضة وزهد.

(فصل):

قال المصنف: ومن هؤلاء المـذمومين من يلبسُ الصُّوف تحت الثياب ويلوح بكُمِّه حتى يرى لباسـه، وهـــذا لصٌّ ليلي، ومنهم من يلبسُ الثيـــاب اللينة على جســده ثم يلبس الصــوف فوقها وهــذا لص نهـاري مكشـوف، وجـاء آخـرون فـأرادوا التشـبُّه بالصُّوفية وصعب عليهم البـذاذة وأحبـوا التنعُّم ولم يـــروا الخـــروج من صـــورة التَّصـــوُّف لئلا يتعطل المعـاشُ فلبسـوا الفُـوط الرفيعة واعتمُّوا بـالرُّومي الرفيع إلا أنه بغير طراز، فـالقميص والعمامة على أحدهم بثمن خمسة أثواب من الحرير.

وقد لبَّس إبليسُ عليهم أنكم صـــــوفيَّة بنفيس النَّفس، وإنما أرادوا أن يجمعـــــوا بين رســـــوم التصوف وتنعُّم أهل الدُّنيا، ومن علامـاتهم مصـادقةُ

---

1 (?) الأديم: الجلد.

الأمـراء ومفارقة الفقـراء كـبرًا وتعظيمًـا. وقد كـان عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه عليه يقـول: «يا بـني اسـرائيل: ما لكم تـأتونني وعليكم ثيـابُ الرهبان، وقلوبكم قلـوبُ الـذِّئاب الضَّـواري، البسـوا لباس الملوك وألِينُوا قلوبكم بالخشية».

وَأَخْبَرَنَا محمد بن أبي القاسم، قال: أخبرنا حمد بن أحمد الحداد، قال: أخبرنا أبو نُعيم الحافـظ، ثنا أحمد بن جعفر بن معبد، ثنا يحيى بن مُطرِّف، ثنا أبو ظفـــر، ثنا جعفر ابن ســـليمان، عن مالك بن دينـار، قـال: إن من النـاس ناسًـا إذا لقـوا القـراء ضربوا معهم بسهم، وإذا لقوا الجبابرة وأبناء الدُّنيا أخذوا معهم بسهم، فكونوا من قُرَّاء الرحمن بارك الله فيكم.

أَخْبَرَنَا محمد نا حمد نا أبو نعيم ثنا الحســـين بن محمد بن العبـاس الفقيـه، ثنا أحمد ابن محمد الــدلاَّل، ثنا أبو حــاتم، ثنا هُدبــة، ثنا حــزم، قــال: ســـمعتُ مالك بن دينـــار يقـــول: إنكم في زمـــانٍ أشهب لا يُبصرُ زمانكُم إلا البصيرُ، إنكم في زمـان كثـير تفاحُشـهُم قد انتفخت ألسـنتهم في أفـواههم فطلبـــوا الـــدُّنيا بعمل الآخـــرة، فاحـــذروهم على أنفسكم لا يُوقعُوكم في شباكهم.

أَخْبَرَنَا المحمـدان ابن ناصر وا بن عبد البـاقي، قــالا: أخبرنا حمد بن أحمـــد، نا أحمد بن عبد الله

الحافــظ، ثنا أحمد بن جعفر بن حمــدان، ثنا عبد الله بن أحمد، ثني مهنا الشـامي، ثنا ضـمرة، عن سـعيد بن شـبل، قـال: نظر مالك بن دينــار إلى شاب ملازم للمسجد فجلس إليه. فقال له: هل لك أن أكلم بعض العشّارين يُجرُون عليك شيئًا وتكون معهم، قـال: ما شـئت يا أبا يحـيى. قـال: فأخذ كفًا من تراب فجعله على رأسه.

أَخْبَرَنَا المحمـدان قـالا: نا حمد نا أحمـد، نا أبو نعيم، ثنا فـــاروق بن عبد الكبـــير الخطـــابي، ثنا هشـام بن علي السِّـيرافي، ثنا قطر بن حمـاد بن واقد، ثنا أبي، ثنا مالك بن دينـار، قـال: كـان فـتى يتفرى فكان يأتيني. فابتلي: فـولي الجسر فبينما هو يصــلي إذ مــرت سـفينةٌ فيها بــطٌّ، فنــادى بعض أعوانه: قرِّب لنأخُذ للعامل بطة. فأشار بيده: سبحان اللـه، أي بطـتين، قـال: فكـان أبي إذا حـدث بهـذا الحديث بكى وأضحك الجلساء[1].

أَخْبَرَنَا أبو بكر بن حـبيب، نا أبو سـعد بن أبي صــادق، ثنا ابن باكويــه، قــال: سـمعتُ محمد بن خفيف، يقول: قلت لرُويم: أوصـني، فقـال: هو بـذل الروح وإلا فلا تشتغل بتُرَّهات الصوفية.

أَخْبَرَنَا ابن ناصـــر، نا أبو عبد الله الحُميـــدي، نا أبو بكر أحمد بن محمد الأردســـتاني، ثنا عبدالرحمن السلمي، قال سمعت أبي، يقول: بلغني أن رجلاً قال للشـبلي: قد ورد جماعـةٌ من

---

1 (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 2/382، 383.

أصحابك وهم في الجامع، فمضى فرأى عليهم المرقعات والفوط، فأنشأ يقول: (الكامل)

أما الخيام فإنها كخيامهم   وأرى نساء الحي غير نسائها

قـال المصـنف رحمه اللـه: قلت: واعلم أن هـذه البهرجة في تشـبيه هـؤلاء بأولئك لا تخفى إلا على كل غبي في الغايـة. فأما أهل الفطنة فيعلمـون أنه تنميس بارد والأمر في ذلك على نحو قول الشاعر: (الرجز)

تشبهت حورُ الظباء بنا   إن سكنت فيك بلا ذُعُرٍ
أصامتٌ بناطقٍ يُشبَّهُ   بآنسٍ وذو خَلاً بمُقْفِرِ
مُشتبهٌ أعرفُهُ وإنما   مغالطًا قلْتُ لصحبي انظُرِ

لبس الفوط المرقعات

قال المصنف: وإنما أكره لبس الفوط المرقعات لأربعة أوجـه: أحـدها: أنه ليس من لبـاس السـلف وإنما كـان السـلف يرقعـون ضـرورة، والثـاني: أنه يتضـمن ادعـاء الفقر وقد أمر الإنسـان أن يظهر نعمة الله عليـه، والثـالث: أنه إظهـارٌ للزهد وقد أمرنا بستره. والرابع: أنه تشـبه بهـؤلاء المُـتزحزحين عن الشريعة ومن تشبَّه بقومٍ فهو منهم[1].

وقد أخبرنا ابن الحُصـين، نا ابن المـذهب، نا أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله بن أحمـد، ثـني أبي، ثنا أبو النَّضْر، ثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان،

---

[1] (?) حسـن: أخرجه أبو داود فى اللبـاس (4031)، وأحمد فى المسـند 2/50 من حـديث ابن عمر وقـال ابن مجر فى الفتح 6/116: «سنده حسن».

ثنا حسّان بن عطيّة، عن أبي مـنيب الجُرشي عن ابن عمر، قال: قال رسـول الله «من تشـبَّه بقـوم فهو منهم».

وقد أنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد بن طـاهر، قال: أخبرني أبي، قال: لما دخلتُ بغداد في رحلتي الثانية قصدتُ الشـيخ أبا محمد عبد الله بن أحمد السُّكري لأقرأ عليه أحـاديث - وكـان من المُنكـرين على هـذه الطائفة - فأخـذتُ في القـراءة، فقـال: أيها الشيخ إنك لو كنت من هؤلاء الجهال الصُّوفية لعذرتُك، أنت رجل من أهل العلم تشـتغلُ بحـديث رسول الله وتسـعى في طلبـه، فقلت: أيها الشـيخ وأي شـيءٍ أنكـرت عليَّ حـتى أنظر فـإن كـان له أصـلٌ في الشـريعة لزمتـه، وإن لم يكن له أصل في الشريعة تركته، فقال: ما هذه الشوازك[1] الـتي في مرقعتك؟ فقلت: أيها الشـيخ هـذه أسـماءُ بنت أبي بكر رضي الله عنهما تُخـبر أن رسـول الله كـان له جُبَّةٌ مكفوفـةُ الجيب والكُمَّين والفـرجين بالـدِّيباج[2]، وإنما وقع الإنكـار لأن هـذه الشـوازك ليست من جنس الثـوب والـدِّيباج ليس من الجُبَّة فاسـتدللنا بـذلك على أن لهـذا أصـلاً في الشـرع يجوز مثله.

---

1 (?) الشوازك: نوع من الشريط معمول من الحرير المصبغ.

2 (?) صحيح: أخرجه مسلم فى اللباس (2069/10)، وأحمد فى المسند 6/354.

قال المصنف: قلت: لقد أصاب السُّكريُّ في إنكاره وقلَّ فقهُ ابن طاهر في الردِّ عليه، فإن الجُبَّة المكفوفة الجيب والكمين قد جرت العادة بلبسها كذلك فلا شهرة في لبسها. فأما الشوازك فتجمع شُهرة الصورة، وشهرة دعوى الزهد. وقد أخبرتك أنهم يقطعون الثِّياب الصحاح ليجعلوها شوازك لا عن ضرورة، يقصدون الشُّهرة لحسن ذلك والشُّهرة بالزهد، ولهذا وقعت الكراهيةُ، وقد كرهها جماعة من مشايخهم كما بينا.

أَخْبَرَنَا أبو بكر بن حبيب العامري، نا أبو سعد بن أبي صادق، ثنا أبو عبد الله بن باكويه قال: سمعتُ الحسين بن أحمد الفارسي يقول: سمعت أبا الحسين بن هند يقول: سمعت جعفرًا الحذَّاء، يقول: لما فقد القوم الفوائد من القلوب اشتغلوا بالظواهر وتزيينها، يعني بذلك: أصحاب المصبغات والفُوط.

أَخْبَرَنَا ابن حبيب، نا ابن صادق، ثنا ابن باكويه، أخبرنا أبو يعقوب الخرَّاط، قال سمعت النُّوري، يقول: كانت المرقعات غطاء على الدُّر فصارت جيفًا على مزابل.

قال ابن باكويه: وأخبرني أبو الحسن الحنظلي، قال: نظر محمد بن محمد بن علي الكتَّاني إلى أصحاب المرقعات فقال: إخواني، إن كان لباسكم

موافقًا لسرائركم لقد أحببتم أن يطلع الناسُ عليها، وإن كانت مخالفةً لسرائركم فقد هلكتم وربِّ الكعبة.

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصر، أنبأنا أبو بكر بن خلف، ثنا محمد بن الحسين السلمي، قال: سمعت نصر بن أبي نصر يقول: قال أبو عبد الله محمد بن عبد الخالق الدِّينوري لبعض أصحابه: لا يُعجبنَّك ما ترى من هذه اللِّبسة الظاهرة عليهم، فما زيَّنُوا الظواهر إلا بعد أن خرَّبُوا البواطن.

وقال ابن عقيل: دخلتُ يومًا الحمام فرأيت على بعض أوتاد السلخ جبة مشوزكة مرقعة بفوط. فقلت للحمامي: أرى سلخ الحية فمن داخل؟ فذكر لي بعض من يتصوف للبلاء حوشًا للأموال.

كثرة ترقيع المرقعة

قال المصنف: وفي الصوفية من يرقع المرقعة حتى تصير كثيفة خارجة عن الحد.

أَخْبَرَنَا أبو منصور القزَّاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، نا القاضي أبو محمد الحسن بن رامين الأسداباذي، نا أبو محمد عبد الله بن محمد الشيرازي، نا جعفر الخلدي، ثنا ابن خباب أبو الحسين صاحب ابن الكريني قال: أوصى لي ابن الكريني بمرقعته، فوزنت فردة كُم من أكمامها

فـــإذا فيه أحد عشر رطلاً، قـــال جعفـــر: وكـــانت المرقعات تسمى في ذلك الوقت الكيل.

(فصل):

وقد قـــرروا أن هـــذه المرقعة لا تلبس إلا من يد شـــيخ. وجعلـــوا لها إســـنادًا متصـــلاً كلُّه كـــذبٌ ومحال، وقد ذكر محمد بن طاهر في كتابه فقال: باب السُّنَّة في لبس الخرقة من يد الشيخ، فجعل هـذا من السُّـنَّة واحتج بحـديث أم خالد أن النـبي أُتي بثيابٍ فيها خميصـةٌ سـوداءُ فقـال: «من تـرون أكسو هـذه»؟ فسـكت القـوم، فقـال رسـولُ الله صلى الله عليه وسلم: «ائتوني بـأُمِّ خالـدٍ»، قـالت: فأُتي بي فألبسنيها بيده. وقال: «أبلي وأخلقي»[1].

قـال المصـنفُ: وإنما ألبسـها رسـول الله لكونها صبيَّةً، وكان أبوها خالد بن سعيد بن العاص، وأمها همينة بنت خلـــف، قد هـــاجروا إلى أرض الحبشة فولدت لهما هناك أم خالد واسمها أمة، ثم قدموا فأكرمها رسـول الله لصـغر سـنها، وكما اتفق فلا يصـيرُ هـذا سـنة، وما كـان من عـادة رسـول الله إلباس النـاس، ولا فعل هـذا أحـدٌ من أصـحابه ولا تابعيهم.

ثم ليس من السُّـــنَّة عند الصـــوفيَّة أن يلبس

---

[1] (?) صحيح: أخرجه البخارى فى اللبـاس (5823)، وأحمد فى المسند 6/364، وأبو داود فى اللباس (4024).

الصغير دون الكبير ولا أن تكون الخرقةُ سوداء بل مرقعة أو فوطة، فهلاَّ جعلوا السنة لبس الخرق السود كما جاء في حديث أم خالد، وذكر محمد بن طاهر في كتابه فقال: باب السنة فيما شرط الشيخ على المريد في لبس المرقعة، واحتج بحديث عبادة: بايعنا رسول الله على السمع والطاعة في العسر واليسر[1].

قال المصنف: فانظر إلى هذا الفقه الدقيق، وأين اشتراطُ الشيخ على المريد من اشتراط رسول الله الواجب الطاعة على البيعة الإسلامية اللازمة.

(فصل):

وأما لبسهم المصبغات، فإنها إن كانت زرقاء فقد فاتهم فضيلةُ البياض، وإن كانت فوطًا فهو ثوبُ شهرة وشهرته أكثر من شهرة الأزرق، وإن كانت مرقعة فهي أكثر شهرة. وقد أمر الشرع بالثياب البيض ونهى عن لباس الشهرة.

فأما أمره بالثياب البيض فأخبرنا هبة الله بن محمد، نا الحسن بن علي التّميمي، نا أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، ثني أبي، ثنا علي بن عاصم، نا عبد الله بن عثمان بن

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الفتن (7056)، ومسلم فى الحدود (1709/44ـ41).

خُثيم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «البسوا من ثيابكم البيض فإنها من خير ثيابكم وكفِّنُوا فيها موتاكم»[1].

قال عبد الله: وحدثني أبي، ثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان، ثني حبيب بن أبي ثابت، عن ميمون بن أبي شبيب، عن سمُرة بن جُندُب، عن النبي قال: «البسوا الثياب البيض فإنها أطهرُ وأطيب، وكفنوا فيها موتاكم»[2].

قال الترمذي: هذان حديثان صحيحان. وفي الباب عن ابن عمر، قال: وهذا الذي يستحبه أهل العلم.

وقال أحمد بن حنبل وإسحاق: أحب الثياب إلينا أن نكفن فيها البياض. وقد ذكر محمد بن طاهر في كتابه فقال: باب السنة في لبسهم المصبغات، واحتج بأن النبي صلوات الله عليه وسلامه، لبس

---

1 (?) صحيح: أخرجه أبو داود فى الطب (3878)، والترمذى فى الجنائز (994) وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه فى الجنائز (1472)، وأحمد فى المسند 1/247، 274، وابن حبان فى صحيحه (5423)، وصححه الحاكم فى المستدرك 1/354 ووافقه الذهبى، كلهم من حديث ابن عباس.

2 (?) صحيح: أخرجه الترمذى فى الأدب (2810) وقال: «حسن صحيح» والنسائى فى الجنائز (1895) وابن ماجه فى اللباس (3567)، وأحمد فى المسند 5/13، 17، 18، 19، وصححه الحاكم فى المستدرك 1/354، 355 ووافقه الذهبى.

حلة حمــراء[1]، وأنه دخل يــوم الفتح وعليه عمامة سوداء[2].

قــال المصــنف: قلت: ولا ينكر أن رســول الله لبس هذا، ولا أنَّ لبسـهُ غـير جـائز، وقد روي أنه كان يعجبه الحـبرة، وإنما المسنُونُ الـذي يـأمر به ويداوم عليه، وقد كـانوا يلبسـون الأسـود والأحمـر، فأما الفُوطُ والمُرقَّعُ فإنه لبس شهرة.

النهي عن لباس الشهرة وكراهته (فصل):

وأما النهي عن لبـاس الشّـهرة وكراهتـه. فـأخبر أبو منصــور بن خــيرون، أنبأنا أبو بكر الخطيب، نا ابن رزقويه، ثنا جعفر بن محمد الخلدي، ثنا محمد بن عبد الله أبو جعفر الحضـــــــرمي، ثنا روح ابن عبد المؤمن، ثنا وكيع بن مُحرزٍ النَّاجي، ثنا عثمان بن جهم، عن زرِّ بن حُــــــبيش، عن أبي ذر، عن النبي أنه قال: «من لبس ثوب شُهرة أعــرض الله عنه حتى يضعهُ»[3].

---

1 (?) متفق عليــه: أخرجه البخــارى فى المنــاقب (3551)، ومسلم فى الفضائل (2337/91) من حديث الـبراء بن عـازب وفيه: «ورأيته فى حلة حمراء، ما رأيت شيئًا قط أحسن منه».

2 (?) صحيح: أخرجه مسـلم فى الحج (1358/451)، وأبو داود فى اللباس (4076)، وأحمد فى المسند 3/363.

3 (?) حسن لغيره: أخرجه ابن ماجه فى اللباس (3608)، وقال البوصيرى فى الزوائد: «هـذا إسـناده حسـن، العبـاس بن يزيد مختلف فيه».

أَخْبَرَنَا عبد الحق بن عبد الخـــالق، قـــال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، نا أبو الفرج الحسـين ابن علي الطَّنـــــــاجيري (ح) وأنبأنا هبة الله بن محمد أنبأنا الحسن بن علي التميمي، قـــــــالا: أخبرنا أبو حفص بن شـــــاهين، ثنا خيثمة بن ســـــليمان بن حيـــــــدرة، ثنا محمد بن الهيثم، ثنا أحمد بن أبي شعيب الحرَّاني، ثنا مخلدُ بن يزيـد، عن أبي نعيم، عن عبد الـــرحمن بن حرملـــة، عن ســـعيد بن المسـيِّب، عن أبي هريـــرة وزيد بن ثــابت، رضي الله عنهما عن النـــبي «أنه نهى عن الشُّـــهرتين فقيل يا رســول اللــه: وما الشُّــهرتان؟ قــال: رقَّةُ الثياب وغلظُها، ولينُها وخشـونتُها، وطولُها وقصـرُها، ولكن سدادٌ بين ذلك واقتصاد»[1].

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصــــر، نا محمد بن علي بن ميمون، نا عبد الوهاب بن محمد الغُندجاني، نا أبو بكر ابن عبدان، ثنا محمد بن سهل، ثنا محمد بن إسماعيل البخاري، قال: قال موسى عن حمــاد بن سلمة، عن ليث، عن مهاجر، عن ابن عمر، قــال: «من لبس ثوبًا مشهورًا أذلَّهُ الله يوم القيامة»[2].

قال المصنف: وقد روي لنا مرفوعًا قــال: أخبرنا

---

1 (?) موضــوع: أخرجه الــبيهقى فى شــعب الإيمــان (6231) وأعله، وقال الألبانى فى ضعيف الجامع (6044): «موضوع».

2 (?) ضـعيف موقـوف: أخرجه الـبيهقى فى شـعب الإيمـان (6227) وأعله.

ابن الحصين، نا ابن المُـذهب، نا أحمد بن جعفـر، ثنا عبد الله بن أحمـــد، ثــني أبي، ثنا حجَّاج، ثنا شــريك، عن عثمــان بن أبي زُرعــة، عن مهــاجر الشـامي، عن ابن عمـر، قـال؛ قـال رسـول الله صــلى الله عليه وســلم: «من لبس ثــوب شــهرة ألبسه الله ثوب المذلَّة يوم القيامة»[1].

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصـــر، نا المبـــارك بن عبد الجبــار وعبد القــادر بن محمد بن يوســف، قــالا: أخبرنا أبو إسـحاق الـبرمكي، نا أبو بكر بن بُخيت، ثنا أبو جعفر بن ذريح، ثنا هنَّاد، ثنا أبو معاويـــــة، عن ليث، عن مهـاجر أبي الحســن، عن ابن عمر رضي الله عنه قال: «من لبس شـهرة من الثيـاب ألبسه الله ثوب ذلَّة».

وعن ليث عن شـــهر عن أبي الـــدرداء رضي الله عنه قـــال: من ركب مشـــهورًا من الـــدواب أعرض الله عنه ما دام عليه وإن كان كريمًا.

قـــال المصـــنف: وقد روينا أن ابن عمر رضي الله عنهما: رأى على ولده ثوبًا قبيحًا دونًا فقال: لا تلبس هذا، فإن هذا ثوب شهرة.

أَخْبَرَنَا إســـماعيل بن أحمـــد، نا إســـماعيل بن

---

[1] (?) حســن: أخرجه أبو داود فى اللبـاس (4029)، وابن ماجه فى اللباس (3607)، وأحمد فى المسند 2/92، وقال الشـيخ شاكر فى تحقيق المسند (5664): «إسناده صحيح»، وحســنه الألبانى فى صحيح أبى داود (3399).

مسعدة، نا حمزة بن يوسف، نا أبو أحمد بن عدي، ثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الدُّوري، ثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق، قال: حدثنا محمد بن مزاحم، ثنا بكير بن معروف، عن مقاتل بن حيان، عن ابن بُريدة، عن أبيه بُريدة، قال: شهدتُ مع رسول الله فتح خيبر وكنتُ فيمن صعد الثَّلمة فقاتلت حتى رؤي مكاني وأبليتُ وعليَّ ثوبٌ أحمر، فما علمت أني ركبتُ في الإسلام ذنبًا أعظم منه للشهرة

وقال سفيان الثوري: كانوا يكرهون الشُّهرتين: الثياب الجياد التي يشتهر بها ويرفع الناس إليه فيها أبصارهم، والثِّياب الرَّديئة التي يحتقر فيها ويستبذل. وقال معمر: عاتبتُ أيوب على طول قميصه، فقال: إن الشهرة فيما مضى كانت في طوله وهي اليوم في تشميره.

لبس الصوف

قال المصنف: ومن الصوفية من يلبسُ الصوف ويحتج بأن النبي لبس الصوف. وربما روى في فضيلة لبس الصوف.

فأما لبسُ رسول الله الصوف فقد كان يلبسه في بعض الأوقات[1] لم يكن لبسه شُهرةً عند

---

[1] (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى اللباس (5799)، ومسلم فى الطهارة (274/79) من حديث المغيرة بن شعبة، وفيه: «وعليه جبة من صوف».

العرب.

وأما ما يـــــــــــــروى في فضل لبسه فمن الموضــوعات الــتي لا يثبت منها شــيء، ولا يخلو لابسُ الصوف من أحد أمرين: إما أن يكون متعوّدًا لُبْس الصـــوف وما يجانسه من غليظ الثيـــاب فلا يكــره ذلك له لأنه لا يشــتهر بــه. وإما أن يكــون مترفًا لم يتعــــوده فلا ينبغي له لبسه من وجهين: أحـــدهما: أنه يحمل بـــذلك على نفسه ما لا تطيق ولا يجــوز له ذلــك، والثــاني: أنه يجمع بلبسه بين الشهرة وإظهار الزهد.

وقد أخبرنا أحمد بن منصــور الهمــذاني، نا أبو علي أحمد بن سعد بن علي العجلي، نا أبو ثـابت هجير بن منصور بن علي الصـوفي إجـازة، ثنا أبو محمد جعفر بن محمد بن الحســين بن إســماعيل الأبهــري ثنا ابن روزبة ثنا محمد بن إســماعيل بن محمد الطــائي، ثنا بكر بن ســهل الــدِّمياطي، ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان، ثنا داود، ثنا عبــاد بن العوَّام، عن عباد بن كثير، عن أنس، قال: قال رســول الله صــلى الله عليه وســلم: «من لبس الصُّــوف ليعرفــهُ النــاسُ كــان حقًّا على الله عز وجــلَّ أن يكســوه ثوبًا من جــربٍ حــتى تتســاقط عروقُهُ»[1].

---

1 (?) موضــوع: أخرجه الــديلمى كما فى كشف الخفا 2/276، وابن عراق فى تنــزيه الشريعة 2/277، وفى إسناده عبــاد بن

أنبأنا زاهر بن طاهر قال: أنبأنا أبو عثمان الصابوني وأبو بكر البيهقي قالا: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى، ثنا العباس بن منصور، ثنا سهل بن عمار، ثنا نوح بن عبد الرحمن الصيرفي، ثنا محمد بن عُبيد الهمذاني، ثني عبَّاد بن منصور، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الأرض لتعجُّ إلى ربها من الذين يلبسُون الصُّوف رياءً»[2].

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصر، نا جعفر بن أحمد، نا الحسن بن علي التميمي، ثنا أحمد ابن جعفر، ثنا عبد الله بن أحمد، ثني أبي، ثنا عبد الصمد، ثنا خالد بن شوذب قال: شهدتُ الحسن وأتاه فرقد فأخذ الحسن بكسائه فمده إليه وقال: يا فُريقدُ يا ابن أم فريقد. إنَّ البرَّ ليس في هذا الكساء وإنما

كثير، قال الإمام أحمد: روى أحاديث كذب كما فى الميزان 2/371.

2 (?) موضوع: أخرجه الشجرى فى أماليه 2/223، والديلمى فى الفردوس كما فى الجامع الصغير (1949) ورمز له السيوطى بالضعف، وقال الألبانى فى ضعيف الجامع: «موضوع». وفى إسناده سهل بن عمار قال الذهبى فى الميزان: «متهم، كذبه الحاكم»، وفيه أيضًا عباد بن منصور، قال ابن معين: ليس بشىء، وضعفه النسائى، وقال أحمد: كان يدلس، روى مناكير، انظر الميزان 2/240، 2/376.

البر ما وقر في الصدر وصدقهُ العملُ.

أنبأنا محمد بن عبد البـــــــــاقي، نا أبو محمد الجـــــوهري، نا أبو عمر بن حيُّويـــــه، نا أحمد ابن معـــــروف، ثنا الحســـــين بن الفهم، ثنا محمد بن سـعد، قـال: حـدثنا عمـرو بن عاصـم، ثنا يزيد بن عوانـة، ثـني أبو شـدّاد المُجاشـعي قـال: سـمعتُ الحسن - وذُكر عنــده الــذين يلبســون الصــوف - فقال: ما لهم تعاقدوا ثلاثًا أكنُّوا الكِبْر في قلــوبهم، وأظهروا التّواضع في لباسـهم، والله لأحـدُهُم أشـدُّ عجبًا بكسائه من صاحب المطرف بمطرفه.

أنبأنا ابن الحصـــين، أنبأنا أبو علي التميمي، نا أبو حفص بن شــاهين، ثنا محمد بن ســعيد بن يحـيى الـبزوري، ثنا عبد الله بن أيـوب المُخـرَّمي، قــال حــدثنا عبد المجيد يعــني ابن أبي روّاد، عن ابن طهمان يعني إبراهيم، عن أبي مالك الكــوفي، عن الحســن، أنه جـاءه رجل ممن يلبس الصّـوف وعليه جبة صــوف وعمامة صــوف ورداء صــوف، فجلس فوضع بصـــــره في الأرض فجعل لا يرفع رأسه وكـــأنَّ الحسن خــــال فيه العُجْب، فقـــال الحسن: إنَّ قوما جعلوا كبرهُم في صدورهم شنَّعُوا والله دينهم بهذا الصوف، ثم قـال: إن رسـول الله كـان يتعـوذُ من زيِّ المنـافقين. قـالوا: يا أبا سـعيد وما زي المنــافقين؟ قــال: خشــوعُ اللّبــاس بغــير خشوع القلب.

قال ابن عقيل: هذا كلامُ رجل قد عرف النّاس ولم يغُــرَّه اللِّبــاس. ولقد رأيتُ الواحد من هــؤلاء يلبس الجُبَّة الصّــوف، فــإذا قــال له القائــل: يا أبا فلان، ظهر منه ومن أوباشه الإنكـــــــارُ فعلم أن الصــوف قد عمل عند هــؤلاء ما لا يعمله الــديباج عند الأوباش.

أَخْبَرَنَا محمد بن عبد البـاقي بن أحمـد، نا حمد بن أحمد الحداد، نا أبو نعيم الحافظ، ثنا أبو حامد بن جبلـة، ثنا محمد بن إســحاق، ثنا إســماعيل بن أبي الحارث، ثنا هـارون بن معـروف، عن ضـمرة، قــال ســمعت رجلاً يقــول: قــدم حمــاد بن أبي سليمان البصرة فجاءه فرقد الســبخي وعليه ثــوبُ صـوفٍ فقـال له حمـاد: ضـعْ عنك نصـرانيتك هـذه، فلقد رأيتنا ننتظر إبراهيم - يعـني النَّخعي - فيخــرج علينا وعليه مُعصفرة[1].

أَخْبَرَنَا محمد بن القاســم، نا حمد بن أحمـد، نا أبو نُعيم الحافـــظ، ثنا عبد الله بن محمـــــد، ثنا إبراهيم بن شريك الأسدي، ثنا شهاب بن عباد، ثنا حمــاد، عن خالد الحــذَّاء، أن أبا قلابة قــال: إيَّاكم وأصحاب الأكسية[2].

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصر وعمر بن ظفـر، قـالا: نا

---

1 (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 4/221.
2 (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 2/286، 287.

محمد بن الحسن البـــاقلاني، نا القاضي أبو العلاء الواسـطي، ثنا أبو نصر أحمد بن محمد النيـازكي، نا أبو الحسـين أحمد ابن محمد الـبزار، ثنا محمد بن إسماعيل البخاري، ثنا علي بن حجر، ثنا صالح بن عمر الواسـطي، عن أبي خالد قـال: جـاء عبد الكـــــريم أبو أمية إلى أبي العالية وعليه ثيـــــاب صـــوف. فقـــال له أبو العاليـــة: إنما هـــذه ثيـــابُ الرَّهابين، إن كان المسلمون إذا تزاوروا تجمَّلُوا(1).

أَخْبَرَنَا محمد بن أبي القاسم، نا حمد بن أحمد بن عبد الله الأصـبهاني، نا أبو نُعيم، ثنا أبو محمد بن حيَّان، ثنا أحمد بن الحسـين الحـذاء، ثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي، ثنا الفيض بن إسـحاق، قـال: سـمعتُ الفضـيل يقـول: تـزيَّنت لهم بالصـوف فلم ترهم يرفعون بك رأسًـا، تـزيَّنت لهم بـالقرآن فلم تـرهُمْ يرفعـون بك رأسًـا، تـزينت لهم بشـيء بعد شيء، كل ذلك إنما هو لحبِّ الدُّنيا(2).

أنبأنا ابن الحصين قال: نا أبو علي بن المذهب، قـــال: أخبرنا أبو حفص بن شـــاهين، قـــال: ثنا إسـماعيل ابن علي، قـال: ثنا الحسن بن علي بن شبيب، قـال: ثنا أحمد بن الحـواري، قـال: قـال أبو سليمان: يلبسُ أحـدهم عبـاءة بثلاثة دراهم ونصـف، وشـهوته في قلبه بخمسة دراهم. أما يسـتحيي أن

---

1 (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 2/217.
2 (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 8/98.

يجاوز شهوته لباسه، ولو ستر زهده بثوبين أبيضين من أبصار الناس كان أسلم له.

قال أحمد بن أبي الحواري: قال لي سليمان بن أبي سليمان - وكان يعدل بأبيه -: أي شيء أرادوا بلباس الصوف؟ قلت: التواضع. قال: لا يتكبر أحدهم إلا إذا لبس الصوف.

أَخْبَرَنَا المبارك بن أحمد الأنصاري، نا عبد الله بن أحمد السمرقندي، ثنا أبو بكر الخطيب، نا الحسن ابن الحسين النعالي، نا أبو سعيد أحمد بن محمد بن رميح، ثنا روح بن عبد المجيب، ثنا أحمد بن عمر ابن يونس، قال: أبصر الثَّوريُّ رجلا صوفيًا فقال له الثوري: هذا بدعة.

أَخْبَرَنَا محمد بن عبد الباقي، نا حمد بن أحمد، نا أبو نعيم الحافظ، ثنا عبد المنعم ابن عمر، ثنا أحمد بن محمد بن زياد، قال: سمعت أبا داود، يقول: قال سفيان الثوري لرجل عليه صوف: لباسُك هذا بدعة.

أنبأنا زاهر بن طاهر، أنبأنا أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، نا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، قال: أخبرني محمد بن عمر، ثنا محمد بن المنذر، قال: سمعت أحمد بن شدَّاد، يقول: سمعت الحسن بن الربيع، يقول: سمعت عبد الله بن المبارك يقول لرجل رأى عليه صوفًا

مشهورًا: أكره هذا، أكره هذا.

أَخْبَرَنَا أبو بكر بن حبيب، نا أبو سعد بن أبي صادق، نا ابن باكويه، ني عبد الواحد بن بكر، ثنا علي بن أبي عثمان بن زهير، ثنا عثمان بن أحمد ثنا الحسن بن عمرو، قال: سمعت بشر بن الحارث، يقول: دخل عليٌّ الموصلي على المعافى - وعليه جُبَّةُ صوف - فقال له: ما هذه الشهرة يا أبا الحسن. فقال: يا أبا مسعود أخرج أنا وأنت، فانظر أينا أشهر.

فقال له المعافى: ليس شهرة البدن كشهرة اللباس.

أَخْبَرَنَا إسماعيل بن أبي بكر المقرئ، نا طاهر بن أحمد، نا علي بن محمد بن بشران، نا عثمان ابن أحمد الدقَّاق، ثنا الحسن بن عمرو، قال: سمعت بشر بن الحارث، يقول: دخل بُديْل على أيوب السختياني وقد مد على فراشه سبنية[1] حمراء تدفع التُّراب فقال بديل: ما هذا؟ فقال أيوب: هذا خيرٌ من الصُّوف الذي عليك.

أَخْبَرَنَا أبو بكر بن حبيب، نا أبو سعد بن أبي صادق، قال: أخبرنا أبو عبد الله بن باكويه، ثنا علان بن أحمد، ثنا حبيب بن الحسن، ثنا الفضل بن أحمد، ثنا محمد بن يسار، قال: سمعت بشر

---

1 (?) السبنية: أزر النساء.

بن الحارث ــ وسئل عن لبس الصّوف ـ، فشقَّ عليه وتبيَّن الكراهة في وجهه، ثم قال: لبس الخزِّ والمعصفر أحبُّ إليَّ من لبس الصُّوف في الأمصار.

أَخْبَرَنَا يحيى بن ثابت بن بُندار، قال: أخبرنا أبي، نا الحسين بن علي الطّناجيري، نا أحمد ابن منصور النُّوشري، ثنا محمد بن مخلد، ثنا أحمد بن منصور، ثني يزيد السَّقا رفيق محمد ابن إدريس الأنباري، قال: رأيتُ فتىً عليه مُسُوحٌ قال: فقلت له: من لبس هذا من العلماء؟ مَنْ فعل هذا من العلماء؟ قال: قد رآني بشر بن الحارث فلم ينكر عليَّ. قال يزيد: فذهبتُ إلى بشر، فقلت له: يا أبا نصر رأيتُ فلانًا عليه جبة مسوح فأنكرتُ عليه فقال: قد رآني أبو نصر فلم ينكر عليَّ. قال: فقال لي بشر: لم تستشرني يا أبا خالد، لو قلت له، لقال لي: لبس فلان، ولبس فلان.

أَخْبَرَنَا أحمد بن منصور الهمذاني، نا أبو علي أحمد بن سعد بن علي العجلي، نا أبو ثابت هجير بن منصور بن علي الصُّوفي إجازة، نا أبو محمد جعفر بن محمد بن الحسين بن إسماعيل الصوفي، ثنا ابن روزبه، ثنا عبد الله بن أحمد بن نصر القنطري، ثنا إبراهيم بن محمد الإمام، ثنا هشام بن خالد، قال: سمعت أبا سليمان الدَّاراني يقولُ لرجلٍ لبس الصوف: إنك قد أظهرت آلة

الزاهدين، فماذا أورثك هذا الصوف؟ فسكت الرجل، فقال له: يكون ظاهرك قطنيًا وباطنك صوفيًا.

أَخْبَرَنَا يحيى بن علي المدبر، نا أبو بكر محمد بن علي الخياط، نا الحسن بن الحسين بن حمكان، سمعتُ أبا محمد الحسن بن عثمان بن عبدويه البزاز، يقول: سمعت أبا بكر بن الزيَّات البغدادي، يقول: سمعت ابن سيرويه يقول: دخل أبو محمد ابن أخي معروف الكرخي علي أبي الحسن بن بشار وعليه جبة صوف فقال له أبو الحسن: يا أبا محمد صوَّفت قلبك أو جسمك، صوَّف قلبك والبس القوهي على القوهي[1].

أَخْبَرَنَا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ، نا جعفر بن أحمد بن السرَّاج، نا عبد العزيز ابن حسن الضراب، قال: حدثنا أبي، ثنا أحمد بن مروان، ثنا أبو بكر بن أبي الدنيا، ثنا أحمد بن سعيد، قال: سمعتُ النضر بن شُميلٍ يقول: قلت لبعض الصّوفية: تبيع جُبَّتك الصّوف، فقال: إذا باع الصيادُ شبكته بأيِّ شيءٍ يصطاد.

قال أبو جعفرمحمد بن جرير الطبري: ولقد أخطأ من آثر لباس الشعر والصُّوف على لباس القطن والكتَّان، مع وجود السبيل إليه من حلِّه،

---

1 (?) القوهى: الثياب البيض.

ومن أكل البقول والعدس واختـاره على خُـبز البُّر، ومن تــرك أكل اللحم خوفًا من عــارض شــهوة النّساء.

(فصل):

قال المصنّف: وقد كان السّلف يلبسـون الثّيـاب المتوسطة لا المرتفعة ولا الدّون، ويتخيّرون أجودها للجُمعة والعيـدين ولقـاء الإخـوان، ولم يكن غـير الأجود عندهم قبيحًا.

وقد أخرج مسلم في صحيحه من حـديث عمر بن الخطـاب رضي الله عنـه، أنه رأى حُلَّةً سـيراء تبـاعُ عند بـاب المسـجد، فقـال لرسـول الله لو اشـتريتها ليـوم الجمعة وللوفـود إذا قـدموا عليـك، فقـال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم: «إنما يلبسُ هذه من لا خلاق له في الآخرة»[1] فما أنكر عليه ذِكر التجمُّل بهــــا، وإنما أنكر عليه لكونها حريرًا.

قـال المصـنف رحمه اللــه: وقد ذكرنا عن أبي العالية أنه قال: كان المسلمون إذا تزاورُوا تجمَّلُوا.

أَخْبَرَنَا أبو بكر بن عبد الباقي، أنبأنا الحسن بن علي الجوهري، نا أبو عمر بن حيويه، نا أحمد بن معروف، نا الحسين بن الفهم، ثنا محمد بن سعد،

---

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى اللباس (5841)، ومسلم فى اللباس (2068/6).

نا إسماعيل بن إبراهيم الأسدي، عن ابن عون، عن محمد قال: كان المهاجرون والأنصار يلبسون لباسًا مرتفعًا، وقد اشترى تميمٌ الداريُّ حُلَّةً بألف، ولكنه كان يصلي بها.

قال ابن سعد: وأخبرنا عفان، ثنا حماد بن زيد، ثنا أيوب، عن محمد بن سيرين، أن تميمًا الداري اشترى حُلةً بألف درهم، وكان يقوم فيها باللّيل إلى صلاته.

قال: وحدثنا عفان قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، أن تميمًا الداريَّ كانت له حُلةٌ قد ابتاعها بألف كان يلبسُها الليلة التي تُرجى فيها ليلةُ القدر.

وَأَخْبَرَنَا الفضل بن دكين، ثنا همَّامٌ عن قتادة، أن ابن سيرين، أخبره أن تميمًا الداريَّ اشترى رداء بألف فكان يصلي بأصحابه فيه.

قال المصنف رحمه الله: قلت: وقد كان ابن مسعود من أجود الناس ثوبًا وأطيبهم ريحًا، وكان الحسنُ البصري يلبسُ الثياب الجياد. قال كلثوم بن جوشنٍ: خرج الحسنُ وعليه جُبَّةٌ يمنية ورداء يمنيّ، فنظر إليه فرقدٌ، فقال: يا أستاذ لا ينبغي لمثلك أن يكون هكذا، فقال الحسن: يا ابن أُمِّ فرقد أما علمت أن أكثر أصحاب النار أصحابُ الأكسية. وكان مالكُ بن أنس يلبسُ الثياب العدنيَّة الجياد.

وكان ثوب أحمد بن حنبل يُشـترى بنحو الـدينار وقد كـانوا يـؤثرون البـذاذة إلى حد وربما لبسـوا خلقـان الثيـاب في بيـوتهم، فـإذا خرجـوا تجمَّلُـوا ولبســوا ما لا يشــتهرون به من الــدّون ولا من الأعلى.

أَخْبَرَنَا أحمد بن منصــور الهمــذاني نا أبو علي أحمد بن سعد بن علي العجلي ثنا أبو ثابت هجير ابن منصور بن علي الصوفي إجــازة، نا أبو محمد جعفر بن محمد بن الحســين الصــوفي، ثنا ابن روزبة، ثنا أبو سليمان محمد بن الحسين بن علي بن إبــراهيم الحــرَّاني، ثنا محمد بن الحسن بن قتيبــة، ثنا محمد بن خلــف، ثنا عيسى بن حــازم، قال: كان لباسُ إبراهيم بن أدهم كتانًا قطنًا فــروةً لم أر عليه ثياب صوفٍ ولا ثياب شهرة.

أَخْبَرَنَا محمد بن أبي القاســــم، نا حمد بن أحمد، نا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، قال: سمعتُ محمد بن إبراهيم، يقـول: سـمعت محمد بن ريـان يقــول: رأى عليَّ ذو النُّون خُفًا أحمر فقــال: انــزع هذا يا بُـنيَّ فإنه شـهرةٌ ما لبسه رسـول الله إنما لبس النبي خُفَّين أسودين ساذجين[1].

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصــر، نا محمد بن علي بن

---

1 (?) حسن: أخرجه أبو داود فى الطهارة (155)، والترمذى فى الأدب (2820) وقــال: «حســن»، وابن ماجه فى الطهــارة (549)، وأحمد فى المسند 5/352 كلهم من حديث بريدة.

ميمون، نا عبد الكريم بن محمد المحاملي، نا علي بن عمر الدارقطني، نا أبو الحسن أحمد بن محمد بن سالم، نا أبو سعيد عبد الله بن شبيب المدني، ثني الزبير عن أبي غزيَّة الأنصاري، عن فليح بن سليمان، عن الربيع بن يونس، قال: قال أبو جعفر المنصور: العُريُ الفادحُ خيرٌ من الزيِّ الفاضح.

اللباس الذي يُظهر الزهد (فصل):

قال المصنف: واعلم أنَّ اللباس الذي يُزري بصاحبه يتضمنُ إظهار الزُّهد، وإظهار الفقر وكأنه لسانُ شكوى من الله عز وجل ويُوجبُ احتقار اللابس وكلُّ ذلك مكروه ومنهي عنه.

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصر، نا علي بن الحسين بن أيوب، نا أبو علي بن شاذان، ثنا أبو بكر ابن سلمان النَّجاد، ثنا أبو بكر بن عبد الله بن محمد القرشي، ثنا عبيد الله بن عمر القواريري، ثنا هشام بن عبد الملك، ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن أبيه، قال: أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قَشِفُ الهيئة، فقال: «هل لك مالٌ؟» قلت: نعم، قال: «من أيِّ المال؟» قلتُ: من كلِّ المال قد آتاني الله عز وجل من الإبل والخيل والرَّقيق والغنم، قال: «فإذا آتاك الله

عز وجل مالاً فليُر عليك»[1].

أَخْبَرَنَا ابن الحصـين، نا ابن المـذهب، نا أحمد بن جعفـر، ثنا عبد الله بن أحمـد، ثـني أبي، ثنا مسكين ابن بُكير، ثـني الأوزاعي، عن حسَّان بن عطية، عن محمد بن المنكدر، عن جابر، قال: أتانا رسـولُ الله زائـرًا في مـنزلي فـرأى رجلاً شـعِثًا، فقال: «أما كان يجـدُ هـذا ما يُسـكِّنُ به رأسـهُ؟»، ورأى رجلاً عليه ثيابٌ وسخةٌ، فقال: «أما كان يجدُ هذا ما يغسلُ به ثيابهُ»[2].

أَخْبَرَنَا عبد الوهـاب بن المبـارك ومحمد بن ناصـر، قـالا: نا أبو الحسـين بن عبد الجبـار، نا أبو محمد الحسن بن علي الجـوهري وأبو القاسم علي بن المحسِّن التَّنوخي، قـالا: نا أبو عمر محمد بن العبـاس بن حيُّويـه، ثنا أبو بكر بن الأنبـاري، ثـني أبي، ثنا أبو عكرمة الضـبِّيُّ، ثنا مسـعود بن بشـر، عن أبي عبيـدة معمر ابن المثـنى، قـال: مضى علي بن أبي طـالب إلى الربيع ابن زيـاد

---

1. (?) صحيح: أخرجه أبو داود فى اللباس (4063)، والترمذى (2006) وقال: «حسن صحيح» والنسائى فى الزينة (5239)، وأحمد فى المسند 3/473، وصححه الحاكم فى المستدرك 1/25 ووافقه الذهبى، وابن حبان فى صحيحه (1434 موارد).
2. (?) صحيح: أخرجه أبو داود فى اللباس (4062)، والنسائى فى الزينة (5251)، وأحمد فى المسند 3/357، وصححه الحاكم فى المستدرك 4/186 ووافقه الذهبى، وابن حبان فى صحيحه (1438 موارد).

يعـوده، فقـال لـه: يا أمـير المؤمـنين أشـكو إليك عاصـمًا أخي، قـال: ما شـأنه؟ قـال: تـرك الملاذَّ ولبس العباءة فغمَّ أهله، وأحزن ولده، فقـال: عليَّ عاصمًا، فلما حضر بشَّ في وجهه وقال: أترى الله أحلَّ لك الـدنيا وهو يكـره أخـذك منهـا، أنت والله أهونُ على الله من ذلك. فو الله لابتذالُك نِعَمَ الله بالفعـال أحب إليه من ابتـذالك بالمقـال، فقـال: يا أمـير المؤمـنين إني أراك تُـؤثرُ لبس الخشن وأكل الشعير فتنفس الصُّعداء، ثم قال: ويحك يا عاصـم، إن الله افـــترض على أئمة العـــدلِ أن يقـــدروا أنفسهم بـالعوام لئلا يتـبيَّغ بـالفقير فقـرُهُ. قـال أبو بكر الأنباري: المعنى لئلا يزيد ويغلو، يقـال: تـبيَّغ به الدم، إذا زاد وجاوز الحد.

تجويد اللباس

(فصل):

قـال المصـنف: فـإن قـال قائـل: تجويـدُ اللبـاس هوىً للنفس، وقد أمرنا بمجاهـدتها، وتـزيُّنٌ للخلـقِ وقد أمرنا أن تكون أفعالنا لله لا للخلق.

فالجواب: إنه ليس كل ما تهواه النفسُ يُذمُّ ولا كل الـتزين للنـاس يكـره. وإنما ينهى عن ذلك إذا كان الشرع قد نهى عنه، أو كان على وجه الرِّياء في باب الدين، فإن الإنسان يُحبُّ أن يُـرى جميلاً وذلك حـظُّ النفس ولا يُلام فيـه، ولهـذا يسـرح

شعره، وينظر في المرآة، ويُسوِّي عمامتـه، ويلبس بطانة الثوب الخشن إلى داخـل، وظهارته الحسـنة إلى خارج، وليس في شيء من هذا ما يُكـرهُ ولا يُذمُّ.

أَخْبَرَنَا المبـارك بن علي الصـيرفي، نا علي بن محمد بن العلاّف، نا عبد الملك بن محمد ابن بشران، نا أحمد بن إبـراهيم الكنـدي، نا محمد بن جعفر الخـــرائطي، ثنا بُنـــان بن سُـــليمان، ثنا عبـــدالرحمن بن هــانئ، عن العلاء بن كثــير، عن مكحول، عن عائشة قـالت: كـان نفـرٌ من أصـحاب رسـول الله ينتظرونه على البـاب فخـرج يريـدهم، وفي الدار ركوةٌ فيها مـاء، فجعل ينظر في المـاء ويُسوِّي شعره ولحيته، فقلت يا رسول اللـه، وأنت تفعلُ هذا؟ قال: «نعم، إذا خرج الرجل إلى إخوانه فليهـــيئ من نفسه فـــإنَّ الله جميـــلٌ يحبُّ الجمال»[1].

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصـــر، أنبأنا عبد المحسن بن محمد بن علي، ثنا مسعود بن ناصر ابن أبي زيد، نا أبو إسـحاق بن محمد بن أحمـد، نا أبو القاسم عبد الله بن أحمد الفقيـه، نا الحسن بن سـفيان، ثنا عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله العـرزمي؛

---

1 (?) ضـعيف جـدًا: فى إسـناده العلاء بن كثـير الدمشـقى وهو مـتروك كما فى التقـريب وأخرجه ابن السـنى فى عمل اليـوم والليلة (173) بسند ضعيف أيضًا وفيه متروك.

عن أبيـه، عن أم كلثـوم، عن عائشة قـالت: خـرج رســولُ الله فمر بركــوة لنا فيها مــاء فنظر إلى ظلِّه فيها، ثم سوَّى لحيتهُ ورأسـهُ ثم مضـى، فلما رجع قلت: يا رسـول الله تفعـلُ هـذا؟ قـال: «وأيَّ شــيء فعلتُ؟ نظــرتُ في ظل المــاء فهيَّأتُ من لحيــتي ورأســي، إنه لا بــأس أن يفعلــهُ الرجــلُ المســــلمُ إذا خـــــرج إلى إخوانه أن يُهيِّىء من نفسه»[1].

قال المصنف رحمه الله: فإن قيـل: فما وجه ما رويتم عن سـري السـقطي أنه قـال: لو أحسسـتُ بإنسانٍ يدخل عليَّ فقلت كذا بلحيتي ـ وأمـرَّ يـده على لحيته كأنه يريد أن يسـويها من أجل دخــول الداخل عليه ـ لخشـيتُ أن يعـذبني الله على ذلك بالنار. فالجواب: أن هذا محمـولٌ منه على أنه كـان يقصد بــذلك الريــاء في بــاب الــدين من إظهــار التخشُّع وغـيره، فأما إذا قصد تحسـين صـورته لئلا يُرى منه ما لا يُستحسـنُ فـإن ذلك غـير مـذموم، فمن اعتقــده مــذمومًا فما عــرف الريــاء ولا فهم المذموم.

أَخْبَرَنَا سعد الخـير بن محمد الأنصـاري، نا علي

---

1 (?) ضعيف جدًا: ذكره الـذهبى فى مـيزان الاعتـدال (5852)، وفى إسـناده محمد بن عبيد الله العـزرمى مـتروك، وابنه عبد الــرحمن ليس بــالقوى، كما فى ضــعفاء الــدارقطنى (339، 452).

بن عبد الله بن محمد النَّيسابوري، نا أبو الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسي، نا محمد بن عيسى بن عمرويه، ثنا إبراهيم ابن محمد ابن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا محمد بن المثنى، ثني يحيى بن حماد، قال: أخبرنا شعبة، عن أبان بن تغلب، عن فضيل الفُقيمي، عن إبراهيم النخعي، عن علقمة، عن ابن مسعود، عن النبي قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»، فقال رجل: إن أحدنا يحبُّ أن يكون ثوبُهُ حسنًا ونعلُهُ حسنةً، قال: «إن الله جميلٌ يُحب الجمال، الكبرُ بطرُ الحق وغمطُ الناس»[1]. انفرد به مسلم، ومعناه: الكِبْرُ كِبْرُ من بطر الحقَّ. وغمط: بمعنى ازدرى واحتقر.

(فصل):

وقال المصنف رحمه الله: وقد كان في الصوفية من يلبس الثياب المرتفعة.

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصر، نا أبو طاهر محمد بن أحمد بن أبي الصقر، نا علي بن الحسن بن جحاف، قال أبو عبد الله أحمد بن عطاء: كان أبو العبّاس بن عطاء يلبس المرتفع من البزِّ كالدَّبيقي، ويُسبِّحُ بسُبُحِ اللؤلؤ ويُؤثرُ ما طال من

---

1 (?) صحيح: أخرجه مسلم فى الإيمان (91/147)، وأبو داود فى اللباس (4091)، والترمذى فى البر (1998)، وابن ماجه فى المقدمة (59)، وأحمد فى المسند 1/451.

الثياب.

قال المصنّف رحمه الله: قلت: وهذا في الشُّهرة كالمُرقَّعات، وإنما ينبغي أن تكون ثيابُ أهلِ الخير وسطًا، فانظر إلى الشّيطان كيف يتلاعبُ بهؤلاء بين طرفي نقيض.

(فصل):

قال المصنف رحمه الله: وقد كان في الصوفية من إذا لبس ثوبًا خرق بعضه، وربما أفسد الثوب الرفيع القدر.

أَخْبَرَنَا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز، نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، نا الحسن ابن غالب المقري، قال: سمعتُ عيسى بن علي الوزير، يقول: كان ابن مجاهد يومًا عند أبي، فقيل له: الشِّبْليُّ، فقال: يدخل، فقال ابن مجاهد: سأُسكتُهُ الساعة بين يديك، وكان من عادة الشبلي إذا لبس شيئًا خرق فيه موضعًا، فلما جلس، قال له ابن مجاهد: يا أبا بكر أين في العلم فسادُ ما يُنتفعُ به؟ فقال له الشبلي: أين في العلم: **﴿فطفق مسحًا بالسوق والأعناق﴾** [ص: 33]، قال: فسكت ابن مجاهد، فقال له أبي: أردت أن تُسكتهُ فأسكتك، ثم قال له: قد أجمع الناس أنك مقرئ الوقت، فأين في القرآن: إنَّ الحبيب لا يُعذِّبُ حبيبه، قال: فسكت ابن مجاهد.

فقال له أبي: قل يا أبا بكر، فقال قوله تعالى: **﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم﴾** [المائدة: 18]، فقال ابن مجاهد: كأنني ما سمعتها قطُّ.

قال المصنف رحمه الله: قلت: هذه الحكاية أنا مرتابٌ بصحتها لأن الحسن بن غالب كان لا يُوثقُ به.

أَخْبَرَنَا القزاز، نا أبو بكر الخطيب، قال: ادَّعى الحسنُ بن غالب أشياء تبيَّن لنا فيها كذبه واختلاقه، فإن كانت صحيحة فقد أبانت عن قلَّة فهم الشبلي حين احتج بهذه الآية، وقلة فهم ابن مجاهد حين سكت عن جوابه، وذلك أن قوله: **﴿فطفق مسحًا بالسوق والأعناق﴾** لأنه لا يجوز أن ينسب إلى نبي معصوم أنه فعل الفساد.

والمفسرون قد اختلفوا في معنى الآية، فمنهم من قال: مسح على أعناقها وسوقها، وقال: أنتِ في سبيل الله، فهذا إصلاحٌ، ومنهم من قال: عقرها، وذبحُ الخيل وأكلُ لحمها جائزٌ، فما فعل شيئًا فيه جُناح، فأما إفسادُ ثوبٍ صحيح لا لغرضٍ صحيح فإنه لا يجوز، ومن الجائز أن يكون في شريعة سليمان جواز ما فعل ولا يكون في شرعنا.

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصر الحافظ، أنبأنا محمد بن

أبي الصقر، ثنا علي بن الحسن بن جحاف الدمشقي، قال أبو عبد الله أحمد بن عطاء: كان مذهب أبي علي الرُّوذباري تخريق أكمامه وتفتيق قميصه، قال: فكان يخرق الثوب المُثمَّن فيرتدي بنصفه ويأتزر بنصفه، حتى إنه دخل الحمام يومًا وعليه ثوب ولم يكن مع أصحابه ما يأتزرون به فقطعهُ على عددهم فاتزرُوا به، وتقدم إليهم أن يدفعوا الخِرق إذا خرجوا للحمامي.

قال ابن عطاء: قال لي أبو سعيد الكازرُوني: كنت معه في هذا اليوم وكان الرِّداء الذي قطعه يقوم بنحو ثلاثين دينارًا.

قال المصنف رحمه الله: ونظيرُ هذا التفريط ما أنبأنا به زاهر بن طاهر قال: أنبأنا أبو بكر البيهقي، نا أبو عبد الله الحاكم، قال: سمعتُ عبد الله بن يوسف، يقول: سمعت أبا الحسن البوشنجي، يقول: كانت لي قُبجةٌ[1] طلبت بمائة درهم، فحضرني ليلة غريبان، فقلت للوالدة: عندك شيء لضيفيَّ؟ قالت: لا، إلا الخبز، فذبحت القُبجة وقدمتها إليهما.

قال المصنف رحمه الله: قد كان يمكنه أن يستقرض ثم يبيعها ويعطي، فلقد فرَّط.

---

1 (?) القبجة: واحد القبج للذكر والأنثى، وهو الحجل، طائر معروف.

أَخْبَرَنَا محمد بن عبد الباقي بن أحمد، قال: أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب، قال: أنبأنا أبو عبد الرحمن السلمي، قال: سمعت جدِّي يقول: دخل أبو الحسن الدرَّاج البغدادي الريَّ، وكان يحتاج إلى لفاف لرجله فدفع إليه رجل منديلاً دبيقيًّا فشقه نصفين وتلفَّف به، فقيل له: لو بعته واشتريت منه لفافًا وأنفقت الباقي، فقال رحمه الله: أنا لا أخون المذهب.

قال المصنف: وقد كان أحمد الغزالي ببغداد، فخرج إلى المحول فوقف على ناعورة تئنُّ فرمى طيلسانه عليها فدارت فتقطَّع الطَّيلسان.

قال المصنف رحمه الله: قلت: فانظر إلى هذا الجهل والتفريط والبعد من العلم فإنه قد صح عن رسول الله «أنه نهى عن إضاعة المال»[1] ولو أن رجلاً قطع دينارًا صحيحًا وأنفقه كان عند الفقهاء مفرِّطًا، فكيف بهذا التبذير المُحرَّم. ونظير هذا تمزيقهم الثياب المطروحة عند الوجد على ما سيأتي ذكرُهُ إن شاء الله ثم يدَّعون أن هذه حالة، ولا خير في حالة تنافي الشرع. أفتراهم عبيد نفوسهم أم أمروا أن يعملوا بآرائهم، فإن كانوا عرفوا أنهم يخالفون الشرع بفعلهم هذا ثم فعلوه إنه لعنادٌ، وإن كانوا لا يعرفون فلعمري إنه

---

[1] (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الأدب (5975)، ومسلم فى الأفقية (12/593 ــ 14) من حديث المغيرة بن شعبة.

لجهلٌ شديد.

أَخْبَرَنَا محمد بن أبي القاســـــم، نا حمد بن أحمـــد، نا أبو نُعيم أحمد بن عبد الله الحافـــظ، قال: سمعت محمد بن الحسين، يقول: سمعت عبد الله الرازي يقول: لما تغيَّر الحال على أبي عثمـان وقت وفاته، مزَّق ابنه أبو بكر قميصًـا كـان عليـه، ففتح أبو عثمان عينه، وقـال: يا بـني خلاف السـنة في الظاهر، ورياء باطن في القلب.

المبالغة في تقصير الثياب

(فصل):

قـــال المصـــنف: وفي الصـــوفية من يبـــالغ في تقصير ثوبه وذلك شهرة أيضًا.

أَخْبَرَنَا ابن الحصـين، نا ابن المُـذهب، ثنا أحمد بن جعفــر، ثنا عبد الله بن أحمـــد، ثـــني أبي، ثنا محمد بن أبي عـــديَ، عن العلاء، عن أبيـــه، أنه سـمع أبا سـعيد: سـئل عن الإزار فقـال: سـمعت رســول الله يقــول: «إزار المســـلم إلى أنصـــاف السَّاقين، لا جُنـاح أو لا حـرج عليه فيما بينه وبين الكعبين، ما كان أسفل من ذلك ففي النار»[1].

---

[1] (?) صحيح: أخرجه أبو داود فى اللبـاس (4093)، وابن ماجه فى اللبــاس (3573)، ومالك فى الموطأ فى اللبــاس (12)، وأحمد فى المسـند 3/5، 6 وصـححه الألبـانى كما فى صـحيح أبى داود.

أَخْبَرَنَا المحمـدان ابن ناصر وا بن عبد البـاقي، قـالا: نا حمد بن أحمـد، نا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، ثنا أبو حامد بن جبلة، ثنا محمد بن إسـحاق، ثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: كتب إليَّ عبد الـرزاق عن معمر قـال: كـان في قميص أيـوب بعض التـذييل، فقيل لـه: فقـال: الشُّـهرة اليـوم في التشمير.

وقد روى إسـحاق بن إبـراهيم بن هـانئ، قـال: دخلت يومًا على أبي عبد الله أحمد بن حنبل وعليَّ قميصٌ أسـفل من الرُّكبة وفـوق السـاق، فقال: أي شيء هذا، وأنكره، وقال: هـذا بـالمرة لا ينبغي.

من الصوفية من يجعل على رأسه خرقة مكان العمامة

(فصل):

قال المصنف: وقد كان في الصوفية من يجعـلُ على رأسه خرقة مكان العمامة، وهذا أيضًا شهرة، لأنه على خلاف لبـاس أهل البلـد، وكل ما فيه شهرة فهو مكروه.

أَخْبَرَنَا يحيى بن ثابت بن بُندار، نا أبو الحسـين بن علي، نا أحمد بن منصـور النُّوشـري، ثنا محمد بن مخلد، ثني محمد بن يوسف، قال: قال عبـاس بن عبد العظيم العنبري: قال بشر بن الحـارث: إنَّ

ابن المبـــارك دخل المســـجد يـــوم جمعة وعليه قلنسُوةٌ، فنظر النـاس ليس عليهم قلانس فأخـذها فوضعها في كُمِّه.

تخصيص ثياب للصلاة وثياب للخلاء (فصل):

قـــال المصـــنِّف: وقد كـــان في الصُّـــوفية من اســـتكثر من الثيـــاب وسوســـةً فيجعل للخلاء ثوبًا وللصـلاة ثوبًـا. وقد روي هـذا عن جماعة منهم أبو يزيد، وهذا لابأس به إلا أنه ينبغي خشـية أن يتخذ سنة.

أَخْبَرَنَا محمد بن أبي القاســـــــم، نا حمد بن أحمد، نا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، ثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن عبد الوهـــــاب، ثنا محمد بن إســـحاق النيســـابوري، ثنا محمد بن الصـــباح، ثنا حاتم، يعني ابن إسـماعيل، ثـني جعفـر، عن أبيـه، أن علي بن الحسين قـال: يا بـني لو اتخـذت ثوبًا للغائــط، رأيتُ الــذباب يقع على الشــيء ثم يقع على الثوب، ثم أتيته، فقـال: ما كـان لرسـول الله ولا لأصحابه إلا ثوبٌ فرفضه.

الثوب الواحد

قـال المصـنف: وقد كـان فيهم من لا يكـون له سوى ثوب واحد زهدًا في الـدنيا، وهـذا أحسن إلا أنه إذا أمكن اتخاذُ ثوبٍ للجمعة والعيد كان أصـلح

وأحسن.

أَخْبَرَنَا عبد الأول بن عيسى، نا عبد الرحمن بن محمد بن المظفر، نا عبد الله ابن أحمد ابن حيُّويه، نا إبراهيم بن خُزيم بن حميد، ثني ابن أبي شيبة، ثنا محمد بن عمر، عن عبد الحميد بن جعفر، عن محمد بن يحيى بن حبَّان، عن يوسف بن عبد الله بن سلام، عن أبيه، قال: خطبنا رسول الله في يوم جمعةٍ فقال: «ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم جمعة سوى ثوب مهنته»[1].

أَخْبَرَنَا محمد بن عبد الباقي، نا أبو محمد الجوهري، نا أبو عمر بن حيُّويه، نا أحمد ابن معروف الخشَّاب، نا الحارث بن أبي أسامة، ثنا محمد بن سعد، نا محمد بن عمر، ثني عبد الرحمن بن أبي الزِّناد، عن عبد المجيد بن سهل، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال محمد بن عمر: وحدثني غير محمد بن عبد الرحمن أيضًا ببعض ذلك، قالوا: كان لرسول الله بُردٌ يمنيٌّ وإزار من نسج عُمان فكان يلبسُهُما في يوم الجمعة ويوم العيد ثم يُطويان[2].

---

1 (?) صحيح: أخرجه أبو داود فى الصلاة (1078)، وابن ماجه فى إقامة الصلاة (1095)، وقال البوصيرى فى الزوائد: «إسناده صحيح ورجاله ثقات»، وابن حبان فى صحيحه (568) موارد وابن خزيمة فى صحيحه (1765).

2 (?) ضعيف: انظر: ضعيف الجامع (4480، 4620).

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في مطاعمهم ومشاربهم

قال المصنف رحمه الله: قد بالغ إبليسُ في تلبيسه على قدماء الصوفية فأمرهم بتقليل المطعم وخشونته ومنعهم شرب الماء البارد، فلما بلغ إلى المتأخرين استراح من التعب واشتغل بالتَّعجُّب من كثرة أكلهم ورفاهية عيشهم.

ذكر طُرفٍ مما فعله قدماؤهم

قال المصنف رحمه الله: كان في القوم من يبقى الأيام لا يأكلُ إلا أن تضعف قوته، وفيهم من يتناولُ كل يوم الشيء اليسير الذي لا يُقيم البدن، فروي لنا عن سهل ابن عبد الله أنه كان في بدايته يشتري بدرهم دبسًا وبدرهمين سمنًا وبدرهمٍ دقيق الأرُزِّ، فيخلطُهُ ويجعلُهُ ثلاثمائة وستين كُرَّةً فيفطرُ كلَّ ليلةٍ على واحدة.

وحكى عنه أبو حامد الطوسي قال: كان سهل يقتات ورق النبق مدة، وأكل دقاق الت بن ثلاث سنين، واقتات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين.

أَخْبَرَنَا أبو بكر بن حبيب العامري، نا أبو سعد بن أبي صادق، نا ابن باكويه ثني أبو الفرج ابن حمزة التكريتي، ثني أبو عبد الله الحُصري، قال: سمعت أبا جعفر الحدَّاد يقول: أشرف عليَّ أبو تراب يومًا وأنا على بكرة ماء ولي ستة عشر

يومًا ولم آكل شيئًا ولم أشرب فيها ماء فقـال: ما جلوسُـك ها هنـا؟ فقلتُ: أنا بين العلم واليقين وأنا أنظـرُ من يغلب فـأكون معـه، فقـال: سـيكون لك شأن.

أَخْبَرَنَا أبو بكر بن حبيب، نا ابن أبي صادق، ثنا ابن باكويه، نا عبد العزيز بن الفضل، ثنا علي ابن عبد الله العمري، ثنا محمد بن فليح، ثني إبـراهيم بن البنا البغدادي، قال: صحبت ذا النُّون من إخميم إلى الإسـكندرية، فلما كـان وقت إفطـاره أخـرجتُ قرصًـا وملحًا كــان معي وقلتُ: هلُمَّ، فقــال لي: ملحُك مدقوق. قلت: نعم، قال: لست تُفلحُ، فنظرتُ إلى مـزودِهِ فـإذا فيه قليـلُ سـويق شـعيرٍ يسـتفُّ منه.

أَخْبَرَنَا ابن ظفر، نا ابن السـرَّاج، نا عبد العزيز بن علي الأزجي، نا ابن جهضــــم، ثنا محمد ابن عيسى بن هـارون الـدَّقاق، ثنا أحمد بن أنس بن أبي الحـواري، سـمعت أبا سـليمان يقـول: الزّبـدُ بالعسل إسرافُ.

قـــال ابن جهضـــم: وحـــدثنا محمد بن يوسف البصري قال: سمعت أبا سعيد صاحب سهل يقول: بلغ أبا عبد الله الزبـــيري وزكريا السَّـــاجي وا بن أبي أوفى أن ســهل بن عبد الله يقــول: أنا حُجَّةُ الله على الخلـــق، فـــاجتمعوا عنـــده فأقبل عليه

الزُّبــيري فقــال لــه: بلغنا أنَّك قلت: أنا حُجَّةُ الله على الخلق، فبماذا؟ أنبيٌّ أنت؟ أصدِّيقٌ أنت؟ قـال سـهل: لم أذهب حيث تظنُّ ولكن إنما قلت هــذا لأخـذي الحلال، فتعـالوا كُلُّكُم حـتى نصـحح الحلال، قـالوا: فـأنت قد صـححته، قـال: نعم، قـال: وكيـف؟ قـال سـهل: قسـمتُ عقلي ومعرفـتي وقـوتي على سبعة أجزاء. فأتركه حـتى يـذهب منها سـتة أجـزاء ويبقى جزءٌ واحد فإذا خفتُ أن يذهب ذلك الجـزء ويُتلف معه نفسي خفتُ أن أكـون قد أعنتُ عليها وقتلتُهـــا، دفعتُ إليها من البُلغة ما يـــردُّ الســـتة الأجزاء.

أَخْبَرَنَا ابن حـــبيب نا ابن أبي صـــادق، نا ابن باكويه، قال: أخـبرني أبو عبد الله ابن مُفلح، قـال: أخـبرني أبي، أخـبرني أبو عبد الله بن زيـد، قـال لي: منذ أربعين ســنةً ما أطعمتُ نفسي طعامًا إلا في وقت ما أحلَّ الله لها الميتة.

أَخْبَرَنَا ابن ناصـر، نا أبو الفضل محمد بن علي بن أحمد الســـهلكي، ثـــني أبو الحسن علي ابن محمد القـــوهي، ثنا عيسى بن آدم ابن أخي أبي يزيد، قـال: جـاء رجل إلى أبي يزيد قـال: أريـدُ أن أجلس في مسجدك الذي أنت فيه، قال: لا تُطيـقُ ذلك. فقال: إن رأيت أن توسع لي في ذلك، فـأذن له فجلس يومًا لا يطعم فصـــبر فلما كـــان في اليـوم الثـاني، قـال له يا أسـتاذ: لا بُـدّ مما لا بد

منه، فقـال: يا غلام لا بد من اللـه. قـال: يا أسـتاذُ نُريد القوت. قال: يا غلام القوتُ عندنا إطاعةُ اللـه. فقال: يا أستاذ أريد شـيئًا يُقيمُ جسـدي في طاعته عزَّ وجل. فقال: يا غلام إن الأجسام لا تقوم إلا ب الله عز وجل.

أَخْبَرَنَا المحمـدان ابن ناصر وا بن عبد البـاقي، قالا: نا حمد بن أحمـد، نا أبو نعيم الحافـظ، قـال: سـمعتُ محمد بن الحسـين، يقـول: سـمعتُ محمد بن عبد الله بن شاذان، يقـول: سـمعتُ أبا عثمـان الأدمي، يقــول: سـمعت إبــراهيم الخــوَّاص يقــول: حــدثني أخٌ لي كـان يصـحبُ أبا تـراب، نظر إلى صوفي مدَّ يده إلى قشر البطيخ، وكـان قد طـوى ثلاثة أيام، فقـال لـه: تمُـدُّ يـدك إلى قشر البطيخ؟ أنت لا يصلحُ لك التصوُّف، الزم السوق[1].

أَخْبَرَنَا محمد بن أبي القاســـم، أنبأنا رزق الله بن عبد الوهّـــاب، نا أبو عبد الــرحمن الســـلمي، قال: سـمعت أبا القاسم القـيرواني، يقـول: سـمعتُ بعض أصــحابنا يقــول: أقــام أبو الحسن النصــيبي بــالحرم أيامًا مع أصــحاب لهم ســبعة لم يــأكلوا فخـــرج بعض أصــحابه ليتطهر فـــرأى قشر بطيخ فأخـذه فأكلـه، فـرآه إنسـان فاتبعه بشـيء وجـاء برفـقٍ فوضـعه بين يـدي القـوم فقـال الشّـيخ: من

---

1 (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 10/49.

جنى منكم هذه الجنايـة؟ فقـال الرجـل: أنا وجـدتُ قشر بطيخ فأكلته، فقال: كن مع جنايتك ومع هــذا الرفــق، وخــرج من الحــرم ومعه أصــحابه وتبعــهُ الرجل، فقـال: ألم أقل لك كُنْ مع جنايتـك، فقـال الرّجـل: أنا تـائبٌ إلى الله تعـالى مما جـرى مـني، فقال الشيخ: لا كلام بعد التوبة.

أَخْبَرَنَا عمر بن ظفـــر، نا ابن الســـراج، نا أبو القاسم الأزجي، نا أبو الحسن بن جهضـــــــم، ثنا إبراهيم بن محمد الشنوزي، قال: سـمعت بنـان بن محمد، يقول: كنت بمكة مجاورًا فرأيت بها إبراهيم الخــوَّاص وأتى عليَّ أيــامٌ لم يفتح عليَّ بشـــيءٍ، وكان بمكة مُـزيِّنٌ يحب الفقـراء وكـان من أخلاقه إذا جــاءه الفقــيرُ يحتجم اشــترى له لحمًا فطبخه فأطعمه فقصـــــدته وقلت: أريد أن أحتجم فأرسل من يشتري لحمًا وأمر بإصلاحه، وجلستُ بين يديه فجعلت نفسي تقـول: تـرى يكـون فـراغ القـدر مع فـراغ الحجامـة، ثم اسـتيقظت وقلت: يا نفسُ إنما جئت تحتجمين لا لتطعمي، عاهـدت الله تعـالى ألاَّ ذُقت من طعامه شيئًا، فلما فرغ انصرفتُ، فقـال: سـبحان الله أنت تعـرف الشَّـرط. فقلت: ثم عقـد، فسكت. وجئت إلى المسجد الحـرام ولم يُقـدّرْ لي شـــيءٌ آكلـــه، فلما كـــان من الغد بقيت إلى آخر النهــار ولم يتفق أيضًــا، فلما قمتُ لصــلاة العصر سقطتُ وغشي عليَّ واجتمع حولي نـاسٌ وحسـبوا

أني مجنـون فقـام إبـراهيم وفـرَّق النـاس وجلس عنـدي حـدثني، ثم قـال: تأكل شـيئًا؟ قلتُ: قـرُب الليلُ، فقـال: أحسـنتم يا مبتـدئون اثبتـوا على هـذا تُفلِحُوا، ثم قام، فلما صلينا العشـاء الآخـرة إذا هو قد جـاءني ومعه قصـعةٌ فيها عـدس ورغيفـان ودورق مـاء فوضـعه بين يـدي وقـال: كُل ذلـك، فأكلتُ الرغيفين والعـدس، فقـال: فيك فضـلٌ تأكل شيئًا آخر؟ قلت: نعم، فمضى وجاء بقصـعة عـدس ورغيفين فأكلتهما وقلت: قد اكتفيتُ، فاضـطجعتُ فما قمت ليلتي، ونمت إلى الصباح ما صـليتُ ولا طفتُ.

أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكـريم، ثنا أبي، قال: سمعتُ محمد بن عبد الله الصّـوفي، يقـول: سـمعت منصـور بن عبد الله الأصـفهاني، يقـول: سـمعت أبا علي الروذبـاري يقـول: إذا قـال الصّوفي بعد خمسة أيام أنا جائع، فألزمُوهُ السُّوق وأمُروهُ بالكسب.

أنبأنا أبو المظفرعبد المنعم، ثنا أبي، قـال: سمعت ابن باكويه، يقول: سمعت أبا أحمد الصغير يقول: أمرني أبو عبد الله بن خفيف أن أقدم إليه كل ليلة عشر حبات زبيب لإفطاره فأشفقتُ عليه ليلـةً فحملت إليه خمس عشـرة حبة فنظر إليَّ وقـال: من أمـرك بهـذا؟ وأكل عشر حبـات وتـرك الباقي.

أَخْبَرَنَا أبو بكر بن حـــــــبيب، نا علي بن أبي صادق، نا ابن باكويه قال: سـمعت أبا عبد الله بن خفيف، يقول: كنت في ابتدائي بقيت أربعين شـهرًا أفطر كل ليلة بكفِّ باقلاّء فمضيتُ يومًا فافتصدتُ فخـرج من عـرقي شـبهُ مـاء اللحم وغشي عليَّ، فتحيَّر الفصَّادُ وقـال: ما رأيت جسـدًا لا دم فيه إلا هذا.

الامتناع عن أكل اللحم

(فصل):

قـال المصـنف: وقد كـان فيهم قـوم لا يـأكلون اللحم حـتى قــال بعضــهم: أكــلُ درهم من اللحم يُقسِّي القلب أربعين صباحًا، وكـان فيهم من يمتنع من الطيبـــــات كلها ويحتج بما أخبرنا به علي بن عبد الواحد الــدِّينوري، نا أبو الحسن القزويــني، نا أبو حفص بن الزيَّات، ثنا ابن ماجـه، ثنا أزهـرُ بن جميل، ثنا بزيع، عن هشام، عن أبيه، عن عائشــة، قـالت: قـال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم: «احرمـــوا أنفســـكم طيب الطعـــام فإنما قـــوي الشيطان أن يجري في العروق بها»[1].

---

1 (?) موضـوع: أخرجه الـديلمى فى مسـند الفـردوس (321)، وذكره ابن الجوزى فى الموضـوعات 3/30 وقـال: «المتهم به بزيغ أبو الخليل»، والسـيوطى فى اللآلىء المصـنوعة 2/133، وابن عـراق فى تنــزيه الشـريعة 2/240، وقـال الألبـانى فى الضعيفة (1879): «موضوع».

وفيهم من كان يمتنع من شرب الماء الصافي، وفيهم من يمتنع من شـرب المـاء البـارد فيشـرب الحارَّ، ومنهم من كان يجعل ماءه في دن مدفونٍ في الأرض فيصـير حـارًا، ومنهم من يعـاقب نفسه بترك الماء مدة.

وَأَخْبَرَنَا محمد بن ناصر، أنبأنا أبو الفضل محمد بن علي السـهلكي، قـال: سـمعت عبد الواحد بن بكر الروياني، ثني محمد بن سـعدان، ثـني عيسى بن موسى البسـطامي، قـال: سـمعتُ أبي يقـول: قال: سمعت عمي خـادم أبي يزيد يقـول: ما أكلت شيئًا مما يأكله بنو آدم أربعين سنة، قـال: وأسـهلُ ما لاقت نفسي مني أني سـألتها أمـرًا من الأمـور فـأبت، فعـزمتُ أن لا أشـرب المـاء سـنة، فما شربت الماء سنة.

وحكى أبو حامد الغـــــزالي عن أبي يزيد أنه قـــال: دعـــوتُ نفسي إلى الله عز وجل فجمحت فعـزمتُ عليها أن لا أشـرب المـاء سـنة ولا أذوق النوم سنةً فوفت لي بذلك.

(فصل):

قـــال المصـــنف: وقد رتب أبو طـــالب المكي للقوم ترتيباتٍ في المطاعم فقـال: أسـتحب للمريد ألا يزيد على رغيفين في يـــوم وليلة قـــال: ومن الناس من كـان يعمل في الأقـوات فيقلهـا، وكـان

بعضهم يزن قوته بكربةٍ من كرب النخل وهي تجف كل يوم قليلاً فينقص من قوته بمقدار ذلك، قال: ومنهم من كان يعمل في الأوقات فيأكل كل يوم ثم يتدرَّجُ إلى يومين وثلاثة، قال: والجوعُ يُنقصُ دم الفؤاد فيبيضه وفي بياضه نوره، ويُذيبُ شحم الفؤاد وفي ذوبانه رقته، وفي رقته مفتاح المكاشفة.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقد صنف لهم أبو عبد الله محمد بن علي التِّرمذي كتابًا سماه «رياضة النفوس» قال فيه: فينبغي للمبتدئ في هذا الأمر أن يصوم شهرين متتابعين توبةً من الله ثم يفطر فيطعم اليسير ويأكل كسرةً كسرةً، ويقطع الإدام والفواكه واللذَّة، ومجالسة الإخوان، والنظر في الكتب، وهذه كلها أفراحٌ للنفس فيمنع النفس لذَّتها حتى تمتلئ غمًا.

قال المصنف: وقد أخرج لهم بعض المتأخرين الأربعينية، يبقى أحدهم أربعين يومًا لا يأكل الخبز ولكنه يشرب الزيوتات ويأكل الفواكه الكثيرة اللذيذة، فهذه نبذة من ذكر أفعالهم في مطاعمهم يدُلُّ مذكورها على مُغفلها.

(فصل): في بيان تلبيس إبليس عليهم في هذه الأفعال وإيضاح الخطأ فيها

قال المصنف رحمه الله: أما ما نقل عن سهل

ففعلٌ لا يجوزُ لأنه حمل على النفس ما لا تطيق، ثم إن الله عز وجل أكرم الآدميين بالحنطة وجعل قشـورها لبهـائمهم فلا تصـلحُ مزاحمة البهـائم في أكل التبن، وأي غذاء في التبن، ومثل هذه الأشياء أشهر من أن تحتاج إلى رد.

وقد حكى أبو حامد عن سـهل أنه كـان يـرى أن صـلاة الجـائع الـذي قد أضـعفه الجـوع قاعـدًا أفضل من صلاته قائمًا إذا قوَّاه الأكل.

قـال المصـنف رحمه اللـه: وهـذا خطأ بل إذا تقوّى على القيام كـان أكله عبـادة لأنه يعينُ على العبادة وإذا تجوَّع إلى أن يصلي قاعدًا فقد تسبب إلى ترك الفرائض فلم يجز لـه، ولو كـان التنـاول ميتة ما جـاز هـذا، فكيف وهو حلال، ثم أي قُربـةٍ في هذا الجوع المُعطِّل أدوات العبادة.

وأما قول الحـداد: وأنا أنظر من يغلب العلم أم اليقين؟ فإنه جهـــــلٌ محضٌ لأنه ليس بين العلم واليقين تضـــادٌ، إنما اليقين أعلى مـــراتب العلم، وأين من العلم واليقين تركُ ما تحتـاجُ إليه النفسُ من المطعم والمشرب، وإنما إشار بـالعلم إلى ما أمره الشرع، وأشار باليقين إلى قوة الصـبر وهـذا تخليـطٌ قـبيحٌ، وهـؤلاء قـوم شـدَّدُوا فيما ابتـدعوا وكانوا كقريش في تشدُّدهم حتى سُـمُّوا بـالحُمس، فجحدوا الأصل وشددوا في الفرع.

وقـــول الآخـــر: ملحُك مـــدقوقٌ لست تفلحُ، من أقبح الأشـياء، وكيف يقـال عمن اسـتعمل ما أبيح له لست تفلحُ، وأما ســويقُ الشــعير فإنه يـــورثُ القولنج[1].

وقول الآخر: الزُّبْدُ بالعسل إسرافٌ قولٌ مـرذولٌ لأن الإسراف ممنوعٌ منه شرعًا، وهذا مأذونٌ فيــه، وقد صـــحَّ عن رســول الله أنه كـــان يأكل القثَّاء بالرُّطب[2]، وكان يحب الحلوى والعسل[3].

وأما ما روينا عن سهل أنه قال: قسمتُ قـوتي وعقلي سبعة أجزاء ففعلٌ يُـذمُّ به ولا يُمـدحُ عليه إذ لم يأمر الشـرع بمثله وهو إلى التحـريم أقـرب لأنه ظلمٌ للنفس وتركٌ لحقها.

وكذلك قولُ الـذي قـال: ما أكلتُ إلى وقت أن يُبـــاح لي أكـــلُ الميتـــة: فإنه فعل برأيه المـــرذول. وحمل على النفس مع وجود الحلال.

وقول أبي يزيد: القوتُ عنـدنا للـه، كلامٌ ركيـك، فإن البدن قد بني على الحاجة إلى الطعـام حـتى

---

1 (?) القولنج: مـرض معـوى مـؤلم، يصـعب معه خـروج الـبراز والريح، وسببه التهاب القولون.

2 (?) متفق عليـــه: أخرجه البخـــارى فى الأطعمة (3835)، ومســـلم فى الأشـــربة (2043/147) من حـــديث عبد الله بن جعفر.

3 (?) أخرجه البخارى فى الأطعمة (5431)، ومسلم فى الكلام (1474/21) من حديث عائشة.

إنَّ أهل النار في النار يحتاجون إلى الطعام.

وأما التقـــــبيح على من أخذ قشر البطيخ بعد الجوع الطويل فلا وجه لـه، والـذي طـوى ثلاثًا لم يسلم من لـوم الشـرع، وكـذلك الـذي عاهد أن لا يأكل حين احتجم حتى وقع في الضعف فإنه فعل ما لا يحـلُّ لـه، وقـول إبـراهيم لـه: أحسـنتم يا مبتـدئون خطأ أيضًـا، فإنه كـان ينبغي أن يلزمـهُ بالفطر ولو كـان في رمضـان، إذ من له أيـامٌ لم يأكل وقد احتجم وغشي عليه لا يجـــــوزُ له أن يصوم.

أَخْبَرَنَا أبو منصور القـزاز، نا أبو بكر بن ثـابت، ثـــني الأزهـــري، ثنا علي بن عمـــر، ثنا أبو حامد الحضرمي، ثنا عبد الرحمن بن يونس الســرَّاج، ثنا بقيةُ بن الوليد، عن عبيد الله بن عمر، عن نـافع، عن ابن عمـر، قـال: قـال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم: «من أصـابه جهـدٌ في رمضـان فلم يُفطر فمات دخل النار»[1].

قال المصنف رحمه الله: قلت: كل رجاله ثقـات

---

[1] (?) ضـعيف: أخرجه الخطيب فى تـاريخ بغـداد 10/270، فى إسـناده عبد الـرحمن بن يـونس، قــال فيه الأزدى: لم يصح حديثه، وفيه: بقية بن الوليد: كثير التـدليس عن الضـعفاء، وقد عنعن، وقـال عنه أبو مسـهر: أحـاديث بقية كن منها على تقية فإنها غـير نقيـة» انظـر: مـيزان الاعتـدال 2/601، وتهـذيب التهذيب 1/474 ــ 478.

وقد أخبرنا به عاليًا محمد بن عبد البـــاقي، نا أبو يعلى محمد بن الحســـين، نا علي بن عمـــر، ثنا أحمد بن محمد الأســـدي، ثنا عبد الـــرحمن بن يونس فـذكره وقـال: من أصـابه جهد في رمضـان فلم يفطر دخل النار[1].

قال المصنف رحمه الله: وأما تقليـلُ ابن خفيف ففعـلٌ قـبيح لا يستحسن وما يـورد هـذا الإخبـار عنهم إيرادًا مُستحسنًا لها إلا جاهلٌ بأصول الشرع، فأما العـــالم المتمكن فإنه لا يهوله قـــول معظم، فكيف بفعل جاهل مُبرسم[2].

وأما كـــونهم لا يـــأكلون اللحم فهـــذا مـــذهبُ البراهمة الـــذين لا يـــرون ذبح الحيـــوان، والله عز وجل أعلمُ بمصـالح الأبـدان فأبـاح اللحم لتقويتهـا، فأكل اللحم يقـوي القـوة وتركه يضـعفها ويسـيء الخُلُـق، وقد «كـان رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يأكل اللحم[3] ويحب الـذراع من الشـاة»[4]، ودخل يومًا فقُـدِّم إليه طعـامٌ من طعـام الـبيت

---

1 (?) انظر: التخريج السابق.

2 (?) مبرسم: البرسام بالكسر: علة معروفة، وقد برسم الرجل فهو مبرسم.

3 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى التفسير (4712)، ومسلم فى الإيمان (194/327) من حديث أبى هريرة.

4 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى أحاديث الأنبيـاء (3340)، ومسلم فى الإيمان (194/328) من حديث أبى هريرة.

فقال: «لم أر لكم بُرمةً تفور»[5].

وكان الحسن البصري يشتري كل يوم لحمًا، وعلى هذا كان السَّلف إلا أن يكون فيهم فقيرٌ فيبعُدُ عهدُهُ باللحم لأجل الفقر، وأما من منع نفسه الشهوات فإن هذا على الإطلاق لا يصلحُ لأن الله عز وجل لما خلق بني آدم على الحرارة والبرودة واليُبوسة والرُّطوبة وجعل صحته موقوفة على تعادل الأخلاط: الدَّم والبلغم والمرَّة الصفراء والمرة السوداء، فتارة يزيد بعض الأخلاط فتميل الطبيعة إلى ما ينقصه مثل أن تزيد الصفراء فيميل الطبع إلى الحموضة، أو ينقص البلغم فتميل النفس إلى المرطبات، فقد رُكِّب في الطبع الميل إلى ما تميل إليه النفس وتوافقه، فإذا مالت النفسُ إلى ما يصلحها فمنعت فقد قوبلت حكمة الباري سبحانه وتعالى بردها، ثم يؤثر ذلك في البدن فكان هذا الفعل مخالفًا للشرع والعقل.

ومعلومٌ أن البدن مطيَّةُ الآدميِّ، ومتى لم يرفق بالمطيَّة لم تبلغ، وإنما قلَّت علومُ هؤلاء فتكلموا بآرائهم الفاسدة، فإن أسندوا فإلى حديثٍ ضعيف أو موضوع أو يكون فهمهُم منه رديئًا، ولقد عجبتُ لأبي حامدٍ الغزالي الفقيه كيف نزل

---

[5] (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الأطعمة (5430)، ومسلم فى العتق (1504/14) من حديث عائشة.

مع القـوم من رتبة الفقه إلى مـذاهبهم حـتى إنه قـال: لا ينبغي للمريد إذا تـاقت نفسه إلى الجمـاع أن يأكل ويُجـامع فيعطي نفسه شـهوتين فتقـوى عليه.

قال المصنف رحمه الله: وهـذا قـبيح في الغاية فإن الإدام شهوة فوق الطعـام فينبغي أن لا يأكل إدامًا والماء شهوة أخرى.

أو ليس في الصـحيح أن رسـول الله «طـاف على نسائه بغُسلٍ واحد»[1] فهلاَّ اقتصر على شهوة واحـدة. أو ليس في الصـحيحين أن رسـول الله «كان يأكل القثاء بالرطب»[2]. وهاتان شهوتان، أوَمَا أكل عند أبي الهيثم بن التيهان خبزًا وشواء وبُسرًا وشرب ماءً بـاردًا؟[3] أوَمَا كـان الثـوريُّ يأكل اللحم والعنب والفالوذج[4] ثم يقـوم فيصـلي، أو ما تعلـفُ الفـرسُ الشـعير والت بن والقتَّ، وتطعم الناقة

---

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى النكاح (5068)، ومسلم فى الحيض (309/28) من حديث أنس، واللفظ لمسلم.

2 (?) متفق عليـه: أخرجه البخـارى فى الأطعمة (3835)، ومسـلم فى الأشـربة (2043/147) من حـديث عبد الله بن جعفر.

3 (?) صحيح: أخرجه الترمذى فى الزهد (2369) من حديث أبى هريـرة الطويـل، وقـال الترمـذى: «هـذا حـديث حسن صـحيح غريب».

4 (?) الفالوذج: حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل، أو تصنع من النشا والماء والسكر.

الخبط والحمض، وهل البــدنُ إلاّ ناقــة. وإنما نهى بعض القــدماء عن الجمع بين إدامين على الــدوام لئلا يُتخذ ذلك عادة فيحــوج إلى كلفة وإنما تجتنب فضــول الشــهوات لئلا يكــون ســببًا لكــثرة الأكل وجلب النوم، ولئلا تتعود فيقل الصبر عنها فيحتـاج الإنسان إلى تضييع العمر في كســبها وربما تناولها من غــير وجههــا. وهــذا طريق الســلف في تــرك فضول الشهوات.

والحــديث الــذي احتجــوا به «احرمــوا أنفســكم طيب الطعــام»[1]، حــديثٌ موضــوع عملته يد بزيع الراوي. وأما إذا اقتصر الإنسـان على خـبز الشـعير والملح الجــريش فإنه ينحــرفُ مزاجُــهُ لأن خــبز الشــعير يــابسٌ مجفف والملح يــابس قــابض يضر الــدِّماغ والبصــر، وتقليــلُ المطعم يُــوجبُ تنشــيف المعــدة وضــيقها، وقد حكى يوسف الهمــداني عن شيخه عبد الله الحوفي أنه كان يأكل خـبز البلُّوط بغـير إدام، وكـان أصـحابه يسـألونه أن يأكل شـيئًا من الدهن والدسومات فلا يفعل.

قال المصـنف رحمه اللـه: وهـذا يـورث القـولنج الشــــديد، واعلم أن المــــذموم من الأكل إنما هو فـــرط الشـــبع وأحســـنُ الآداب في المطعم أدبُ الشارع صلى الله عليه وسلم.

---

1 (?) سبق تخريجه قريبًا.

أَخْبَرَنَا ابن الحصين، نا ابن المـذهب، نا أبو بكر بن حمـدان، ثنا عبد الله بن أحمـد، ثـني أبي، ثنا أبو المغـيرة، ثنا سـليمان بن سُـليم الكنـاني، ثنا يحيى بن جابر الطـائي، قـال: سـمعت المقـدام بن معدي كرب يقول: سـمعت رسـول الله يقـول: «ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًا من بطنــه، حسب ابن آدم أكلات يُقمن صُـلبهُ، فـإن كـان لا بُد فثُلُثٌ طعـام وثُلُثٌ شرابٌ وثُلُثٌ لنفسه»[2].

قال المصنف رحمه الله: قلت: فقد أمر الشــرع بما يقيم النفس حفظًا لها وســعيًا في مصــلحتها، ولو سـمع أبقـراط هـذه القسـمة في قولـه: ثلث وثلث وثلث، لدهش من هذه الحكمة، لأن الطعـام والشــراب يربــوان في المعــدة فيتقــارب ملؤُهــا، فيبقى للنفس من الثُّلُث قريب، فهذا أعدلُ الأمـور فــإن نقص منه قليلاً لم يضُــرَّ وإن زاد النقصــان أضعف القوة وضيَّق المجاري على الطعام.

(الصوفية والجوع)

قـال المصـنف رحمه اللـه: واعلم أن الصـوفية إنما يأمرون بالتقلُّل شُـبانهُم ومبتـدئيهم، ومن أضـرِّ الأشياء على الشاب الجوع فإن المشـايخ يصـبرون

---

2 (?) صحيح: أخرجه الترمذى فى الزهد (2380) وقال: «حسن صحيح» وابن ماجه فى الأطعمة (3349)، وأحمد فى المسـند 4/132، وابن حبان فى صحيحه (1349)، وصححه الحاكم فى المستدرك 4/121 ووافقه الذهبى.

عليه والكهـول أيضًـا فأما الشُّـبان فلا صـبر لهم على الجـوع، وسـبب ذلك أن حـرارة الشَّـباب شـديدة فلـذلك يجـود هضـمه ويكـثر تحلل بدنه فيحتاج إلى كثرة الطعام كما يحتاج السراجُ الجديد إلى كثرة الزيت، فإذا صابر الشـابُّ الجـوع وتأبُّتَـهُ في أول النشـوء قمع نشـوء نفسه فكـان كمن يعرقب أصول الحيطان، ثم تمتد يد المعـدة لعـدم الغـذاء إلى أخذ الفضـول المجتمعة في البـدن فتغذيه بالأخلاط فيفسدُ الذهن والجسم، وهذا أصل عظيم يحتاج إلى تأمل.

(فصل):

قـال المصـنف: رحمه اللـه: وذكر العلمـاء التقلل الذي يضعف البدن.

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصر الحافـظ، نا أبو الحسـين بن عبد الجبـار، نا عبد العزيز بن علي الأزجي، نا إبـراهيم بن جعفر السّـاجي، نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفـر، نا أبو بكر أحمد بن محمد بن هـارون الخلاَّلُ، نا عبد الله بن إبراهيم بن يعقوب الجيلي، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبـل، قـال له عُقبةُ بن مكرم: هؤلاء الذين يـأكلون قليلاً ويقللـون من مطعمهم. فقـال: ما يعجبـني، سـمعتُ عبد الرحمن بن مهدي يقـول: فعل قـومٌ هـذا فقطعهم عن الفرض.

قال الخلال: وأخبرني أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله بن صدقة، ثنا إسحاق ابن داود ابن صُبيح، قال: قلت لعبد الرحمن بن مهدي: يا أبا سعيد إن ببلدنا قومًا من هؤلاء الصوفية، فقال: لا تقرب هؤلاء فإنا قد رأينا من هؤلاء قومًا أخرجهم الأمر إلى الجنون، وبعضهم أخرجهم إلى الزندقة، ثم قال: خرج سفيانُ الثوريُّ في سفر فشيعتُه وكان معه سُفرةٌ فيها فالوذج وكان فيها حمل.

قال الخلال: وأخبرني المروزي قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل، وقال له رجل: إني منذ خمس عشرة سنة قد ولع بي إبليسُ، وربما وجدتُ وسوسةً أتفكَّرُ في الله عز وجل فقال: لعلك كنت تدمن الصوم. أفطر وكُل دسمًا وجالس القُصَّاص.

قال المصنف رحمه الله: وفي هؤلاء القوم من يتناول المطاعم الرديئة ويهجرُ الدسم فيجتمع في معدته أخلاطٌ فجَّةٌ فتغتذي المعدةُ منها مدة، لأن المعدة لا بد لها من شيء تهضمُهُ، فإذا هضمت ما عندها من الطعام ولم تجد شيئًا تناولت الأخلاط فهضمتها وجعلتها غذاءً، وذلك الغذاءُ الرديءُ يخرجُ إلى الوساوس والجنون وسوء الأخلاق.

وهؤلاء المُتقلِّلُون يتناولون مع التقلُّل أردأ

المـأكولات فتكـثر أخلاطهم فتشـتغل المعـدة بهضم الأخلاط، ويتفق لهم تعـوُّدُ التقلّل بالتـدريج فتضـيق المـدةُ فيمكنهم الصّـبر عن الطعـام أيامًـا، ويعينهم على هــذا قــوة الشــباب فيعتقــدون الصــبر عن الطعام كرامة، وإنما السبب ما عرَّفتك.

وقد أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكـــريم، قـــال: حدثني أبي قال: كانت امـرأة قد طعنت في السن فسئلت عن حالها؟ فقالت: كنتُ في حال الشَّــباب أجــدُ من نفسي أحــوالاً أظنها قــوة الحــال، فلما كــبرت زالت عــني، فعلمت أن ذلك كــان قــوة الشباب فتوهمتها أحوالاً.

قـال: سـمعت أبا علي الـدقَّاق يقـول: ما سـمع أحدٌ هذه الحكاية من الشيوخ إلا رقَّ لهذه العجـوز وقال: إنها كانت منصفة.

وقــال المصــنف: فــإن قيــل: كيف تمنعــون من التقلُّل وقد رويتم أن عمر رضي الله عنه كــــان يأكلُ كل يوم إحدى عشرة لقمـةً، وإن ابن الزبـير كـان يبقى أسـبوعًا لا يأكـل، وإن إبـراهيم الـتيميَّ بقي شهرين. قلنا: قد يجري للإنسان من هـذا الفن في بعض الأوقــات غــير أنه لا يــدومُ عليــه، ولا يقصد التَّرقي إليه. وقد كان في السَّلف من يجـوع عوزًا وفيهم من كان الصَّبرُ له عادة لا تضُرُّ بدنـهُ. وفي العــرب من يبقى أيامًا لا يزيد على شــرب

اللبن، ونحن لا نـأمر بالشـبع إنما ننهى عن جـوعٍ يُضعفُ القوَّة ويؤذي البدن، وإذا ضعف البدن قلَّتَ العبادةُ. فإن حملتِ البدن قوةُ الشباب جاء الشَّـيب فأقذع بالراكب..

وقد أخبرنا محمد بن ناصر الحافـــــظ، نا عبد القادر بن يوسف، نا أبو إسـحاق الـبرمكي، ثنا أبو يعقـوب ابن سـعد النسـائي، ثنا جـدي الحسن بن ســـفيان، ثنا حرملة بن يحـــيى، ثنا عبد الله بن وهب، ثنا ســـفيان بن عيينـــة، عن مالك بن أنس رضي الله عنه قال: كان يُطرحُ لعمر بن الخطـاب رضي الله عنه الصَّـــاعُ من التمر فيأكُلُـــهُ حـــتى حشفهُ.

وقد روينا عن إبـــراهيم بن أدهم: أنه اشـــترى زُبدًا وعسلاً وخبزًا حُوَّارى. فقيل له: هـذا كله تأكله فقـــال: إذا وجـــدنا أكلنا أكل الرجـــال وإذا عـــدمنا صبرنا صبر الرجال.

قال المصنف رحمه الله: وأما الشرب من الماء الصـافي: فقد تخيَّرهُ رسـولُ الله صـلى الله عليه وسلم.

أَخْبَرَنَا ابن الحصـين، نا ابن المـذهب، نا أحمد بن جعفـر، ثنا عبد الله بن أحمـد، ثنا أبي، ثنا أبو عـامر العقـدي وغـيره، ثنا فليح بن سـليمان، عن سـعيد بن الحـارث، عن جـابر ابن عبد اللـه، أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتى قومًا من الأنصار يعود مريضًا فاستسقى وجدول قريب منه، فقال: إن كان عندكم ماء بات في شن وإلا كرعنا»[1] أخرجه البخاري.

وَأَخْبَرَنَا أبو منصور القزاز، نا أبو بكر الخطيب، نا أبو عمر بن مهدي، ثنا الحسين ابن إسماعيل المحاملي، ثنا محمد بن عمرو بن أبي مذعور، ثنا عبد العزيز بن محمد، نا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله كان يُستقى له الماءُ العذبُ من بئر السُّقيا[2].

قال المصنف: وينبغي أن يعلم أن الماء الكدر يُولِّدُ الحصى في الكُلى والسَّدد في الكبد، وأما الماء البارد فإنه إذا كانت برودته معتدلة فإنه يشد المعدة، ويقوي الشهوة، ويحسن اللون، ويمنع عفن الدم وصعود البخارات إلى الدماغ ويحفظ الصحة، وإذا كان الماء حارًا أفسد الهضم وأحدث الترهل وأذبل البدن، وأدى إلى الاستسقاء والدق فإن سُخِّن بالشمس خيف منه البرص.

وقد كان بعض الزهاد يقول: إذا أكلت الطيب

---

1 (?) صحيح: أخرجه البخارى فى الأشربة (5621)، وأبو داود فى الأشربة (3724)، وأحمد فى المسند 3/328، 343.

2 (?) صحيح: أخرجه أبو داود فى الأشربة (3735)، وأحمد فى المسند 6/100، 108، وصححه الحاكم فى المستدرك 4/138 ووافقه الذهبى.

وشربت الماء البارد متى تحب الموت، وكذلك قال أبو حامد الغزالي: إذا أكل الإنسانُ ما يستلذه قسا قلبه وكره الموت، وإذا منع نفسه شهواتها وحرمها لذاتها اشتهت نفسُهُ الإفلات من الدنيا بالموت.

قال المصنف رحمه الله: واعجبًا كيف يصدرُ هذا الكلام من فقيه، أترى لو تقلبت النفس في أي فن كان من التعذيب ما أحبت الموت، ثم كيف يجوز لنا تعذيبها وقد قال عز وجل: ﴿**ولا تقتلوا أنفسكم**﴾ [النساء: 29]، ورضي منا بالإفطار في السفر رفقًا بها وقال: ﴿**يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾ [البقرة: 185]، أوَليست مطيتنا التي عليها وصولنا: (الرجز)

وكيف لا نأوي بها قطعنا

وأما معاقبةُ أبي يزيد نفسه بترك الماء سنةً فإنها حالةٌ مذمومةٌ لا يراها مُستحسنةً إلا الجُهَّالُ، ووجهُ ذمِّها أن للنفس حقًّا ومنعُ الحقِّ مُستحقَّهُ ظلمٌ، ولا يحل للإنسان أن يؤذي نفسه، ولا أن يقعد في الشمس في الصيف بقدر ما يتأذّى، ولا في الثلج في الشتاء، والماء يحفظ الرطوبات الأصلية في البدن وينفذ الأغذية، وقوامُ النفس بالأغذية، فإذا منعها أغذية الآدميين ومنعها الماء فقد أعان عليها وهذا من أفحش الخطأ، وكذلك منعه إياها النوم.

قال ابن عقيل: وليس للناس إقامةُ العقوبات ولا استيفاؤُها من أنفسهم، يدلُّ عليه أن إقامة الإنسان الحدَّ على نفسه لا يُجزئُ فإن فعله أعاده الإمام، وهذه النفوس ودائعُ الله عز وجل حتى إن التصرُّف في الأموال لم يطلق لأربابها إلا على وجوهٍ مخصوصة.

قال المصنف رحمه الله: قلت: وقد روينا في حديث الهجرة أن النبي تزوَّد طعامًا وشرابًا[1]، وأن أبا بكر فرش له في ظل صخرة وحلب له لبنًا في قدح ثم صب ماء على القدح حتى برد أسفله، وكل ذلك من الرفق بالنفس.

وأما ما رتَّبه أبو طالب المكي فحملٌ على النفس بما يُضعفُها، وإنما يُمدحُ الجوعُ إذا كان بمقدار، وذِكرُ المكاشفة من الحديث الفارغ.

وأما ما صنفه الترمذي فكأنه ابتداء شرعٍ برأيه الفاسد، وما وجه صيام شهرين متتابعين عند التوبة وما فائدة قطع الفواكه المباحة، وإذا لم ينظر في الكتب فبأي سيرة يقتدي.

وأما الأربعينية فحديث فارغ رتَّبوه على حديثٍ لا أصل له: «من أخلص لله أربعين صباحًا لم

---

1 (?) انظر: صحيح البخارى فى مناقب الأنصار (3905) من حديث عائشة.

يجُبَّ الإخلاص أبدًا»(2).

فما وجه تقديره بأربعين صباحًا، ثم لو قدرنا ذلك فالإخلاص عملُ القلب فما بال المطعم، ثم ما الذي حسَّن منع الفاكهة ومنع الخبز، وهل هذا كُلُّهُ إلا جهلٌ.

وقد أنبأنا عبد المنعم بن القُشيريُّ، قال: حدثنا أبي، قال: حجج الصوفية أظهرُ من حجج كل أحد وقواعد مذهبهم أقوى من قواعد كل مذهب، لأن الناس إما أصحاب نقل وأثر وإما أرباب عقل وفكر، وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة، والذي للناس غيبٌ فلهم ظهورٌ، فهم أهلُ الوصال، والناسُ أهلُ الاستدلال، فينبغي لمريدهم أن يقطع العلائق وأولها الخروج من المال ثم الخروج من الجاه وأن لا ينام إلا غلبةً وأن يقلّل غذاءهُ بالتدريج.

قال المصنف رحمه الله: قلت: من له أدنى فهم يعرف أن هذا الكلام تخليط فإن من خرج عن النقل والعقل فليس بمعدودٍ في الناس، وليس أحد من الخلق إلا وهو مستدل، وذكر الوصال حديث فارغ. فنسأل الله عز وجل العصمة من تخليط المريدين والأشياخ والله الموفق.

---

2 (?) موضوع: ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 5/189، وابن الجوزى فى الموضوعات 3/45 وقال: «لا يصح».

(فصل): ذكر أحاديث تبين خطأهم في أفعالهم

أَخْبَرَنَا يحيى بن علي المُـدبر، نا أبو بكر محمد بن علي الخيـــاط، ثنا الحسن بن الحســـين بن حمكـان ثنا عبـدان بن يزيد العطـار وأخبرنا محمد بن أبي منصـور أنبأنا الحسن بن أحمد الفقيـه، ثنا محمد بن أحمد الحافـــظ، ثنا أبو عبد الله محمد بن عيسى البُرُوجردي، ثنا عمير بن مرداس، قـالا: حـدثنا محمد بن بكـير الحضـرمي، ثنا القاسم بن عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم العُمـــري، عن عبيد الله بن عمـــــر، عن علي بن زيد ابن جُدعان، عن سعيد بن المُسـيِّب قـال: جـاء عثمـان بن مظعـون إلى النـبي صـلى الله عليه وسـلم فقـال: يا رسـول الله غلبـني حـديثُ النفس فلم أحبَّ أن أُحـدِّث شـيئًا حـتى أذكر لك ذلـك، فقـال رسول الله «وما تُحدِّثُك نفسُك يا عثمـانُ»؟ قـال: تحدثني نفسي بأن أختصي، فقال: «مهلاً يا عثمان، فإن خصاء أمتي الصيامُ»، قال: يا رسول الله فإن نفسي تُحدّثني أن أترهَّب في الجبـال، قـال: «مهلاً يا عثمان، فإن ترهُّب أمتي الجلوسُ في المساجد، وانتظـار الصـلاة بعد الصـلاة» قـال: يا رسـول الله فـإن نفسي تحـدثني بـأن أسـيح في الأرض، قـال: «مهلاً يا عثمـان، فـإن سـياحة أمـتي الغـزوُ في سـبيل الله والحجُّ والعُمـرةُ»، قـال: يا رسـول الله

فإن نفسي تحدثني بأن أخرج من مالي كله، قال: «مهلاً يا عثمانُ، فإنَّ صدقتك يومًا بيوم وتكفُّ نفسك وعيالك وترحمُ المسكين واليتيم وتطعمُهُ أفضلُ من ذلك»، قال: يا رسول الله فإن نفسي تُحدِّثني بأن أطلق خولة امرأتي، قال: «مهلاً يا عثمان، فإن هجرة أمَّتي من هجر ما حرَّم الله عليه، أو هاجر إليَّ في حياتي، أو زار قبري بعد موتي، أو مات وله امرأةٌ أو امرأتان أو ثلاثٌ أو أربعٌ»، قال: يا رسول الله فإن نفسي تحدثني أن لا أغشاها، قال: «مهلاً يا عثمان، فإن الرجل المسلم إذا غشي أهلهُ فإن لم يكن من وقعته تلك ولدٌ كان له وصيفٌ في الجنة، فإن كان من وقعته تلك ولد فإن مات قبله كان له فرطًا وشفيعًا يوم القيامة، وإن كان بعده كان له نورًا يوم القيامة»، قال: يا رسول الله فإن نفسي تحدثني أن لا آكل اللحم، قال: «مهلاً يا عثمان، فإني أحبُّ اللحم وآكلُهُ إذا وجدتُهُ ولو سألتُ ربي أن يُطعمني إياهُ كلَّ يوم لأطعمني»، قال: يا رسول الله فإن نفسي تُحدِّثُني أن لا أمسَّ طيبًا، قال: «مهلاً يا عثمانُ، فإن جبريل أمرني بالطيب غبًّا ويوم الجُمُعة لا مترك له، يا عثمانُ لا ترغب عن سُنَّتي فمن رغب عن سُنتي ثم مات قبل أن يتوب صرفت الملائكةُ وجههُ عن حوضي»[1].

[1] (?) ضعيف جدًا: أخرجه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول

قال المصنف رحمه الله: هـذا حـديث عمـير بن مرداس.

أَخْبَرَنَا محمد بن عبد البـــاقي، نا أبو محمد بن أبي طـــاهر الجـــوهري، نا أبو عمر بن حيُّويـــه، نا أحمد بن معروف، نا الحسين بن الفهم، ثنا محمد بن سعد، نا الفضل بن دكين، ثنا اسرائيل، ثنا أبو إسحاق، عن أبي بردة، قال: «دخلت امرأة عثمــان بن مظعونٍ على نساء النبي فرأينها سـيِّئة الهيئـة، فقلن لها: ما لكِ؟ فما في قريشٍ رجلٌ أغــنى من بعلِـكِ، قـالت: ما لنا منه شـيءٌ، أما ليلُـهُ فقـائم، وأما نهاره فصائمٌ. فـدخلن إلى النـبي فـذكرن ذلك له، فلقيه فقـال: «يا عثمـانُ، أما لك بي أسـوةٌ»؟ فقـــال: بـــأبي وأمي أنت وما ذاك؟ قـــال: «تصـــومُ النهار وتقـومُ الليـل»، قـال: إني لأفعـلُ، قـال: «إن لعينك عليك حقًـا، وإن لجســدك عليك حقًـا، وإن لأهلك عليك حقًا، فصلِّ ونم وصُمْ وأفطر»[1].

قـال ابن سـعد: وأخبرنا عـارم بن الفضـل، ثنا حماد بن زيد، ثنا معاوية بن عبـاس الجـرمي، عن أبي قلابـة، أن عثمـان بن مظعـون اتَّخذ بيتًا فقعد

(الأصل 252)، وفيه عليّ بن زيد بن جدعان، لا يحتج به، انظر: ميزان الاعتدال 3/127، والتهذيب 7/322.

1 (?) حسن: أخرجه ابن حبان فى صحيحة (1287 موارد)، وأبو يعلى فى مســـنده 13/216 عن أبى بــــردة عن أبى موسى الأشعرى موصولا.

يتعبَّدُ فيه، فبلغ ذلك النبيَّ فأتاه فأخذ بعضادتي باب البيت الذي هو فيه وقال: «يا عثمانُ إن الله عز وجل لم يبعثني بالرَّهبانية - مرتين أو ثلاثًا - وإنَّ خير الدِّين عند الله الحنيفيةُ السَّمحةُ»[1].

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصر، نا محمد بن علي بن ميمون، نا عبد الوهاب بن محمد الغُنْدجاني، نا أبو بكر بن عبدان، نا محمد بن سهل، ثنا البخاري، قال: قال موسى بن إسماعيل: نا حماد بن يزيد بن مسلم، ثنا معاوية بن قرة، عن كهمس الباهلي، قال: «أسلمتُ وأتيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأخبرته بإسلامي، فمكثتُ حولاً ثم أتيته وقد ضمرتُ ونحل جسمي فخفض فيَّ البصر ثم صعَّدهُ، قلت: أما تعرفني، قال: «ومن أنت»، قلت: أنا كهمسٌ الباهلي، قال: «فما بلغ بك ما أرى؟» قلت: ما أفطرتُ بعدك نهارًا، ولا نمتُ ليلاً، قال: «ومن أمرك أن تُعذِّب نفسك؟ «صُم شهر الصبر ومن كُلِّ شهرٍ يومًا»، قلت: زدني، قال: «صُم شهر الصبر ومن كل شهر يومين»، قلت: زدني. قال: «صُمْ شهر الصبر ومن كلِّ شهر ثلاثة

1 (?) ضعيف: أخرجه ابن سعد فى الطبقات 1/287 مرسلاً، وأبو نعيم فى أخبار أصفهان 2/245 مرسلاً أيضًا، وذكره الألبانى فى الصحيحة 4/386، وقال: «وهذا إسناد مرسل، لا بأس به فى الشواهد، ورجاله ثقات، ورجال الشيخين غير الجرمى هذا، فقد ترجمه ابن أبى حاتم ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا، وقد روى عنه ثلاثة من الثقات».

أيام»[1].

أنبأنا محمد بن عبد الملك بن خيرون، أنبأنا أبو بكر أحمد بن بكر أحمد بن علي ابن ثـــابت، ثنا أبو حـــازم عمر بن أحمد العبـــدوري، نا أبو أحمد محمد بن الغطريـف، ثنا أبو بكر الـذهبي ثنا حميد بن الربيع، ثنا عبيـدة بن حميـد، عن الأعمش، عن جرير بن حازم، عن أيوب، عن أبي قلابـة، بلغ به النبي أن ناسًا من أصحابه احتمـوا النسـاء واللحم، اجتمعـوا فـذكرنا تـرك النسـاء واللحم فأوعد فيه وعيـــدًا شـــديدًا، وقـــال: «لو كنت تقـــدمت فيه لفعلت»، ثم قـــال: «إني لم أرسل بالرَّهبانيـــة، إن خير الدِّين الحنيفيةُ السمحةُ»[2].

قال المصنف رحمه اللـه: وقد روينا في حـديث آخر عن النـبي أنه قـال: «إن الله عز وجل يحب أن يـــرى آثـــار نعمته على عبـــده في مأكله ومشربه»[3].

---

[1] (?) ضعيف: أخرجه أبو داود فى الصـوم (2428)، وابن ماجه فى الصـــيام (1741)، وأحمد فى المســـند 5/28 بنحـــوه، والبيهقى فى السنن الكبرى 4/291، وفى إسناده مجاهيل.

[2] (?) ضعيف: أخرجه أبو نعيم فى أخبار أصـبهان 2/245 بنحـوه عن أبى قلابة مرسـلاً. وفى إسـناد المصـنف حميد بن الربيـع، قـال فيه النسـائى: «ليس بشـىء» وقـال ابن عـدى: يسـرق الحديث ويرفع الموقوف، انظر: الميزان 1/611.

[3] (?) ضـعيف: أخرجه ابن أبى الـدنيا كما فى الجـامع الصـغير (1898) مرسـلاً عن علىّ بن زيـد. وانظـر: غاية المـرام (75)،

وقال بكر بن عبد الله: من أُعطي خيرًا فرُؤي عليه سُمِّي حبيب الله مُحدِّثًا بنعمة الله عز وجل، ومن أعطي خيرًا لم يُر عليه سُمِّي بغيض الله عزَّ وجلَّ معاديًا لنعمة الله عز وجل.

(فصل):

قال المصنف رحمه الله: وهذا الذي نُهينا عنه من التقلُّل الزائد في الحد، قد انعكس في صوفية زماننا فصارت همتهم في المأكل كما كانت همة متقدميهم في الجوع، لهم الغداء والعشاء والحلوى، وكلُّ ذلك أو أكثرُهُ حاصلٌ من أموال وسخة، وقد تركوا كسب الدُّنيا، وأعرضوا عن التعبُّد وافترشوا فراش البطالة فلا همَّة لأكثرهم إلا الأكلُ واللَّعبُ، فإن أحسن مُحسنٌ منهم قالوا: طرح شكرًا. وإن أساء مسيىءٌ قالوا: استغفر، ويُسمُّون ما يلزمُه إياه واجبًا. وتسمية ما لم يُسمِّهِ الشرعُ واجبًا جناية عليه.

أَخْبَرَنَا عبد الرحمن بن محمد القزَّاز، نا أحمد بن علي بن ثابت، نا أحمد بن محمد ابن يعقوب، نا محمد بن عبد الله بن محمد الحافظ، النَّيسابوري، ثنا أبو زكريا يحيى بن محمد العنبري، ثنا أحمد بن سلمة، ثنا محمد بن عبدوس السراج البغدادي، قال: قام أبو مرحومٍ القاصُّ بالبصرة

وضعيف الجامع (1715).

يقُصُّ على النــاس فــأبكى، فلما فــرغ من قصصه قـال: من يُطعمنا أرُزَّةً في اللـه؟ فقـام شـاب من المجلس فقال: أنـا، فقـال: اجلس يرحمُك الله فقد عرفنا موضعك، ثم قام الثانية ذلك الشاب، فقـال: اجلس فقد عرفنا موضعك، فقام الثالثـة: فقـال أبو مرحوم لأصحابه: قوموا بنا إليه. فقاموا معـه، فـأتوا منزله، قـال: فأتينا بقـدر من بـاقلاء فأكلنا بلا ملح، ثم قـال أبو مرحـوم: عليَّ بخـوان خُماسي وخمسة مكاكيك أرز، وخمسة أمنان سمن، وعشـرة أمنـان سـكر، وخمسة أمنـان صـنوبر، وخمسة أمنـان فستق، فجيء بها كلها، فقال أبو مرحوم لأصحابه: يا إخواني كيف أصبحت الدُّنيا؟ قالوا: مُشرقٌ لونُها، مُبيضَّـةٌ شمسُـها، فقــال: يا إخــواني، أجــرُوا فيها أنهارها، قال: فأتي بذلك السـمن فـأجري فيهـا، ثم أقبل أبو مرحـوم على أصـحابه فقـال: يا إخـواني، اغرسوا فيها أشـجارها، قـال: فـأتي بـذلك الفسـتق والصَّنوبر، فـألقي فيهـا، ثم أقبل أبو مرحـوم على أصـحابه، فقـال: يا إخـواني، كيف أصـبحت الـدنيا؟ قـالوا: مشـرقٌ لونهـا، مبيضة شمسـها، مجـرىً فيها أنهارها، وقد غرست فيها أشـجارُها، وقد تـدلت لنا ثمارها، قال: يا إخواني ارموا الدُّنيا بحجارتها، قـال: فــأتي بــذلك السُّــكر فــأُلقي فيهــا، ثم أقبل أبو مرحــوم على أصــحابه، فقــال: يا إخــواني، كيف أصبحت الدنيا؟ قالوا: مشرقٌ لونُها مبيضـةٌ شمسُـها

وقد أُجــــــريت فيها أنهارُهـــــــا، وقد غُرست فيها أشجارُها، وقد تدلَّت لنا ثمارُها، فقال: يا إخواني ما لنا وللدنيا، اضربوا فيها براحتها، قال: فجعل الرجُلُ يضـــربُ فيها براحته ويدفعه بـــالخمس[1]. قـــال أبو الفضل أحمد بن سـلمة: ذكرته لأبي حـاتم الـرَّازي، فقـال: أملِـهِ عليَّ فأمليته عليـه، فقـال: هـذا شـأنُ الصُّوفية.

قال المصنف رحمه اللـــه: قلت: وقد رأيت منهم من إذا حضر دعوةً بالغ في الأكـل، ثم اختـار من الطعام، فربما ملأ كُمَّيهِ من غير إذن صاحب الدار وذلك حــرامٌ بالإجمـاع، ولقد رأيت شـيخًا منهم قد أخذ شـيئًا من الطعـام ليحمله معه فـوثب صـاحب الدار فأخذه منه.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في السَّماع والرقص والوجد

قال المصنف رحمه الله: اعلم أن سماع الغنــاء يجمع شـيئين، أحــدهما: أنه يُلهي القلب عن التفكر في عظمة الله سبحانه والقيـام بخدمتـه، والثـاني: أنـــهُ يُمِيلـــهُ إلى اللَّذات العاجلة الـــتي تـــدعو إلى اســـتيفائها من جميع الشَّـــهوات الحسِّـــيَّة ومعظمها النِّكـــاح، وليس تمـــام لذّته إلا في المُتجـــدِّدات، ولا سبيل إلى كثرة المتجدِّدات من الحلِّ، فلذلك يحُثُّ

1 (?) ذكره الخطيب فى تاريخ بغداد 2/380.

على الزِّنا، فبين الغناء والزّنا تناسُبٌ، من جهة أن الغناء لذَّةُ الرّوح، والزِّنا أكبرُ لذَّات النَّفس، ولهذا جاء في الحديث: «الغناء رُقيةُ الزِّنا»[1].

وقد ذكر أبو جعفر الطبري أن الذي اتخذ الملاهي رجلٌ من ولد قابيل يقال له: ثوبال. اتخذ في زمان مهلائيل بن قينان آلات الله ومن المزامير والطبول والعيدان، فانهمك ولد قابيل في اللهو وتناهى خبرهم إلى من بالجبل من نسل شيث فنزل منهم قوم وفشت الفاحشةُ وشُربُ الخمور.

قال المصنف رحمه الله: وهذا لأن الالتذاذ بشيء يدعو إلى التذاذه بغيره خصوصًا ما يناسبه، ولما يئس إبليسُ أن يسمع من المتعبِّدين شيئًا من الأصوات المحرَّمة كالعود نظر إلى المغنى الحاصل بالعُود فدرجه في ضمن الغناء بغير العود وحسَّنهُ لهم وإنما مراده التدريج من شيء إلى شيء.

والفقيهُ من نظر في الأسباب والنتائج وتأمَّل المقاصد فإن النظر إلى الأمرد مباحٌ إن أمن ثوران الشهوة، فإن لم يُؤمن لم يَجُزْ، وتقبيل الصبيَّة التي لها من العمر ثلاث سنين جائز إذ لا

---

[1] (?) موضوع: ذكر الملا على القارئ فى الأسرار المرفوعة 1/164 وقال: «قال النووى فى شرح مسلم: هو من أمثالهم المشهورة».

شـهوة تقع هنـاك في الأغلب، فـإن وجد شـهوة حـرم ذلـك، وكـذلك الخلـوةُ بـذوات المحـارم فـإن خيف من ذلك حرم، فتأمل هذه القاعدة.

رأي الصوفية فى الغناء

قال المصنف رحمه اللـه: وقد تكلم النـاس في الغناء فأطالوا، فمنهم من حرمه، ومنهم من أباحه من غير كراهة، ومنهم من كرهه من الإباحة.

وفصـلُ الخطـاب أن نقـول: ينبغي أن ينظر في ماهيَّة الشـيء ثم يطلق عليه التحـريم أو الكراهة أو غير ذلك.

والغنـاء اسم يطلق على أشـياء منهـا: غنـاء الحجيج في الطرقـات، فـإن أقوامًا من الأعـاجم يقـدمون للحج فينشـدون في الطرقـات أشـعارًا يصـفون فيها الكعبة وزمـزم والمقـام وربما ضـربوا مع إنشـادهم بطبـلٍ، فسـماعُ تلك الأشـعار مبـاح وليس إنشـادهم إياها مما يطرب ويخرج عن الاعتدال، وفي معـنى هـؤلاء الغـزاة: فإنهم ينشـدون أشـعارًا يُحرِّضُـون بها على الغـزو. وفي معنى هذا إنشاد المبارزين للقتـال للأشـعار تفـاخرًا عند النِّزال، وفي معنى هـذا أشـعار الحُـداة في طريق مكة كقول قائلهم: (الرجز)

بشَّرها دليلُها   غدًا ترين

فكيف وهـذا يُحـرِّكُ الإبل والآدميَّ؟ إلا أن ذلك التحريك لا يُـوجب الطـرب المُخـرج عن حـدِّ

الاعتدال.

وأصل الحداء ما أنبأنا به يحــيى بن الحسن بن البنــاء، نا أبو جعفر بن المســلمة، نا المخلص، نا أحمد بن سـليمان الطُّوسـي، ثنا الزبـير بن بكـار، ثني إبراهيم بن المنذر، ثنا أبو البختري وهب، عن طلحة المكي، عن بعض علمائهم: «أن رسـول الله مــال ذات ليلــةٍ بطريق مكة إلى حــادٍ مع قــومٍ فسلَّم عليهم فقال: إنَّ حادينا نام فسـمعنا حـاديكُم فمِلتُ إليكم، فهل تدرون أنَّى كان الحِـداء؟ قـالوا: لا واللــه، قــال: إن أبــاهم مُضر خــرج إلى بعض رُعاتِهِ فوجد إبلهُ قد تفرقت فأخذ عصًا فضرب بها كـفَّ غُلامه فعـدا الغلامُ في الـوادي وهو يصـيحُ: يا يـداهُ يا يـداهُ فسـمعتِ الإبـلُ ذلك فعطفت عليـه، فقـال مضـرُ: لو اشـتقَّ مثل هـذا لانتفعت به الإبل واجتمعت، فاشتق الحُداء»[1].

قال المصنف رحمه الله: وقد كان لرسـول الله حـادٍ يقـال له أنجشـةُ يحـدو فتُعنـقُ[2] الإبـل، فقـال رســول الله صــلى الله عليه وســلم: «يا أنجشــةُ

---

1 (?) موضوع: ذكره الألبانى فى الضعيفة (554) وقال: «وهـذا مع إرساله موضوع، والمتهم به أبو البخـترى...». قـال الـذهبى فيه: متهم فى الحديث، قال يحيى بن معين: كـان يكـذب عـدو الله، وقال أحمد: كان يضع الحديث.

2 (?) تعنق: العنق بفتحتين: نوع من السير، سـريع فسـيح للإبل والخيل.

رُويدك سوقًا بالقوارير»[1].

وفي حديث سلمة بن الأكوع قال: «خرجنا مع رسول الله إلى خيبر فسِرنا ليلاً فقال رجلٌ من القوم لعامر بن الأكوع: ألا تُسمعُنا من هُنيَّاتِك؟ وكان عامرٌ رجلاً شاعرًا فنزل يحدو بالقول يقول: (الرجز)

اللهمّ لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدَّقنا ولا صلّينا
فألقين سكينةً علينا ... وثبِّتِ الأقدام إن لاقينا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من هذا السائق؟» قالوا: عامرُ بن الأكوع، فقال: «يرحمه الله»[2].

قال المصنف رحمه الله: وقد روينا عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: أما استماع الحداء ونشيد الأعراب فلا بأس به.

قال المصنف رحمه الله: ومن إنشاد العرب قولُ أهل المدينة عند قدوم رسول الله عليهم: (مجزوء الرمل)

طلع البدرُ علينا ... من ثنيَّات الوداع
وجب الشكرُ علينا ... ما دعا لله داع

ومن هذا الجنس كانوا يُنشدُون أشعارهم

---

[1] (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الأدب (6149، 6161)، ومسلم فى الفضائل (2323/70، 71) من حديث أنس بن مالك.

[2] (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الأدب (6148)، ومسلم فى الجهاد (1802/123، 124).

بالمدينة، وربما ضربوا عليه بالدف عند إنشاده.

ومنه ما أخبرنا به ابن الحصين، نا ابن المذهب، نا أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله ابن أحمد، حدثني أبي، ثنا أبو المغيرة، ثنا الأوزاعي، ثني الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها: «أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام مِنى تضربان بدُفَّين ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُسجًّىً عليه بثوبه - فانتهرهما أبو بكر - فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال: «دعهنَّ يا أبا بكر فإنها أيامُ عيدٍ»[1]. أخرجاه في الصحيحين.

قال المصنف رحمه الله: والظاهر من هاتين الجاريتين صِغَرُ السنِّ، لأن عائشة كانت صغيرة وكان رسول الله يُسرِّبُ إليها الجواري فيلع بن معها[2].

وقد أخبرنا محمد بن ناصر، نا أبو الحسين بن عبد الجبار، نا أبو إسحاق البرمكي، أنبأنا عبد العزيز بن جعفر، ثنا أبو بكر الخلال، أخبرنا منصور بن الوليد بن جعفر بن محمد، حدثهم: قال: قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: حديث

---

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى العيدين (952، 987)، ومسلم فى صلاة العيدين (892/16، 17).

2 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الأدب (6130)، ومسلم فى فضائل الصحابة (2440/81) من حديث عائشة.

الزُّهري، عن عروة، عن عائشة عن جوارٍ يغنين أي شيء هذا الغناء؟ - قال: غناء الرَّكب: أتيناكم أتيناكم.

قال الخلاّل: وحدثنا أحمد بن فرج الحمصي، ثنا يحيى بن سعيد، ثنا أبو عقيل، عن بُهيَّة، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كانت عندنا جاريةٌ يتيمة من الأنصار فزوَّجناها رجلاً من الأنصار فكنت فيمن أهداها إلى زوجها، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عائشة إن الأنصار أناسٌ فيهم غزلٌ، فما قلتِ؟ قالت: دعونا بالبركة، قال: أفلا قلتم: (الهزج)

أتيناكُم أتيناكَم ... فحيُّونا نُحيِّيكَم
ولولا الذهب ... ما حلَّتْ
ولولا الحبَّةُ ... عذاريكَم[1]

أَخْبَرَنَا أبو الحُصين، نا ابن المذهب، نا أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله بن أحمد، ثني أبي، ثنا أسود بن عامر، نا أبو بكر، عن أجلح، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: قال رسول الله

---

1 (?) حسن لغيره: أخرجه الطبرانى فى الأوسط (3265)، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد 4/289 وقال: «وفيه رواد بن الجراح وثقة أحمد وابن معين وابن حبان وفيه ضعف».
والحديث له أصل عند البخارى فى النكاح (5162)، وصححه الحاكم فى المستدرك 2/184، والبيهقى فى السنة الكبرى 7/288.

لعائشة رضي الله عنهـا: «أهـديتم الجارية إلى بيتهـا؟» قالت: نعم. قال: فهلاَّ بعثتم معها من يغنيهم يقول:

أتيناكُمْ أتيناكَمْ فحيُّونا نُحيِّيكَمْ

فإن الأنصار قوم فيهم غزلٌ[1].

قال المصنف رحمه الله: فقد بان بما ذكرنا ما كانوا يغنون به وليس مما يُطربُ ولا كـانت دُفـوفُهُنَّ على ما يُعـرَفُ اليـوم، ومن ذلك أشـعارٌ يُنشـدُها المتزهـدون بتطـريبٍ وتلحينٍ تـزعجُ القلـوب إلى ذكر الآخـرة ويُسمونها الزُّهديات كقول بعضهم: (الرجز)

يا غاديًا في غفلةٍ إلى متى تستحسن
وكمْ إلى كمْ لا يستنطقُ الله به
يا عجبًا منك وأنت كيف تجنبت

فهـذا مبـاح أيضًـا، وإلى مثله أشـار أحمـدُ بن حنبل في الإباحة فيما أنبأنا به أبو عبد العزيز كـاوس، نا المظفر بن الحسن الهمـذاني، نا أبو بكر بن لال ثنا الفضل الكنـدي، قـال سـمعت

1 (?) حسن لغـيره: أخرجه النسـائى فى الكـبرى فى النكـاح (5566) وأحمد فى المسـند 3/391، والـبزار 2/164، وذكـره الهيثمى فى مجمع الزوائد 4/289 وقال: «وفيه الأجلح الكندى وثقه ابن معين وغـيره، وفيه ضـعف، وبقية رجاله ثقـات»، والـبيهقى فى السـنة الكـبرى 7/289. وأخرجه ابن ماجه فى النكاح (1900) من حديث ابن عباس، وفى الزوائـد: «إسـناده مختلف فيه من أجل الأجلح وأبى الزبير، يقولون: أنه لم يسمع من ابن عباس وأثبت أبو حاتم أنه رأى ابن عباس».

عبدوس يقول: سمعت أبا حامد الخُلقاني يقول لأحمد بن حنبل: يا أبا عبد الله هذه القصائد الرِّقاق التي في ذكر الجنة والنار أي شيء تقول فيها؟

فقال: مثل أي شيء؟ قلت: يقولون: (الهزج)

إذا ما قال لي ربي أما استحييت تعصيني
وتُخفي الذنب من خلقي وبالعصيان تأتيني

فقال: أعِد عليَّ. فأعدتُ عليه، فقام ودخل بيته وردَّ الباب، فسمعتُ نحيبه من داخل البيت وهو يقول:

إذا ما قال لي ربي أما استحييت تعصيني
وتُخفي الذنب من خلقي وبالعصيان تأتيني

ومن الأشعار أشعارٌ تُنشدها النواح، يثيرون بها الأحزان والبكاء، فينهى عنها لما في ضمنها.

فأما الأشعار التي ينشدها المغنون المُتهيّئون للغناء ويصفون فيها المُستحسنات والخمر وغير ذلك مما يُحرِّكُ الطباع ويخرجُها عن الاعتدال ويثير كامنها من حُبِّ اللهو، وهو الغناء المعروف في هذا الزّمان مثل قول الشاعر: (المديد)

ذهبيُّ اللون تحسبُ من وجنتيه النار تقتدحُ
خوَّفوني من فضيحته ليتهُ وافى وأفتضحُ

وقد أخرجوا لهذه الأغاني ألحانًا مختلفة كلها تُخرجُ سامعها عن حيز الاعتدال، وتُثيرُ حُبَّ الهوى،

ولهم شـيءٌ يسـمونه البسـيط يُـزعجُ القلـوب عن مهل، ثم يأتون بالنشيد بعده فيعجعج القلوب، وقد أضافوا إلى ذلك ضرب القضـيب والإيقـاع به على وفق الإنشاد والدُّف بالجلاجل، والشَّـبابة النائبة عن الزَّمْر، فهذا الغناء المعروف اليوم.

(فصل):

قـال المصـنف رحمه اللـه: وقبل أن نتكلم في إباحته، أو تحريمه، أو كراهته، نقــول: ينبغي للعاقل أن ينصح نفسه وإخوانه، ويحذر تلـبيس إبليس في إجـراء هـذا الغنـاء مجـرى الأقسـام المتقدمة الـتي يطلق عليها اســمُ الغنـــاء. فلا يحمل الكل محملاً واحدًا فيقول: قد أباحه فلان وكرهه فلان.

فنبــدأ بــالكلام في النصـيحة للنفس والإخــوان فنقول:

معلــوم أن طبــاع الآدمــيين تتقــارب ولا تكــادُ تتفاوتُ، فإذا ادَّعى الشَّاب السّـليمُ البـدن الصـحيح المـزاج أن رؤية المستحسـنات لا تزعجه ولا تـؤثر عنـــده ولا تضـــره في دينه كـــذَّبناه لما نعلمُ من اســتواء الطبــاع، فــإن ثبت صــدقُهُ عرفنا أنَّ به مرضًا خرج به عن حيز الاعتدال، فإن تعلَّل فقال: إنما أنظر إلى هذه المستحسـنات معتـبرًا فـأتعجب من حُسن الصــنعة في دعج العيــنين، ورقَّة الأنف ونقــاء البيــاض، قلنا لــه: في أنــواع المباحــات ما

يكفي في العبرة، وها هنا ميل طبعك يشغلك عن الفكرة ولا يدع لبلوغ شهوتك وجود فكرة، فإن ميل الطبع شاغل عن ذلك.

وكذا من قال إن هذا الغناء المطرب المزعج للطِّباع المُحرِّك لها إلى العشق وحُبِّ الدنيا لا يُؤثرُ عندي ولا يلفتُ قلبي إلى حبِّ الدنيا الموصوفة فيه، فإنا نُكذِّبُهُ لموضع اشتراك الطِّباع، ثم إن كان قلبه بالخوف من الله عز وجل غائبًا عن الهوى لأحضر هذا المسموع الطبع، وإن كانت قد طالت غيبته في سفر الخوف، وأقبح القبيح البهرجة، ثم كيف تمر البهرجة على من يعلم السر وأخفى.

ثم إن كان الأمر كما زعم هذا المتصوف فينبغي أن لا نبيحه إلا لمن هذه صفته، والقومُ قد أباحوه على الإطلاق للشاب المبتدئ، والصبي الجاهل، حتى قال أبو حامد الغزالي: إن التشبيب بوصف الخدود، والأصداغ، وحسن القدِّ، والقامة، وسائر أوصاف النساء. الصحيح: أنه لا يحرم.

قال المصنف رحمه الله: فأما من قال: إني لا أسمع الغناء للدنيا، وإنما آخُذُ منه إشارات، فهو يُخطئ من وجهين:

أحدهما: أن الطبع يسبقُ إلى مقصوده قبل أخذ الإشارات فيكون كمن قال: إني أنظرُ إلى هذه

المرأة المُستحسنة لأتفكر في الصنعة.

والثاني: أنه يقل فيه وجود شـيء يُشـارُ به إلى الخـالق وقد جـلَّ الخـالق تبـارك وتعـالى أن يقـال في حقِّه أنه يعشق، ويقع الهيمانُ به، وإنما نصيبنا من معرفته الهيبة والتعظيم فقـــط، وإذ قد انتهت النصيحةُ فنذكر ما قيل في الغناء.

مذهب الإمام أحمد

أما مـذهب أحمد رحمه اللـه: فإنه كـان الغنـاء في زمانه إنشاد قصـائد الزهـد، إلا أنهم لما كـانوا يلحنونها اختلفت الرواية عنــه. فــروى عنه ابنه عبد الله أنه قـــال: الغنـــاء يُنبِتُ النِّفـــاق في القلب، لا يعجبـني. وروى عنه إسـماعيل بن إسـحاق الثقفي: أنه سـئل عن اسـتماع القصـائد فقـال: أكرهُـهُ، هو بدعـــة، ولا يجالســـون. وروى عنه أبو الحـــارث أنه قـــال: التغيـــير بدعـــة، فقيل لـــه: إنه يرقق القلب، فقال: هو بدعة. وروى عنه يعقوب الهاشمي: التغيير بدعة محـدث. وروى عنه يعقـوب بن غيـاث: أكـره التغيير وأنه نهى عن استماعه.

قـال المصـنف: فهـذه الروايـات كلّها دليـلٌ على كراهية الغناء.

قـــال أبو بكر الخلاَّل: كـــره أحمـــدُ القصـــائد لمَّا قيل له: إنهم يتماجنون، ثم روى عنه ما يدُلُّ على أنه لابأس بها.

قال المروزي: سألت أبا عبد الله عن القصـائد. فقال: بدعة. فقلت لـه: إنهم يهجـرون. فقـال: لا يبلغ بهم هذا كله.

قـال المصـنف: وقد روينا أن أحمد سـمع قـوَّالاً عند ابنه صالح فلم ينكر عليـه. فقـال له صـالح: يا أبتِ أليس كُنْت تُنكر هـذا؟ فقـال: إنما قيل لي إنهم يستعملون المنكر فكرهته، فأما هـذا فـإني لا أكرهه.

قال المصنف رحمه الله: قلت: وقد ذكر أصحابنا عن أبي بكر الخلاّل وصـاحبه عبد العزيز إباحة الغنـاء، وإنما أشـار إلى ما كـان في زمانهما من القصائد الزهديات.

وعلى هـذا يحمل ما لم يكرهه أحمـد، ويـدلُّ على ما قلتُ أنَّ أحمد بن حنبل سـئل عن رجل مات وترك ولدًا وجارية مغنية، فاحتاج الصـبي إلى بيعها، فقال: لا تباعُ على أنها مغنية، فقيل لـه: إنها تسـاوي ثلاثين ألف درهم ولعلَّها إذا بيعت سـاذجة تساوي عشـرين دينـارًا. فقـال: لا تبـاع إلا على أنها ساذجة.

قـال المصـنف: وإنما قـال هـذا لأن الجارية المغنية لا تغـني بقصـائد الزهـديات بل بالأشـعار المطربة المثـيرة للطبع إلى العشـق، وهـذا دليل على أن الغناء محظور إذ لو لم يكن محظـورًا ما

أجاز تفويت المال على اليـتيم، وصـار هـذا كقـول أبي طلحة للنــبي «عنــدي خمــرٌ لأيتــام، فقــال: أرِقْهَـا»[1]. فلو جـاز استصـلاحها لما أمـره بتضـييع أموال اليتامى.

وروى المــروزي عن أحمد بن حنبل أنه قــال: كســبُ المُخنَّث خـبيثٌ يكسـبه بالغنـاء، وهـذا لأن المخنث لا يغـــني بالقصـــائد الزهدية إنما يغـــني بالغزل والنوح، فبان من هذه الجملة أن الروايـتين عن أحمد في الكراهة وعـــدمها تتعلق بالزهـــديات الملحنـــة، فأما الغنـــاء المعـــروف اليـــوم فمحظـــور عنـــده، كيف ولو علم ما أحـــدث النـــاسُ من الزيادات.

مذهب الإمام مالك

قال المصنف: وأما مذهب مالك بن أنس رحمه الله فأخبرنا به ابن ناصر نا أبو الحســين بن عبد الجبـار، نا أبو إسـحاق الـبرمكي، نا عبد العزيز بن جعفـر، ثنا أبو بكر الخلاّل، وأخبرنا عاليًا سـعيد بن الحسن بن البنــــــا، نا أبو نصر محمد بن محمد الزَّينَـــبي، نا أبو بكر محمد بن عمر الـــوَرَّاق، نا محمد بن السَّــريِّ بن عثمــان التمَّار، قــالا: أخبرنا عبد الله بن أحمـــد، عن أبيـــه، عن إســـحاق بن

---

[1] (?) صحيح: أخرجه أبو داود فى الأشربة (3675)، والترمـذى فى البيوع (1293)، وأحمد فى المسند 3/119.
وأخرجه مسلم فى الأشربة (1983/11) مختصرا.

عيسى الطبَّاع، قال: سألتُ مالك بن أنس عن ما يترخص فيه أهلُ المدينة من الغناء. فقال: إنما يفعله الفُسَّاق.

أَخْبَرَنَا هبة الله بن أحمد الحريري، قال: أنبأنا أبو الطيب الطبري، قال: أما مالك بن أنس فإنه نهى عن الغناء وعن استماعه، وقال: إذا اشترى جارية فوجدها مغنيةً كان له ردُّها بالعيب، وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم بن سعد وحده، فإنه قد حكى زكريا السَّاجي أنه كان لا يرى به بأسًا.

مذهب أبي حنيفة

وأما مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه. أخبرنا هبة الله بن أحمد الحريري، عن أبي الطيب الطبري قال: كان أبو حنيفة يكره الغناء مع إباحته شُرب النبيذ ويجعل سماع الغناء من الذنوب. قال: وكذلك مذهب سائر أهل الكوفة: إبراهيم، والشعبي، وحماد، وسفيان الثوري، وغيرهم: لا اختلاف بينهم في ذلك.

قال: ولا يعرف بين أهل البصرة خلافٌ في كراهة ذلك والمنع منه إلا ما روى عبيد الله بن الحسن العنبري أنه كان لا يرى به بأسًا.

مذهب الشافعي

وأما مذهب الشافعي رحمة الله عليه. قال:

حـــدثنا إســـماعيل بن أحمـــد، نا حمد بن أحمد الحـداد، نا أبو نُعَيْم الأصـفهاني، ثنا محمد بن عبد الـــرحمن، ثنا أحمد بن محمد ابن الحـــارث، ثنا محمد بن إبـــراهيم بن جنـــاد، ثنا الحسن بن عبد العزيز الجـــروي، قـــال: ســـمعت محمد بن إدريس الشـــافعي يقـــول: خلفتُ بـــالعراق شـــيئًا أحدثته الزنادقة يسـمونه التغيـير يشـغلون به النـاس عن القرآن.

قال المصـنف رحمه اللـه: وقد ذكر أبو منصـور الأزهـري: المُغيّـرة قـومٌ يغيّـرون بـذكر الله بـدعاءٍ وتضرعٍ وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر في ذكر الله عز وجل تغيـــيرًا كـــأنهم إذا شـــاهدوها بالألحان طربوا ورقصوا فسُموا مُغيّرة لهذا المعنى.

وقال الزجـاج: سـموا مغيّـرين لتزهيـدهم النـاس في الفاني من الدنيا وترغيبهم في الآخرة.

وحـــدثنا هبة الله بن أحمد الحريـــري، عن أبي الطيب طـــاهر بن عبد الله الطـــبري، قـــال: قـــال الشـافعي: الغنـاء لهـوٌ مكـروه يشـبه الباطـل، ومن اسـتكثر منه فهو سـفيه تُـردُّ شـهادته. قـال: وكـان الشافعي يكره التغيير.

قـال الطـبري: فقد أجمع علمـاء الأمصـار على كراهية الغنـــاء والمنع منـــه، وإنما فـــارق الجماعة إبـراهيم ابن سـعد وعبيد الله العنـبري، وقد قـال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالسواد الأعظم فإنَّه من شذ شذ في النـــار»[1]، وقـــال: «من فارق الجماعة مات ميتةً جاهلية»[2].

قـال المصـنف: قلت: وقد كـان رؤسـاء أصـحاب الشـافعي رضي الله عنهم يُنكـرون السـماع، وأما قـــدماؤهم فلا يعـــرف بينهم خلاف، وأما أكـــابر المتأخرين فعلى الإنكار، منهم: أبو الطيب الطـبري، وله في ذم الغناء والمنع كتـاب مصـنف، حـدثنا به عنه أبو القاسم الحريــري، ومنهم: القاضي أبو بكر محمد بن مظفر الشــامي، أنبأنا عبد الوهــاب ابن المبـارك الأنمـاطي عنه قـال: لا يجـوز الغنـاء ولا سـماعه ولا الضـرب بالقضـيب، قـال: ومن أضـاف إلى الشـــافعي هـــذا فقد كـــذب عليـــه. وقد نص الشافعي في كتاب «أدب القضاء» على أن الرجل إذا دام على سـماع الغنـاء رُدَّت شـهادته وبطلت عدالته.

---

1 (?) ضعيف: أخرجه الحاكم فى المستدرك 1/115، 116، وابن أبى عاصم فى السنة (80) من حديث ابن عمـر، وفى إسـناده سـليمان بن سـفيان ضـعيف كما فى التقـريب، والحـديث فيه اضطراب ولذلك قال الحـاكم: «لو حفظ هـذا الحـديث لحكمنا له بالصـــحة، ولكن اختلف فيه على معتمر بن ســـليمان على سبعة أقوال» فذكرها.

2 (?) صـحيح: أخرجه مسـلم فى الإمـارة (1848/53، 54)، وأحمد فى المسند 2/306، 488 من حديث أبى هريرة.
وأخرجه مسلم فى الإمارة (1849/55) من حديث ابن عباس.

قال المصنف رحمه الله: قلت: فهذا قول علماء الشافعية وأهل التديُّن منهم، وإنما رخص في ذلك من متأخريهم من قلَّ علمه وغلبه هواه.

وقال الفقهاء من أصحابنا: لا تقبل شهادة المغني والرقاص، والله الموفق.

(فصل): في ذكر الأدلة على كراهية الغناء والنوح والمنع منهما

قال المصنف: وقد استدل أصحابنا بالقرآن والسنة والمعنى:

فأما الاستدلال من القرآن فثلاث آيات:

الآية الأولى: قوله عز وجل: ﴿**ومن الناس من يشترى لهو الحديث**﴾ [لقمان: 6].

أَخْبَرَنَا عبد الوهاب بن المبارك، ويحيى بن علي، قالا: نا أبو محمد الصَّريفيني، نا أبو بكر ابن عبدان، ثنا عبد الله بن منيع، ثنا عبيد الله بن عمر، ثنا صفوان بن عيسى، قال: قال حميد الخرَّاط: أخبرنا عن عمار بن معاوية، عن سعيد بن جبير، عن أبي الصهباء، قال: سألت ابن مسعود عن قول الله عز وجل: ﴿**ومن الناس من يشترى لهو الحديث**﴾، قال: هو والله الغناءُ.

أَخْبَرَنَا عبد الله بن علي المقري، ومحمد بن ناصر الحافظ، قالا: نا طِراد بن محمد، نا ابن

بشـران، نا ابن صـفوان، ثنا أبو بكر القرشـي، ثنا زهير بن حرب، ثنا جرير، عن عطـاء بن السـائب، عن ســـعيد بن جبـــير، عن ابن عبـــاس: ﴿**ومن النــاس من يشــترى لهو الحــديث**﴾. قــال: هو الغناء وأشباهه.

أَخْبَرَنَا عبد الله بن محمد الحـــاكم. ويحـــيى بن علي المدبر، قالا: نا أبو الحسين بن النقور، نا ابن حيُّويه، ثنا البغـوي، ثنا هدبـة، ثنا حمـاد بن سـلمة، عن حميد عن الحسن ابن مســـلم، عن مجاهـــد: ﴿**ومن الناس من يشترى لهو الحديث**﴾ قــال: الغناء.

أَخْبَرَنَا ابن ناصر، نا المبـارك بن عبد الجبـار، نا أبو إسـحاق الـبرمكي، نا أحمد بن جعفر بن سَـلْم نا أحمد بن محمد بن عبد الخـــــــالق ثنا أبو بكر المـــــــروزي ثنا أحمد بن حنبل ثنا عبـــــــدة، ثنا إســـماعيل، عن ســـعيد ابن يســـار، قـــال: ســـألت عِكْرمة عن لهو الحديث قـال: الغنـاء، وكـذلك قـال الحسن وسعيد بن جبير وقتادة وإبراهيم النخعي.

الآية الثانية: قوله عز وجـل: ﴿**وأنتم سـامدون**﴾ [النجم: 61].

أَخْبَرَنَا عبد الله بن علي، نا طِراد بن محمد، نا ابن بشران، نا ابن صـفوان، ثنا أبو بكر القرشـي، ثنا عبيد الله بن عمـر، ثنا يحـيى بن سـعيد، عن

سفيان، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿**وأنتم سامدون**﴾ قال: هو الغناء، بالحميرية، سمد لنا: غنى لنا. وقال مجاهد: هو الغناء، يقول أهل اليمن: سَمَدَ فلان: إذا غنى.

الآية الثالثة: قوله عز وجل: ﴿**واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك**﴾ [الإسراء: 64].

أَخْبَرَنَا موهوب بن أحمد، نا ثابت بن بُنْدار، نا عمر بن إبراهيم الزهري، نا عبد الله ابن إبراهيم بن ماسي، ثنا الحسين بن الكميت، ثنا محمد بن نعيم عن القاسم الجرمي، عن سفيان الثوري، عن ليث، عن مجاهد: ﴿**واستفزز من استطعت منهم بصوتك**﴾. قال: هو الغناء والمزامير.

أما السنة: أخبرنا ابن الحصين، نا ابن المذهب، نا أحمد بن جعفر، نا عبد الله بن أحمد، ثني أبي، ثنا الوليد بن مسلم، ثنا سعيد بن عبد العزيز، عن سليمان بن موسى، عن نافع، عن ابن عمر، رضي الله عنه أنه سمع صوت زمَّارة راعٍ فوضع أصبعيه في أذنيه وعدل راحلته عن الطريق، وهو يقول: يا نافع أتسمع؟ فأقول: نعم، فيمضي، حتى قلت: لا، فوضع يديه وأعاد راحلته إلى الطريق وقال: «رأيت رسول الله سمع زمارة

راعٍ فصنع مثل هذا»[1].

قال المصنف رحمه الله: إذا كان هذا فِعلُهم في حق صوت لا يخرج عن الاعتدال فكيف بغناء أهل الزمان وزمورهم.

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصر، نا المبارك بن عبد الجبار، نا الحسين بن محمد النَّصيبي، ثنا إسماعيل بن سعيد بن سويد، ثنا أبو بكر بن الأنباري، ثنا عبيد بن عبد الواحد بن شريك البزار، ثنا ابن أبي مريم ثنا يحيى بن أيوب، عن عبيد الله بن زَحْر، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة، قال: نهى رسول الله عن شراء المغنيات وبيعهن وتعليمهن، وقال: «ثمنهن حرام»، وقرأ: ﴿**ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوًا أولئك لهم عذاب مهين**﴾[2] [لقمان: 6].

---

1 (?) فيه خلاف: أخرجه أبو داود فى الأدب (4924) وقال: «هذا حديث منكر»، وأحمد فى المسند 2/8، والبيهقى فى السنة الكبرى 10/222، وقال الشيخ شاكر فى تحقيق المسند (4535): «إسناده صحيح»، وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود. وقد ورد فى عون المعبود 4/434: «لا يعلم وجه النكارة، بل إسناده قوى، وليس بمخالف لرواية الثقات».

2 (?) حسن لغيره: أخرجه الترمذى فى البيوع (1282)، وابن ماجه فى التجارات (2168)، وأحمد فى المسند 5/252، 264، وفى إسناده علىّ بن يزيد يضعف فى الحديث، قال الترمذى. والحديث ورد من طرف بعضها حسن، وبعضها ضعيف، وحسنه الألبانى فى صحيح الترمذى.

أَخْبَرَنَا عبد الله بن علي المقري، نا أبو منصور محمد بن محمد المقـــــــري، نا أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن بشران، نا عمر بن محمد بن عبد الرحمن الجُمحي، ثنا منصـور بن أبي الأسـود، عن أبي المهلَّب، عن عبيد الله بن زَحْر عن علي بن يزيد عن القاســم، عن أبي أُمامة قـــال: نهى رسـول الله عن بيع المغنيـات وعن التجـارة فيهن وعن تعليمهن الغناء، وقـال: «ثمنهن حـرام»، وقـال في هـذا، أو نحــوه، أو: وقـال شــبهه نــزلت عليَّ **﴿ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن ســـبيل الله﴾**. وقـــال: «ما من رجل يرفع عقــيرة صــوته للغنــاء إلا بعث الله له شــيطانين يرتدفانه أعــني هــذا عن ذا الجــانب وهــذا من ذا الجــانب ولا يــزالان يضــربان بأرجلهما في صــدره حتى يكون هو الذي يسكت»[1].

وروت عائشة رضي الله عنها عن النـــــبي أنه قال: «إنّ الله عز وجل حـرم المغنية وبيعها وثمنها وتعليمها والاســتماع إليها ثم قــرأ: **﴿ومن النــاس من يشترى لهو الحديث﴾**»[2].

---

1 (?) ضعيف جدًا: أخرجه الطبراني فى الكبير 8/212، وذكـره الهيثمى فى مجمع الزوائد 8/119 وقـــال: «رواه الطـــبرانى بأسانيد، ورجـال أحـدهما وثقـوا وضـعفوا»، وقـال الألبـانى فى الضعيفة (931): «ضعيف جدًا».

2 (?) ضـعيف: أخرجه الطـبرانى فى الأوسط (4513)، وذكـره الهيثمى فى مجمع الزوائد 4/91 وقــال: «وفيه اثنـــان لم أجد

وروى عبد الـرحمن بن عـوف عن النـبي أنه قـال: «إنما نهيت عن صـوتين أحمقين فـاجرين صوت عند نغمة وصوت عند مصيبة»[1].

أَخْبَرَنَا ظفر بن علي، نا أبو علي الحسن بن أحمد المقتدي، نا أبو نُعيم الحافـظ، نا حـبيب ابن الحسن، عن الحسن بن علي بن الوليد، ثنا محمد بن كليب، ثنا خَلَف بن خليفـة، عن أبَـانَ المكتب، عن محمد ابن عبد الـرحمن، عن عطـاء بن أبي ربـاح، عن ابن عمر قـال: دخلت مع رسـول الله فإذا ابنه إبراهيم يجـودُ بنفسه فأخـذه رسـول الله فوضعه في حِجره ففاضت عينـاه فقلت: يا رسـول الله أتبكي وتنهانا عن البكـاء؟ فقـال: «لست أنهى عن البكاء إنما نهيتُ عن صـوتين أحمقين فـاجرين صـوت عند نغمة لعب ولهو ومزامـير الشـيطان، وصوت عند مصيبة ضـرب وجه وشق جيـوب ورنة شيطان»[2].

أَخْبَرَنَا عبد الله بن علي المقـري، نا جـدي أبو منصور محمد بن أحمد الخيـاط، نا عبد الملك ابن

من ذكرهما، وليث بن أبى سليم وهو مدلس»، وقـال العـراقى فى تخريج أحاديث الإحياء 2/282: «بإسناد ضعيف».

1 (?) حسن: أخرجه الترمذى فى الجنائز (1005) وقـال: «هـذا حديث حسن»، والـبيهقى فى السـنن الكـبرى 4/69، وحسـنه الألبانى كما فى صحيح الترمذى وانظر: مجمع الزوائد 3/17.

2 (?) حسن: أخرجه أبو داود الطيالسى (1683)، والبيهقى فى السنن الكبرى 4/69، وأنظر: التخريج السابق.

محمد بن بشـــــران، ثنا أبو علي أحمد بن الفضل بن خزيمة، ثنا محمد بن سويد الطحان، ثنا عاصم بن علي، ثنا عبد الرحمن بن ثابت، عن أبيـه، عن مكحول عن جُبـير بن نُفـير، عن مالك ابن يخـامر الثقـــة، عن عكرمـــة، عن ابن عبـــاس رضي الله عنـــه، أن النـــبي قـــال: «بُعثت بهـــدم المزمـــار والطبل»[1].

أَخْبَرَنَا ابن الحصـين، نا أبو طـالب بن غيلان، نا أبو بكر الشـــــــــافعي، ثنا عبد الله بن محمد بن ناجيـة، ثنا عبـاد بن يعقـوب، ثنا موسى بن عمـير، عن جعفر بن محمـــد، عن أبيـــه، عن جـــده، عن علي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بُعثت بكسر المزامير»[2].

أَخْبَرَنَا أبو الفتح الكَـروخي، نا أبو عـامر الأزدي، وأبو بكر الغُورجي قـالا: نا الجـراحي، ثنا المحبـوبي ثنا الترمذي، ثنا صالح بن عبد اللـه، ثنا الفـرج بن

---

1 (?) ضـعيف: أخرجه الـديلمى فى مسـند الفـردوس 1/483، وفى سـنده عبد الـرحمن بن ثـابت قـال الحافظ ابن حجر فى التقريب: «صدوق يخطىء، ورمى بالقدر». وقـال الألبـانى فى ضعيف الجامع: «ضعيف».

2 (?) ضعيف جدًا: فى إسناده موسى بن عمير قال الحافظ ابن حجر فى التهـذيب: «قـال أبو حـاتم: ذاهب الحـديث كـذاب». والحديث أخرجه ابن عـدى فى الكامل 6/139 بلفـظ: «بعثـنى ربى بمحق المزامير..» وفى إسناده محمد بن الفرات الكونى، قال النسائى: «متروك الحديث» وقال يحيى: «ليس بشىء».

فضالة، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلةً حلَّ بها البلاء» فذكر منها: «إذا اتخذت القيان والمعازف»[1].

قال الترمذي: وحدثنا علي بن حجر، نا محمد بن يزيد، عن المستلم بن سعيد، عن رميح الجذامي، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا اتُّخذ الفيءُ دولاً، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا، وتُعلِّم لغير الدين، وأطاع الرجل امرأته وعقَّ أمه، وأدنى صديقه وأقصى أباه، وظهرت الأصوات في المساجد، وساد القبيلة فاسقهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأُكرم الرجل مخافة شرِّه، وظهرت القينات والمعازف، وشربت الخمور، ولعن آخر هذه الآمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء وزلزلةً وخسفًا ومسخًا وقذفًا وآيات تتابع كنظام بالٍ قطع

---

1 (?) ضعيف: أخرجه الترمذى فى الفتن (2210) وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث عليّ إلا من هذا الوجه، ولا نعلم أحدًا رواه عن يحيى بن سعيد الأنصارى غير الفرج بن فضالة، والفرج بن فضالة قد تكلم فيه بعض أهل الحديث وضعفه من قبل حفظه..»، والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد 3/158، 12/396. وضعفه الألبانى فى ضعيف الترمذى (386).

سلكه فتتابع»[1].

وقد روي عن سهل بن سعد عن النبي أنه قال: «يكون في أمتي خسف وقذف ومسخ»، قيل: يا رسول الله، متى؟ قال: «إذا ظهرت المعازف والقينات واستحلت الخمر»[2].

أنبأنا أبو الحسن سعد الخير بن محمد الأنصاري في «كتاب السنن» لا بن ماجه، قال: نا أبو العباس أحمد بن محمد الأسداباذي، نا أبو منصور المقومي، نا أبو طلحة القاسم بن المنذر، نا أبو الحسن بن إبراهيم القطان، ثنا محمد بن يزيد بن ماجه، ثنا الحسين بن أبي الربيع الجرجاني، ثنا عبد الرزاق، أخبرني يحيى بن العلاء، أنه سمع بشر ابن نمير، أنه سمع مكحولاً يقول: إنه سمع يزيد بن عبد الله، يقول: إنه سمع صفوان بن أُميَّة قال: كنا مع رسول الله فجاء عمرو ابن قرة فقال يا رسول الله: إن الله عز وجل قد كتب عليْ الشقوة فما أراني أرزق إلا من دُفِّي بكفي فَأْذن لي في الغناء في غير

---

1 (?) ضعيف: أخرجه الترمذى فى الفتن (2211) وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه»، وفى إسناده رميح الجذامى، وهو مجهول كما فى التقريب، وقال الألبانى فى المشكاة (5450): «ضعيف».

2 (?) ضعيف: أخرجه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد 8/10 وقال الهيثمى: «وفيه عبد الله بن أبى الزناد، وفيه ضعف، وبقية رجال إحدى الطريقين رجال الصحيح».

فاحشة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة عين، كذبت يا عدو الله لقد رزقك الله حلالاً طيبًا فاخترت ما حرَّم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله، ولو كنت تقدمت إليك لفعلت بك وفعلت. قم عني وتب إلى الله عز وجل، أما إنك لو قلت بعد التقدمة إليك ضربتك ضربًا وجيعًا، وحلقت رأسك مُثلةً ونفيتك من أهلك، وأحللت سلبك نُهبةً لفتيان المدينة»، فقام عمرو وبه من الشر والخزي ما لا يعلمه إلا الله عز وجل. فلما ولَّى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هؤلاء العصاةُ من مات منهم بغير توبة حشره الله عز وجل عريانًا لا يستتر بهدبة كلما قام صُرع»[1].

وأما الآثار: فقال ابن مسعود: الغناء يُنبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل[2]. وقال: إذا ركب الرجل الدابة ولم يُسمِّ ردفه الشيطان. وقال: تَغَنَّهْ،

---

1 (?) ضعيف جدًا: أخرجه ابن ماجه فى الحدود (2313)، وقال البوصيرى فى الزوائد: «فى إسناده بشر بن نمير البصرى، قال فيه يحيى القطان: كان ركنًا من أركان الكذب، وقال أحمد: ترك الناس حديثه، وكذا قال نمير غيره. ويحيى بن العلاء قال أحمد: يضع الحديث، وقريب منه ما قاله غيره». والطبرانى فى الكبير 8/60، 61.

2 (?) صحيح موقوف: أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الملاهى (12)، والبيهقى فى شعب الإيمان (5098، 5099).

فإن لم يُحسن قال له: تمنَّه.

ومـرَّ ابن عمر رضي الله عنه بقـوم محـرمين وفيهم رجل يتغنى، قال: ألا لا سـمع الله لكم. ومر بجارية صغيرة تغني فقال: لو ترك الشـيطان أحـدًا لترك هذه.

وسأل رجل القاسم بن محمد عن الغناء فقال: أنهاك عنه وأكرهه لك. قال: أحرامٌ هـو؟ قـال: انظُر يا ابن أخي إذا ميَّز الله الحق من الباطـــل، ففي أيهما يجعل الغناء؟.

وعن الشعبي قال: لعن المغني والمغنى له.

أخبرنا عبد الله بن علي المقـــــري ومحمد بن ناصر قـالا: نا طِـراد بن محمد نا أبو الحسـين بن بشــــران، نا أبو علي بن صــــفوان، ثنا أبو بكر القرشي، ثني الحسين بن عبد الـرحمن، ثـني عبد الله بن عبد الوهاب قـال: أخـبرني أبو حفص عمر بن عبيد الله الأرمـــوي، قـــال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى مُـؤدِّب لولـده: ليكن أول ما يعتقـدون من أدبك بُغض الملاهي التي بـدؤها من الشـيطان وعاقبتها سخط الرحمن جل وعز، فإنّه بلغـني عن الثقـــات من حملة العلم أن حضـــور المعـــازف واســتماع الأغـــاني والله ج بها ينبت النفـــاق في القلب كما ينبت الماء العشب. ولعمري لَتَوَقِّي ذلك بترك حضـور تلك المـواطن أيسر على ذي الـذهن

من الثبوت على النفاق في قلبه.

وقال فضيل بن عياض: الغناء رقْيَةُ الزنا. وقال الضحاك: الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب.

وقال يزيد بن الوليد: يا بني أمية إياكم والغناء فإنه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وإنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل السكر، فإن كنتم لا بُدَّ فاعلين فجنبوه النساء، فإن الغناء داعية الزنا.

قال المصنف رحمه الله: قلت: وكم قد فَتَنَتِ الأصوات بالغناء من عابدٍ وزاهد، وقد ذكرنا جملة من أخبارهم في كتابنا المسمى بـ «ذم الهوى».

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصر، نا ثابت بن بندار، نا أبو الحسين محمد بن عبد الواحد بن رزمة نا أبو سعيد الحسن بن عبد الله السِّيرافي ثني محمد بن يحيى عن معن عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، قال: كان سليمان بن عبد الملك في بادية له، فسمر ليلةً على ظهر سطحٍ ثم تفرق عنه جلساؤه: فدعا بضوء فجاءت به جاريةٌ له، فبينما هي تصُبُّ عليه إذ استمدها بيده، وأشار إليها فإذا هي ساهية مصغية بسمعها مائلة بجسدها كله إلى صوت غناء تسمعه في ناحية العسكر، فأمرها فتنحت واستمع هو الصوت، فإذا صوت رجل يغني، فأنصت له حتى فهم ما يغني به من الشعر.

ثم دعا جارية من جواريه غيرها فتوضأ، فلما أصبح أذن للناس إذنًا عامًا، فلما أخذوا مجالسهم أجرى ذكر الغناء ومن كان يسمعه وليّن فيه حتى ظن القوم أنه يشتهيه، فأفاضوا في التليين والتحليل والتسهيل، فقال: هل بقي أحد يسمع منه؟ فقام رجل من القوم فقال: يا أمير المؤمنين عندي رجلان من أهل أيْلَة حاذقان، قال: وأين منزلك من العسكر؟ فأومأ إلى الناحية التي كان الغناء منها، فقال سليمان: يبعث إليهما. فوجد الرسول أحدهما فأقبل به حتى أدخله على سليمان، فقال له: ما اسمك؟ قال: سمير، فسأله عن الغناء كيف هو فيه؟ فقال: حاذق محكِمٌ. قال: ومتى عهدك به؟ قال: في ليلتي هذه الماضية. قال: وفي أي نواحي العسكر كنت؟ فذكر له الناحية التي سمع منها الصوت. قال: فما غنيت؟ فذكر الشعر الذي سمعه سليمان، فأقبل سليمان فقال: هدر الجمل فضبعت الناقة، ونبَّ التيس فشكرت الشاة، وهدل الحمام فزافت الحمامة، وغنى الرجل فطربت المرأة. ثم أمر به فخصي. وسأل عن الغناء أين أصله وأكثر ما يكون؟ قالوا: بالمدينة، وهو في المخنثين وهم الحذاق به والأئمة به، فكتب إلى عامله على المدينة وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم: أن اخصِ من قِبَلك من المخنثين المغنين.

قال المصنف رحمه اللـه: وأما المعـنى فقد بينا أن الغناء يُخرج الإنسان عن الاعتدال ويغير العقل. وبيان هذا: أن الإنسان إذا طرب فعل ما يسـتقبحه في حـــال صــمته من غــيره، من تحريك رأســه، وتصـفيق يديـه، ودقِّ الأرض برجليـه. إلى غـير ذلك مما يفعله أصحاب العقول السخيفة، والغناء يوجب ذلـــك، بل يقــــارب فعله فعل الخمر في تغطية العقل. فينبغي أن يقع المنع منه.

أَخْبَرَنَا عمر بن ظفـــر، نا جعفر بن أحمـــد، نا عبد العزيز بن علي الأزجي، نا ابن جهضــــم، ثنا يحــيى بن المؤمــل، ثنا أبو بكر الشــقاق، ثنا أبو سـعيد الخــراز، قــال: ذكر عند محمد بن منصــور أصحاب القصائد فقال: هؤلاء الفرَّارون من الله عز وجـل، لو ناصـحوا الله ورسـوله وصـدقوه لأفـادهم في سرائرهم ما يشغلهم عن كثرة التلاقي.

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصر نا عبد الــرحمن بن أبي الحسـين بن يوسـف، نا محمد بن علي العُشـاري، قـال: قـال أبو عبد الله بن بَطَّة العُكْبَـرِي: سـألني سائل عن اسـتماع الغنـاء فنهيته عن ذلك وأعلمته أنّه مما أنكرته العلمـاء واستحسـنه السـفهاء، وإنما تفعله طائفة سُـمُّوا بالصـوفية وسـماهم المحققـون الجبرية أهل همم دنيئة وشـــرائع بدعية يظهـــرون الزهد وكل أسبابهم ظلمة. يـدّعون الشـوق والمحبة بإسـقاط الخـوف والرجـاء يسـمعونه من الأحـداث

والنساء ويطربون ويصعقون ويتغاشون ويتماوتون ويزعمون أنَّ ذلك من شدة حبهم لربهم وشوقهم إليه. تعالى الله عما يقوله الجاهلون علوًا كبيرًا.

(فصل): في ذكر الشُّبَه التي تعلَّق بها من أجاز سماع الغناء

فمنها: حديث عائشة رضي الله عنها أن الجاريتين كانتا تضربان عندها بدفين، وفي بعض ألفاظه: «دخل عليَّ أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بُعَاث، فقال أبو بكر: أمزمورُ الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله: دعهما يا أبا بكر إنَّ لكل قوم عيدًا وهذا عيدنا»[1]. وقد سبق ذكر الحديث. ومنها حديث عائشة رضي الله عنها أنها زَفّت امرأةً إلى رجل من الأنصار، فقال النبي «يا عائشة ما كان معهم من اللهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو»[2]. وقد سبق. ومنها حديث فَضَالة بن عبيد عن النبي أنه قال: «لله أشد أذنًا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته»[3].

---

1 (?) متفق عليه: سبق تخريجه.

2 (?) صحيح: أخرجه البخارى فى النكاح (5162) وقد سبق تخريجه.

3 (?) ضعيف: أخرجه ابن ماجه فى إقامة الصلاة (1340)، وفى الزوائد: «إسناده حسن»، وأحمد فى المسند 6/19، وابن حبان فى صحيحه (659 موارد)، وصححه الحاكم فى

قـــال ابن طـــاهر: وجه الحجة أنه أثبت تحليل استماع الغناء، إذ لا يجوز أن يُقاس على محرم.

ومنها حـــديث أبي هريـــرة رضي الله عنه عن النـبي أنه قـال: «ما أذِنَ الله عز وجل لشـيءٍ ما أذن لنبيٍّ يتغنى بالقرآن»[1].

ومنها حديث حاطب عن النـبي أنه قـال: فَصْـلُ ما بين الحلال والحرام الضرب بالدُّفِّ»[2].

والجواب: أما حـديثا عائشة رضي الله عنها فقد سبق الكلام عليهما وبيَّنا أنهم كانوا ينشدون الشعر وسُمي بذلك غناء لنوع يثبت في الإنشـاد وترجيـع، ومثل ذلك لا يخرج الطباع عن الاعتدال.

وكيف يحتج بـذلك الواقع في الزمـان السـليم عند قلـوب صـافية على هـذه الأصـوات المطربة الواقعة في زمـــان كـــدر عند نفـــوس قد تملكها الهوى؟ ما هذا إلا مغالطة للفهم.

المستدرك 1/571، وقال الذهبى: «بل هو منقطـع». وانظـر: ضعيف الجامع (4630).

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى فضـائل القـرآن (5023، 5024)، ومسلم فى صلاة المسافرين (792/232 ـ 234).

2 (?) حسن: أخرجه الترمذى فى النكاح (1088) وقال: «حديث حسن»، والنسائى فى النكاح (3369)، وابن ماجه فى النكـاح (1896)، وأحمد فى المسـند 3/418، وصـححه الحـاكم فى المســتدرك 2/184 ووافقه الــذهبى، والــبيهقى فى الســنة الكبرى 7/289.

أوليس قد صح في الحـــديث عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لو رأى رسول الله ما أحـدث النساء لمنعهن المساجد[3].

وإنما ينبغي للمفتي أن يزن الأحـوال كما ينبغي للطـبيب أن يـزن الزمـان والسن والبلد ثم يصف على مقدار ذلك.

وأين الغنـاء بما تقـاولت به الأنصـار يـوم بُعـاثٍ من غناء أمرد مستحسن بآلات مسـتطابة وصـناعة تجـذب إليها النفس، وغزليـاتٍ يـذكر فيها الغـزال والغزالة والخـال والخد والقد والاعتـدال فهل يثبت هناك طبع هيهات، بل ينزعج شـوقًا إلى المسـتلذ، ولا يدعي أنه لا يجد ذلك إلا كـاذب أو خـارج عن حد الآدمية، ومن ادَّعى أخذ الإشـارة من ذلك إلى الخالق فقد استعمل في حقه ما لا يليق به، على أن الطبع يسبقه إلى ما يجد من الهوى.

وقد أجاب أبو الطيب الطبري عن هذا الحديث بجواب آخـر، فأخبرنا أبو القاسم الحريـري عنه أنه قـال: هـذا الحـديث حجتنا لأن أبا بكر سـمى ذلك مزمــور الشــيطان ولم ينكر النــبيُّ على أبي بكر قولــه، وإنما منعه من التغليظ في الإنكــار لحسن رفعته لا سـيما في يـوم العيـد، وقد كـانت عائشة

---

3 (?) متفق عليـه: أخرجه البخـارى فى الأذان (869)، ومسـلم فى الصلاة (445/144).

رضي الله عنها صغيرة في ذلك الـوقت ولم ينقل عنها بعد بلوغها وتحصـيلها إلا ذم الغنـاء. وقد كـان ابن أخيها القاسم بن محمد يـذم الغنـاء ويمنع من سماعه وقد أخذ العلم عنها.

قـال المصـنف رحمه اللـه: وأما اللهو المـذكور في الحديث الآخر فليس بصريح في الغناء فيجـوز أن يكـون إنشـاد الشـعر أو غـيره. وأما التشـبيه بالاسـتماع إلى القينة فلا يمتنع أن يكـون المشـبه حرامًا، فـإن الإنسـان لو قـال: وجـدت للعسل لـذة أكثر من لذة الخمر كـان كلامًا صـحيحًا، وإنما وقع التشبيه بالإصغاء في الحالتين فيكون أحـدهما حلالاً أو حرامًا لا يمنع من التشبيه.

وقد قـال عليه الصـلاة والسـلام: «إنكم لـترون ربكم كما ترون القمر»[1] فشبه أيضًا الرؤية بإيضاح الرؤية، وإن كـان وقع الفـرق بـأن القمر في جهة يحيط به نظر الناظر والحق منزه عن ذلك.

والفقهـاء يقولـون في مـاء الوضـوء: لا ننشف الأعضاء منه لأنه أثر عبادة فلا يسن مسـحه كـدم الشـهيد، فقد جمعـوا بينهما من جهة اتفاقهما في كونهما عبـادة، وإن افترقا في الطهـارة والنجاسـة. واستدلال ابن طاهر بأن القياس لا يكـون إلا على

---

[1] (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى مـواقيت الصـلاة (554)، ومسلم فى المساجد (633/211، 212) من حـديث جرير بن عبد الله.

مباح فقه الصوفية لا علم الفقهاء.

وأما قوله: يتغنى بالقرآن، فقد فسره سفيان بن عيينة فقال معناه: يستغني به، وفسره الشافعي فقال: معناه يتحزن به ويترنم. وقال غيرهما: يجعله مكان غناء الركبان إذا ساروا.

وأما الضرب بالدف فقد كان جماعة من التابعين يكسرون الدفوف - وما كانت هكذا فكيف لو رأوا هذه - وكان الحسن البصري يقول: ليس الدف من سنة المرسلين في شيء.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلاَّم: من ذهب به إلى الصوفية فهو خطأ التأويل على رسول الله وإنما معناه عندنا إعلان النكاح واضطراب الصوت والذكر في الناس.

قال المصنف رحمه الله: قلت: ولو حمل على الدف حقيقة على أنه قد قال أحمد بن حنبل: أرجو أن لا يكون بالدف بأسٌ في العرس ونحوه وأكره الطبل.

أَخْبَرَنَا عبد الله بن علي المقري، نا نصر بن أحمد بن البَطر، نا أبو محمد عبد الله بن عبيد الله المؤدب، ثنا الحسين بن إسماعيل المحاملي، ثنا عبيد الله بن جرير بن جبلة، ثنا عمر ابن مرزوق، ثنا زهير، عن أبي إسحاق، عن عامر بن سعد البَجلي، قال: طلبت ثابت بن سعد وكان

بدريًا فوجدته في عرس له قال: وإذا جـوارٍ يغـنين ويضر بن بالدُّفوف، فقلت: ألا تنهى عن هذا؟ قال: لا. إن رسول الله رخص لنا في هذا[1].

أَخْبَرَنَا عبد الله بن علي، نا جـدي أبو منصـور، محمد بن أحمد الخياط، نا عبد الملك بن بشـران، ثنا أبو علي أحمد بن الفضل بن خزيمة، ثنا أحمد بن القاسم الطـائي، ثنا ابن سـهم، ثنا عيسى بن يـونس، عن خالد بن إليـاس، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، عن القاسم، عن عائشة قـالت: قـال رسـول الله «أظهـروا النكـاح وأضـربوا عليه بالغربال[2]، يعني الدّفَّ».

قال المصنف رحمه الله: وكُـلُّ ما احتجـوا به لا يجـوز أن يسـتدل به على جـواز هـذا الغنـاء المعروف المؤثر في الطباع، وقد احتج لهم أقـوام مفتونـون بحب التصـوف بما لا حجة فيـه، فمنهم أبو نعيم الأصفهاني فإنه قال: كان الـبراء بن مالك

---

1 (?) حسـن: أخرجه النسـائى فى النكـاح (3383)، وصـححه الحـاكم فى المسـتدرك 2/184 بنحـوه، ووافقه الـذهبى، والطـبرانى فى الكبـير 17/247، وقـال الألبـانى فى صـحيح النسائى (3168): «حسن».

2 (?) ضـعيف: أخرجه ابن ماجه فى النكـاح (1895) وفى الزوائد: «فى إسناده خالد بن إلياس أبو الهيثم العدوى. اتفقوا على ضعفه. بل نسـبه ابن حبـان والحـاكم وأبو سـعيد النقـاش إلى الوضع»، والبيهقى فى السنة الكبرى 7/290، وسـعيد بن منصور فى سننه (635).

يميل إلى السماع ويستلذ بالترنم.

قال المصنف رحمه الله: وإنما ذكر أبو نعيم هذا عن البراء لأنه روي عنه أنه استلقى يومًا فترنم؛ فانظر إلى هذا الاحتجاج البارد فإن الإنسان لا يخلو من أن يترنم، فأين الترنم من السماع للغناء المُطرب.

وقد استدل لهم محمد بن طاهر بأشياء لولا أن يعثر على مثلها جاهل فيغتر لم يصلح ذكرها لأنها ليست بشيء، فمنها أنه قال في كتابه باب الاقتراح على القوَّال والسنة فيه، فجعل الاقتراح على القوال سنة، واستدلَّ بما روى عمرو بن الشريد عن أبيه، قال: استنشدني رسول الله من شعر أمية فأخذ يقول: هي هي حتى أنشدته مائة قافية[1]، وقال ابن طاهر: بابُ الدليل على استماع الغزل، قال العجاج: سألت أبا هريرة رضي الله عنه: «طاف الخيالات فهاجا سقمًا». فقال أبو هريرة رضي الله عنه: كان ينشد مثل هذا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال المصنف رحمه الله: فانظر إلى احتجاج ابن طاهر ما أعجبه كيف يحتج على جواز الغناء بإنشاد الشعر وما مثله إلا كمثل من قال: يجوز

---

1 (?) صحيح: أخرجه مسلم فى الشعر (2255/1)، وابن ماجه فى الأدب (3758).

أن يُضرب بالكف على ظهر العود فجاز أن يضرب بأوتاره، أو قال: يجوز أن يُعْصَرَ العنب ويشرب منه في يومه فجاز أن يشرب منه بعد أيام، وقد نسيَ أنَّ إنشاد الشعر لا يطرب كما يطرب الغناء.

وقد أنبأنا أبو زرعة بن محمد بن طاهر، عن أبيه، قال أخبرنا أبو محمد التميمي، قال: سألت الشريف أبا علي بن أبي موسى الهاشمي عن السماع فقال: ما أدري ما أقولُ فيه غير أني حضرت ذات يوم شيخنا أبا الحسن عبد العزيز بن الحارث التّميمي، سنة سبعين وثلاثمائة في دعوةٍ عملها لأصحابه حضرها أبو بكر الأبهري شيخ المالكيين، وأبو القاسم الدَّاركي شيخ الشافعيين، وأبو الحسن طاهر بن الحسين شيخ أصحاب الحديث، وأبو الحسين بن سمعون شيخ الوعاظ والزُّهاد، وأبو عبد الله ابن مجاهد شيخ المتكلمين وصاحبه أبو بكر بن الباقلاني، في دار شيخنا أبي الحسن التميمي شيخ الحنابلة، فقال أبو علي: لو سقط السقف عليهم لم يبقَ بالعراق من يفتي في حادثة بسنة. ومعهم أبو عبد الله غلامٌ وكان يقرأُ القرآن بصوتٍ حسن فقيل له: قُلْ شيئًا، فقال: وهم يسمعون: (البسيط)

خَطَّتْ أناملها في ... رسالةً بعبيرٍ لا

أنْ زُرْ فَدَيْتُكَ قِفْ ... فإنَّ حُبَّكَ لي قد

فكان قولي لمن قِفْ لي لأمشي

قَّال أبو علي: فبعـدما رأيتُ هـذا لا يمكنـني أن أفتي في هذه المسألة بِحَظْرٍ ولا إباحة.

قـال المصـنف رحمه اللـه: وهـذه الحكايـةُ إنْ صدق فيها محمد بن طاهر فـإن شـيخنا ابن ناصر الحافظ كـان يقـول: ليس محمد بن طـاهر بثقـة، حملت هـذه الأبيـات على أنه أنشـدها لا أنه غـنى بها بقضيب ومخـدة، إذ لو كـان كـذلك لـذكره، ثم فيها كلام مُجْمَلٌ.

قوله: لا يمكنـني أن أقـول فيها بحظر ولا إباحة لأنه إن كان مقلدًا لهم فينبغي أن يفـتي بالإباحـة، وإنْ كـان ينظر في الـدليل فيلزمه مع حضـورهم أن يفـتي بـالحظر، ثم بتقـدير صـحتها أفلا يكـون أتباعُ المذهبِ أولى من أتباع أرباب المذاهب.

وقد ذكرنا عن أبي حنيفة ومالك والشـــــافعي وأحمد رضـــــوان الله عليهم أجمعين ما يكفي في هذا وشيدنا ذلك بالأدلة.

وقال ابن طاهر في كتابه: باب إكرامهم للقوَّال وإفـرادهم الموضع لـه، واحتج بـأن النـبي رمى بردةً كانت عليه إلى كعبٍ بن زهير لما أ نشده:

بانت سعادُ

وإنما ذكرت هـذا ليعـرف قَـدْر فقه هـذا الرجل واسـتنباطه، وإلا فالزمـان أشـرف من أن يضـيع بمثل هذا التخليط.

وأنبأنا أبو زرعـــة، عن أبيه محمد بن طـــاهر، نا أبو سعيد إسـماعيل بن محمد الحجـاجي، ثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد المقـــري، ثنا أبي، ثنا علي بن أحمـــد، ثنا محمد بن العبــاس بن بلال، قــال: ســمعت ســعيد بن محمد قال: حدثني إبراهيم ابن عبد اللـه؛ وكـان النـاس يتبركون به قال: حدثنا المُزَنِيُّ قال: مررنا مع الشـافعي وإبـراهيم بن إسـماعيل على دار قـومٍ وجارية تغـنيهم: (الطويل)

خليليَّ ما بالُ نَرَاها على

فقـال الشـافعي: مِيلُـوا بنا نسـمع، فلما فَـرَغَتْ، قال الشافعي لإبراهيم، أيُطربك هذا؟ قال: لا. قـال: فما لك حِسٌّ.

قال المصنف رحمه الله: قلت: وهذا مُحالٌ على الشـافعي رضي الله عنـه، وفي الرواية مجهولـون، وا بن طاهر لا يُوثَقُ به، وقد كان الشـافعي أجَـلَّ من هذا كله.

ويــدلُّ على صـحة ما ذكرنــاه ما أخبرنا به أبو القاسم الحريري عن أبي الطيب الطبري قـال: أما سماع الغناء من المرأة الـتي ليست بمحـرمٍ فـإن أصحاب الشافعي قالوا: لا يجوز، سواء كـانت حـرة أو مملوكـة. قـال: وقـال الشـافعي: وصـاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سـفيه تـرد شـهادته، ثم غلّظ القول فيه فقال: وهو دياثة.

قال المصنف رحمه الله: وإنما جعل صاحبها سفيهًا فاسقًا، لأنه دعا الناس إلى الباطل، ومن دعا إلى الباطل كان سفيهًا فاسقًا.

قال المصنف رحمه الله: قلت: وقد أخبرنا محمد بن القاسم البغدادي، عن أبي محمد التميمي، عن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: اشترى سعدُ بن عبد الله الدِّمشقي جاريةً قوّالة للفقراء، وكانت تقول لهم القصائد.

قال المصنف رحمه الله: قلت: وقد ذكر أبو طالب المكي في كتابه قال: أدركنا مروان القاضي وله جوارٍ يسمعن التلحين قد أعدهن للصوفية. قال: وكانت لعطاء جاريتان تلحنان، وكان إخوانه يسمعون التلحين منهما.

قال المصنف رحمه الله قلت: أما سعدُ الدمشقي فرجلٌ جاهل، والحكاية عن عطاء محال وكذب، وإن صحّت الحكاية عن مروان فهو فاسق، والدليل على ما قلنا ما ذكرنا عن الشافعي رضي الله عنه، وهؤلاء القوم جهلوا العلم فمالوا إلى الهوى.

وقد أنبأنا زاهر بن طاهر، قال: أنبأنا أبو عثمان الصابوني، وأبو بكر البيهقي، قالا: أنبأنا الحاكم أبو عبد الله النيسابوري، قال: أكثر ما التقيت أنا وفارس بن عيسى الصوفي في دار أبي بكر

الإبريسمي للسماع من هزارة رحمها الله، فإنها كانت من مستورات القوَّالات.

قال المصنف: قلت: وهذا أقبح شيء من مثل الحاكم، كيف خفي عليه أنه لا يحلُّ له أن يسمع من امرأة ليست بمحرم، ثم يذكر هذا في كتاب «تاريخ نيسابور» وهو كتاب علم، من غير تحاش عن ذكر مثله، لقد كفاه هذا، قد جافى عدالته.

قال المصنف رحمه الله: فإن قيل: ما تقولُ فيما أخبركم به إسماعيل بن أحمد السَّمرقندي، نا عمر ابن عبد الله، نا أبو الحسين بن بشران، نا عثمان بن أحمد نا حنبل ابن إسحاق، ثنا هارون بن معروف، ثنا جرير، عن مغيرة، قال: كان عون بن عبد الله يقص، فإذا فرغ أمر جارية له تقص وتطرب، قال المغيرة، فأرسلت إليه أو أردت أن أرسل إليه إنك من أهل بيت صدق وإن الله عز وجل لم يبعث نبيه بالحمق، وإن صنيعك هذا صنيع أحمق.

فالجواب: إنا لا نظن بعون أنه أمر الجارية أن تقص على الرجال بل أحب أن يسمعها منفردًا وهي ملكه، فقال له مغيرة الفقيه هذا القول، وكره أن تطرب الجارية له، فما ظنك بمن يسمعهن الرجال ويرقصهن ويطربهن.

وقد ذكر أبو طالب المكي أن عبد الله بن

جعفر كان يسمع الغناء.

قــال المصــنف رحمه اللــه: وإنما كــان يســمع إنشاد جواريه، وقد أردف ابن طـاهر الحكاية الـتي ذكرها عن الشــافعي، وقد ذكرناها آنفًا بحكاية عن أحمد بن حنبـــل، رواها من طريق عبد الـــرحمن الســلمي، قــال: حــدثنا الحســين بن أحمــد، قــال: سمعت أبا العباس الفرغاني، يقول: ســمعت صــالح بن أحمد بن حنبل يقول: كنت أحبُّ السماع وكــان أبي أحمد يكــره ذلــك، فوعــدت ليلة ابن الخبــازة، فمكث عندي إلى أن علمت أن أبي قد نام وأخذ يغني فســمعت حسَّ أبي فــوق الســطح، فصــعدت فرأيت أبي فــوق الســطح يســمع وذيله تحت إبطه يتبختر على السطح كأنه يرقص.

قال المصنف رحمه الله: هــذه الحكاية قد بلغتنا من طرق، ففي بعض الطرق عن صالح قال: كنت أدعو ابن الخبــازة القصــائدي، وكــان يقــول ويلحن، وكان أبي في الزقاق يذهب ويجيء ويســمع إليــه، وكان بيننا وبينه بــاب، وكــان يقف من وراء البــاب يستمع.

وقد أخبرنا بها أبو منصـــور القـــزاز، نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثـــــــابت، نا أحمد بن علي بن الحسين التوزي، ثنا يوسف بن عمر القواس، قال: ســـــمعت أبا بكر بن مالك القطيعي، يحكي أظنه

عن عبد الله بن أحمد، قال: كنت أدعو ابن الخبازة القصائدي، وكان يقول ويلحن، وكان أبي ينهاني عن التغني فكنت إذا كان ابن الخبازة عندي أكتمه عن أبي لئلا يسمع، فكان ذات ليلة عندي وكان يغني فعرضت لأبي عندنا حاجة، وكنا في زقاق فجاء فسمعه يغني، فتسمع فوقع في سمعه شيء من قوله، فخرجت لأنظر فإذا بأبي ذاهبًا وجائيًا، فرددت الباب فدخلت، فلما كان من الغد قال لي: يا بني إذا كان هذا: نعم... الكلام أو معناه.

قال المصنف رحمه الله: وهذا ابن الخبازة كان ينشد القصائد الزهديات التي فيها ذكر الآخرة. ولذلك استمع إليه أحمد، وقول من قال: ينزعج، فإن الإنسان قد يزعجه الطربُ فيميل يمينًا وشمالاً.

وأما رواية ابن طاهر التي فيها: فرأيته وذيله تحت إبطه يتبختر على السطح كأنه يرقص، فإنما هو من تغيير الرواة، وتغييرهم يظنونه المعني تصحيحًا لمذهبهم في الرقص.

وقد ذكرنا القدح في السُّلمي وفي ابن طاهر الراويين لهذه اللفظات، وقد احتج لهم أبو طالب المكي على جواز السماع بمنامات وقسم السماع إلى أنواع، وهو تقسيم صوفي لا أصل له.

وقد ذكرنا أن من ادعى أنه يســمع الغنــاء ولا يؤثر عنده تحريك النفس إلى الهوى فهو كاذب.

وقد أخبرنا أبو القاسم الحريــــــــري، عن أبي الطيب الطـبري، قـال: قـال بعضـهم: إنا لا نسـمع الغنـاء بـالطبع الـذي يشـترك فيه الخـاص والعـام، قال: وهذا تجاهل منه عظيم لأمرين:

أحـدهما: أنه يلزمه على هـذا أن يسـتبيح العـود والطنبور وسائر الملاهي لأنه يسمعه بـالطبع الـذي لا يشاركه فيه أحد من الناس فإن لم يستبح ذلك فقد نقض قوله، وإن استباح فقد فسق.

والثاني: أن هذا المـدعي لا يخلو من أن يـدعي أنه فارق طبع البشر وصـار بمنزلة الملائكـة، فـإن قال هـذا فقد تخـرص على طبعه وعلم كل عاقل كذبه إذا رجع إلى نفسه ووجب أن لا يكــــــون مجاهدًا لنفسه ولا مخالفًا لهواه ولا يكون له ثواب على ترك اللذات والشهوات، وهذا لا يقوله عاقل، وإن قال: أنا على طبع البشر المجبول على الهوى والشـهوة، قلنا لـه: فكيف تسـمع الغنـاء المطـرب بغير طبعك، أو تطرب لسماعه لغير ما غرس في نفسك.

أَخْبَرَنَا ابن ناصــر، نا أحمد بن علي بن خلــف، ثنا أبو عبد الــرحمن الســلمي، قــال: ســمعت أبا القاسم الدمشقي، يقول: سئل أبو علي الروذبـاري

عمن سمع الملاهي ويقـول: هي لي حلال لأني قد وصـلت إلى درجة لا تـؤثر في اختلاف الأحـوال، فقال: نعم. قد وصل لعمري ولكن إلى سقر.

قـال المصـنف رحمه اللـه: فـإن قيـل: قد بلغنا عن جماعة أنهم سـمعوا عن المنشد شـيئًا فأخـذوه على مقصودهم فانتفعوا به، قلنا: لا ينكر أن يسـمع الإنسـان بيتًا من الشعر أو حكمة فيأخذها إشارة فتزعجه بمعناها لا لأن الصوت مطرب كما سمع بعض المريـدين صـوت مغنية تقول: (مجزوء الرمل)

كُلَّ يَوْمٍ تَتَلَوَّنْ غَيْرُ هذا بِكَ

فصاح ومات، فهذا لم يقصد سماع المـرأة ولم يلتفت إلى التلحين، وإنما قتله المعـنى، ثم ليس سـماع كلمة أو بيت لم يقصد سـماعه كالاسـتعداد لسـماع الأبيـات المـذكورة الكثـيرة المطربة مع انضمام الضرب القضـيب والتصـفيق إلى غـير ذلك إن ذلك السامع لم يقصد السـماع، ولو سـألنا: هل يجوز لي أن أقصد سماع ذلك منعناه.

قـال المصـنف رحمه اللـه: وقد احتج لهم أبو حامد الطوسي بأشـياء نـزل فيها عن رتبته عن الفهم مجموعها أنه قـال: ما يـدلُّ على تحـريم السـماع نصٌّ ولا قيـاس، وجـواب هـذا ما قد أسلفناه، وقال: لا وجه لتحريم سماع صـوت طيب، فـإذا كـان موزونًا فلا يحـرم أيضًـا، وإذا لم يحـرم

الآحاد فلا يحرم المجموع، فإن أفراد المباحـات إذا اجتمعت كـان المجمـوع مباحًـا، قـال: ولكن ينظر فيما يفهم من ذلك فإن كـان فيه شـيء محظـور حرم نثره ونظمه، وحرم التصويت له.

قـال المصـنف رحمه اللـه: قلت: وإني لأتعجب من مثل هـذا الكلام فـإن الـوتر بمفـرده أو العـود وحده من غير وترٍ لو ضرب لم يحرم ولم يطرب فإذا اجتمعا وضرب بهما على وجه مخصوص حرم وأزعج، وكذلك ماء العنب جائز شـربه وإذا حـدثت فيه شدة مطربة حرم.

وكـذلك هـذا المجمـوع يـوجب طربًا يخـرج من الاعتدال فيمنع منه ذلك.

وقـال ابن عقيـل: الأصـوات على ثلاثة أضـرب: مُحرم ومكروه ومباح.

فـــالمحرم: الزمر والنـــاي والســـرنا والطنبـــور والمعزفة والرباب وما ماثلها، نص الإمام أحمد ابن حنبل على تحريم ذلك. ويلحق به الجرافة والجَنْـك، لأن هـذه تطـرب فتخـرج عن حد الاعتـدال وتفعل في طبـاع الغـالب من النـاس ما يفعله المسـكر، وسـواء استعمل على حـزن يهيجه أو سـرور، لأن النبي «نهى عن صـوتين أحمقين: صـوت عند نغمة وصوت عند مصيبة»[1].

---

1 (?) حســن: أخرجه الترمــذى فى الجنــائز (1005) وقــال:

والمكروه: القضيب لكنه ليس بمطرب في نفسه وإنما يطرب بما يتبعه وهو تابع للقول، والقول مكروه، ومن أصحابنا من يحرم القضيب كما يحرم آلات اللهو فيكون فيه وجهان كالقول نفسه.

والمباح: الدُّف، وقد ذكرها عن أحمد أنه قال: أرجو أن لا يكون بالدُّف بأس في العرس ونحوه وأكره الطبل.

وقد قال أبو حامد: من أحب الله وعشقه واشتاق إلى لقائه فالسماع في حقه مؤكد لعشقه.

قال المصنف رحمه الله: قلت: وهذا قبيح أن يقال عن الله عز وجل يعشق، وقد بينا فيما تقدم خطأ هذا القول، ثم أي توكيد لعشقه في قول المغني: (المديد)

ذهبي اللون وجنتيهِ النَّار

قال المصنف رحمه الله: قُلت: وسمع ابن عقيل بعض الصوفية يقول: إن مشايخ هذه الطائفة كلما وقفت طباعهم حَدَاها الحادي إلى الله بالأناشيد فقال ابن عقيل: لا كرامة لهذا القائل إنما تحدى القلوب بوعد الله في القرآن ووعيده وسنة الرسول لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿**وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا**﴾ [الأنفال: 2]، وما

«حسن». وقد سبق.

قـــال: وإذا أنشـــدت عليه القصـــائد طـــربت، فأما تحريكُ الطباع بالألحـان فقـاطعٌ عن اللـه، والشـعر يتضمن صفة المخلـوق والمعشـوق مما يتعـدد عنه فتنـــه، ومن ســـولت له نفسه التقـــاط العـــبر من محاسن البشر وحسن الصوت فمفتون.

بل ينبغي النظر إلى المحـــال الـتي أحالنا عليها الإبل والخيل والرياح ونحو ذلك، فإنها منظورات لا تهيج طبعًا بل تـــورث اســـتعظامًا للفاعـــل، وإنما خـــدعكم الشـــيطان فصـــرتم عبيـــدَ شـــهواتكم، ولم تقفـــوا حـــتى قلتم هـــذه الحقيقـــة، وأنتم زنادقة في زي عُبَّاد، شرهين في زي زهـاد، مشـبهة تعتقـدون أن الله عز وجل يعشق ويهام فيه. ويؤلف ويؤنس به، وبئس التـوهم لأن الله عز وجل خلق الـذوات مشـاكلة لأن أصـولها مشـاكلة فهي تتـآنس وتتـألم بأصـــولها العنصـــرية وتراكيبها المثلية في الأشـــكال الحديثـــــة. فمن ههنا جـــــاء التّلاوم والميل وعشق بعضـهم بعضًـا، وعلى قـدر التقـارب في الصـورة يتأكد الأنس.

والواحد منا يـــأنس بالمـــاء لأن فيه مـــاءً، وهو بالنبـات آنس لقربه من الحيوانية بـالقوة النمائيـة، وهو بـالحيوان آنس لمشـاركته في أخص النـوع به أو أقربه إليـه، فـأين المشـاركة للخـالق والمخلـوق حـــتى يحصل الميل إليه والعشق والشـــوق؟ وما الـذي بين الطين والمـاء وبين خـالق السـماء من

المناسبة؟

وإنما هــؤلاء يصــورون البــاري ســبحانه وتعــالى صورة تثبت في القلـوب، وما ذاك الله عز وجـل، ذاك صـــنم شـــكله الطبع والشـــيطان، وليس لله وصف تميل إليه الطبــاع ولا تشــتاق إليه الأنفس، وإنما مباينة الإلهية للمحـــــدث أوجبت في الأنفس هيبةً وحشمةً، فما يدعيه عشـاق الصـوفية لله في محبة الله إنما هو وهم اعـترض، وصـورة شـكلت في نفوس فحجبت عن عبادة القـديم فتجـدد بتلك الصورة أُنس، فـإذا غـابت بحكم ما يقتضـيه العقل أقلقهم الشـــوق إليها فنـــالهم من الوجد وتحـــرك الطبع والهيمان ما ينال الهائم في العشـق، فنعـوذ ب الله من الهــواجس الرديئة والعــوارض الطبيعية الــتي يجب بحكم الشــرع محوها عن القلــوب كما يجب كسر الأصنام.

نقد مسالك الصوفية في السماع (فصل):

قال المصـنف رحمه اللـه: وقد كـان جماعة من قــدماء الصــوفية ينكــرون على المبتــدىء الســماع لعلمهم بما يثير من قبله.

أَخْبَرَنَا عمر بن ظفر المقـــــــري، نا جعفر بن أحمد نا عبد العزيز بن علي الأزجي، ثنا ابن جهضم، ثني أبو عبد الله المقري، ثنا عبد الله بن

صالح، قال: قال لي جُنَيْـدٌ: إذا رأيت المريـدَ يسـمعُ السَّماع فاعلم أن فيه بقايا من اللعب.

أَخْبَرَنَا أبو بكر بن حـبيب، نا أبو سـعيد بن أبي صـادق، نا أبو عبد الله بن باكويـه، قـال: سـمعت أحمد ابن محمد البَـــرْدعي يقـــول: ســـمعت أبا الحســـين النُّوري يقـــول لبعض أصـــحابه: إذا رأيتَ المُرِيدَ يسمعُ القصائد ويميل إلى الرفاهية فلا ترج خيره.

قـال المصـنف رحمه اللـه: هـذا قـول مشـايخ القـوم وإنما تـرخص المتـأخرون حب اللهو فتعـدى شرهم من وجهين:

أحدهما: سوء ظن العوام بقدمائهم لأنهم يظنون أن الكل كانوا هكذا.

والثـاني: أنهم جـرَّأوا العـوام على اللعب فليس للعامي حجة في لعبه إلا أن يقول: فلان يفعل كذا ويفعل كذا.

(فصل):

قـال المصـنف رحمه اللـه: وقد نشب السـماع بقلـــوب خلق منهم فـــآثروه على قـــراءة القـــرآن ورقت قلوبهم عنـده بما لا تـرق عند القـرآن، وما ذاك إلا لتمكن هـوى بـاطن تمكن منه وغلبة طبع وهم يظنون غير هذا.

أَخْبَرَنَا أبو منصور القـزاز، نا أبو بكر الخطيب، نا عبد الكـــــريم بن هـــــوازن (ح) وأنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم، ثنا أبي وقال: سـمعت أبا حـاتم محمد بن أحمد بن يحـيى السِّجسـتاني قـال: سـمعت أبا نصر السـرَّاج يقول: حكى لي بعض إخواني عن أبي الحسـين الـدَّرَّاج قال: قصدتُ يوسف بن الحسين الرَّازي من بغداد فلما دخلتُ الـرَّيَّ سـألت عن منزلــه، وكل مَنْ أسـأله عنه يقول: إيش تفعل بذلك الزِّنديق؟ فضيَّقوا صـدري حـتى عزمتُ على الانصراف، فبتُّ تلك الليلة في مسـجد، ثم قلت: جئتُ إلى هذه البلدة فلا أقَـلَّ من زيارته فلم أزل أســأل عنه حــتى وقعت إلى مســجده وهو قاعد في المحـراب بين يديه رجل على يديه مصـحف وهو يقـرأ فدنوتُ فسلمت فردَّ السلام وقـال: من أين؟ قلت: من بغـداد قصـدتُ زيـارةَ الشـيخ، فقـال: تُحْسِـنُ أن تقـول شيئًا. فقلت: نعم، وقلت: (الطويل)

رأيتُك تَبْنِي دَائِمًا وِلو كنتَ ذا حَزْمٍ

فـأطبَق المصـحف ولم يـزل يبكي حـتى ابتلَّت لحيته وثوبه حتى رحمته من كثرة بكائـه، ثم قـال لي: يا بني تلومُ أهل الري على قولهم: يوسف بن الحسـين زنـديق، ومن وقت الصـلاة هـوذا أقـرأ القـرآن لم تقطر من عيـني قطـرة، وقد قـامت عليَّ القيامة بهذا البيت.

وأنبأنا عبد المنعم بن عبد الكــريم بن هــوازن،

نا أبي، قال: سمعتُ أبا عبد الرحمن السُّلمي، يقول: فأخرجت إلى مَرْوَ في حياة الأستاذ أبي سهل الصُّعلوكي، وكان له قبل خروجي أيام الجمع بالغدوات مجلس درس القرآن والختمات، فوجدته عند خروجي قد رفع ذلك المجلس، وعقد لا بن الفرغاني في ذلك الوقت مجلس القوَّال ــ يعني المغني ـ فتداخلني من ذلك شيء، فكنت أقول: قد استبدل مجلس الختمات بمجلس القوال. فقال لي يومًا: أي شيء تقول الناس؟ فقلتُ: يقولون: رفع مجلس القرآن ووضع مجلس القوَّال. فقال: مَنْ قال لأستاذه لِمَ لمْ يُفلح.

قال المصنف رحمه الله: هذه دعاة الصوفية يقولون: الشيخ يسلم له حاله وما لنا أحدٌ يسلم إليه حاله، فإن الآدمي يرد عن مراداته بالشرع والعقل، والبهائم بالسوط.

حكم الغناء عند الصوفية

(فصل):

وقد اعتقد قوم من الصُّوفية أنَّ هذا الغناء الذي ذكرنا عن قومٍ تحريمه، وعن آخر كراهته، مُستحبٌّ في حق قوم.

وأنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوازن القُشيري، قال: حدثنا أبي، قال: سمعتُ أبا علي الدَّقَّاق يقول: السَّماعُ حرام على العوامِّ لبقاء

نفوسهم، مُبَاحٌ للزُّهَّاد لحصول مجاهداتهم، مستحب لأصحابنا لحياة قلوبهم.

قال المصنف رحمه الله: قلت: وهذا غلطٌ من خمسة أوجه:

أحدها: أنَّا قد ذكرنا عن أبي حامد الغزالي أنه يُباحُ سماعه لكل أحدٍ، وأبو حامد كان أعرف من هذا القائل.

والثاني: أن طباع النُّفوس لا تتغير وإنما المجاهدة تكفُّ عملها. فمن ادَّعى تغير الطّباع ادعى المُحَالَ، فإذا جاء ما يحرك الطِّباع، واندفع الذي كان يكفها عنه عادت العادة.

والثالث: أن العلماء اختلفوا في تحريمه وإباحته وليس فيهم من نظر في السامع لعلمهم أنَّ الطباع تتساوى، من ادعى خروج طبعه عن طباع الآدميين ادّعى المحال.

والرابع: أن الإجماع انعقد على أنه ليس بمستحب، وإنما غايته الإباحة، فادعاء الاستحباب خروج عن الإجماع.

والخامس: أنه يلزم من هذا أن يكون سماعُ العود مباحًا أو مستحبًا عند من لا يغير طبعه، لأنه إنما حرم لأنه يؤثر في الطباع ويدعوها إلى الهوى، فإذا أمن ذلك فينبغي أن يباح وقد ذكرنا هذا عن أبي الطيب الطبري.

(فصل):

قال المصنف رحمه الله: وقد ادعى قـوم منهم أن هذا السّماع قربة إلى الله عز وجل.

قال أبو طالب المكي: حدثني بعض أشياخنا عن الجُنيد أنه قـال: تـنزل الرحمة على هـذه الطائفة في ثلاثة مـــواطن: عند الأكل لأنهم لا يـــأكلون إلا عن فاقـــة، وعند المـــذاكرة لأنهم يتجـــاوزون في مقامـات الصـديقين وأحـوال النبـيين، وعند السَّـماع لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقًا.

قـال المصـنف رحمه اللـه: قلت: وهـذا إن صح عن الجنيد وأحسنا به الظن كان محمـولاً على ما يسـمعونه من القصـائد الزهدية فإنها تُـوجب الرقة والبكـاء، فأما أن تـنزل الرحمة عند وصف سـعدى وليلى ويحمل ذلك على صــفات البــاري ســبحانه وتعالى فلا يجوز اعتقاد هذا، ولو صح أخذ الإشارة من ذلك كـانت الإشـارة مسـتغرقة في جنب غلبة الطبــاع. ويــدلُّ على ما حملنا الأمــرَ عليه أنه لم يكن يُنشد في زمــان الجنيد مثل ما ينشد اليــوم إلا أن بعض المتــأخرين قد حمل كلام الجنيد على كل ما يقال.

فحـــــــدثني أبو جعفر أحمد بن أزهر بن عبد الوهــاب الســباك، عن شــيخنا عبد الوهــاب ابن المبارك الحافظ، قـال: كـان أبو الوفا الفيروزأبـاذي

شيخ رباط الـزَّوْزَني صـديقًا لي، فكـان يقـول لي: والله إني لأدعو لك وأذكــرك وقت وضع المخـــدة والقــول، قــال: فكـان الشــيخ عبد الوهـاب يتعجب ويقول: أتـرون هـذا يعتقد أن ذلك وقت إجابـة، إن هذا لعظيم.

وقـال ابن عقيـل: وقد سـمعنا منهم أن الـدعاء عند حَـدو الحــادي وعند حضــور المخــدة مُجــاب، وذلك أنهم يعتقـدون أنه قربة يتقـرب بها إلى الله تعالى، قـال: وهـذا كفـر، لأن من اعتقد الحـرام أو المكــروه قربة كــان بهــذا الاعتقــاد كــافرًا، قــال: والناس بين تحريمه وكراهيته.

أَخْبَرَنَا أبو منصــــور عبد الــــرحمن بن محمد القَـزَّاز، نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثـابت، قـال: أخـــبرني علي بن أيـــوب، قـــال: أخبرنا محمد بن عمــران بن موســى، قــال: حــدثنا محمد بن أحمد الكاتب، قال: حدثنا الحسـين بن فهم، قـال: حـدثني أبو همام، قال: حدثني إبراهيم بن أعْيَن، قال: قــال صــالح المُــرِّيُّ: أبطأ الصــرعى نهضــةً صــريع هــوىً يدعيه إلى الله قربــةً، وأثبتُ النــاس قــدمًا يـــوم القيامة آخَذُهُم بكتاب الله وسنة نبيه محمد

أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكــــريم القشـيري، قـال: حـدثنا أبي، قـال: سـمعتُ أبا عبد الـرحمن السـلمي، يقـول: سـمعت محمـدًا بن عبد

الله بن شاذان، يقول: سمعت أبا بكر النَّهَاوندي، يقول: سمعت عليًا السائح يقول: سمعت أبا الحارث الأولاسي، يقول: رأيتُ إبليسَ في المنام على بعض سطوح أولاس، وأنا على سطح، وعلى يمينه جماعة وعلى يساره جماعة، وعليهم ثيابٌ لطاف، فقال لطائفة منهم: قولوا وغنوا، فاستغرقني طيبه حتى هممت أن أطرح نفسي من السطح، ثم قال: ارقصوا فرقصوا أطيب ما يكون، ثم قال لي: يا أبا الحارث ما أصبتُ منكم شيئًا أدخلُ به عليكم إلا هذا.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في الوجد

قال المصنف رحمه الله: هذه الطائفة إذا سمعت الغناء تواجدت، وصفقت وصاحت ومزقت الثياب، وقد لَبَّسَ عليهم إبليس في ذلك وبالغ.

وقد احتجوا بما أخبرنا به أبو الفتح محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا أبو علي الحسن ابن محمد بن الفضل الكَرْماني، قال: أخبرنا أبو الحسن سهل بن علي الخشاب، قال: أخبرنا أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي، قال: وقد قيل له: إنه لما نزلت: ﴿**وأن جهنم لموعدهم أجمعين**﴾ [الحجر: 43]، صاح سلمان الفارسي صيحةً ووقع على رأسه ثم خرج هاربًا ثلاثة أيام.

واحتجوا بما أخبرنا به عبد الوهاب بن المبارك الحافظ، قال: أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن علي الخياط، قال: أخبرنا أحمد بن محمد ابن يوسف ابن دوست، قال: أخبرنا الحسين بن صفوان، قال: حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد القرشي، قال: أخبرنا علي بن الجعد، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن عيسى بن سليم، عن أبي وائل، قال: خرجنا مع عبد الله ومعنا الربيع بن خيثم فمررنا على حداد فقام عبد الله ينظر إلى حديدة في النار، فنظر الربيع إليها فمال ليسقط، ثم إن عبد الله مضى حتى أتينا على أتُّون على شاطىء الفرات، فلما رآه عبد الله والنار تلتهب في جوفه، قرأ هذه الآية: **إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظًا وزفيرًا** [الفرقان: 12]، إلى قوله: **ثبورًا كثيرًا** [الفرقان: 14]، فَصَعِقَ الربيع واحتملناه إلى أهله، ورابطه عبد الله حتى يصلي الظهر فلم يفق، ثم رابطه إلى العصر فلم يفق، ثم رابطه إلى المغرب فأفاق فرجع عبد الله إلى أهله.

قالوا: وقد اشتهر عن خلق كثير من العباد أنهم كانوا إذا سمعوا القرآن فمنهم من يموت، ومنهم من يصعق ويغشى عليه، ومنهم من يصيح، وهذا كثير في كتب الزهد.

والجواب: أما ما ذكره عن سلمان فمحال

وكــذب، ثم ليس له إســناد، والآية نــزلت بمكة وسـلمان إنما أسـلم بالمدينـة، ولم ينقل عن أحد من الصحابة مثل هذا أصلاً، وأما حكاية الربيع ابن خيثم فإن راويها عيسى بن سليم وفيه مغمزٌ.

أنبأنا عبد الوهـاب بن المبـارك الحافـظ، قـال: أخبرنا أبو بكر محمد بن المظفر الشـامي، قــال: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد العـتيقي، قـال: أخبرنا أبو يعقـــوب يوسف بن أحمد الصـــيدلاني، قـال: أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمـرو بن موسى العقيلي، قـــال: قـــال أحمد بن حنبـــل: عيسى بن سليم عن أبي وائل لا أعرفه.

قــال العقيلي: وحــدثنا عبد الله بن أحمد قــال: حــدثني أبي قــال: حــدثني ابن آدم قــال: ســمعتُ حمزة الزيات قال لسفيان: إنهم يــروون عن الربيع بن خيثم أنه صَعِقَ. قال: ومن يروي هذا؟ إنما كان يرويه ذاك القــاص ــ يعــني عيسى بن ســليم ــ فلقيته فقلت: عمن تروي أنت ذا؟ منكرًا عليه.

قــال المصـنف رحمه اللــه: قلت: فهـذا سـفيان الثــوري ينكر أن يكــون الربيع بن خيثم جــرى له هذا لأن الرجل كان على السمت الأول، وما كــان في الصحابة من يجـري له مثل هـذا ولا التـابعين، ثم نقول على تقدير الصحة: إن الإنسان قد يغشى عليه من الخـوف فيسـكنه الخـوف ويسـكته فيبقى

كـالميت، وعلامة الصـادق أنه لو كـان على حائط لوقع لأنه غائب.

فأما من يـــدعي الوجد ويتحفظ من أن تـــزل قدمه ثم يتعـــــدى إلى تخريق الثيـــــاب وفعل المنكرات في الشرع فإنا نعلم قطعًا أن الشيطان يلعب به.

وَأَخْبَرَنَا أبو منصور القزاز، قـال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثـــابت، قـــال: أخبرنا محمد ابن علي ابن الفتح، قـال: أخبرنا محمد بن الحسـين النيسـابوري، قـال: سـمعت أحمد بن محمد بن زكريـا، يقــول: سمعت أحمد بن عطاء، يقـول: كـان للشـبلي يـوم الجمعة نظـــرة ومن بعـــدها صـــيحةٌ، فصـــاح يومًا صيحةً تشـوش من حوله من الخلـق، وكـان بجنب حلقته حلقةُ أبي عمران الأشيب، فجرد أبو عمران وأهلُ حلقته[1].

قال المصنف رحمه اللـه: واعلم وفقك الله أن قلـوب الصـحابة كـانت أصـفى القلـوب، وما كـانوا يزيـدون عند الوجد على البكـاء والخشـوع، فجـرى من بعض غــرائبهم نحو ما أنكرنـاه فبـالغ رسـول الله في الإنكار عليه.

فأخبرنا محمد بن ناصر الحافـــظ، قـــال: أنبأنا أحمد بن علي بن خلف، قـال: أخبرنا أبو عبد الله

---

1 (?) ذكره الخطيب فى تاريخ بغداد 14/393.

محمد بن عبد الله الحافظ وأنبأنا ابن الحصـــــين قــال: أنبأنا أبو علي بن المــذهب قــال: أخبرنا أبو حفص بن شاهين، قال: حدثنا عثمان بن أحمد ابن عبد الله قـــال: حـــدثنا أحمد بن محمد بن عبد الحميد الجُعفي قال: حدثنا عبد المتعـال بن طـالب قال: حدثنا يوسف بن عطية، عن ثــابت، عن أنس قال: وعظ رسـول الله يومًا فـإذا رجل قد صـعق، فقال النـبي «من ذا الملبِّس علينا ديننـا؟ إن كـان صــادقًا فقد شـهر نفســه، وإن كــان كاذبًا فمحقه الله »[1].

قـال ابن شـاهين: وحـدثنا عبد الله بن سـليمان بن الأشـــعث، قـــال: حـــدثنا عبيد الله بن يوسف الجبـــيري، قـــال: حـــدثنا روح بن عطـــاء بن أبي ميمونـة، عن أبيـه، عن أنس بن مالـك، قـال: ذُكر عنـده هـؤلاء الـذين يصـعقون عند القـراءة فقـال أنس: «لقد رأيتنا ووعظنا رســـول الله ذات يـــوم حتى سمعنا للقــوم حنينًا حين أخذته الموعظة وما سقط منهم أحد».

قال المصنف رحمه الله: وهذا حـديث العربـاض بن سـارية: وعظنا رسـول الله موعظة ذرفت منها

---

1 (?) ضعيف جدًا: ذكره ابن عراق فى تنـزيه الشـريعة 2/343، وابن عدى فى الكامل 5/347، وفى إسـناده يوسف بن عطية متروك كما فى التقريب.

العيون، ووجلت منها القلوب[2].

قال أبو بكر الآجري: ولم يقل صرخنا ولا ضربنا صدورنا كما يفعلُ كثيرٌ من الجهال الذين يتلاعب بهم الشيطان.

أَخْبَرَنَا عبد الله بن علي المقري، قال: أخبرنا أبو ياسر أحمد بن بُندار بن إبراهيم، قال: أخبرنا محمد بن عمر بن بكر النجار، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان، قال: أخبرنا إبراهيم بن عبد الله البصري، قال: حدثنا حصين بن عبد الرحمن، قال: قلت لأسماء بنت أبي بكر: كيف كان أصحاب رسول صلى الله عليه وآله عند قراءة القرآن؟ قالت: كانوا كما ذكرهم الله - أو كما وصفهم عز وجل - تدمع عيونهم وتقشعر جلودهم، فقلت لها: إنَّ ههنا رجالاً إذا قُرىء على أحدهم القرآن غُشيَ عليه، فقالت: أعوذ ب الله من الشيطان الرجيم.

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصر، نا جعفر بن محمد السراج، نا الحسن بن علي التميمي، نا أبو بكر ابن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، ثنا الوليد بن شجاع، ثنا إسحاق الحلبي، ثنا فرات،

---

[2] (?) صحيح: أخرجه أبو داود فى السنة (4607)، والترمذى فى العلم (2676)، وابن ماجه فى المقدمة (43)، وأحمد فى المسند 4/126، وصححه الحاكم فى المستدرك 1/95، 96 ووافقه الذهبى.

عن عبد الكـريم، عن عِكرمة قـال: سـألت أسـماء بنت أبي بكــر: هل كــان أحد من الســلف يغشى عليه من الخوف؟ قالت: لا، ولكنهم كانوا يبكون.

أَخْبَرَنَا ابن ناصر، نا جعفر بن أحمـد، نا الحسن بن علي التميمي وأخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمـــــد، نا حمد بن أحمد الحـــــداد، نا أبو نعيم الحافظ، قالا: أخبرنا أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد، ثنا سُرَيْج بن يـونس، ثنا سـعيد بن عبد الــرحمن الجمحي، عن أبي حــازم، قــال: مــرَّ ابن عمر رضي الله عنه برجل ســــــــــاقط من العــراق.فقــال: ما شــأنه؟ فقــالوا: إذا قــرىء عليه القرآن يصـيبه هـذا. قـال: إنا لنخشى الله عز وجل وما نسقط[1].

أَخْبَرَنَا سـعيد بن أحمد بن البنــاء، نا أبو سـعد محمد بن علي الرُّســـتمي، نا أبو الحســـين ابن بشران، ثنا إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا سعدان بن نصـر، ثنا سـفيان بن عُيينـة، عن عبد الله ابن أبي بُـرْدَة، عن ابن عبــاس: أنه ذكر الخــوارج وما يلقـون عند تلاوة القـرآن، فقـال: إنهم ليسـوا بأشد اجتهادًا من اليهود والنصارى، وهم مضلّون.

أنبأنا ابن الحصـين، نا أبو علي بن المـذهب، نا أبو حفص بن شـــاهين، ثنا محمد بن بكر بن عبد

---

1 (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 1/312.

الـــرزاق، نا إبـــراهيم بن فهـــد، عن إبـــراهيم بن الحجاج السامي ثنا شبيب بن مهـران، عن قتـادة، قـــال: قيل لأنس بن مالـــك: إن ناسًـــا إذا قُـــرىء عليهم القرآن يصعقون فقال: ذاك فعل الخوارج.

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصر، نا عبد الـرحمن بن أبي الحســين بن يوســف، نا عمر بن علي ابن الفتح، نا أحمد بن محمد الكـــــــــاتب، ثنا عبد الله بن المغـيرة، ثنا أحمد بن سـعيد الدمشـقي، قـال: بلغ عبد الله بن الزبـــير أن ابنه عـــامرًا صـــحب قومًا يصـعقون عند قـراءة القـرآن. فقـال لـه: يا عـامر لأعـرفنَّ ما صـحبت الـذين يتصـعقون عند القـرآن لأُوسِعنَّك جلدًا.

أَخْبَرَنَا محمد بن عبد البـاقي بن أحمـد، نا حمد بن أحمد الحداد، نا أبو نعيم الحافـظ، ثنا سـليمان بن أحمـــد، ثنا محمد بن العبـــاس، ثنا الزُّبـــير بن بكار، ثني عبد الله ابن مصعب بن ثابت، عن عبد الله الزبير قـال: ثـني أبي، عن عـامر بن عبد الله بن الزبير قال: جئت إلى أبي فقال لي: أين كنت؟ فقلت: وجدت أقوامًا ما رأيت خيرًا منهم، يـــذكرون الله عز وجل فيرعد أحدهم حـتى يغشى عليه من خشـية الله عز وجل فقعـدت معهم، قـال: لا تقعد معهم بعدها، فرآني كأني لم يأخذ ذلك فيَّ فقـال: رأيت رسول الله يتلو القرآن ورأيتُ أبا بكر وعمر يتلوان القرآن ولا يصيبهم هذا، أفــتراهم أخشع لله

من أبي بكر وعمـــر؟ فـــرأيت أن ذلك كـــذلك، فتركتهم[1].

أَخْبَرَنَا محمد بن عبد الباقي، نا حمد بن أحمـد، نا أبو نعيم الحافظ، نا محمد بن أحمد، في كتابه، ثنا محمد بن أيــوب، ثنا حفص بن عمر النمــري، ثنا حمـاد بن زيـد، ثنا عمـرو بن مالـك، قـال: بَينَا نحن عند أبي الجـــوزاء يحـــدثنا إذ خـــرَّ رجل فاضـطرب، فـوثب أبو الجـوزاء يسـعى قبله فقيل لـه: يا أبا الجـوزاء، إنه رجل به الموتة فقـال: إنما كنت أراه من هـــؤلاء القفـــازين، ولو كـــان منهم لأمـرت به فـأُخرِج من المسـجد إنما ذكـرهم الله تعـــالى فقـــال: **﴿تفيض أعينهم من الـــدمع﴾** [المائدة: 83]، أو قال: **﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم﴾** [الزمر: 23].

أَخْبَرَنَا أبو محمد بن علي المقـري، نا أحمد بن بنـــدار بن إبـــراهيم، نا محمد بن عمر ابن بكر النجـار، نا أحمد بن جعفر بن حمـدان، ثنا إبـراهيم بن عبد الله البصـــري ثنا أبو عمر حفص بن عمر الضـــرير، نا حمـــاد بن زيـــد، ني عمـــرو بن مالك البكـري قـال: قـرأ قـارىء عند أبي الجـوزاء قـال: فصاح رجل من أخريات القوم، أو قال: من القوم، فقام إليه أبو الجوزاء فقيل لـه: يا أبا الجـوزاء إنه

---

1 (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 3/167.

رجل به شـــيء، فقـــال طـــبيب، إنه من هـــؤلاء النفارين، فلو كان منهم لوضعت رجلي على عنقه.

وقال أبو عمر: أخبرنا جرير بن حازم، أنه شـهد محمد بن ســيرين وقيل لـــه: إن ههنا رجـــالاً إذا قُـرىء على أحــدهم القــرآن غشي عليــه، فقــال محمد بن سيرين: يقعد أحدهم على جدار ثم يُقـرأ عليه القــرآن من أوله إلى آخــره؛ فــإن وقع فهو صادق قال أبو عمر: وكان محمد بن سيرين يذهب إلى أن هذا تصنُّع، وليس بحق من قلوبهم.

أَخْبَرَنَا محمد بن عبد الباقي، ثنا حمد بن أحمد، نا أبو نعيم الحافــظ، ثنا أبو محمد ابن حيــان، ثنا محمد بن العباس، ثنا زياد، عن يحيى، عن عمران بن عبد العزيز قــال: ســمعت محمــدًا بن ســيرين وسئل عن من يستمع القرآن فيصعق، فقال: ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله إلى آخره فــإن ســقطوا فهم كما يقولون.

أَخْبَرَنَا ابن ناصر، نا أبو طاهر عبد الــرحمن بن أبي الحســـــين بن يوســـــف، نا محمد بن علي العشـــــاري، نا محمد بن عبد الله الـــــدقاق، نا الحســـين بن صـــفوان، ثنا أبو بكر القرشـــي، ثنا محمد ابن علي عن إبــراهيم بن الأشــعث، قــال: ســمعت أبا عصـام الـرملي عن رجـلٍ عن الحسن

أنه وعظ يومًا فتنفس رجلٌ في مجلسه، فقال الحسن: إنْ كان لله تعالى شهرتَ نفسك، وإن كان لغير الله فقد هلكت.

أَخْبَرَنَا ابن ناصر، نا جعفر بن أحمد، نا الحسن بن علي، نا أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله ابن أحمد، ثني أبي، ثنا روح، ثنا السري بن يحيى، ثنا عبد الكريم بن رشيد، قال: كنت في حلقة الحسن فجعل رجل يبكي وارتفع صوته، فقال الحسن: إن الشيطان ليبكي هذا الآن.

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصر، نا أبو غالب عمر بن الحسين الباقلاني، نا أبو العلاء الواسطي، نا محمد بن الحسين الأزدي، ثنا إبراهيم بن رحمون، ثنا إسحق بن إبراهيم البغدادي، قال: سمعت أبا صفوان يقول: قال الفضيل بن عياض لابنه وقد سقط: يا بني إن كنت صادقًا لقد فضحت نفسك، وإن كنت كاذبًا فقد أهلكت نفسك.

أَخْبَرَنَا أبو بكر بن حبيب، نا أبو سعد بن أبي صادق، نا ابن باكويه، ثنا محمد بن أحمد النجار، ثنا المرتعش قال: رأيت أبا عثمان سعيد بن عثمان الواعظ، وقد تواجد إنسانٌ بين يديه، فقال له: يا بني إن كنت صادقًا فقد أظهرت كل مالك، وإن كنت كاذبًا فقد أشركت ب الله.

نقد مسالك الصوفية في الوجد

(فصل):

قال المصنف رحمه الله: فإن قال قائل: إنما يفرض الكلام في الصادقين لا في أهل الرياء.

فما تقول فيمن أدركه الوجد ولم يقدر على دفعه؟.

فالجواب: إن أول الوجد إنزعاج في الباطن، فإن كف الإنسان نفسه كيلا يطلع على حاله يئس الشيطان منه، فبعد عنه، كما كان أيوب السختياني إذا تحدث فرق قلبه مسح أنفه وقال: ما أشد الزكام.

وإن أهمل الإنسان ولم يبال بظهور وجده أو أحب اطلاع الناس على نفسه نفخ فيه الشيطان فانزعج على قدر نفخه، كما أخبرنا هبة الله بن محمد، نا الحسن بن علي، نا أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله، ثني أبي، ثنا أبو معاوية، ثنا الأعمش، عن عمرو بن مُرة، عن يحيى بن الجزار، عن ابن أخي زينب، عن امرأة عبد الله قالت: جاء عبد الله ذات يوم وعندي عجوز ترقيني من الحمرة، فأدخلتها تحت السرير، قالت: فدخل فجلس إلى جنبي، فرأى في عنقي خيطًا، فقال: ما هذا الخيط؟ قلت: خيط رُقي لي فيه رقية، فأخذه وقطعه ثم قال: إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله يقول: «إن في الرُّقى

والتمائم والتِّوَلَة شركًا»، قالت: فقلت لـه: لم تقـول هـذا؟ وقد كـانت عيـني تقـذف وكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيها، فكان إذا رقاها سكنت، قال: إنما ذاك من عمل الشـيطان، كـان ينخسـها بيـده، فإذا رقيتها كف عنهـا، إنما كـان يكفيك أن تقـولي كما قال رسـول اللـه: «أذهب البـأس رب النـاس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شــفاء لا يغادر سقمًا»[1].

قــال المصــنف رحمه اللــه: التولة ضــرب من السحر يحبب المرأة إلى زوجها.

أَخْبَرَنَا محمد بن عبد البـــاقي بن أحمــــد، نا الحسن بن عبد الملك بن يوســـف، نا أبو محمد الخلال، ثنا أبو عمر بن حيويه، ثنا أبو بكر بن أبي داود، ثنا هـارون بن زيد بن أبي الزرقـاء، ثنا أبي، قال: ثنا سفيان، عن عكرمة بن عمار، عن شعيب بن أبي السني، عن أبي عيسى أو عيسـى، قـال: ذهبت إلى عبد الله بن عمر، فقال: أبو السـوار: يا أبا عبد الـرحمن إن قومًا عنـدنا إذا قـرىء عليهم القرآن يركض أحدهم من خشية الله. قـال: كـذبت. قـال: بلى ورب هـذه البنيـة. قـال: ويحـك، إن كنت

[1] (?) صـحيح: أخرجه أبو داود فى الطب (3883)، وابن ماجه فى الطب (3530)، وأحمد فى المسـند 1/381، وابن حبـان فى صحيحه (1412 موارد)، وصـححه الحـاكم فى المسـتدرك 4/217 ووافقه الذهبى، وانظر: الصحيحة (331).

صادقًا فإن الشيطان ليدخل جوف أحدهم، والله ما هكذا كان أصحابُ محمد.

دفع الوجد

(فصل):

فإن قال قائل: فنفرض أن الكلام فيمن اجتهد في دفع الوجد فلم يقدر عليه وغلبه الأمر فمن أين يدخل الشيطان؟.

فالجواب: إنا لا ننكر ضَعف بعض الطباع عن الدفع إلا أنَّ علامة الصادق أنه لا يقدر على أن يدفع، ولا يدري ما يجري عليه فهو من جنس قوله عز وجل: ﴿**فخر موسى صعقاً**﴾ [الأعراف: 143].

وقد أخبرنا محمد بن عبد الباقي، نا حمد بن أحمد، نا أحمد بن عبد الله، ثنا إبراهيم بن عبد الله، ثنا محمد بن إسحق الثقفي، ثني حاتم بن الليث الجوهري، ثنا خالد بن خداش، قال: قُرئ على عبد الله بن وهب كتاب «أهوال القيامة»، فخر مغشيًا عليه فلم يتكلم بكلمة حتى مات بعد ذلك بأيام.

قال المصنف رحمه الله: قلت: وقد مات خلق كثير من سماع الموعظة وغشي عليهم. قلنا: هذا التواجد الذي يتضمن حركات المتواجدين وقوة صياحهم وتخبطهم فظاهره أنه متعمل والشيطان

معين عليه.

قال المصنف رحمه الله: فإن قيل: فهل في حق المخلص نقص بهذه الحالة الطارئة عليه؟ قيل: نعم من جهتين: أحدهما: أنه لو قوي العلم أمسك. والثاني: أنه قد خولف به طريق الصحابة والتابعين ويكفي هذا نقصًا.

أَخْبَرَنَا عبد الله بن علي المقري، نا هبة الله بن عبد الرزاق السني، وأخبرنا عيسى ابن أحمد ابن البناء، نا أبو سعد محمد بن علي الرستمي، قالا: نا أبو الحسين بن بشران، نا أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا سعدان بن نصر، ثنا سفيان بن عيينة، قال: سمعت خلف بن حوشب يقول: كان خوات يرعد عند الذكر فقال له إبراهيم: إن كنت تملكه فما أبالي أن لا أعتد بك. وإن كنت لا تملكه فقد خالفت من كان قبلك. وفي رواية: فقد خالفت من هو خير منك.

قال المصنف رحمه الله: قلت: إبراهيم هو النخعي الفقيه، وكان متمسكًا بالسنة شديد الاتباع للأثر، وقد كان خَوَّات من الصالحين البعداء عن التصنع، وهذا خطاب إبراهيم له، فكيف بمن لا يخفي حاله في التصنع.

(فصل): إذا طرب أهل التصوف صفّقوا

فإذا طرب أهل التصوف لسماع الغناء صفقوا.

أَخْبَرَنَا محمد بن عبد البـــاقي، نا رزق الله بن عبد الوهاب التميمي، نا أبو عبد الرحمن السلمي، قال: سمعت أبا سليمان المغربي يقول: سمعت أبا علي ابن الكـاتب، يقـول: كـان ابن بنـان يتواجـد، وكان أبو سعيد الخراز يصفق له.

قال المصنف رحمه اللـه: قلت: والتصـفيق منكر يطــرب ويخــرج عن الاعتــدال وتتــنزه عن مثله العقلاء، ويتشـــبه فاعله بالمشـــركين فيما كـــانوا يفعلونه عند الـبيت من التصـدية. وهي الـتي ذمهم الله عز وجل بها فقال: **﴿وما كان صـلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية﴾** [الأنفال: 35]، فالمكاء: الصفير، والتصدية: التصفيق.

أَخْبَرَنَا عبد الوهـاب الحافـظ، نا أبو الفضل بن خيرون، نا أبو علي بن شاذان، نا أحمد بن كامل، ثـني محمد بن سـعد، ثـني أبي، ثـني عمي، عن أبيه، عن جده، عن ابن عبـاس: **﴿إلا مكاء﴾** يعـني التصفير، **﴿وتصدية﴾** يقول: التصفيق.

قال المصنف رحمه الله: قلت: وفيه أيضًا تشــبه بالنسـاء، والعاقل يـأنف من أن يخـرج عن الوقـار إلى أفعال الكفار والنسوة.

(فصل): إذا قوي طربهم رقصوا

فـإذا قـوي طـربهم رقصـوا، وقد احتج بعضـهم بقوله تعالى لأيوب: **أركض برجلك** [ص: 42].

قـال المصـنف رحمه اللـه: قلت: وهـذا الاحتجـاج بـارد لأنه لو كـان أمر بضــرب الرجل فرحًا كـان لهم فيه شـــبهة، وإنما أمر بضـــرب الرجل لينبع الماء.

قال ابن عقيــل: أين الدلالة في مبتلى أُمر عند كشف البلاء بـأن يضـرب برجله الأرض لينبع المـاء إعجـازًا أين الـرقص؟ ولئن جـاز أن يكـون تحريك رجل قد أنحلها تحكم الهـــوام دلالة على جـــواز الــرقص في الإســلام جــاز أن يجعل قوله تعــالى لموسى **أضـرب بعصـاك الحجر** [البقـرة: 60]، دلالة على ضـرب الجمـاد بالقضـبان نعـوذ ب الله من التلاعب بالشرع.

واحتج بعض ناصــريهم بــأن رســول الله قــال لعلي: «أنتَ مني وأنا منك»، فحجل، وقال لجعفـر: «أشبهت خلقي وخلقي»، فحجل، وقـال لزيـد: أنت أخونا ومولانا»، فحجل[1].

---

1 (?) صحيح دون قوله: فحجل: أخرجه البخـارى فى المغـازى (4251) من حــديث الــبراء بن عــازب، وأخرجه الحــاكم فى المســتدرك 3/120 من حــديث علىّ بن أبى طــالب وقــال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبى.
وأخرجه بقوله: «فخجـل»: الـبيهقى فى السـنن الكـبرى 10/226 وفى سنده هانىء بن هانىء قـال الـبيهقى: «ليس بـالمعروف جدًا».

ومنهم من احتج بــأن الحبشة رقصت والنــبي ينظر إليهم[2].

فالجواب: أما الحجل فهو نوع من المشي يُفعل عند الفــرح فــأين هو من الــرقص؟ وكــذلك رقص الحبشة نوع من المشي بتشبيب يفعل عند اللقــاء بالحرب.

واحتج لهم أبو عبد الــرحمن الســلمي على جــواز الــــرقص بما أخبرنا به أبو نصر محمد ابن منصــــور الهمذاني، نا إسماعيل بن أحمد بن عبد الملك المـؤذن، نا أبو صــالح أحمد ابن عبد الملك وأبو ســعيد محمد بن عبد العزيز وأبو محمد عبد الحميد بن عبد الــــرحمن، قالوا: ثنا أبو عبد الرحمن السّلمي، ثنا أبو العباس أحمد بن سـعيد المعـداني، ثنا محمد بن سـعيد المـروزي، ثنا عبــاس الــترقفي، ثنا عبد الله بن عمــرو الــوراق، ثنا الحسن ابن علي بن منصــور، ثنا أبو عتــاب المصــري، عن إبراهيم بن محمد الشافعي أن سعيد ابن المســيب مر في بعض أزقة مكة فســمع الأخضر الحــداء يتغــنى في دار العاص بن وائل بهذا: (الطويل)

تَضَوَّعَ مِسْكًا بطنُ — بِهِ زينبٌ في نِسْوةٍ
فلما رأَتْ رَكْبَ — وَهُنَّ مِن أن يلقينَهُ

قال: فضــرب برجله الأرض زمانًا وقــال: هــذا ما

---

2 (?) صــحيح: أخرجه مســلم فى صــلاة العيــدين (892/20)، وأحمد فى المسند 6/116.

يَلَـذُّ سـماعه، وكـانوا يـروون الشـعر لسـعيد بن المسيب.

قال المصنف: قلت: هـذا إسـناده مقطـوعٌ مُظلم لا يصـحُّ عن ابن المسـيب، ولا هـذا شـعره، كـان ابن المسيب أوقر من هذا، وهذه الأبيات مشهورة لمحمد بن عبد الله ابن نُمير النميري الشاعر ولم يكن نميريًا وإنما نسب إلى اسم جـده وهو ثقفي، وزينب الـــتي يشـــبب بها هي ابنة يوسف أخت الحجاج، وسأله عبد الملك بن مـروان عن الـرَّكب ما كـان؟ فقـال: كـانت أحْمِـرة عجافًا حملت عليها قطرانًا من الطـائف، فضـحك وأمر الحجـاج أن لا يؤذيه.

قال المصـنف رحمه اللـه: ثم لو قَـدَّرنا أن ابن المسيب ضرب برجله الأرض فليس في ذلك حجة على جواز الرقص، فإن الإنسان قد يضرب الأرض برجله أو يـدقُّها بيـده لشـيء يسـمعه ولا يسـمى ذلك رقصًا.

فما أقبح هـــذا التعلـــق، وأين ضـــرب الأرض بالقدم مرة أو مرتين من رقصـهم الـذي يخرجـون به عن ســـمت العقلاء؟ ثم دعونا من الاحتجـــاج، تعالوا نتقاضى إلى العقـول: أي معـنى في الـرقص إلا اللعب الـذي يليق بالأطفـال وما الـذي فيه من تحريك القلـوب إلى الآخـرة؟ هـذا والله مكـابرة

باردة.

ولقد حدثني بعض المشايخ عن الغزالي أنه قال: الرقص حماقة بين الكتفين لا تزول إلا بالتعب، وقال أبو الوفاء بن عقيل: قد نص القرآن على النهي عن الرقص، فقال عز وجل: ﴿**لا تمش فى الأرض مرحًا**﴾ [الإسراء: 37]. وذم المختال فقال تعالى: ﴿**إنه لا يحب كل مختال فخور**﴾ [لقمان: 18]. والرقص أشد المرح والبطر، أولسنا الذين قسنا النبيذ على الخمر لاتفاقهما في الإطراب والسُّكر، فما بالنا لا نقيس القضيب وتلحين الشعر معه على الطنبور والمزمار والطبل لاجتماعهم في الإطراب، وهل شيءٌ يزري بالعقل والوقار ويخرج عن سمت الحلم والأدب أقبح من ذي لحية يرقص؟ فكيف إذا كانت شيبة ترقص وتصفق على وقاع الألحان والقضبان خصوصًا إذا كانت أصوات نسوان ومُردان؟ وهل يحسن بمن بين يديه الموت والسؤال والحشر والصراط، ثم هو إلى إحدى الدارين صائر، أن يشمس بالرقص شمس البهائم ويصفق تصفيق النسوة، والله لقد رأيت مشايخ في عصري ما بان لهم سن في تبسم فضلاً عن ضحك.

مع إدمان مخالطتي لهم كالشيخ أبي القاسم بن زيدان، وعبد الملك بن بشران، وأبي طاهر ابن العلاف، والجنيد، والدينوري.

حالات الطرب الشديدة لدى الصوفية

(فصل):

فــإذا تمكن الطــرب من الصــوفية في حــال رقصهم جذب أحـدهم بعض الجلـوس ليقـوم معـه، ولا يجـوز على مـذهبهم للمجـذوب أن يقعـد، فـإذا قام قام الباقون تبعًا له، فإذا كشف أحدهم رأسه كشف البــاقون رؤوســهم موافقة لـــه، ولا يخفى على عاقل أن كشف الــــرأس مســـــتقبح وفيه إسقاط مروءة وترك أدب، وإنما يقع في المناسك تعبدًا لله وذلاً له.

(فصل):

فـإذا اشـتد طـربهم رمـوا ثيـابهم على المغـني، فمنهم من يــرمي بها صــحاحًا، ومنهم من يخرقها ثم يرمي بها، وقد احتج لهم بعض الجهـال فقـال: هـــؤلاء في غيبة فلا يلامـــون، فـــإن موسى عليه الســـلام لما غلب عليه الغم بعبـــادة قومه العجل رمى الألواح فكسرها ولم يدر ما صنع.

والجواب أن نقـول: من يصـحح عن موسى بأنه رماها رمي كاسر، والـذي ذُكِر في القـرآن إلقاؤها فحسـب، فمن أين لنا أنها تكسـرت؟ ثم لو قيـل: تكســرت، فمن أين لنا أنه قصد كســرها؟ ثم لو صححنا ذلك عنه قلنا: كان في غيبة حـتى لو كـان بين يديه حينئذ بحر من نـار لخاضـه، ومن يصـحح

لهؤلاء غيبتهم وهم يعرفون المغني من غيره ويحذرون من بئر إن كانت عندهم.

ثم كيف يقاس أحوال الأنبياء على أحوال هؤلاء السفهاء؟

ولقد رأيت شابًا من الصوفية يمشي في الأسواق ويصيح والغلمان يمشون خلفه وهو يبربر ويخرج إلى الجمعة فيصيح صيحات وهو يصلي الجمعة، فسئلت عن صلاته، فقلت: إن كان وقت صياحه غائبًا فقد بطل وضوءه، وإن كان حاضرًا فهو متصنع، وكان هذا الرجل جلدًا لا يعمل شيئًا، بل يدار له بزنبيل في كل يوم فيجمع له ما يأكل هو وأصحابه، فهذه حالة المتأكلين لا المتوكلين.

ثم لو قدّرنا أن القوم يصيحون عن غيبة، فإن تعرضهم لما يغطي على العقول من سماع ما يطرب منهي عنه، كالتعرض لكل ما غالبه الأذى.

وقد سئل ابن عقيل عن تواجدهم وتخريق ثيابهم فقال: خطأ وحرام، وقد «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إضاعة المال[1]، وعن شق الجيوب»[2]، فقال له قائل: فإنهم لا يعقلون ما يفعلون؟ قال: إن حضروا هذه الأمكنة مع

---

[1] (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الأدب (5975)، ومسلم فى الأقضية (593/12 ـ 14) من حديث المغيرة بن شعبة.

[2] (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الجنائز (1297)، ومسلم فى الإيمان (103/165) من حديث عبد الله بن مسعود.

علمهم أن الطـــرب يغلب عليهم فيزيل عقـــولهم أثمــوا بما يــدخل عليهم من التخريق وغــيره، مما يفسد ولا يســـقط عنهم خطـــاب الشـــرع، لأنهم مخاطبون قبل الحضور بتجنب هـذه المواضع الـتي تفضي إلى ذلـــك، كما هم منهيـــون عن شـــرب المسكر، فإذا سكروا وجـرى منهم إفسـاد الأمـوال لم يسقط الخطاب لسـكرهم، كـذلك هـذا الطـرب الذي يسـميه أهل التصـوف وجـدًا، إن صـدقوا فيه فسـكر طبـع، وإن كـذبوا ففسـاد، ومع الصـحو فلا ســلامة فيه مع الحـــالين، وتجنب مواضع الـــريب واجب. واحتج لهم ابن طـاهر في تخـريقهم الثيـاب بحـــديث عائشة رضي الله عنها قـــالت: «نصـــبت حجلة لي فيها رقم فمدها النبي فشقها»[1].

قال المصنف رحمه اللـه: فـانظر إلى فقه هـذا الرجل المسكين كيف يقيس حال من يمــزق ثيابه فيفســـدها، وقد نهى رســـول الله عن إضـــاعة المال[2] على مد سـتر ليحط فانشق لا عن قصـد، أو كـان عن قصد لأجل الصـور الـتي كـانت فيـه. وهذا من التشـديد في حق الشـارع عن المنهيـات كما أمر بكسر الـــدِّنان في الخمـــور، فـــإن ادعى مخرق ثيابه أنه غائب، قلنـا: الشـيطان غيبـك، لأنك

---

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى اللباس (5954)، ومسلم فى اللباس (2107/91، 92).
2 (?) متفق عليه: سبق تخريجه قريبًا.

لو كنت مع الحق لحفظك، فإن الحق لا يفسد. وقد أخبرنا محمد بن أبي القاسم، نا حمد بن أحمد، أبو نعيم الحافظ ثنا محمد بن علي ابن حبيش، ثنا عبد الله بن الصقر، ثنا الصلت بن مسعود، ثنا جعفر بن سليمان، قال: سمعت أبا عمران الجوني، يقول: وعظ موسى بن عمران عليه السلام يومًا، فشق رجل منهم قميصه، فأوحى الله عز وجل لموسى، قل لصاحب القميص لا يشق قميصه، أيشرح لي عن قلبه؟!.

نقد مسالك الصوفية في تقطيع الثياب خرقًا

(فصل):

وقد تكلم مشايخ الصوفية في الخرق المرمية. فقال محمد بن طاهر: الدليل على أن الخرقة إذا طرحت صارت ملكًا لمن طرحت بسببه حديث جرير: جاء قوم مجتابي النمار فحض رسول الله على الصدقة، فجاء رجل من الأنصار بصرّة فتتابع الناس حتى رأيت كومين من ثياب وطعام[1]. قال: والدليل على أن الجماعة إذا قدموا عند تفريق الخرقة أسهم لهم حديث أبي موسى: قدم على رسول الله بغنيمة وسلب فأسهم لنا[2].

---

1 (?) صحيح: أخرجه مسلم فى الزكاة (1017/69)، والنسائى فى الزكاة (2553).

2 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى المغازى (4233)،

قال المصنف رحمه الله: لقد تلاعب هذا الرجل بالشـريعة، واسـتخرج بسـوء فهمه ما يظنه يوافق مذهب المتأخرين من الصوفية، فإنا ما عرفنا هـذا في أوائلهم، وبيان فساد استخراجه أن هـذا الـذي خرق الثوب ورمى به إن كان حاضرًا فما جـاز له تخريقــه، وإن كــان غائبًا فليس له تصــرف جــائز شرعًا لا هبة ولا تمليكًا.

وكذلك يزعمـون بـأن ثوبه كـان كالشـيء الـذي يقع من الإنسان ولا يـدري بـه، فلا يجـوز لأحد أن يتملكه، وإن كان رمـاه في حـال حضـوره لا على أحد، فلا وجه لتملكـه، ولو رمـاه على المغـني لم يتملكـــه، لأن التملك لا يكـــون إلا بعقد شـــرعي والرمي ليس بعقد.

ثم نقـــدر أنه ملك للمغـــني فما وجه تصـــرف البـــاقين فيـــه، ثم إذا تصـــرفوا فيه خرقـــوه خرقًا وذلك لا يجوز لوجهين:

أحدهما: أنه تصرف فيما لا يملكونه.

والثــاني: أنه إضــاعة للمــال. ثم ما وجه إســهام من لم يحضر؟

فأما حـــديث أبي موسى فقـــال العلمـــاء منهم الخطابي: يحتمل أن يكـون رسـول الله أجـازه عن رضى ممن شهد الواقعة أو من الخمس الـذي هو

ومسلم فى فضائل الصحابة (2502/169).

حقه، وعلى مذهب الصوفية تعطى هذه الخرقة لمن جاء.

وهذا مذهب خارج عن إجماع المسلمين وما أشبه ما وضع هؤلاء بآرائهم الفاسدة إلا بما وضعت الجاهلية من أحكام البحيرة والسائبة والوصيلة والحام. قال ابن طاهر: أجمع مشايخنا على أن الخرقة المخرقة وما انبعث من الخرق الصحاح الموافقة لها أن ذلك كله يكون بحكم الجمع يفعلون فيه ما يراه المشايخ.

واحتجوا بقول عمر رضي الله عنه: «الغنيمة لمن شهد الواقعة»[1]، وخالفهم شيخنا أبو إسماعيل الأنصاري، فجعل الخرقة على ضربين: ما كان مجروحًا قسم على الجميع، وما كان سليمًا دفع إلى القوّال، واحتج بحديث سلمة: من قتل الرجل؟ قالوا: سلمة بن الأكوع: قال: «له سَلَبُهُ أجمع»[2]. فالقتل إنما وجد من جهة القوال فالسلب له.

قال المصنف رحمه الله: انظروا إخواني عصمنا الله وإياكم من تلبيس إبليس إلى تلاعب هؤلاء الجهلة بالشريعة وإجماع مشايخهم الذي لا يساوي إجماعهم بعرة، فإن مشايخ الفقهاء أجمعوا على

---

1 (?) صحيح: أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى 9/50 وصححه.

2 (?) صحيح: أخرجه مسلم فى الجهاد (1754/45)، وأبو داود فى الجهاد (2654)، وأحمد فى المسند 4/49، 50 مطولا.

أن الموهوب لمن وهب له، سواء كان مخرقًا أو سليمًا ولا يجوز لغيره التصرف فيه.

ثم إن سلب القتيل كل ما عليه فما بالهم جعلوا ما رمي به، ثم ينبغي أن يكون الأمر على عكس ما قاله الأنصاري لأن المجروح من الثياب ما كان بسبب الوجد فينبغي أن يكون المجروح للمغني دون الصحيح، وكل أقوالهم في هذا محال وهذيان.

وقد حكى لي أبو عبد الله التكريتي الصوفي، عن أبي الفتوح الإسفراييني، وكنت أنا قد رأيته وأنا صغير السن، وقد حضر في جمع كثير في رباط، وهناك المخاد والقضبان ودف بجلاجل، فقام يرقص حتى وقعت عمامته فبقي مكشوف الرأس. قال التكريتي: إنه رقص يومًا في خف له، ثم ذكر أن الرقص في الخف خطأ عند القوم فانفرد وخلعه، ثم نزع مطرقًا كان عليه، فوضعه بين أيديهم كفارة لتلك الجناية فاقتسموه خرقًا.

قال ابن طاهر: والدليل على أن الذي يطرح الخرقة لا يجوز أن يشتريها من الجمع حديث عمر: لا تعودنَّ في صدقتك[1].

قال المصنف: انظر إلى بُعد هذا الرجل عن

---

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الهبة (2636)، ومسلم فى الهبات (3/1621، 4).

فهم معاني الأحاديث فإن الخرقة المطروحة باقية على ملك صاحبها فلا يحتاج إلى أن يشتريها.

(فصل):

وأما تقطيعهم الثياب المطروحة خرقًا وتفريقها فقد بينا أنه إن كان صاحب الثوب رماه إلى المغني لم يملكه بنفس الرمي حتى يملكه إياه، فإذا ملكه إياه فما وجه تصرف الغير فيه؟

ولقد شهدت بعض فقهائهم يخرق الثياب ويقسمها ويقول: هذه الخرق ينتفع بها وليس هذا بتفريط فقلت: وهل التفريط إلا هذا؟ ورأيت شيخًا آخر منهم يقول: خَرَّقْتُ خِرَقًا في بلدنا فأصاب رجل منها خريقة فعملها كنفًا فباعه بخسمة دنانير فقلت له: إن الشرع لا يجيز هذه الرعونات لمثل هذه النوادر.

وأعجب من هذين الرجلين أبو حامد الطوسي فإنه قال: يباح لهم تمزيق الثياب إذا خُرِّقَتْ قطعًا مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات، فإن الثوب يمزق حتى يخاط منه قميص ولا يكون ذلك تضييعًا.

ولقد عجبت من هذا الرجل كيف سلبه حب مذهب التصوف عن أصول الفقه ومذهب الشافعي فنظر إلى انتفاع خاص، ثم ما معنى قول: مربعة، فإن المطاولة ينتفع بها أيضًا ثم لو مزق الثوب

قرامل[1] لانتفع بها، ولو كسر السيف نصفين لانتفع بالنصف.

غير أن الشرع يتلمح الفوائد العامة ويسمي ما نقص منها للانتفــاع إتلافًــا، ولهــذا ينهى عن كسر الدرهم الصحيح لأنه يذهب منه قيمة بالإضافة إلى المكســور، وليس العجب من تلــبيس إبليس على الجهال منهم بل على الفقهـاء الـذين اختـاروا بـدع الصــوفية على حكم أبي حنيفة والشــافعي ومالك وأحمد رضوان الله عليهم أجمعين.

(فصل):

ولقد أغربـوا فيما ابتـدعوا، وأقـام لهم الأعـذار من إلى هـواهم مـال، ولقد ذكر محمد بن طـاهر في كتابـــه: بـــاب الســـنة في أخذ شــــيء من المستغفر، واحتج بحديث كعب بن مالك في توبته: يجزئك الثلث[2]، ثم قال: بـاب الـدليل على أنَّ من وجبت عليه غرامة فلم يؤدها ألزمــوه أكــثر منهــا، واســتدل بحـديث معاوية بن جعـدة عن النـبي أنه قــال في الزكــاة: «من منعها فإنا آخــذوها وشــطر

---

1 (?) القرامل: ما وصلت به المرأة شعرها من صوف ونحوه.

2 (?) صــحيح: أخرجه أبو داود فى الأيمــان والنــذور (3319)، وأحمد فى المســند 3/453، 502، وعبد الـرزاق فى مصـنفه 5/406، والطبرانى فى الكبير 19/59، والـبيهقى فى السـنن الكبرى 10/68.

ماله»[1].

قال المصنف رحمه الله: قلت: فانظر إلى تلاعب هؤلاء وجهل هذا المحتج لهم، وتسمية ما يلزم بعضهم بما لا يلزمه غرامة، وتسمية ذلك واجبًا، وليس لنا غرامة، ولا وجوب إلا بالشرع، ومتى اعتقد الإنسان ما ليس بواجب واجبًا كفر.

ومن مذهبهم كشف الرؤوس عند الاستغفار، وهذه بدعة تسقط المروءة وتنافي الوقار، ولولا ورود الشرع بكشفه في الإحرام ما كان له وجه.

وأما حديث كعب بن مالك فإنه قال: إن من توبتي أن أنخلع من مالي، فقال له رسول الله «يجزئك الثلث»[2]، لا على سبيل الإلزام له، وإنما تبرع بذلك فأخذه منه.

وأين إلزام الشرع تارك الزكاة مما يزيد عليها عقوبة من إلزامهم المريد غرامة لا تجب عليه فإذا امتنع ضاعفوها وليس إليهم الإلزام إنما ينفرد بالإلزام الشرع وحده. وهذا كله جهل وتلاعب بالشريعة فهؤلاء الخوارج عليها حقًا.

---

1 (?) حسن: أخرجه أبو داود فى الزكاة (1575)، والنسائى فى الزكاة (3443) والدارمى فى الزكاة (1677)، وأحمد فى المسند 5/2، 4، وابن خزيمة فى صحيحه (2266)، وصححه الحاكم فى المستدرك 1/397 ووافقه الذهبى. والحديث حسن للخلاف المعروف فى بهز بن حكيم.

2 (?) صحيح: انظر: التخرج الأسبق.

ذكر تلبيس إبليس على كثير من الصوفية في صحبة الأحداث

قال المصنف: اعلم أن أكثر الصوفية المتصـوفة قد سَـدُّوا على أنفسـهم بـاب النظر إلى النسـاء الأجـانب، لبعـدهم عن مصـاحبتهن وامتنـاعهم عن مخـالطتهن، واشـتغلوا بالتعبد عن النكـاح، واتفقت صـــحبة الأحـــداث لهم على وجه الإرادة وقصد الزهادة، فأمالهم إبليس إليهم.

واعلم أن الصـوفية في صـحبة الأحـداث على سبعة أقسام:

القسم الأول: أخبث القـوم، وهم نـاس تشـبهوا بالصوفية ويقولون بالحلول.

أَخْبَرَنَا محمد بن عبد البـــــاقي بن أحمد بن سليمان، نا أبو علي الحسين بن محمد بن الفضل الكرماني، نا سـهل بن علي الخشـاب، نا أبو نصر عبد الله بن علي السراج، قـال: بلغـني أن جماعة من الحلولية زعمـــوا أن الحق تعـــالى اصـــطفى أجسامًا حلَّ فيها بمعاني الربوبية، ومنهم من قال: هو حـالٌّ في المستحسـنات. وذكر أبو عبد الله بن حامد من أصـحابنا أن طائفة من الصـوفية قـالوا: إنهم يـرون الله عز وجل في الـدنيا، وأجـازوا أن يكون في صـفة الآدمي، ولم يـأبوا كونه حـالاً في الصورة الحسنة حتى استشهدوه في رؤيتهم الغلام

الأسود.

القسم الثاني: قوم يتشبهون بالصوفية في ملبسهم، ويقصدون الفسق.

القسم الثالث: قوم يستبيحون النظر إلى المستحسن.

وقد صنف أبو عبد الرحمن السلمي كتابًا سماه «سنن الصوفية» فقال في أواخر الكتاب: باب في جوامع رخصهم فذكر فيه الرقص والغناء والنظر إلى الوجه الحسن، وذكر فيه ما روي عن النبي أنه قال: «اطلبوا الخير عند حسان الوجوه»[1] وأنه قال: «ثلاثة تجلو البصر: النظر إلى الخضرة، والنظر إلى الماء، والنظر إلى الوجه الحسن»[2].

قال المصنف رحمه الله: وهذان الحديثان لا أصل لهما عن رسول الله أما الحديث الأول فأخبرنا به عبد الأول بن عيسى، نا عبد الرحمن بن محمد بن المظفر، نا عبد الله ابن أحمد بن

---

1 (?) موضوع: أخرجه أبو يعلى 8/199، والخطيب فى تاريخ بغداد 3/226، 4/185، والعقيلى فى الضعفاء 2/39، وذكره ابن عراق فى تنزيه الشريعة 2/133، وقال المصنف: «لا أصل له»، وأنظر: الضعيفة (1585).

2 (?) موضوع: أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد 4/286، وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات 1/163 وقال: «حديث باطل»، واللألىء المصنوعة 1/60، وقال المصنف هنا: «لا أصل له» وانظر: الضعيفة (134)، وكشف الخفاء (387).

حمويه، نا إبراهيم بن خُرَيْم، ثنا عبد بن حميد، ثنا يزيد بن هـــارون، ثنا محمد بن عبـــدالرحمن بن المجـبر عن نـافع، عن ابن عمـر، أن النـبي قـال: «اطلبوا الخير عند حسان الوجوه».

قـــال يحـــيى بن معين: محمد بن عبد الـــرحمن ليس بشيء.

قال المصنف: قلت: وقد روي هـذا الحـديث من طـرق، قـال العُقيلي: لا يثبت عن النـبي في هـذا شيء.

وأما الحـــــديث الآخر فأنبأنا أبو منصـــــور بن خـيرون، نا أحمد بن علي بن ثـابت، نا محمد بن أحمد بن يعقوب، نا محمد بن نعيم الضَّـبِّيُّ، نا أبو بكر محمد بن أحمد بن هارون، نا أحمد ابن عمر بن عبيد الريحاني، قال: سـمعت أبا البخـتري وهب بن وهب يقـــول: كنت أدخل على الرشـــيد وابنه القاسم بين يديـه، فكنت أُدمن النظر إليـه، فقـال: أراك تـــــدمن النظر إلى القاسم تريد أن تجعل انقطاعه إليـــك، قلت: أعيـــذك ب الله يا أمـــير المؤمـنين أن ترميـني بما ليس فيَّ، وأما إدمـان النظر إليه فـإن جعفـرًا الصـادق ثنا عن أبيـه، عن جده علي بن الحسين، عن أبيـه، عن جـده، قـال: قـال رسـول الله «ثلاث يـزدن في قـوة النظـر: النظر إلى الخضرة وإلى الماء الجاري وإلى الوجه

الحسن»[1].

قال المصنف رحمه الله: هـذا حـديث موضـوع، ولا يختلف العلمــاء في أبي البخــتري أنه كــذاب وضاع، وأحمد بن عمر بن عبيد أحد المجهولين.

ثم قد كان ينبغي لأبي عبد الرحمن السلمي إذ ذكر النظر إلى المستحسن أن يقيـده بـالنظر إلى وجه الزوجة أو المملوكـة، فأما إطلاقه ففيه سـوء ظن. وقال شيخنا محمد بن ناصر الحافظ: كان ابن طـاهر المقدسي قد صـنف كتابًا في جـواز النظر إلى المرد.

قال المصنف رحمه الله: قلت: والفقهاء يقولون: من ثارت شهوته عند النظر إلى الأمرد حرم عليه أن ينظر إليـه، ومـتى ادّعى الإنسـان أنه لا تثـور شــــهوته عند النظر إلى الأمــــرد المستحسن فهو كاذب، وإنما أبيح على الإطلاق لئلا يقع الحرج في كثرة المخالطة بالمنع، فإذا وقع الإلحاح في النظر دل على العمل بمقتضى ثوران الهوى.

قــال سـعيد بن المسـيب: إذا رأيتم الرجل يلح النظر إلى غلام أمرد فاتهموه.

القسم الرابـع: قـوم يقولـون: نحن لا ننظر نظر شـهوة وإنما ننظر نظر اعتبـار، فلا يضـرنا النظـر، وهذا محال منهم، فإن الطباع تتساوى، فمن ادّعى

---

1 (?) موضوع: انظر: التخريج السابق.

تـــــنزه نفسه عن أبنـــــاء جنسه في الطبع ادعى المحـــال، وقد كشـــفنا هـــذا في أول كلامنا في السمع.

أخبرتنا شُـهْدة بنت أحمد الإبـري، قـالت بإسـناد مرفوع إلى محمد بن جعفر الصوفي: قال: قال أبو حمزة الصوفي: حدثني عبد الله بن الزبـير الحنفي، قال: كنت جالسًا مع أبي النضر الغنوي، وكـان من المبرزين العابدين،

فنظر إلى غلام جميل فلم تزل عينـاه واقعـتين عليه حـتى دنا منه فقـال: سـألتك ب الله السـميع وعزه الرفيع وسلطانه المنيع إلا وقفت عليَّ أروي من النظر إليـــك، فوقف قليلاً ثم ذهب ليمضـــي، فقال له: سـألتك بـالحكيم المجيد الكـريم المبـدىء المعيد إلا وقفت، فوقف ســـاعة، فأقبل يُصَـــعِّدُ النظر إليه ويصوبه، ثم ذهب ليمضي، فقال: سألتك بالواحد الأحد الجبار الصمد الـذي لم يلد ولم يولد إلا وقفت فوقف ســـاعة، فنظر إليه طـــويلاً ثم ذهب ليمضـــي، فقـــال: ســـألتك بـــاللطيف الخبـــير الســـميع البصـــير وبمن ليس له نظـــير إلا وقفت فوقـــف، فأقبل ينظر إليه ثم أطـــرق رأسه إلى الأرض، ومضى الغلام، فرفع رأسه بعد طويل وهو يبكي فقال: قد ذكرني هـذا بنظـري إليه وجهًا جل عن التشـبيه، وتقـدس عن التمثيـل، وتعـاظم عن التحديـــد، والله لأجهـــدن نفسي في بلـــوغ رضـــاه

بمجاهدتي جميع أعدائه وموالاتي لأوليائه حتى أصير إلى ما أردته من نظري إلى وجهه الكريم وبهائه العظيم. ولوددت أنه قد أراني وجهه وحبسني في النار ما دامت السموات والأرض. ثم غشي عليه.

وحدثنا محمد بن عبد الله الفرازي، قال: سمعت خيرًا النساج يقول: كنت مع محارب بن حسان الصوفي في مسجد الخيف ونحن محرمون، فجلس إلينا غلام جميل من أهل المغرب، فرأيت محاربًا ينظر إليه نظرًا أنكرته، فقلت له بعد أن قام: إنك محرم في شهر حرام في بلد حرام في مشعر حرام، وقد رأيتك تنظر إلى هذا الغلام نظرًا لا ينظره إلا المفتونون، فقال لي: تقول هذا يا شهواني القلب والطرف، ألم تعلم أنه قد منعني من الوقوع في شرك إبليس ثلاث، فقلت: وما هي؟ قال: ستر الإيمان، وعفة الإسلام، وأعظمها الحياء من الله تعالى أن يطلع عليَّ وأنا جاثم على منكر نهاني عنه، ثم صعق حتى اجتمع الناس علينا[1].

قال المصنف رحمه الله: قلت: انظروا إلى جهل الأحمق الأول ورمزه إلى التشبيه وإن تلفظ بالتنزيه، وإلى حماقة هذا الثاني الذي ظن أن

---

1 (?) انظر: حلية الأولياء 10/155.

المعصـــية هي الفاحشة فقــط، وما علم أن نفس النظر بشـــهوة يحـــرم، ومحا عن نفسه أثر الطبع بدعواه التي تكذبها شهوة النظر.

وقد حدثني بعض العلمـاء أن صـبيًا أمـردَ حكى له قال: قال لي فلان الصوفي وهو يحبني يا بني: لله فيك إقبال والتفات، حيث جعل حاجتي إليك.

وحكي أن جماعة من الصـــــوفية دخلـــوا على أحمد الغـزالي وعنـده أمـرد وهو خـال به وبينهما ورد وهو ينظر إلى الورد تارة، وإلى الأمـرد تـارة، فلما جلسـوا قـال بعضـهم: لعلنا كـدرنا. فقـال: إي والله فتصايح الجماعة على سبيل التواجد.

وحكى أبو الحســـــين بن يوسف أنه كتب إليه في رقعة إنك تحب غلامك الـتركي، فقــرأ الرقعة ثم اســتدعى الغلام فصـــعد إليه النظر فقبله بين عينيه وقال: هذا جواب الرقعة.

قــال المصــنف رحمه اللــه: قلت: إني لا أعجبُ من فعل هــذا الرجل وإلقائه جلبــاب الحيــاء عن وجهــه، وإنما أعجب من البهــائم الحاضــرين كيف سكتوا عن الإنكار عليه؟ ولكن الشريعة بردت في قلوب كثير من الناس.

وأخبرنا أبو القاسم الحريـــري، أنبأنا أبو الطيب الطبري قال: بلغني عن هـذه الطائفة الـتي تسـمع السـماع أنها تضـيف إليه النظر إلى وجه الأمـرد،

وربما زينته بالحلي والمصبغات من الثياب والحواشي وتزعم أنها تقصد به الازدياد في الإيمان بالنظر والاعتبار والاستدلال بالصنعة على الصانع، وهذه النهاية في متابعة الهوى ومخادعة العقل ومخالفة العلم، قال الله تعالى: **وفى أنفسكم أفلا تبصرون** [الذاريات: 21]، وقال: **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت** [الغاشية: 17]، وقال: **أولم ينظروا فى ملكوت السماوات والأرض** [الأعراف: 185]، فعدلوا عما أمرهم الله به من الاعتبار إلى ما نهاهم عنه.

وإنما تفعل هذه الطائفة ما ذكرناه بعد تناول الألوان الطيبة والمآكل الشهية، فإذا استوفت منها نفوسهم طالبتهم بما يتبعها من السماع والرقص والاستمتاع بالنظر إلى وجوه المُرْدِ، ولو أنهم تقللوا من الطعام لم يحنوا إلى سماع ونظر.

قال أبو الطيب: وقد أخبر بعضهم في شعره عن أحوال المستمعين للغناء وما يجدونه حال السماع فقال: (الوافر)

أتذكرُ وقتنا وقد ... على طيب السماع
ودارت بيننا كأس ... فأُسكِرت النفوس
فلم نر فيهم إلا ... سرورًا والسرور
إذا لبَّى أخو اللذات ... منادي الله وحي

ولم نملك سوى أرقناها لألحاظ

قال: فإذا كان السماع تأثيره في قلوبهم ما ذكره هذا القائل فكيف يجدي السماع نفعًا أو يفيد فائدة؟

قال ابن عقيل: قول من قال: لا أخاف من رؤية الصور المستحسنة ليس بشيء. فإن الشريعة جاءت عامة الخطاب لا تميز الأشخاص. وآيات القرآن تنكر هذه الدعاوى، قال الله تعالى: ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم**﴾ [النور: 30]، وقال: ﴿**أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت**﴾ [الغاشية: 17-19].

فلم يحل النظر إلا على صور لا ميل للنفس إليها ولا حظَّ فيها؛ بل عبرة لا يمازجها شهوة، ولا تعتريها لذة، فأما صور الشهوات فإنها تعبر عن العبرة بالشهوة، وكل صورة ليست بعبرة لا ينبغي أن ينظر إليها لأنها قد تكون سببًا للفتنة. ولذلك ما بعث الله تعالى امرأةً بالرسالة ولا جعلها قاضيًا ولا إمامًا ولا مؤذنًا، كل ذلك لأنها محل فتنة وشهوة وربما قطعت عما قصدته الشريعة بالنظر، وكل من قال: أنا أجد من الصور المستحسنة عبرًا كذبناه، وكل من ميز نفسه

بطبيعة تخرجه عن طباعنا بالـدعوى كـذبناه، وإنما هذه خدع الشيطان للمدعين.

القسم الخـامس: قـومٌ صـحبوا المُـردان ومنعـوا أنفسـهم من الفـواحش، يعتقـدون ذلك مجاهـدةً، وما يعلمون أن نفس صحبتهم والنظر إليهم بشهوة معصية، وهـذه من خلال الصـوفية المـذمومات، وقد كـان قدماؤهم على غير هذا، وقيـل: كـانوا على هـذا بـدليل، وهو ما أخبرنا أحمد بن علي بن ثـابت قـال: أنشـدنا أبو علي الروذباري: (الطويل)

أنزه في روض **وأمنع نفسي أن**
وأحمل من ثقل **على الجبل الصلد**

قال المصنف رحمه الله: وسيأتي حـديث يوسف بن الحسـين، وقولـه: عاهـدتُ ربي أن لا أصـحب حدثًا مائة مرة ففسـخها عليَّ قـوام القـدود ودعج العيون.

أخبرتنا شُـهْدَةُ الكاتبة بإسـناد عن أبي المختـار الضبي، قـال: حـدثني أبي، قـال: قلت لأبي الكميت الأندلسـي، وكـان جـوالاً في أرض اللـه، حـدثني بأعجب ما رأيت من الصـوفية، قـال: صـحبت رجلاً منهم يقـال لـه: مهرجـان، وكـان مجوسـيًا فأسـلم وتصوف، فرأيت معه غلامًا جميلاً لا يفارقه، وكـان إذا جاء الليل قام فصـلى ثم ينـام إلى جانبـه، ثم يقوم فزعًا فيصلي ما قُدِّر له، ثم يعود فينـام إلى

جانبه حتى فعل ذلك مرارًا فإذا أسفر الصبح أو كاد يسفر أوتر، ثم رفع يديه وقال: الله م إنك تعلم أن الليل قد مضى علي سليمًا فلم أقترف فيه فاحشة ولا كتبت علي الحفظة فيه معصية وأن الذي أضمره بقلبي لو حملته الجبال لتصدعت، أو كان بالأرض لتدكدكت، ثم يقول: يا ليل اشهد بما كان مني فيك، فقد منعني خوف الله عن طلب الحرام والتعرض للآثام، ثم يقول: سيدي أنت تجمع بيننا على تقى فلا تفرق بيننا يوم تجمع فيه الأحباب، فأقمت معه مدة طويلة أراه يفعل ذلك كل ليلة، وأسمع هذا القول منه فلما هممت بالإنصراف من عنده قلت: سمعتك تقول: إذا انقضى الليل كذا وكذا فقال: أوسمعتني؟ قلت: نعم، قال: فو الله يا أخي إني لأُداري من قلبي ما لو داراه سلطان من رعيته لكان الله حقيقًا بالمغفرة له، فقلت: وما الذي يدعوك إلى صحبة من تخاف على نفسك العنت من قبله؟.

وقال أبو محمد بن جعفر بن عبد الله الصوفي: قال أبو حمزة الصوفي: رأيت ببيت المقدس فتى من الصوفية يصحب غلامًا مدة طويلة، فمات الفتى وطال حزن الغلام عليه، حتى صار جلدًا وعظمًا من الضنى والكمد، فقلت له يومًا: لقد طال حزنك على صديقك حتى أظن أنك لا تسلو بعده أبدًا، فقال: كيف أسلو عن رجلٍ

أجـــلّ الله عز وجل أن يصـــيبه معي طرفة عين أبـــدًا، وصـــانني عن نجاسة الفســـوق في خلال صحبتي له وخلواتي معه في الليل والنهار.

قــال المصــنف رحمه اللــه: هــؤلاء قــوم رآهم إبليس لا ينجذبون معه إلى الفــواحش فحسن لهم بــداياتها فتعجلــوا لــذة النظر والصــحبة والمحادثة وعزمــــوا على مقاومة النفس في صـــــدها عن الفاحشة فـإن صـدقوا وتم لهم ذلـك، فقد اشـتغل القلب الذي ينبغي أن يكون شـغله ب الله تعـالى لا بغيره، وصرف الزمان الـذي ينبغي أن يخلو فيه القلب بما ينفع به في الآخرة بمجاهـدة الطبع في كفه عن الفاحشة.

وهذا كله جهل وخـروج عن آداب الشـرع فـإن الله عز وجل أمر بِغَضِّ البصر لأنه طريقه إلى القلب، ليسلم القلب لله تعالى من شـائب تخـاف منه، وما مثل هؤلاء إلا كمثل من أقبل إلى سـباع في غيضــةٍ متشــاغلةٍ عنه لا تــراه فأثارها وحاربها وقاومها فيا بُعْدَ سلامته من جراحةٍ إن لم يهلك.

مجاهدة النفس

(فصل):

وفي هـــؤلاء من قـــويت مجاهدته مـــدة، ثم ضـعفت فدعته نفسه إلى الفاحشة فـامتنع حينئـذٍ من صحبة المرد.

أخبرتنا شُــــهْدَةُ الكاتبـــــة، عن عمر بن يوسف البــاقلاني، قــال: قــال أبو حمــزة: قلت لمحمد بن العلاء الدمشــقي، وكــان ســيد الصــوفية وقد رأيته يماشي غلامًا وضيئًا مـدة ثم فارقـه، فقلت لـه: لِمَ هجــرت ذلك الفــتى الــذي كنت أراه معك بعد أن كنت له مواصــــلاً وإليه مــــائلاً؟ فقــــال: والله لقد فارقته عن غـــير قِلَىً ولا ملـــــل، قلت: ولِمَ فعلت ذلك؟ قال: رأيت قلبي يدعوني إلى أمرٍ إذا خلـوت به وقرب مني، لو أتيته سقطت من عين الله عز وجل، فهجرته لذلك تنزيهًا لله تعــالى ولنفسي من مصارع الفتن.

التوبة وإطالة البكاء

(فصل):

ومنهم من تاب وأطالَ البكاء عن إطلاق نظره.

أَخْبَرَنَا المحمــدان، ابن ناصر وا بن عبد البــاقي بإســـناد عن محمد بن محمد بن عبيد الله قـــال: ســمعت أخي أبا عبد الله محمد بن محمد يقــول: ســـمعت خـــيرًا النســـاج يقـــول: كنت مع أمية بن الصــامت الصــوفي إذ نظر إلى غلامٍ فقــرأ: ﴿**وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملــون بصـــير**﴾ [الحديد: 4]، ثم قال: وأين الفــرار من ســجن الله وقد حصــنه بملائكة غلاظ شــداد؟ تبــارك الله فما أعظم ما امتحنــني به من نظــري إلى هــذا الغلام

ما شبهت نظـري إليه إلا بنـارٍ وقعت على قصـبٍ في يـــوم ريح فما أبقت ولا تـــركت، ثم قـــال: أستغفر الله من بلاءٍ جنته عينـاي علي قلـبي، لقد خفت ألا أنجو من معرته وألّا أتخلص من إثمـــــه، ولو وافيت القيامة بعمل ســبعين صــديقًا، ثم بكى حتى كاد يقضي نحبه، فسمعته يقول في بكائـه: يا طرفي لأشغلنك بالبكاء عن النظر إلى البلاء.

المرض من شدة المحبة

(فصل):

ومنهم من تلاعب به المرض من شدة المحبة.

أخبرتنا شُـهْدَةُ الكاتبة بإســناد عن أبي حمــزة الصوفي قال: كان عبد الله بن موسى من رؤساء الصـــوفية ووجـــوههم فنظر إلى غلام حسن في بعض الأســواق فبلي به وكــاد يــذهب عقله عليه صبابة وحبًا، وكان يقف كل يـوم في طريقه حـتى يراه إذا أقبل وإذا انصرف، فطال به البلاء وأقعده عن الحركة الضَّـــنى، وكـــان لا يقـــدر أن يمشي خطـوة فأتيته يومًا لأعـوده، فقلت: يا أبا محمد ما قصـــتك؟ وما هـــذا الأمر الـــذي بلغ بك ما أرى؟ فقال: أمور امتحنني الله بها فلم أصــبر على البلاء فيها، ولم يكن لي بها طاقة، ورب ذنب يستصغره الإنسان هو عند الله أعظم من كبير، وحقيق بمن تعـرض للنظر الحـرام أن تطـول به الأســقام ثم

بكى، قلت: ما يبكيك؟ قال: أخاف أن يطول في النار شقائي. فانصرفت عنه وأنا راحم له لما رأيت به من سوء الحال.

قال أبو حمزة: ونظر محمد بن عبد الله بن الأشعث الدمشقي، وكان من خيار عباد الله، إلى غلام جميل فغشي عليه، فحُمِل إلى منزله واعتاده السقم حتى أُقعد من رجليه، وكان لا يقوم عليهما زمانًا طويلاً، فكنا نأتيه نعوده ونسأله عن حاله وأمره، وكان لا يخبرنا بقصته ولا بسبب مرضه، وكان الناس يتحدثون بحديث نظره، فبلغ ذلك الغلام فأتاه عائدًا فهش إليه وتحرك وضحك في وجهه واستبشر برؤيته، فما زال يعوده حتى قام على رجليه وعاد إلى حالته، فسأله الغلام يومًا أن يسير معه إلى منزله فأبى أن يفعل ذلك، فسألني أن أسأله أن يتحول إليه فسألته فأبى أن يفعل، فقلت للشيخ: وما الذي تكره من ذلك؟ فقال: لست بمعصوم من البلاء ولا آمن من الفتنة، وأخاف أن يقع عليَّ من الشيطان محنة فتجري بيني وبينه معصية فأكون من الخاسرين.

قتل النفس خوف الوقوع في الفاحشة (فصل):

وفيهم من همّت نفسه إلى الفاحشة فقتل نفسه.

حـــــــدثني أبو عبد الله الحســـــين بن محمد الدامغاني قال: كان ببلاد فارس صوفي كبير فابتلي بحـــــدَثَ فلم يملك نفسه أن دعته إلى فاحشـــــة، فـراقب الله عز وجل ثم نـدم على هـذه الهمـة، وكان منزله على مكان عالٍ ووراء منزله بحر من المـــاء، فلما أخذته الندامة صـــعد الســـطح ورمى نفسه إلى المــاء وتلا قوله تعــالى: ﴿**فتوبــوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم**﴾ [البقـرة: 54]، فغـرق في البحر.

قال المصنف رحمه الله: انظر إلى إبليس كيف درج هــذا المســكين من رؤية هــذا الأمــرد وإلى إدمــــان النظر إليه إلى أن مكّن المحبة من قلبه إلى أن حرّضه على الفاحشـــــــــــة، فلما رأى استعصــــامه حسَّـــن له بالجهل قتْـــلَ نفسه فقتل نفســــه، ولعله هم بالفاحشة ولم يعـــــزم، والهمة معفو عنها لقولـــه: «عُفي لأمـــتي عما حـــدثت به نفوســها»[1]. ثم إنه نـدم على همتـه، والنـدم توبة فـأراه إبليس أنَّ من تمـام النـدم قتل نفسه كما فعل بنو إســـرائيل، فأولئك أُمــــروا بـــذلك بقوله تعالى: ﴿**فاقتلوا أنفسكم**﴾، ونحن نُهينا عنه بقوله تعالى: ﴿**ولا تقتلوا أنفسكم**﴾ [النساء: 29]، فلقد أتى بكبيرة عظيمة.

---

[1] (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الطلاق (5269)، ومسلم فى الإيمان (127/201، 202) من حديث أبى هريرة.

وفي الصحيحين عن النبي أنه قال: «من تـــردى من جبل فقتل نفسه فهو يـــتردى في نـــار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا»(2).

(فصل):

وفيهم من فُرِّق بينه وبين حبيبه فقتل حبيبه.

بلغـني عن بعض الصـوفية أنه كـان في ربـاط عندنا ببغداد، ومعه صبي في البيت الذي هو فيــه، فشنَّعوا عليه وفرقـوا بينهمـا، فـدخل الصـوفي إلى الصــبي ومعه ســكين فقتلــه، وجلس عنــده يبكي، فجاء أهل الرِّباط فرأوه فسـألوه عن الحـال فـأقَرَّ بقتل الصبي، فرفعوه إلى صـاحب الشـرطة فـأقر، فجـــاء والد الصـــبي يبكي، فجلس الصـــوفي يبكي ويقول له: ب الله عليك إلا ما أقدتني بــه، فقــال: الآن قد عفــوت عنــك، فقــام الصــوفي إلى قــبر الصــبي فجعل يبكي عليــه، ثم لم يــزل يحج عن الصبي ويهدي له الثواب.

مقاربة الفتنة والوقوع فيها

(فصل):

ومن هــؤلاء من قــارب الفتنة فوقع فيهــا، ولم تنفعه دعوى الصبر والمجاهدة والحديث بإسناد عن إدريس بن إدريس قـــال: حضـــرت بمصر قومًا من

---

2 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الطب (5778)، ومسلم فى الإيمان (109/175) من حديث أبى هريرة.

الصوفية، ولهم غلام أمردُ يغنيهم، قـال: فغلب على رجل منهم أمره فلم يدر ما يصـنع، فقـال: يا هـذا قـل: لا إله إلا اللــه، فقـال الغلام: لا إله إلا اللــه، فقال: أُقَبِّلُ الفم الذي قال لا إله إلا الله.

القسم الســادس: قـــومٌ لم يقصـــدوا صـــحبة المردان، وإنما يتوب الصبي ويتزهد ويصحبهم على طريق الإرادة، فيلبِّس إبليس عليهم، ويقــــــول: لا تمنعـوه من الخـير، ثم يتكـرر نظـرهم إليه لا عن قصــــد، فيثـــير في القلب الفتنة إلى أن ينـــال الشيطان منهم قدر ما يمكنه، وربما وثقـوا بـدينهم فاستفزهم الشـيطان فرمـاهم إلى أقصى المعاصي كما فعل ببرصيصا.

قال المصنف رحمه اللــه: وقد ذكرنا قصـته في أول الكتـــاب وغلطهم من جهة تعرضـــهم بـــالفتن وصحبة من لا يؤمن الفتنة في صحبته.

القسم الســابع: قــوم علمــوا أن صــحبة المــردان والنظر إليهم لا يجـوز غـير أنهم لم يصـبروا على ذلـك. والحـديث بإسـناد عن الـرازي يقـول: قـال يوسف بن الحسـين: كُـلُّ ما رأيتمـوني أفعله فـافعلوه إلا صـحبة الأحـداث فإنها أفتن الفتن، ولقد عاهـدت ربي أكـثر من مائة مـــرة أن لا أصـــحب حـــدثًا ففســـخها علي حسن الخـدود وقـوام القـدود ودعج العيـون، وما سـألني الله معهم عن معصية. وأنشد صريعُ الغواني في معنى ذلك

شعرًا: (الخفيف)

إنَّ ورد الخدودِ وما في الثُّغور من أقاحٍ
واعوجاج الأصداغِ وما في الصدورِ من رُمَّانٍ
تركتني بين الغواني صريعًا فلهذا أُدعى صريع الغواني

قال المصنف رحمه الله: قلتُ: هذا الرجل قد فضح نفسه في شيء ستره الله عليه، وأخبر أنه كلما رأى فتنة نقض التوبة، فأين عزائم التصوف في حمل النفس على المشاق؟ ثم ظن بجهله أن المعصية هي الفاحشة فقط، ولو كان له علم لعلم أنَّ صحبتهم والنظر إليهم معصية، فانظر إلى الجهل كيف يصنع بأربابه؟ والحديث بإسناد عن محمد بن عمر أنه قال: حكي لي عن أبي مسلم الخشوعي أنه نظر إلى غلام جميل فأطال، ثم قال: سبحان الله ما أغض طرفي عن مكروه نفسه، وأدمنه على سخط سيده، وأغراه بما قد نُهي عنه، وأبهجه بالأمر الذي قد حُذِّرَ عنه. لقد نظرتُ إلى هذا نظرًا لا أحسبُ إلا أنه سيفضحُني عند جميع من عرفني في عرصات القيامة، ولقد تركني نظري هذا وأنا أستحيي من الله تعالى وإن غفر لي، ثم صعق.

وبإسناد عن أبي بكر محمد بن عبد يقول: سمعتُ أبا الحسين النُّوري يقول: رأيت غلامًا جميلاً ببغداد فنظرت إليه ثم أردت أن أُردد النظر

فقلت له: تلبسون النعال الصَّرَّارة، وتمشون في الطُّرقات؟ فقال: أحسنت الحشر بالعلم.

فائدة العلم

(فصل):

وكل من فاته العلم تخبط، فإن حصل له وفاته العمل به كان أشد تخبيطًا، ومن استعمل أدب الشرع في قوله عز وجل: ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم**﴾ [النور: 30]، سلم في البداية بما صعب أمره في النهاية. وقد ورد الشرع بالنهي عن مجالسة المردان وأوصى العلماء بذلك.

والحديث بإسناده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله «لا تجالسوا أبناء الملوك فإنّ النفوس تشتاق إليهم ما لا تشتاق إلى الجواري العواتق»[1]. والحديث بإسناده عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله قال: «لا تملأوا أعيُنكم من أولاد الملوك فإن لهم فتنة أشد من فتنة العذارى»[2].

---

1 (?) موضوع: أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد 5/198، وذكره ابن الجوزى فى العلل المتناهية 2/284، وابن عراق فى تنزيه الشريعة 2/214، وفى إسناده عمرو بن الأزهر وهو كذاب كما فى الميزان 3/246.

2 (?) موضوع: أخرجه ابن عدى فى الكامل 5/1721، وفى إسناده عمر بن عمرو قال فيه: «عامة ما يرويه موضوع حدث

والحديث بإسناد عن الشعبي قال: قدم وفدُ عبدِ القيس على رسولِ الله وفيهم غلامٌ أمرد ظاهر الوضاءة فأجلسه النبي عليه الصلاة والسلام وراء ظهره وقال: «كانت خطيئة داود النظر»[1].

وعن أبي هريرة قال: نهى رسول الله أن يُحد الرجل النظر إلى الغلام الأمرد[2].

وقال عمر بن الخطاب: ما أتى على عالم من سبع ضار أخوف عليه من غلام أمرد.

وبإسناد عن الحسن بن ذكوان أنه قال: لا تجالسوا أولاد الأغنياء فإنَّ لهم صُورًا كصور النساء وهم أشد فتنة من العذارى.

وبإسناد عن محمد بن حمير عن النجيب السري قال: كان يقال: لا يبيت الرجل في بيتٍ مع المُرد.

وبإسناد عن عبد العزيز بن أبي السائب عن

بالبواطل عن الثقات»، وذكره ابن الجوزى فى العلل المتناهية 2/284 وقال: «لا يصح»، والعجلونى فى كشف الخفاء 2/503 وقال: «قال فى اللآلىء»: موضوع».

1 (?) موضوع: ذكره الألبانى فى الضعيفة (313) وقال: «موضوع».

2 (?) ضعيف جدًا: أخرجه ابن عدى فى الكامل 7/2558، وفى إسناده وازع بن نافع العقيلى قال عنه: «عامة ما يرويه الوازع غير محفوظ»، وذكره العقيلى فى الضعفاء 4/330، وقال الذهبى فى الميزان 4/327: «وقال البخارى: عن الوازع: منكر الحديث، وقال ابن معين: ليس بثقة..».

أبيه قـــــال: لأنا أخــــوفُ على عابد من غلام من سبعين عذراء.

وعن أبي علي الروذبـاري قـال: سـمعت جنيـدًا يقــول: جــاء رجل إلى أحمد بن حنبل ومعه غلام حسن الوجه، فقال له: من هذا؟ قال: ابـني، فقـال أحمد: لا تجيء به معك مرة أخرى، فلما قام قال له محمد بن عبد الـــرحمن الحافـــظ، وفي رواية الخطيب فقيل له: أيَّدَ الله الشيخ إنه رجل مستور وابنه أفضل منه، فقال أحمد: الذي قصدنا إليه من هذا الباب ليس يمنع منه سـترهما، على هـذا رأينا أشياخنا وبه أخبرونا عن أسلافهم.

وبإسناد عن أبي بَكر المروزي قـال: جـاء حسن البزاز إلى أحمد بن حنبل ومعه غلام حسن الوجه فتحدث معه فلما أراد أن ينصرف قال له أبو عبد اللـــــه: يا أبا علي لا تمش مع هـــــذا الغلام في طريق، فقال له: إنّه ابن أختي، قـال: وإن كـان، لا يهلك الناس فيك.

وبإسناد عن شجاع بن مخلد أنه سمع بشر بن الحارث يقول: احذروا هؤلاء الأحداث.

وبإسـناد عن فتح الموصـلي أنه قـال: صـحبتُ ثلاثين شـيخًا كـانوا يُعـدون من الأبـدال، كلهم أوصوني عند فراقي لهم: اتَّقِ معاشرة الأحداث.

وبإسناد عن الحلبي أنه قال: نظر سلام الأسـود

إلى رجل ينظر إلى حدث فقال له: يا هذا أبْقِ على جاهك عند الله فإنك لا تزال ذا جاهٍ ما دمت له معظِّمًا.

وبإسناد عن أبي منصور عبد القادر بن طاهر يقول: من صحب الأحداث وقع في الأحداث.

وعن أبي عبد الرحمن السُّلمي قال: قال مظفرٌ القَرْميسينيُّ: من صَحِب الأحداث على شرط السلامة والنّصيحة أدَّاه ذلك إلى البلاء، فكيف بمن يصحبهم على غير وجه السلامة.

الإعراض عند المرد

(فصل):

وقد كان السلف يبالغون في الإعراض عن المرد.وقد روينا عن رسول الله أنه أجلس الشاب الحسن الوجه وراء ظهره[1]، والحديث بإسناد عن عطاء بن مسلم قال: كان سفيان لا يدع أمردًا يجالسه. وروى إبراهيم بن هانىء عن يحيى بن معين قال: ما طَمِعَ أمْرَدُ بصحبتي، ولأحمد بن حنبل قال: في طريق. وبإسناد عن أبي يعقوب قال: كنا مع أبي نصر بن الحارث، فوقفت عليه جارية، ما رأينا أحسن منها، فقالت: يا شيخ، أين مكان باب حرب. فقال لها: هذا الباب الذي يقال له باب حرب، ثم جاء بعدها غلام ما رأينا أحسن

1 (?) موضوع: سبق تخريجه قريبًا.

منه، فسأله فقال: يا شيخ، أين مكان بـاب حـرب، فـأطرق الشـيخ رأسـه، فـرد عليه الغلام السـؤال وغمض عينيه، فقلنا للغلام: تعال إيش تريد؟ فقال: باب حرب، فقلنا له: ها هو بين يـديك، فلما غـاب قلنا للشـــــــيخ: يا أبا نصر جاءتك جارية فأجبتها وكلمتها، وجاءك غلام فلم تكلمه، فقال: نعم، يروى عن سـفيان الثـوري أنه قـال: مع الجارية شـيطان، ومع الغلام شـــيطانان، فخشـــيت على نفسي من شيطانيه.

وبإسـناد عن عبد الله بن المبـارك يقـول: دخل سـفيان الثـوري الحمـام فـدخل عليه غلام صـبيح فقال: أخرجـوه أخرجـوه، فـإني أرى مع كل امـرأةٍ شيطانًا، ومع كل غلام بضعة عشر شيطانًا. وبإسناد عن محمد بن أحمد بن أبي القاسم قـــــال: دخلنا على محمد بن الحسـين صـاحب يحـيى ابن معين وكـــان يقـــال إنه ما رفع رأسه إلى الســماء منذ أربعين سـنة، وكـان معنا غلام حـدث في المجلس بين يديه فقـال لـه: قُمْ من حــذائي، فأجلسه من خلفه. وبإسـناد عن أبي أمامة قـال: وكنا عند شـيخ يقــرىء فبقي عنــده غلام يقــرأ عليــه، فــأردتُ الانصراف فأخذ بثوبي وقال: اصبر حتى يفـرغ هـذا الغلام، وكره أن يخلو مع هـذا الغلام. وبإسـناد عن أبي علي الروذبــاري قــال: قــال لي أبو العبــاس أحمد المـــؤدب: يا أبا علي من أين أخذ صـــوفية

عصرنا هـذا الأُنس بالأحـداث؟ فقلت لـه: يا سـيدي أنت بهم أعرف، وقد تصـحبهم السـلامة إلى كثـير من الأمور فقال: هيهـات، قد رأينا من كـان أقـوى إيمانًا منهم إذا رأى الحـدث قد أقبل فـرَّ كفـراره من الزحف، وإنما ذلك حسب الأوقات الـتي تغلب الأحوال على أهلها، فتأخذها عن تصرف الطباع. ما أكثر الخطر ما أكثر الغلط.

صحبة الأحداث

(فصل):

وصُحبة الأحداث أقوى حبائل إبليس التي يصــيد بها الصوفية.

أَخْبَرَنَا ابن ناصر عن أبي عبد الرحمن السـلمي قال: سمعت أبا بكر الرازي يقول: قال يوسف ابن الحسين: نظرتُ في آفـات الخلق فعـرفت من أين أتــوا ورأيت آفة الصــوفية في صــحبة الأحــداث ومعاشرة الأضداد وإرفاق النسوان[1].

وبإســناد عن أبي الفــرج الرُّســتمي الصــوفي يقول: رأيت إبليس في النوم فقلت لـه: كيف رأيتنا أعرضنا عن الـدنيا ولـذاتها وأموالها فليس لك إلينا طريـق، فقـال: كيف رأيت ما اشـتملت به قلـوبكم باستماع الغناء ومعاشرة الأحداث.

وبإســناد عن أبي سـعيد الخــراز يقــول: رأيت

1 (?) ذكر أبو نعيم فى حلية الأولياء 10/240.

إبليس في النوم يمرعني ناحية فقلت: تعال، فقال: إيش أعمل بكم؟ أنتم طـــرحتم عن نفوســـكم ما أخـادع به النـاس، قلت: ما هـو؟ قـال: الـدنيا، فلما ولى التفت إليَّ فقال: غير أن فيكم لطيفــة، قلت: وما هي؟ قال: صحبة الأحداث. قال أبو سعيد: وقــلّ من يتخلص منها من الصوفية.

عقوبة النظر إلى المردان

(فصل):

في عقوبة النظر إلى المردان.

عن أبي عبد الله بن الجلاء قـــــال: كنت أنظر إلى غلام نصـــــراني حسن الوجه فمر بي أبو عبد الله البلخي فقال: إيش وقوفــك؟ فقلت: يا عم أما ترى هذه الصورة كيف تعذب بالنار، فضـرب بيـده بين كتفي وقـال: لتجـدن غبّها ولو بعد حين، قـال: فوجدت غبها بعد أربعين سنة أن أنسيت القرآن.

وبإسناد عن أبي الأديان وقال: كنت مع أسـتاذي أبي بكر الـدقاق فمر حـدث فنظـرت إليه فـرآني أستاذي وأنا أنظر إليـه، فقـال: يا بـني لتجـدن غبّه ولو بعد حين، فبقيت عشرين سنة وأنا أراعي فما أجد ذلك الغبّ، فنمت ذات ليلة وأنا مفكر فيه فأصبحت وقد أُنسيت القرآن كله.

وعن أبي بكر الكتاني قال: رأيت بعض أصـحابنا في المنـام فقلت: ما فعل الله بـك؟ قـال: عـرض

عليَّ سيئاتي وقال: فعلت كذا وكذا، فقلت: نعم، ثم قال: وفعلت كذا وكذا، فاستحييت أن أُقره فقلت: إني أستحيي أن أُقر، فقال: إني غفرت لك بما أقررت، فكيف بما استحييت؟ فقلت له: ما كان ذلك الذنب؟ فقال: مر بي غلام حسن الوجه فنظرت إليه.

وقد روي نحو هذه الحكاية عن أبي عبد الله الزراد أن رئي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي كل ذنب أقررت به في الدنيا إلا واحدًا، فاستحييت أن أُقرّ به فوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي، فقيل له: ما الذنب؟ فقال: نظرت إلى شخص جميل.

وقد بلغنا عن أبي يعقوب الطبري أنه قال: كان معي شاب حسن الوجه يخدمني فجاءني إنسان من بغداد صوفي، فكان كثير الالتفات إلى ذلك الشاب فكنت أجد عليه لذلك، فنمت ليلة من الليالي فرأيت رب العزة في المنام فقال يا أبا يعقوب: لِمَ لَمْ تنهه - وأشار إلى البغدادي - عن النظر إلى الأحداث، فوعزتي إني لا أشغل بالأحداث إلا من باعدته عن قربي، قال أبو يعقوب: فانتبهت وأنا اضطرب فحكيت الرؤيا للبغدادي فصاح صيحة ومات، فغسلناه ودفناه، واشتغل عليه قلبي فرأيته بعد شهر في النوم فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: وبخني حتى

خفت أن لا أنجو ثم عفا عني.

قلت: إنما مددت النفس يسيرًا في هذا الباب لأنه مما تعم به البلوى عند الأكثرين، فمن أراد الزيادة فيه، وفيما يتعلق بإطلاق البصر وجميع أسباب الهوى، فلينظر في كتابنا المسمى بذم الهوى، ففيه غاية المراد من جميع ذلك.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية

في ادعاء التوكل وقطع الأسباب وترك الاحتراز في الأموال

أَخْبَرَنَا المحمدان ابن ناصر وا بن عبد الباقي، بإسناد عن أحمد بن أبي الحوراي، قال: سمعت أبا سليمان الدَّاراني يقول: لو توكلنا على الله تعالى ما بنينا الحيطان ولا جعلنا لباب الدار غلقًا مخافة اللصوص.

وبإسناد عن ذي النون المصري أنه قال: سافرت سنين وما صح لي التوكل إلا وقتًا واحدًا، ركبت البحر فكسر المركب، فتعلقت بخشبة من خشب المركب، فقالت لي نفسي: إن حكم الله عليك بالغرق فما تنفعك هذه الخشبة؟ فخليت الخشبة فطفت على الماء فوقعت على الساحل.

أَخْبَرَنَا محمد قال: سألت أبا يعقوب الزيات عن مسألة في التوكل فأخرج درهمًا كان عنده ثم

أجابني، فأعطى التوكل حقه، ثم قال: استحييت أن أُجيبك وعندي شيء.

وذكر أبو نصر السراج في كتاب «اللمـع» قـال: «جـــاء رجل إلى عبد الله بن الجلاء فســـأله عن مسألة في التوكل وعنده جماعته،

فلم يجبه، ودخل البيت فأخرج إليهم صـرة فيها أربعة دوانق فقـال: اشـتروا بهـذه شـيئًا، ثم أجـاب الرجل عن ســـؤاله فقيل له في ذلـــك، فقـــال: اســـتحييت من الله تعـــالى أن أتكلم في التوكل وعندي أربعة دوانق[1].

وقـــال ســـهل بن عبد اللـــــه: من طعن في الاكتساب فقد طعن على الســنة، ومن طعن على التوكل فقد طعن على الإيمان.

قـــال المصـــنف قلت: قلة العلم أوجبت هـــذا التخليط، ولو عرفوا ماهية التوكل لعلمـوا أنه ليس بينه وبين الأسـباب تضـاد، وذلك أن التوكل اعتمـاد القلب على الوكيل وحــده، وذلك لا ينــاقض حركة البدن في التعلق بالأسباب ولا ادخار المال.

فقد قـــال تعـــالى: **ولا تؤتـــوا الســـفهاء أموالكم الـتى جعل الله لكم قيامًا** [النسـاء: 5]، أي: قوامًا لأبدانكم. وقـال «نِعْمَ المـال الصـالح

---

1 (?) الدوانق: سدسى الدرهم.

مع الرجل الصالح»[1].

وقال «إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس»[2].

وَاعْلَمْ أن الذي أمر بالتوكل أمر بأخذ الحذر، فقال: **خذوا حذركم** [النساء: 71]، وقال: **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** [الأنفال: 60]، وقال: **أن أسر بعبادى ليلاً** [الدخان: 23]. وقد ظاهر رسول الله بين درعين[3] وشاور طبيبين واختفى في الغار[4]. وقال: من يحرسني الليلة[5]، وأمر بغلق الباب.

وفي الصحيحين من حديث جابر أن النبي قال:

---

1 (?) صحيح: أخرجه أحمد فى المسند 4/197، 202، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد 9/353 وقال: «رجال رجال الصحيح»، وصححه الحاكم فى المستدرك 2/2 ووافقه الذهبى.

2 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الوصايا (2742)، ومسلم فى الوصية (1628/5) من حديث سعد بن أبى وقاص.

3 (?) صحيح: أخرجه أبو داود فى الجهاد (2590) وابن ماجه فى الجهاد (2806)، وأحمد فى المسند 3/449، والترمذى فى الشمائل (104)، والبيهقى فى السنن الكبرى 9/46.

4 (?) صحيح: أخرجه البخارى فى مناقب الأنصار (3905)، والبيهقى فى دلائل النبوة 2/473 ـ 475 من حديث عائشة.

5 (?) صحيح: أخرجه أبو داود فى الجهاد (2501)، والبيهقى فى السنن الكبرى 9/149، وصححه الحاكم فى المستدرك 2/83 ووافقه الذهبى من حديث سهل بن الحنظلية.

«أغلق بابــك»[1]، وقد أخبرنا أن التوكل لا ينـــافي الاحتراز.

أَخْبَرَنَا إسـماعيل بن أحمد السـمرقندي، نا عبد الله بن يحـيى الموصـلي، ونصر بن أحمـد، قـالا: أخبرنا أبو الحسـين بن بشـران، ثنا الحسـين بن صـفوان، ثنا أبو بكر القرشـي، ثـني أبو حفص الصيرفي، ثنا يحيى بن سعيد، ثنا المغـيرة بن أبي قُرة السَّدوسي، قال: سـمعتُ أنس بن مالك رضي الله عنه يقـول: جـاء رجل إلى النـبي وتـرك ناقته ببـاب المسـجد فسـأله رسـول الله عنهـا، فقـال: أطلقتها وتوكلتُ على الله، قال: «اعقلها وتوكل»[2].

أَخْبَرَنَا ابن ناصر، نا أبو الحسين بن عبد الجبار، نا عبد العزيز بن علي الأزجي، نا إبـــراهيم ابن محمد بن جعفر، نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفـر، ثنا أبو بكر الخَلَّال.

---

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الأشربة (5623)، ومسلم فى الأشربة (2012/97).

2 (?) حسن لغيره: أخرجه الترمـذى فى صـفة القيامة (2517) وقال: «هذا حديث غريب من حديث أنس لا نعرفه إلا من هـذا الوجه، وقد روى عن عمرو بن أمية الضمرى عن النــبى e نحو هذا»، والبيهقى فى شعب الإيمان 3/415. وأما حـديث عمـرو بن أميه فقد أخرجه الطـبرانى كما فى مجمع الزوائد 10/303 وقال: «رواه الطبرانى من طرق ورجال أحدها رجال الصحيح، غـير يعقـوب بن عبد الله بن عمـرو بن أمية وهو ثقـة»، وابن حبان فى صحيحه (2549) بإسناد حسن.

أخبرني حرب بن إسماعيل الكرماني، ثــني عبد الرحمن بن محمد بن سلام، ثنا الحسـين بن زيـاد المروزي، قـال: سـمعت سـفيان بن عيينـة، يقـول: تفسير التوكل أن يرضى بما يفعل به.

وقــال ابن عقيــل: يظن أقــوام أن الاحتيــاط والاحــتراز ينــافي التوكــل، وأن التوكل هو إهمــال العـواقب واطـراح التحفـظ، وذلك عند العلمـاء هو العجز والتفريط الــذي يقتضي من العقلاء التــوبيخ والتهجين، ولم يــأمر الله بالتوكل إلا بعد التحـــرز واســـتفراغ الوسع في التحفـــظ، فقـــال تعـــالى: **وشــاورهم فى الأمر فــإذا عــزمت فتوكل على الله** [آل عمـــران: 159] فلو كـــان التعلق بالاحتيــاط قادحًا في التوكل لما خص الله به نبيه حين قـــال لـــه: **وشـــاورهم فى الأمر**. وهل المشـــاورة إلا اســـتفادة الـــرأي الـــذي منه يؤخذ التحفظ والتحرز من العدو، ولم يقنع في الاحتيـاط بــأن يكله إلى رأيهم واجتهــادهم حــتى نص عليه وجعله عملاً في نفس الصـــــــــلاة وهي أخصُّ العبـــادات. فقـــال: **فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم** [النساء: 102].

وبيَّنَ علة ذلك بقوله تعالى: **ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحــدة** [النســاء: 102]. ومَنْ علم أن الاحتيـاط هكـذا، لا يقـال أن التوكل عليه تـرك

ما علم. لكن التوكل التفـــــويض فيما لا وسع فيه ولا طاقة.

قال عليه الصلاة والسلام: «اعقلها وتوكل»[1].

ولو كـان التوكل تـرك التحـرز لخصّ به خـير الخلق في خـير الأحـوال وهي حالة الصـلاة، وقد ذهب الشـــــافعي رحمه الله إلى وجـــــوب حمل الســـلاح حينئذ لقولـــه: **﴿وليأخـــذوا أســـلحتهم﴾** [النســـاء: 102]، فالتوكل لا يمنع من الاحتيـــاط والاحـــتراز فـــإن موسى لما قيل لـــه: **﴿إن الملاء يأتمرون بك ليقتلوك﴾** [القصص: 20] خرج.

ونبينا خرج من مكة لخوفه من المتآمرين عليه ووقاه أبو بكر رضي الله عنه بسد أثقاب الغـار[2]، وأعطى القوم التحرز حقه ثم توكلوا.

وقال عز وجل في باب الاحتيــاط: **﴿لا تقصص رؤيــاك على إخوتك﴾** [يوســف: 5]، وقــال: **﴿لا تـدخلوا من بـاب واحد﴾** [يوسـف: 67]، وقـال: **﴿فامشوا فى مناكبها﴾** [الملـك: 15]، وهـذا لأن الحركة للـــذب عن النفس اســـتعمال لنعمة الله تعـــالى، وكما أن الله تعـــالى يريد إظهـــار نعمه المبـــداة يريد إظهـــار ودائعـــه، فلا وجه لتعطيل ما

---

1 (?) انظر: التخريج السابق.

2 (?) صــحيح: أخرجه البخــارى فى منــاقب الأنصــار (3905)، والبيهقى فى دلائل النبوة 2/473 ــ 475 من حديث عائشة.

أودع اعتمادًا على ما جاد به، لكن يجب استعمال ما عندك ثم اطلب ما عنده.

وقد جعل الله تعالى للطير والبهائم عدة وأسلحة تدفع عنها الشرور كالمخلب والظفر والناب، وخلق للآدمي عقلاً يقوده إلى حمل الأسلحة ويهديه إلى التحصين بالأبنية والدروع، ومَنْ عطل نعمة الله بترك الاحتراز فقد عطلّ حكمته كمن يترك الأغذية والأدوية ثم يموت جوعًا أو مرضًا.

ولا أبله ممن يدعي العقل والعلم ويستسلم للبلاء، إنما ينبغي أن تكون أعضاء المتوكل في الكسب، وقلبه ساكن مفوض إلى الحق، منع أو أعطى، لأنه لا يرى إلا أن الحق سبحانه وتعالى لا يتصرف إلا بحكمة ومصلحة. فمنعه عطاء في المعنى. وكم زيَّن للعجزة عجزهم وسولت لهم أنفسهم أن التفريط توكل فصاروا في غرورهم بمثابة من اعتقد التهور شجاعة والخور حزمًا. ومتى وضعت أسباب فأهملت كان ذلك جهلاً بحكمة الواضع، مثل وضع الطعام سببًا للشبع، والماء للري، والدواء للمرض. فإذا ترك الإنسان ذلك إهوانًا بالسبب ثم دعا وسأل فربما قيل له: قد جعلنا لعافيتك سببًا فإذا لم تتناوله كان إهوانًا لعطائنا، فربما لم نعافك بغير سبب لإهوانك للسبب، وما هذا إلا بمثابة من بين قراحه وماء

الساقية رفشةٌ بمسحاة فأخذ يصلي صلاة الاستسقاء طلبًا للمطر، فإنه لا يستحسن منه ذلك شرعًا ولا عقلاً.

قال المصنف رحمه الله: فإن قال قائل: كيف احترز مع القدر؟ قيل له: وكيف لا تحترز مع الأوامر من المقدر فالذي قدر هو الذي أمر. وقد قال تعالى: **وخذوا حذركم** [النساء: 71].

أنبأنا إسماعيل بن أحمد، نا عاصم بن الحسين، نا ابن بشران، ثنا ابن صفوان، نا أبو بكر القرشي، ثني سريج بن يونس، نا علي بن ثابت، عن خطاب بن القاسم، عن أبي عثمان قال: كان عيسى عليه السلام يصلي على رأس جبلٍ فأتاه إبليس فقال: أنت الذي تزعم أن كل شيء بقضاء وقدر؟ قال: نعم، قال: فألقِ نفسك من الجبل وقل قدر علي، فقال: يا لعين الله يختبرُ العباد، وليس للعباد أن يختبروا الله تعالى.

(فصل):

وفي معنى ما ذكرنا من تلبيسه عليهم في ترك الأسباب أنه قد لَبَّسَ على خلق كثير منهم بأن التوكل ينافي الكسب.

أَخْبَرَنَا محمد بن أبي القاسم، نا حمد بن أحمد، نا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، قال: سمعتُ أبا الحسن بن مقسم، يقول: سمعتُ محمد بن

المنذر يقول: سمعت سهل بن عبد الله التُّستري يقـــــول: مَنْ طعن في التوكل فقد طعن في الإيمـــان، ومن طعن على الكسب فقد طعن على السنة.

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصـــر، نا أحمد بن علي بن خلـف، نا أبو عبد الـرحمن السّلمي قـال: سـمعتُ محمد بن عبد الله الـرازي، يقـول: سـأل رجل أبا عبد الله بن ســالم وأنا أســمع: أنحن متعبـــدون بالكسب أم بالتوكـل؟ فقـال: التوكل حـال رسـول الله والكسب سنة رسـول الله وإنما سُـنَّ الكسب لمن ضعف عن التوكل وسـقط عن درجة الكمـال التي هي حالـه، فمن أطـاق التوكل فالكسب غـير مبـاح له بحـال إلا كسب معاونة لا كسب اعتمـاد عليه، ومن ضعف عن حال التوكل التي هي حــال رســول الله أُبيح له طلب المعــاش في الكسب لئلا يسقط عن درجة سنته حين سـقط عن درجة حاله[1].

أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكـريم، نا أبي قـال: ســمعت محمد بن الحســين، قـــال: ســمعت أبا القاسم الرازي، يقول: سمعت يوسف بن الحسـين، قــال: إذا رأيت المُريد يشــتغل بــالرخص والكسب فليس يجيء منه شيء.

---

1 (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 10/378، 379.

قال المصنف رحمه الله: قلت: هذا كلام قوم ما فهموا معنى التوكل، وظنوا أنه ترك الكسب وتعطيل الجوارح عن العمل، وقد بَيَّنَّا أن التوكل فعل القلب، فلا ينافي حركة الجوارح، ولو كان كل كاسب ليس بمتوكل، لكان الأنبياء غير متوكلين، فقد كان آدم عليه السلام حَرَّاثًا ونوح وزكريا نجارين، وإدريس خياطًا، وإبراهيم ولوط زراعين، وصالح تاجرًا، وكان سليمان يعمل الخوص، وداود يصنع الدرع ويأكل من ثمنه، وكان موسى وشعيب ومحمد رعاة، صلوات الله عليهم أجمعين. وقال نبينا «كنت أرعى غنمًا لأهل مكة بالقراريط»[1]، فلما أغناه الله عز وجل بما فرض له من الفيء لم يحتج إلى الكسب.

وقد كان أبو بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة رضوان الله تعالى عليهم بَزَّازين، وكذلك محمد بن سيرين وميمون بن مهران بَزَّازين، وكان الزبير بن العوام وعمرو بن العاص وعامر بن كريز خَزَازِين[2]، وكذلك أبو حنيفة. وكان سعد بن أبي وقاص يبري النبل، وكان عثمان بن طلحة خياطًا، وما زال التابعون ومن بعدهم يكتسبون ويأمرون بالكسب.

---

1 (?) صحيح: أخرجه البخارى فى الإجارة (2262)، وابن ماجه فى التجارات (2149) من حديث أبى هريرة.

2 (?) أى يعملون الخز، وهى ثياب تنسج من صوف وابريسم.

أَخْبَرَنَا محمد بن أبي طـــــــــاهر، نا أبو محمد الجــــــوهري، نا ابن حَيُّويــــــه، نا أبو الحسن بن معروف، نا الحسين بن الفهم، ثنا محمد بن سعد، نا مسلم بن إبـراهيم، نا هشـام الدَّسْـتُوائي، قـال: حـدثنا عطـاء بن السـائب، قـال: لما اسـتخلف أبو بكر رضي الله عنه أصبح غاديًا إلى السوق، وعلى رقبته أثواب يتجر بها فلقيه عمر وأبو عبيدة فقالا: أين تريد؟ فقال: السوق. قالا: تصنع ماذا، وقد وليت أمور المسلمين؟ قال: فمن أين أطعم عيالي؟

قــال ابن ســعد: وأخبرنا أحمد بن عبد الله بن يـــونس، ثنا أبو بكر بن عيّــاش، عن عمـــرو بن ميمون عن أبيه، قال: لما اسـتخلف أبو بكر جعلـوا له ألفين، فقـــال: زيـــدوني فـــإن لي عيـــالاً وقد شغلتموني عن التجارة فزادوه خمسمائة.

قـال المصـنف رحمه اللـه: قلت: لو قـال رجل للصوفية من أين أُطعم عيالي؟ لقالوا: قد أشـركت ولو سـئلوا عمن يخــرج إلى التجـارة لقـالوا: ليس بمتوكل ولا موقن وكلّ هذا لجهلهم بمعــنى التوكل واليقين، ولو كــان أحــدٌ يغلق عليه البــاب ويتوكل لقرب أمر دعـواهم، لكنهم بين أمـرين: أما الغـالب من الناس فمنهم من يسعى إلى الـدنيا مسـتجديًا، ومنهم من يبعث غلامه فيدور بالزنبيل فيجمع له... وإما الجلوس في الرباط في هيئة المســاكين وقد علم أن الربـــاط لا يخلو من فتـــوح كما لا تخلو

الدكان من أن تقصد للبيع والشراء.

أَخْبَرَنَا عبد الوهاب الحافظ، نا أبو الحسين بن عبد الجبار، نا أبو طالب العشاري، نا محمد ابن عبد الرحمن المُخَلِّص، نا عبيد الله بن عبد الرحمن السُّكَّري، ثنا أبو بكر ابن عبيد، قال: حُدِّثْتُ عن الهيثم بن خارجة، ثنا سهل بن هشام، عن إبراهيم بن أدهم، قال: كان سعيد بن المسيب يقول: مَنْ لزِمَ المسجد وترك الحرفة وقبل ما يأتيه فقد ألحف في السؤال.

أَخْبَرَنَا المحمدان ابن ناصر وا بن عبد الباقي، قالا: نا حمد بن أحمد، نا أبو نعيم الحافظ، قال: سمعت محمد بن الحسين، يقول: سمعت جدي إسماعيل بن نجيدي، يقول: كان أبو تراب يقول لأصحابه: من لبس منكم مرقعة فقد سأل، ومن قعد في خانقاه أو مسجد فقد سأل[1].

قال المصنف رحمه الله: قلت: وقد كان السلف ينهون عن التعرض لهذه الأشياء ويأمرون بالكسب.

أَخْبَرَنَا عبد الوهاب بن المبارك، نا أبو الحسين بن عبد الجبار، نا محمد بن علي بن الفتح، نا محمد بن عبد الرحمن المخلص، نا عبيد الله بن عبد الرحمن السُّكَّري، نا أبو بكر بن عُبيد القرشي، نا علي بن الجعد، نا المسعودي، عن

---

1 (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 10/46.

خَوَّات التيمي، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا معشر الفقراء ارفعوا رؤوسكم فقد وضح الطريق فاستبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالاً على المسلمين[1].

أَخْبَرَنَا ابن ناصر، نا أبو الحسين بن عبد الجبار، نا أبو القاسم التنوخي وأبو محمد الجوهري وأبو الخير القزويني، قالوا: نا أبو عمر بن حَيُّوَيَه، نا محمد بن خلف، ثنا أبو جعفر اليماني، نا أبو الحسن المدائني، عن محمد بن عاصم قال: بلغني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان إذا رأى غلامًا فأعجبه سأل عنه: هل له حِرْفة؟ فإن قيل: لا. قال: سقط من عيني.

أَخْبَرَنَا إسماعيل بن أحمد، نا عمر بن عبد الله البقال، نا أبو الحسين بن بشران، نا عثمان بن أحمد الدَّقَّاق، نا حنبل، ثني أبو عبد الله، نا معاذ بن هشام، ثني أبي، عن قتادة، عن سعيد بن المسيّب، قال: كان أصحاب رسولِ الله يتجرون في تجر الشام، منهم طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد.

أَخْبَرَنَا عبد الوهاب بن المبارك، نا جعفر بن أحمد السراج، نا عبد العزيز بن الحسن ابن إسماعيل الضرَّاب، نا أبي، نا أحمد بن مروان

---

1 (?) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (1216، 1217).

المـــالكي، نا أبو القاسم بن الخُتَّلي: ســـألت أحمد ابن حنبل قلت: ما تقولُ في رجـلٍ جلس في بيته أو في مسجده وقـال: لا أعمل شـيئًا حـتى يـأتيني رزقي؟ فقـــال أحمـــد: هـــذا رجل جَهِـــلَ العِلْمَ، أمَا سمعتَ قـول رسـول الله «جَعَـلَ الله رزقي تحت ظل رمحي»[1] والحـــــديث الآخر في ذكر الطـــــير: «تغـــدو خماصًـــا»، فـــذكر أنها تغـــدو في طلب الـرزق[2]، قـال تعـالى: **وآخـرون يضـربون فى الأرض يبتغون من فضل الله** [المزمـل: 20]، وقال: **ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم** [البقرة: 198].

وكـان أصـحاب رسـول الله يتَّجـرون في الـبر والبحر ويعملـون في نخيلهم ولنا القـدوة بهم، وقد ذكرنا فيما مضى عن أحمد أن رجلاً قال له: أريـدُ الحج على التوكـل، فقـال لـه: فـاخرج في غـير

1 (?) حسن: أخرجه أحمد فى المسـند 2/50، 92، من حـديث ابن عمـــر، وذكـــره الهيثمى فى مجمع الزوائد 6/49 وقـــال: «وفيه عبد الرحمن بن ثابت وثقه ابن المدينى وغـيره وضـعفه أحمد وغيره وبقية رجاله ثقات»، وسعيد بن منصـور فى سـننه (2370)، وابن أبى شيبة فى مصنفه 5/313، 322.

2 (?) صحيح: أخرجه أحمد فى المسـند 1/30، 52، والترمـذى فى الزهد (2344) وقـال: «هـذا حـديث حسن صـحيح»، وأبو داود الطيالسى فى مسـنده 1/11، وابن حبـان فى صـحيحه (2548 مـــوارد)، وصـــححه الحـــاكم فى المســـتدرك 4/318، وسكت عنه الذهبى كلهم من حديث عمر بن الخطاب، وانظر: الصحيحة (310).

القافلة، قال: لا، قال: فعلى جراب الناس توكلت.

أَخْبَرَنَا ابن ناصر، نا أبو الحسين بن عبد الجبار، نا عبد العزيز بن علي الأزَجي، نا إبـــــراهيم بن محمد ابن جعفر السَّـــاجي، نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفـــر، نا أبو بكر أحمد ابن محمد الخَلاَّل، نا أبو بكر المَرْوَزِي، قـال: قلت لأبي عبد اللـه: هـؤلاء المتوكلة يقولون: نقعد وأرزاقنا على الله عز وجل، فقال: هـذا قـول رديء. أليس قد قـال الله تعـالى: **إذا نودى للصـلاة من يـوم الجمعة فاسـعوا إلى ذكر الله وذروا الــبيع** [الجمعــة: 9]، ثم قال: إذا قال: لا أعملُ وجيء إليه بشــيء قد عمل واكتسب لأي شيء يقبله من غيره؟.

قــال الخلال: وأخبرنا عبد الله بن أحمــد، قــال: سـألت أبي عن قـوم يقولـون: نتوكل على الله ولا نكتسـب، فقــال: ينبغي للنـاس كلهم يتوكلـون على الله. ولكن يعودون على أنفسهم بالكسب. هذا قول إنسان أحمق.

قــال الخلال: وأخــبرني محمد بن علي قــال: ثنا صــالح أنه ســأل أبــاه يعــني أحمد بن حنبل عن التوكـــــل، فقـــــال: التوكل حسن ولكن ينبغي أن يكتسب ويعمل حتى يغـني نفسه وعياله ولا يـترك العمــل. قــال: وسـئل أبي وأنا شـاهد عن قــوم لا يعملــون ويقولــون نحن المتوكلــون، فقــال: هــؤلاء

مبتدعون.

قال الخلال: وأخبرنا المروزي، أنه قال لأبي عبد الله: إنَّ ابن عيينة كان يقول: هم مبتدعة، فقال أبو عبد الله: هؤلاء قوم سوء يريدون تعطيل الدنيا.

وقال الخلال: وأخبرنا المروزي قال: سألت أبا عبد الله عن رجل جلس في بيته وقال: أجلس وأصبر وأقعد في البيت ولا أُطلع على ذلك أحدًا، فقال: لو خرج فاحترف كان أحب إليَّ، فإذا جلس خِفْتُ أن يخرجه جلوسه إلى غير هذا، قلت: إلى أي شيء يخرجه؟ قال: يخرجه إلى أن يكون يتوقع أن يرسل إليه.

قال الخلال: وحدثنا أبو بكر المروزي قال: سمعت رجلاً يقول لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: إني في كفاية: قال: إلزم السوق تصل به الرحم وتعود به على عيالك. وقال لرجل آخر: اعمل وتصدق بالفضل على قرابتك. وقال أحمد بن حنبل: قد أمرتهم، يعني أولاده، أن يختلفوا إلى السوق وأن يتعرضوا للتجارة.

قال الخلال: وأخبرني محمد بن الحسين، أن الفضل بن محمد بن زياد، حدثهم قال: سمعت أبا عبد الله يأمر بالسوق ويقول: ما أحسن الاستغناء عن الناس.

وقـــال الخلال: وأخـــبرني يعقـــوب بن يوسف المُطَّوِّعي قـال: سـمعت أبا بكر بن الجنـاد يقـول: الجَصَّاصي قال: سمعت أحمد بن حنبل يقـول: أحب الدراهم إلي درهم من تجارة، وأكرهها عندي الذي من صلة الإخوان.

قال المصنف رحمه الله: قلت: وكان إبراهيم بن أدهم يحصــد، وســليمان الخَــوَّاص يلقــط، وحذيفة المَرْعشي يضرب اللَّبِنَ.

وقـال ابن عقيـل: التَّسـبُّب لا يقـدح في التوكل لأن تعاطي رتبة ترقى على رتبة الأنبياء نقص في الــدين. ولما قيل لموسى عليه الســلام: ﴿**أن الملأ يــأتمرون بك ليقتلـوك**﴾ [القصـص: 20]، خــرج ولما جاع واحتاج إلى عفة نفسه أجَّر نفسه ثمــان سنين. وقــال الله تعــالى: ﴿**فامشوا فى مناكلها**﴾ [الملك: 15].

وهـــذا لأن الحركة اســـتعمال لنعمة الله وهي القوى فاستعمل ما عندك ثم اطلب ما عنده.

وقد يطلب الإنســــــان من ربه وينسى ما له عنده من الذخائر فإذا تأخر عنه ما يطلبه يسخط.

فترى بعضـهم يملك عقـارًا وأثاثًا فـإذا ضـاق به القوت واجتمع عليه دين فقيل له: لو بعت عقارك، قال: كيف أفـرط في عقـاري وأُسـقط جـاهي عند النـاس، وإنما يفعل هـذه الحماقـات العـادات. وإنما

قعد أقـوام عن الكسب اسـتثقالاً لـه، فكـانوا بين أمرين قبيحين، إما تضييع العيال، فـتركوا الفـرائض أو الـــــتزين باسم أنه متوكـــــل، فيحن عليهم المكتسبون، فضيقوا على عيالهم لأجلهم وأعطوهم. وهذه الرذيلة لم تـدخل قط إلا على دنيء النفس الرذيلـــة، وإلا فالرجل كل الرجل من لم يضـــيع جــوهره الــذي أودعه الله إيثــارًا للكسل أو لاسم يـتزين به بين الجهـال، فـإن الله تعـالى قد يحـرم الإنســان المــال ويرزقه جــوهرًا يتســبب به إلى تحصيل الدنيا بقبول الناس عليه.

(فصل):

وقد تشـــبث القاعـــدون عن التكسب بتعللات قبيحـــة. منهــا: أنهم قــالوا لا بد من أن يصل إلينا رزقنا، وهذا في غاية القبح، فإن الإنسـان لو تـرك الطاعة وقال لا أقـدر بطـاعتي أن أُغـير ما قضى الله علي، فـــــــإن كنت من أهل الجنة فأنا إلى الجنة أو من أهل النـــار فأنا إلى أهل النـــار، قلنا لـه: هـذا يـرد الأوامر كلهـا، ولو صح لأحد ذلك لم يخرج آدم من الجنة، لأنه كان يقـول: ما فعلت إلا ما قضى عليَّ[1]. ومعلــوم أننا مطــالبون بــالأمر لا بالقدر. ومنها: أنهم يقولون: أين الحلال حتى نطلب؟ وهذا قول جاهـل، لأن الحلال لا ينقطع أبـدًا لقوله

---

[1] (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى البيوع (2051)، ومسـلم فى المساقاة (1599/107) من حديث النعمان بن بشير.

«الحلال بَيِّنٌ والحرام بَيِّن».

ومعلـوم أن الحلال ما أذِنَ الشـرع في تناولـه، وإنما قولهم هذا احتجاج للكسل.

ومنهـــا: أنهم قـــالوا: إذا كســـبنا أعَنَّا الظلمة والعصاة مثل ما أخبرنا به عمر بن ظفر، نا جعفر ابن أحمد، نا عبد العزيز بن علي، نا ابن جهضـم، نا علي بن محمد السّيرواني، قال: سمعت إبـراهيم الخوَّاص، يقول: طلبت الحلال في كل شـيء حـتى طلبته في صـيد السـمك، فأخـذت قصـبة وجعلت فيها شـعرًا وجلست على المـاء، فـألقيت الشِّـصَّ فخــــرجت ســــمكة فطرحتها على الأرض، وألقيتُ الثانية فخـــرجت لي ســـمكة فأنا أطرحها ثالثة إذا من ورائي لطمة لا أدري من يد من هي ولا رأيت أحـدًا، وسـمعت قـائلاً يقـول: أنت لم تصب رزقًا في شــــيء إلا أن تعمد إلى من يـــــذكرنا فتقتلـه؟ قـال: فقطعت الشـعر وكسـرت القصـبة وانصرفت.

أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكــــريم القشــــيري، ثنا أبي، قــــال: ســــمعت محمد ابن الحسـين، يقـول: سـمعت أبا بكر الـرازي، يقـول: سمعت أبا عثمان بن الأدَمي، قال: سمعت إبراهيم الخَوَّاص يقول طلبت فقصدت... إلخ ما تقدم.

قال المصنف رحمه الله قلت: وهـذه القصة إن

صحت فإن في الروايتين بعض من يُتَّهم، فإن اللاطم إبليس وهو الذي هتف به، لأن الله تعالى أباح الصيد فلا يعاقب على ما أباحه. وكيف يقال له: تعمد إلى من يذكرنا فتقتله؟ وهو الذي أباح له قتله، وكسب الحلال ممدوح، ولو تركنا الصيد وذبح الأنعام لأنها تذكر الله تعالى لم يكن لنا ما يقيم قوى الأبدان لأنه لا يقيمها إلا اللحم فالتحري من أخذ السمك وذبح الحيوان مذهب البراهمة. فانظر إلى الجهل ما يصنع وإلى إبليس كيف يفعل.

أَخْبَرَنَا أبو منصور القَزَّازُ، نا أحمد بن علي بن ثابت، نا عبد العزيز بن علي الأَزَجيُّ، ثنا علي ابن عبد الله الهمذاني، ثنا محمد بن جعفر، ثنا أحمد بن عبد الله بن عبد الملك، قال: سمعت شيخًا يكنى أبا تراب يقول: قيل لفتح الموصلي: أنت صياد بالشبكة ولم تصد شيئًا إلا وتطعمه لعيالك، فلم لا تصيد وتبيع ذلك للناس فقال: أخاف أن أصطاد مطيعًا لله تعالى في جوف الماء فأطعمه عاصيًا لله على وجه الأرض.

قال المصنف رحمه الله قلت: إن صحت هذه الحكاية عن فتح الموصلي فهو من التعلل البارد المخالف للشرع والعقل لأن الله تعالى أباح الكسب وندب إليه، فإذا قال قائل: ربما خبزت خبزًا فأكله عاص كان حديثًا فارغًا، لأنه لا يجوز

لنا إذًا أن نبيع الخبز لليهود والنصارى.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في ترك التداوي

قال المصنف رحمه الله: لا يختلف العلماء أن التداوي مباح، وإنما رأى بعضهم أن العزيمة تركه، وقد ذكرنا كلام الناس في هذا وبيَّنا بما اخترناه في كتابنا «لقط المنافع في الطب».

والمقصود ههنا أنّا نقول: إذا ثبت أن التداوي مباح بالإجماع مندوب إليه عند بعض العلماء، فلا يلتفت إلى قول قوم قد رأوا أن التداوي خارج من التوكل، لأن الإجماع على أنه لا يخرج من التوكل، وقد صح عن رسول الله أنه تداوى وأمر بالتداوي[1] ولم يخرج بذلك من التوكل ولا أخرج من أمره أن يتداوى من التوكل.

وفي الصحيح من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه، أن النبي رخص إذا اشتكى المحرم عينه أن يضمدها بالصَّبر[2].

---

1 (?) صحيح: أخرجه البخارى فى الطب (5678)، وابن ماجه فى الطب (3439) من حديث أبى هريرة.
وأخرجه مسلم فى السلام (2204/69)، وأحمد فى المسند 3/335 من حديث جابر بن عبد الله.

2 (?) صحيح: أخرجه مسلم فى الحج (1204/89، 90)، وأبو داود فى المناسك (1838)، والترمذى فى الحج (952)، والنسائى فى المناسك (2710)، وأحمد فى المسند 1/68، 69.

قال ابن جرير الطبري: وفي هذا الحــديث دليل على فساد ما يقوله ذوو الغباوة من أهل التصوف والعُبّاد، من أن التوكل لا يصح لأحد عــالج علة به في جســده بــدواء، إذ ذاك عنــدهم طلب العافية من غــير من بيــده العافية والضُــرُّ والنفــع. وفي إطلاق النــبي للمحــرم علاج عينه بالصــبر لــدفع المكروه أدل دليل على أن معـنى التوكل غـير ما قاله الــذين ذكرنا قــولهم، وأن ذلك غــير مخــرج فاعله من الرضا بقضــاء الله كما أن من عــرض له كلب الجــوع لا يخرجه فزعه إلى الغــذاء من التوكل والرضا بالقضـاء لأن الله تعـالى لم يُنْـزِل داءً إلا أنزل له دواء إلا الموت[3].

وجعل أسبابًا لدفع الأدواء كما جعل الأكل سـببًا لدفع الجوع، وقد كان قـادرًا أن يحـيى خلقه بغـير هذا، ولكنه خلقهم ذوي حاجة فلا يندفع عنهم أذى الجوع إلا بما جُعِلَ سـببًا لدفعه عنهم، فكـذا الـداء العارض، والله الهادي.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في ترك الجمعة والجماعة بالوحدة والعزلة

قال المصنف: كان خيار السلف يؤثرون الوحـدة والعزلة عن النـاس اشـتغالاً بـالعلم والتعبد إلا أن

---

3 (?) حسن: أخرجه الحاكم فى المسـتدرك 4/401 من حـديث أبى سعيد الخدرى وسكت عنه، وقال الألبـانى فى الصـحيحة (1650): «هذا إسناد حسن فى الشواهد».

عزلة القـوم لم تقطعهم عن جمعة ولا جماعة ولا عيادة مريض ولا شهود جنازة ولا قيام بحق، وإنما هي عزلة عن الشر وأهله ومخالطة البطالين.

وقد لَبَّسَ إبليس على جماعة من المتصـــوفة، فمنهم من اعتزل في جبل كالرهبـان يـبيت وحـده ويصـــبح وحـــده ففاتته الجمعة وصـــلاة الجماعة ومخالطة أهل العلم، وعمومهم اعتزل في الأربطة ففاتهم السعي إلى المساجد وتوطنوا على فــراش الراحة وتركوا الكسب.

وقد قـــال أبو حامد الغـــزالي: في «كتـــاب الإحيـاء»: مقصـود الرياضة تفريغ القلب وليس ذلك إلا بخلـوة في مكـان مظلم وقـال: فـإن لم يكن مكـــان مظلم فيلف رأسه في جُبَّتِـــهِ أو يتـــدثَّرُ بكساء، أو إزار. ففي مثل هذه الحالة يسـمع نـداء الحق ويشاهد جلال حضرة الربوبية.

قال المصـنف رحمه اللـه: قلت: انظر إلى هـذه الترتيبـــات، والعجب كيف تصـــدر من فقيه عـــالم ومن أين له أن الـذي يسـمعه نـداء الحـق؟ وأن الذي يشاهده جلال الربوبيـة؟ وما يؤمنه أن يكـون ما يجده من الوساوس والخيـالات الفاسـدة، وهـذا الظـــاهر ممن يســـتعمل التقلل في المطعم فإنه يغلب عليه الماليخوليا. وقد يَسْلَمُ الإنسانُ في مثل هـذه الحالة من الوسـاوس إلا أنّه إذا تغشى بثوبه

وغمض عينيه تخايل هـذه الأشـياء لأن في الـدماغ ثلاث قوى: قوة يكون بها التخيل، وقـوة يكـون بها الفكـرة، وقـوة يكـون بها الـذكر، وموضع التخيل البطنـان المقـدمان من بطـون الـدماغ، وموضع التفكر البطن الأوسط من بطـون الـدماغ، وموضع الحفظ الموضع المـؤخر، فـإن أطـرق الإنسـان وغمض عينيه جـال الفكر والتخيل فـيرى خيـالات فيظنها ما ذكر من حضرة جلال الربوبية إلى غـير ذلك، نعوذ ب الله من هـذه الوسـاوس والخيـالات الفاسدة.

أَخْبَرَنَا محمد بن أبي القاسـم، نا رزق الله بن عبد الوهـاب، نا أبو عبد الـرحمن السـلمي، قـال: سـمعت أبا بكر البجلي، يقـول: سـمعت أبا عثمـان بن الآدمي، قـال كـان أبو عبيد التسـتري إذا كـان أول يـوم من شـهر رمضـان يـدخل الـبيت ويقـول لامرأته: طيـني بـاب الـبيت وألق إليَّ كل ليلة من الكوة رغيفًا، فـإذا كـان يـوم العيد دخلت فوجـدت ثلاثين رغيفًا في الزاويـة، ولا أكل ولا شـرب ولا يتهيأ لصـلاة ويبقى على طُهر واحد إلى آخر الشهر.

قـال المصـنف رحمه اللـه: هـذه الحكاية عنـدي بعيدة عن الصحة من وجهين:

أحدهما: بقـاء الآدمي شـهرًا لا يُحْـدِث بنـومٍ ولا

بول ولا غائط ولا ريح.

والثـاني: تـركُ المسـلم صـلاة الجمعة والجماعة وهي واجبة لا يحلُّ تركها.

فإن صحت هـذه الحكاية فما أبقى إبليس لهـذا في التلبيس بقية.

قال: أنبأنا زاهر بن طاهر، نا أحمد بن الحسـين الـــبيهقي، ثنا الحـــاكم أبو عبد الله النيســـابوري، وسمعت أبا الحسن البُوشَنْجي الصـوفي غـير مـرة يعـــاتب في تـــرك الجمعة والجماعة والتخلف عنها فيقول: إن كانت البركة في الجماعة فإن السـلامة في العزلة.

النهي عند الانفراد

(فصل):

وقد جاء النهيُ عن الانفراد المــوجب للبعد عن العلم والجهاد للعدو.

أَخْبَرَنَا ابن الحصين، نا أبو علي بن المذهب، نا أبو بكر بن مالــك، ثنا عبد الله بن أحمــد، قــال: حدثني أبي، ثنا أبو المغـيرة، ثنا مُعَـان بن رِفاعـة، ثني علي بن يزيـد، عن القاسـم، عن أبي أُمامـة، قال: خرجنا مع رسول الله في سرية من ســراياه قــال: فمر رجل بغــار فيه شــيء من مــاء قــال: فحـدث نفسه بـأن يقيم في ذلك الغـار فيقوته ما

كان فيه، وفيه شيء من ماء ويصيب ما حوله من البقل ويتخلى عن الدنيا ثم قال: لو أني أتيت نبي الله فذكرت ذلك له، فإن أذن لي فعلت وإلا لم أفعل، فأتاه فقال: يا نبي الله إني مررت بغار فيه ما يقوتني من الماء والبقل فحدثتني نفسي بأن أقيم فيه وأتخلى من الدنيا، قال: فقال نبي الله «إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفية السمحة، والذي نفس محمد بيده لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، ولمقام أحدكم في الصف خير من صلاته ستين سنة»[1].

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في التخشع ومطأطأة الرأس وإقامة الناموس

قال المصنف رحمه الله: إذا سكن الخوف القلب أوجب خشوع الظاهر ولا يملك صاحبه دفعه فتراه مُطرقًا متأدبًا متذللاً، وقد كانوا يجتهدون في ستر ما يظهر منهم من ذلك، وكان محمد ابن سيرين يضحك بالنهار ويبكي بالليل، ولسنا نأمر العالِمَ بالانبساط بين العوام فإن ذلك يؤذيهم.

---

1 (?) ضعيف: أخرجه أحمد فى المسند 5/266، والطبرانى فى الكبير 8/257، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد 5/279 وقال: «وفيه عليّ بن يزيد الألهانى وهو ضعيف».

فقد روي عن علي رضي الله عنـه: إذا ذكـرتم العِلْمَ فـاكظموا عليه ولا تخلطـوه بضـحك فتمجّه القلوب. ومثل هذا لا يسمى رياء لأن قلوب العوام تضـيق عن التأويل للعـالم إذا تفسح في المبـاح فينبغي أن يتلقاهم بالصمت والأدب، وإنما المذموم تكلف التخشع والتبـاكي وطأطـأة الـرأس لـيرى الإنسان بعين الزهد والتهيؤ للمصافحة وتقبيل اليـد، وربما قيل لـه: ادعُ لنا فيتهيأ للـدعاء كأنه يسـتنزل الإجابة وقد ذكرنا عن إبراهيم النخعي أنه قيل له: ادعُ لنا فكره ذلك واشتد عليه.

وقد كان في الخائفين مَنْ حَمَلَـهُ الخـوف على شـدة الـذل والحيـاء فلم يرفع رأسه إلى السـماء، وليس هـذا بفضـيلة لأنه لا خشـوع فـوق خشـوع رسول الله.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى قال: كـــان رســـول الله كثــــيرًا ما يرفع رأسه إلى السـماء[1]. وفي هـذا الحـديث دليل على اسـتحباب النظر إلى السماء لأجل الاعتبـار بآياتهـا، وقد قـال الله تعالى: **أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها** [ق: 6]، وقال: **قل انظروا ماذا فى السـماوات والأرض** [يـونس: 101]. وفي هذا رد على المتصوفين، فإن أحـدهم يبقى سـنين

---

1 (?) صحيح: أخرجه مسلم فى فضائل الصحابة (2531/207)، وأحمد فى المسند 4/399.

لا ينظر إلى السماء، وقد ضم هؤلاء إلى ابتداعهم الرمز إلى التشـــبيه، ولو علمـــوا أن إطـــراقهم كرفعهم في باب الحياء من الله تعـالى لم يفعلـوا ذلك، غير أن ما شغل إبليس إلا التلاعب بالجهلـة. فأما العلمــاء فهو بعيد عنهم شــديد الخــوف منهم لأنهم يعرفــون جميع أمــره ويحــترزون من فنــون مكره.

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصر وعمر بن ظفـــر، قـــالا: أخبرنا محمد بن الحسن البـــاقلاَّني، نا القاضي أبو العلاء الواســطي، نا أبو نصر أحمد بن محمــد، نا أبو الخـير أحمد بن محمد الـبزاز، ثنا البخـاري، ثنا إســـحاق، ثنا محمد بن الفُضـــيل، ثنا الوليد بن جميع، عن أبي سـلمة ابن عبد الـرحمن، قـال: لم يكن أصـحاب رسـول الله منحـرفين ولا متمـاوتين، وكـانوا يتناشـدون الشـعر في مجالسـهم ويـذكرون أمر جاهليتهم، فإذا أريد أحد منهم على شـيء من أمر دينه دارت حماليق عينيه كأنه مجنون.

أَخْبَرَنَا عبد الوهاب الحافظ، ثنا جعفر بن أحمد، نا عبد العزيز الحسن بن إســماعيل الضَّــرَّاب، نا أبي، ثنا أحمد بن مروان، ثنا إبـراهيم الحـربيُّ، ثنا محمد بن الحــارث، عن المــدائني، عن محمد بن عبد الله القرشــي، عن أبيــه، قــال: نظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى شاب قد نكَّس رأسه فقال له: يا هذا ارفع رأسك فإن الخشــوع لا يزيد

على ما في القلب فمن أظهر للنـــاس خشـــوعًا فوق ما في قلبه فإنما أظهر نفاقًا على نفاق.

أَخْبَرَنَا عبد الوهاب، نا المبـارك بن عبد الجبـار، نا علي بن أحمد الفــالي، ثنا أحمد بن محمد ابن يوسف، ثنا ابن صفوان، نا أبو بكر القرشـي، ثـني يعقـوب بن إسـماعيل، قـال: قـال عبد اللـه، أخبرنا المعتمـــر، عن كَهْمَس بن الحسن أن رجلاً تنفس عند عمر بن الخطاب كأنه يتحازن فَلَكَزَهُ عمر، أو قال: لكمه.

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصــر، نا جعفر بن أحمــد، نا الحسن بن علي التميمي، نا أبو بكر ابن مالـــك، ثنا عبد الله بن أحمــد، ثــني أبي، ثنا أســود بن عـامر، نا أبو بكـر، عن عاصم بن كليب الجَـرْمي قـــال: لقي أبي عبد الـــرحمن بن الأســـود وهو يمشــــي، وكــــان إذا مشى يمشي جنب الحائط مُتَخَشِّعًا هكـذا، وأمـال أبو بكر عُنُقَـهُ شـيئًا فقـال أبي: ما لكَ إذا مشيت مشـيت إلى جنب الحائـط؟ أما والله إن عمر إذا مشى لشــديد الــوطء على الأرض جهوري الصوت.

أَخْبَرَنَا محمد بن أبي طــــــــاهر، نا أبو محمد الجوهري، نا ابن حَيَّويه نا أبو الحسن بن معروف، ثنا الحسـين بن الفهم، ثنا محمد بن سـعد، يرفعه إلى سليمان بن أبي خيثمة، عن أبيـه، قـال: قـالت

الشِّــفاء بنت عبد اللــه، ورأت فتيانًا يقصــرون في المشي ويتكلمــون رويــدًا، فقــالت: ما هــذا؟ قــالوا: نُسَّاك. قالت: كان والله عُمَـرُ إذا تكلم أســمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع، وهو الناسك حقًا.

قال المصنف رحمه الله: قلت: وقد كان السلف يسترون أحوالهم ويتصنعون بترك التصنع.

وقد ذكرنا عن أيــوب السَّــخْتياني أنه كــان في ثوبه بعض الطول ليستر حاله. وكان سفيان الثوري يقول: لا أعتَدُّ بما ظهر من عملي، وقــال لصــاحب له ورآه يصلي: ما أجرأك تصلي والناس يرونك.

قال: حـدثنا محمد بن ناصـر، ثنا عبد القـادر بن يوسـف، نا ابن المُـذَهِّب، نا القطيعي، ثنا عبد الله بن أحمد، ثنا أبو عبد الله يعني السلمي، ثنا بقية، عن محمد بن زياد.

قــال: مــرَّ أبو أُمامة برجل ســاجد فقــال: يا لها من سجدة لو كانت في بيتك.

أَخْبَرَنَا أبو منصور القَــزَّاز، نا أبو بكر بن ثــابت، نا الجـوهري، ثنا محمد بن العبـاس، ثنا محمد ابن القاسم الأنباري، ثنا الحــارث بن محمـد، ثنا يحـيى بن أيــوب، ثنا شــعيب بن حــرب، قــال رجل في مجلس الحسن بن عمارة: آه، قــال: فجعل يتبصــره ويقول: من هذا؟ حتى ظننا أنه لو عرفه أمر به.

أَخْبَرَنَا إســـــماعيل بن أحمد المقـــــري، نا حمد بن

الحــدَّاد، ثنا أبو نعيم الحافــظ، نا عبد الله ابن محمد بن جعفــر، ثنا عبد الله بن محمد بن يعقــوب، ثنا أبو حــاتم، ثنا حرملة، قال: سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول: (الكامل)

وَدَعِ الذين إذا أتَوْكَ وإذا خَلَوا فهمُ

أَخْبَرَنَا عبد الــرحمن بن محمد القَــزَّازُ، نا أحمد بن علي بن ثابت، نا أبو عمر الحسن ابن عثمــان الواعظ، نا جعفر بن محمد الواسطي، نا الحســين بن عبيد الله الأبــزاري، قــال: ســمعت إبــراهيم بن سعيد، يقول: كنتُ واقفًا على رأس المأمون فقــال لي: يا إبراهيم قلت: لبيك. قــال: عشــرة من أعمــال البر لا تصعد إلى اللــه، والله لا يقبل منها شــيء. قلت: ما هي يا أمير المؤمنين؟ فقال: بكاء إبراهيم على المنــبر، وخشــوع عبد الــرحمن بن إســحاق، وتقشف ابن سماعة، وصلاة خيعويه بالليل، وصــلاة عبــاس الضّــحى، وصــيام ابن السّــندي، الإثــنين والخميس، وحــديث أبي رجــاء، وقصص الحــاجبي، وصــدقة حفصــويه، وكتــاب «الشّــافي» ليعلى ابن قريش.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في ترك النكاح

قــال المصــنف: النكــاح مع خــوف العَنَت واجب ومن غــير خــوف العنت ســنّة مؤكــدة عند جمهــور

الفقهــاء. ومــذهب أبي حنيفة وأحمد بن حنبل أنه حينئذ أفضل من جميع النوافل لأنه ســــبب في وجـود الولـد. قـال عليه الصـلاة والسـلام: «تنـاكحوا تناسـلوا»[1] وقـال رسـول الله «النكـاح من سـنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني»[2].

أَخْبَرَنَا محمد بن أبي طاهر، نا الجوهري، نا أبو عمر بن حَيُّويه، نا أحمد بن معـروف، ثنا الحسـين بن الفهم، ثنا محمد بن سعد، نا سليمان بن داود الطيالسي، نا إبراهيم بن سـعد، عن الزُّهـري، عن سعيد بن المسيِّب، عن سعد بن أبي وقاص قـال: لقد رد رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم على عثمـان بن مظعـون التَّبَتُّل ولو أذن له في ذلك لاخْتَصَيْنَا[3].

قـال ابن سـعد: وأخبرنا عفـان، نا حمَّادُ بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بن مالك أنَّ نفرًا من

1 (?) ضعيف: أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس (2663) عن ابن عمر والـبيهقى فى معرفة السـنن والآثـار 5/219، 220 بلاغا عن الشـافعى، وذكـره ابن حجر فى التلخيص (1529) وقال: «فيه المحمدان ضعيفان». وقـال الحافظ العـراقى فى تخريج أحاديث الإحياء 2/22: «إسناده ضعيف».

2 (?) حسن لغـيره: أخرجه ابن ماجه فى النكـاح (1846) وفى الزوائـد: «إسـناده ضـعيف لاتفـاقهم على ضـعف عيسى بن ميمـون المـدينى، لكن له شـاهد صـحيح»، والـديلمى فى الفردوس (7174)، وأنظر: تلخيص الحبير (1530).

3 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى النكاح (5073، 5074)، ومسلم فى النكاح (1402/6، 7).

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر، فأخبروهم. فقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا أنام الليل على فراش، وقال بعضهم: أصوم ولا أفطر، فحمد الله النبي صلى الله عليه وسلم وأثنى عليه ثم قال: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[1].

قال ابن سعد: وأخبرنا سعيد بن منصور، نا أبو عَوَانة، عن عطاء بن السَّائب عن سعيد بن جُبير، قال: قال ابن عباس رضي الله عنه: «إن خير هذه الأمة كان أكثرها نساءً»[2].

قال ابن سعد: وأخبرنا أحمد بن عبد الله بن قيس، ثنا مَنْدَل، عن أبي رجاء الجزري، عن عثمان بن خالد عن محمد مسلم، قال: قال شدّاد بن أوس: زَوِّجوني فإنَّ رسول الله أوصاني أن لا ألقى الله عزبًا[3].

---

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى النكاح (5063)، ومسلم فى النكاح (1401/5).

2 (?) أخرجه البخارى فى النكاح (5069).

3 (?) منكر: ذكره الحافظ الذهبى فى الميزان 3/33 فى ترجمة عثمان بن خالد، وقال عنه: «لا يعرف من هو، والخبر منكر».
وفى إسناد المصنف: مندل وهو ابن على العنزى وهو ضعيف كما فى التقريب.

وَأَخْبَرَنَا ابن الحصين، نا ابن المُذَهِّب، نا أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله بن أحمد، ثني أبي، ثنا عبد الرزاق، نا محمد بن راشد، عن مكحول، عن رجل، عن أبي ذر قال: دخل على رسول الله رجل يقال له عكاف بن بشر التميمي الهلالي فقال له النبي «يا عكاف هل لك زوجة؟» قال: لا. قال: «ولا جارية؟» قال: لا. قال: «وأنت موسر بخير؟» قال: وأنا موسر، قال: «أنت إذًا من إخوان الشياطين، لو كنت من النصارى لكنت من رهبانهم، إن سنتنا النكاح. شراركم عزابكم وأراذل موتاكم عزابكم، أبالشياطين تمَرَّسون؟ فما للشياطين من سلاح أبلغ في الصالحين من ترك النساء»[1].

أَخْبَرَنَا ابن الحصين، نا ابن المذهب، نا أحمد بن جعفر، نا عبد الله بن أحمد بن حنبل، ثني أبي، ثني أيوب بن النجار، عن طيب بن محمد، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي هريرة قال: «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم مخنثي الرجال الذين يتشبهون بالنساء، والمترجلات من النساء المتشبهات بالرجال، والمتبتلين من الرجال الذين يقولون: لا نتزوج، والمتبتلات من النساء

---

[1] (?) ضعيف: أخرجه أحمد فى المسند 5/163، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد 4/250 وقال: «وفيه راو لم يسم، وبقية رجاله ثقات».

اللاتي يقلن ذلك»[1].

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصـــــر، نا عبد القـــــادر بن محمـد، قـال: نا أبو بكر الخطيب، نا أبو الفتح ابن أبي الفوارس، نا أحمد بن جعفر الخُتَّلي، ثنا أحمد بن محمد بن عبد الخــالق، ثنا أبو بكر المــروزي، قـال: سـمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبـل، يقـول: ليس العزوبة من أمر الإســلام في شــيء، النــبي تزوج أربع عشرة امرأة ومات عن تسع، ثم قـال: لو كان بشر بن الحارث تـزوج كـان قد تم أمـره كله. لو تـرك النـاس النكـاح لم يغـزوا ولم يحجـوا ولم يكن كذا، ولم يكن كذا، وقد كان النبي يصبح وما عندهم شيء، وكان يختار النكاح ويحث عليــه، وينهى عن التبتل، فمن رغب عن فعل النــبي فهو على غـير الحـق. ويعقـوب عليه السـلام في حزنه قد تـــزوج وولد لـــه. والنــــبي قـــال: «حُبِّبَ إليَّ النسـاء»[2]. قلت: فـإن إبـراهيم بن أدهم يحكى عنه

---

1. (?) ضعيف: أخرجه أحمد فى المسند 2/289، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد 4/251 وقـال: «وفيه الطيب بن محمد وثقه ابن حبــان وضــعفه العقيلى، وبقية رجاله رجــال الصــحيح». وانظر: الضعيفة (1114).
2. (?) إسناده حسن: أخرجه النسائى فى عشرة النساء (3949، 3950)، وأحمد فى المسند 3/128، 199، وصـححه الحـاكم فى المستدرك 2/160 ووافقه الذهبى، وقال الحافظ ابن حجر فى التلخيص (1530): «وإسناده حسن»، وحسنه الألبـانى فى المشكاة (5261).

بأنه قال لروعة صاحب عيـال، فما قـدرت أن أتم الحـديث حـتى صـاح بي وقـال: وقعنا في بنيـات الطريق. انظر عافاك الله ما كـان عليه نبينا محمد وأصحابه ثم قال: لبكاء الصبي بين يدي أبيه يطلب منه خبزًا أفضل من كـذا وكـذا، أنَّى يلحق المتعبُد المتعزبُ المتزوجَ.

نقد مسالك الصوفية في تركهم النكاح (فصل):

وقد لَبَّس إبليس على كثـــير من الصـــوفية فمنعهم من النكـاح فقـدماؤهم تركـوا ذلك تشـاغلاً بالتعبد ورأوا النكـــاح شـــاغلاً عن طاعة الله عز وجل، وهؤلاء وإن كـانت بهم حاجة إلى النكـاح أو بهم نوع تشوق إليه فقد خاطروا بأبدانهم وأديانهم، وإن لم يكن بهم حاجة إليه فاتتهم الفضيلة.

وفي الصـحيحين: من حـديث أبي ذر رضي الله عنه عن رسـول الله أنه قـال: «وفي بضع أحـدكم صدقة»، قالوا: يـأتي أحـدنا شـهوته ويكـون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكـان عليه وزر؟» قـالوا: نعم. قـال: «وكـذلك إذا وضـعها في الحلال كان له أجـر»، ثم قـال: «أفتحتسـبون الشر ولا تحتسبون الخير»[1].

---

[1] (?) صحيح: أخرجه مسلم فى الزكاة (1006/53)، وأحمد فى المسند 5/167، 168، واللفظ بأكمله لأحمد، ولم أعـثر عليه فى البخـارى. من حـديث أبى ذر وليس أبى هريـرة كما قـال

ومنهم من قـال: النكـاح يـوجب النفقة والكسب صعب، وهذه حجة للترفه عن تعب الكسب.

وفي الصـحيحين: من حـديث أبي هريـرة رضي الله عنه عن النـبي أنه قـال: «دينـار أنفقته في سبيل الله، ودينـار أنفقته في رقبـة، ودينـار أنفقته في الصـدقة، ودينـار أنفقته على عيالـك، أفضـلها الدينار الذي أنفقته على عيالك»[1].

ومنهم من قال: النكاح يوجب الميل إلى الـدنيا، فروينا عن أبي سـليمان الـدَّاراني أنه قـال: إذا طلب الرجل الحديث أو سافر في طلب المعـاش أو تزوج فقد ركن إلى الدنيا.

قال المصنف رحمه الله: قلت: وهذا كله مخالف للشـرع، وكيف لا يطلب الحـديث، والملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم. وكيف لا يطلب المعاش وقد قال عمر بن الخطـاب رضي الله عنـه: لأن أمـوت من سـعي على رجلي أطلب كفـاف وجهي أحب إليَّ من أن أموتَ غازيًا في سبيل الله.

وكيف لا يتزوج وصاحب الشرع يقول: «تنـاكحوا تناسلوا»[2]، فما أرى هـذه الأوضـاع إلا على خلاف

المصنف.

1 (?) صحيح: أخرجه مسلم فى الزكـاة (995/39)، وأحمد فى المسـند 2/473، والـبيهقى فى السـنن الكـبرى 7/467، ولم أعثر عليه فى البخارى كما قال المصنف.

2 (?) ضعيف: انظر: تلخيص الحبير (1529) وقد سبق.

الشرع.

فأما جماعة من متأخري الصوفية فـإنهم تركـوا النكاح ليقال: زاهد، والعـوام تعظم الصـوفي إذا لم تكن له زوجة فيقولون: ما عرف امرأة قط، فهذه رهبانية تخالف شرعنا.

قال أبو حامد: ينبغي أن لا يشـغل المريد نفسه بالتزويج، فإنَّه يشغله عن السلوك ويأنس بالزوجـة، ومن أنس بغير الله شغل عن الله تعالى.

قـــال المصـــنف رحمه اللـــه: وإني لأعجب من كلامه أتـــراه ما علم أن من قصد عفـــاف نفسه ووجــود ولد أو عفــاف زوجته فإنه لم يخــرج عن جــادة الســلوك، أو يــرى الأنس الطــبيعي بالزوجة ينافي أنس القلوب بطاعة الله تعالى، والله تعالى قد منّ على الخلق بقولـــــــــه: **وجعل لكم من أنفسـكم أزواجًا لتسـكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة** [الروم: 21].

وفي الحديث الصحيح عن جـابر رضي الله عنه عن النــبي قــال لــه: «هَلاَّ تــزوجت بِكــرًا تلاعبها وتلاعبك»[1].

وما كــان بالــذي ليدله على ما يقطع أنسه ب الله تعالى.

---

[1] (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى النكاح (5079)، ومسلم فى الرضاع (715/54).

أترى رسـول الله لما كـان ينبسط على نسـائه ويسابق عائشة رضي الله عنها[2]، أكان خارجًا عن الأنس ب الله، هذه كلها جهالات بالعلم.

محاذير ترك النكاح

(فصل):

وَاعْلَمْ أنه إذا دام تــركُ النكــاح على شــبّان الصوفية أخرجهم إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: المرضُ بحبس الماء، فإنَّ المرء إذا طال احتقانه تصاعد إلى الدماغ منه مَنِيُّهُ.

قــال أبو بكر محمد بن زكريا الــرازي: أعــرف قومًا كانوا كثيري المـني، فلما منعـوا أنفسـهم من الجمــاع لضــرب من التفلسف بــردت أبــدانهم وعسرت حركـاتهم ووقعت عليهم الكآبة بلا سـبب، وعرضت لهم أعــراض الماليخوليا وقلَّت شــهواتهم وهضمهم.

قــال: ورأيت رجلاً تــرك الجمــاع ففقد شــهوة الطعام، وصار إن أكل القليل لم يستمرئه وتقاياه، فلما عاد إلى عادته من الجماع سـكنت عنه هـذه الأعراض سريعًا.

النـوع الثـاني: الفـرار إلى المـتروك، فـإن منهم

---

[2] (?) صحيح: أخرجه أبو داود فى الجهاد (2578)، والنسائى فى الكـبرى فى عشـرة النسـاء (8943 ــ 8945)، وأحمد فى المسند 6/39، وقال الألبانى فى الصحيحة (131): «صحيح».

خلقًا كثيرًا صابروا على ترك الجماع فاجتمع المـاء فـأقلقوا، ورجعـوا فلامسـوا النسـاء، ولابسـوا من الـدنيا أضـعاف ما فـروا منـه، فكـانوا كمن أطـال الجوع ثم أكل ما ترك في زمن الصبر.

النوع الثالث: الانحراف إلى صحبة الصبيان، فإن قومًا منهم أيسوا أنفسـهم من النكـاح فـأقلقهم ما اجتمع عندهم، فصاروا يرتاحون إلى صحبة المُرد.

(فصل):

وقد لَبَّسَ على قوم منهم تزوجـوا وقـالوا: إنا لا ننكح شـهوة، فـإن أرادوا أن الأغلب في طلب النكاح إرادة السنة جاز، وإن زعمـوا أنه لا شـهوة لهم في نفس النكاح فمحال ظاهر.

(فصل):

وقد حمل الجهل أقوامًا فجبوا أنفسهم وزعمـوا أنهم فعلوا ذلك حيـاءً من الله تعـالى، وهـذه غاية الحماقة، لأن الله تعالى شرَّف الـذَّكر على الأنـثى بهـذه الآلة وخلقها لتكـون سـببًا للتناسـل، والـذي يجبُّ نفسه يقول بلسان الحال: الصـواب ضد هـذا، ثم قطعهم الآلة لا تزيل شهوة النكاح من النفس، فما حصل لهم مقصودهم.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في ترك طلب الأولاد

أَخْبَرَنَا المحمــدان ابن ناصر وا بن عبد البــاقي، قــالا: نا حمد بن أحمــد، نا أبو نُعيم أحمد بن عبد الله، ثنا إسحاق بن أحمد، ثنا إبراهيم بن يوســف، ثنا أحمد بن أبي الحـــواري، قـــال: ســـمعت أبا سليمان الدَّاراني يقــول: الــذي يريد الولد أحمــق. لا للـــدنيا ولا للآخـــرة. إن أراد أن يأكل أو ينـــام أو يجامع نَغَّصَ عليه، وإن أراد أن يتعبَّد شغله[1].

قـــال المصـــنف رحمه اللـــه: قلت: وهـــذا غلط عظيم، وبيانه أنه لما كــان مــراد الله تعــالى من إيجــاد الــدنيا إتصــال دوامها إلى أن ينقضي أجلهــا، وكــان الآدمي غــير ممتد البقــاء فيها إلا إلى أمد يسير أخلف الله تعالى منه مثله فحثه على ســببه في ذلك، تارة من حيث الطبع بإيقاد نار الشــهوة، وتــارة من بــاب الشــرع بقوله تعــالى: ﴿**وانكحــوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم**﴾ [النور: 32]، وقول الرسول «تناكحوا تناسلوا فإني أُبــاهي بكم الأمم يوم القيامة ولو بالسقْط»[2].

وقد طلب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الأولاد، فقـــال تعـــالى حكايـــةً عنهم ﴿**رب هب لى من لـــدنك ذرية طيبة إنك ســـميع الـــدعاء**﴾ [آل عمران: 38]، ﴿**رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن**

---

1 (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 9/264.

2 (?) ضعيف: أخرجه البيهقى فى معرفة السنن والآثار 5/219، 220 وانظر: تلخيص الحبير (1529)، وقد سبق تخريجه.

ذريتى [إبراهيم: 40]، إلى غير ذلك من الآيات.

وتسبب الصالحون إلى وجودهم، ورب جماع حدث منه ولد، مثل الشافعي وأحمد بن حنبل فكان خيرًا من عبادة ألف سنة. وقد جاءت الأخبار بإثابة المباضعة والإنفاق على الأولاد والعيال ومن يموت له ولد، ومن يخلف ولدًا بعده، فمن أعرض عن طلب الأولاد والتزوج فقد خالف المسنون والأفضل وحُرِمَ أجرًا جسيمًا، ومن فعل ذلك فإنما يطلب الراحة.

أَخْبَرَنَا عمر بن ظفر، نا جعفر بن أحمد بن السَّرَّاج، نا أبو القاسم الأزَجي، ثنا بان جهضم، ثنا الخلدي، قال سمعت الجُنيد يقول: الأولادُ عقوبةُ شهوة الحلال، فما ظنكم بعقوبة شهوة الحرام؟

قال المصنف رحمه الله: وهذا غلط فإن تسمية المباح عقوبة لا يَحْسُنُ لأنه لا يباح شيء، ثم يكون ما تجدد منه عقوبة، ولا يندب إلى شيء، إلا وحاصله مثوبة.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في الأسفار والسياحة

قد لَبَّسَ إبليس على خلق كثير منهم فأخرجهم إلى السياحة لا إلى مكان معروف ولا إلى طلب علم، وأكثرهم يخرج إلى الوحدة ولا يستصحب زادًا، ويدعي بذلك الفعل التوكل، فكم تفوته من

فضيلة وفريضة وهو يرى أنه في ذلك على طاعة وأنه يقـــرب بـــذلك من الولاية وهو من العصـــاة المخالفين لسنة رسول الله. وأما السياحة والخروج لا إلى مكــان مقصــود فقد نهى رســول الله عن السعي في الأرض في غير أرَب حاجة.

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصـــــر، نا المبـــــارك بن عبد الجبار، نا إبراهيم بن عمر البرمكي، نا ابن حَيُّويه، نا عبيد الله بن عبد الـــرحمن السُّـــكري، قـــال: سمعت أبا محمد بن قتيبــة، يقــول: ثـني محمد بن عبيد، عن معاوية بن عمرو، عن أبي إسحاق، عن سـفيان، عن ابن جــريج، عن الحسن بن مســلم، عن طــاوس، أن رســول الله قــال: «لا زمــام ولا خـــــزام ولا رهبانية ولا تبتل ولا ســـــياحة في الإسلام»[1].

قال ابن قتيبة: الزِّمام: في الأنف، والخِزام: حلقة من شعر يجعل في أحد جانبي المنخرين. وأراد ما كان عُبَّاد بني إسرائيل يفعلونه من خـزم الـتراقي وزم الأنوف، والتبتل: ترك النكاح، والسياحة: مفارقة

---

[1] (?) ضــعيف: أخرجه عبد الــرزاق فى مصــنفه 8/448 عن طاوس مرسلاً. والمراد من قوله «لا زمـام»: قـال ابن الأثـير: أراد ما كان عباد بنى إسرائيل يفعلونه من زم الأنـوف، وهو أن يخرق الأنف ويعمل فيه زمام كزمام الناقة ليقاد به.
وقوله «الخزامة»: حلقة تجعل فى الحاجز الذى بين منخرى البعير يشد فيها الزمام ليسهل انقياده إذا كان صعباً.
وقوله «تبتل»: هو الانقطاع عن النساء وترك النكاح.

الأمصار والذهاب في الأرض.

وروى أبو داود في سننه من حديث أبي أمامة أن رجلاً قـــال: يا رســـول الله ائـــذن لي في السياحة، فقال النبي «إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله »[1].

قال المصنف رحمه اللـه: وقد ذكرنا فيما تقـدم من حديث ابن مظعون أنه قال يا رسول الله: إن نفسي تحدثني بأن أسيح في الأرض، فقـال النـبي له: «مهلاً يا عثمان فـإن سـياحة أمـتي الغـزو في سبيل الله والحج والعمرة»[2]. وقد روى إسحاق بن إبـراهيم بن هـانىء، عن أحمد بن حنبل أنه سـئل عن الرجل يســيح يتعبد أحبُّ إليك أو المقيم في الأمصار؟ قال: ما السـياحة في الإسـلام في شـيء ولا من فعل النبيين ولا الصالحين.

نقد مسالك الصوفية في السياحة (فصل):

وأما الخروج على الوحدة فقد نهى رسول الله أن يسافر الرجل وحده[3].

---

1 (?) حسـن: أخرجه أبو داود فى الجهـاد (2486)، وصـححه الحـاكم فى المسـتدرك 2/73 ووافقه الـذهبى، والـبيهقى فى السنن الكبرى 9/161، والطبرانى فى الكبـير 8/216، وقـال الألبانى فى صحيح سنن أبى داود: «حسن».

2 (?) انظر: الصحيحة (1782)، وقد سبق تخريجه.

3 (?) صـحيح: أخرجه أحمد فى المسـند 2/91 من حـديث ابن

فأخبرنا عبد الــرحمن بن محمــد، نا أحمد بن علي بن ثــابت، نا محمد بن الطيب الصــباغ، نا أحمد بن سـلمان النجـاد، ثنا يحـيى بن جعفر بن أبي طـالب، ثنا علي بن عاصـم، ثنا عبد الـرحمن ابن حرملـة، ثنا عمـرو بن شـعيب، عن أبيـه، عن جـده، أن النـبي قـال: «الـراكب شـيطان والإثنـان شــــيطانان والثلاثة ركب»[1]. أَخْبَرَنَا هبة الله بن محمد، نا الحسن بن علي، نا أحمد بن جعفـر، ثنا عبد الله بن أحمد، ثني أبي، ثنا أيـوب بن النَّجـار، عن طيب بن محمد، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي هريرة، قال: لعن رسـول الله صـلى الله عليه وسلم راكب الفَلاة وحده[2].

المشي في الليل

(فصل):

وقد يمشون بالليل أيضًا على الوحـدة. وقد نهى

عمــر، وذكــره الهيثمى فى مجمع الزوائد 8/104 وقــال: «ورجاله رجال الصحيح».

1 (?) حسن: أخرجه أبو داود فى الجهاد (2607)، والترمذى فى الجهـاد (1674) وقـال: «حسن صـحيح»، وأحمد فى المسـند 2/186، والـبيهقى فى السـنن الكـبرى 5/257، وانظـر: الصحيحة (62).

2 (?) ضعيف: أخرجه أحمد فى المسند 2/289، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد 8/103 وقــال: «وفيه طيب بن محمد وثقة ابن حبـان، وضـعفه العقيلى، وبقية رجاله رجـال الصـحيح». وانظر: الضعيفة (1114).

النبي عن ذلك.

وَأَخْبَرَنَا ابن الحصين، نا ابن المذهب، نا أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله بن أحمد، ثني أبي، ثنا محمد بن عبيد، ثنا عاصم، عن أبيه، عن ابن عمر، رضي الله عنهما قال: قال النبي «لو يعلم الناس ما في الوحدة ما سار أحد وحده بليل أبدًا»[1].

قال عبد الله: وحدثني أبي، ثنا محمد بن أبي عدي، ثنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم، عن عطاء بن يسار، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله «أقِلوا الخروج إذا هدأت الرِّجْلُ فإن الله تعالى يبث في خلقه ما شاء»[2].

قال المصنف رحمه الله: وفيهم من جعل دأبه السفر، والسفر لا يراد لنفسه، قال النبي «السفر قطعة من العذاب فإذا قضى أحدكم نهمته من سفره فليعجل إلى أهله»[3].

---

1 (?) صحيح: أخرجه البخارى فى الجهاد (2998)، وأحمد فى المسند 2/86، 112.

2 (?) صحيح: أخرجه أبو داود فى الأدب (5104)، وأحمد فى المسند 3/306، والنسائى فى عمل اليوم والليلة (942)، وابن خزيمة فى صحيحة (2559)، وصححه الحاكم فى المستدرك 1/445 ووافقه الذهبى، وابن حبان فى صحيحه (1996) موارد.

3 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الجهاد (3001)، ومسلم

فمن جعل دأبه السفر فقد جمع بين تضييع العمر وتعذيب النفس، وكلاهما مقصود فاسد.

أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم، ثنا أبي قال: سمعت محمد بن أبي الطيب العكي يقول: سمعت أبا الحسن البصري يقول: سمعتُ أبا حمزة الخراساني يقول: كنت قد بقيت مُحرمًا في عباءٍ أسافر كل سنة ألف فرسخ تطلع الشمس عليَّ وتغرب كلما أحللت أحرمت.

ذكر تلبيسه عليهم في دخول الفلاة بغير زاد

قال المصنف رحمه الله: قد لبَّس على خلق كثير منهم فأوهمهم أنَّ التوكل ترك الزاد، وقد بينا فساد هذا فيما تقدم إلا أنه قد شاع هذا في جهلة القوم، وجاء حمقى القُصَّاص يحكون ذلك عنهم على سبيل المدح لهم به فيتضمن ذلك تحريض الناس على مثل ذلك، وبأفعال أولئك ومدح هؤلاء لهؤلاء فسدت الأحوال وخفيت على العوام طُرُق الصواب. والأخبار عنهم بذلك كثيرة وأنا أذكر منها نبذة.

أنبأنا محمد بن عبد الملك، نا أبو بكر، نا رضوان بن محمد الدِّينوري، ثنا طاهر ابن عبد الله، ثنا الفضل بن الفضل الكندي، ثني أبو بكر

فى الإمارة (1927/179) من حديث أبى هريرة.

محمد بن عبد الواحد بن جعفر الواسطي، ثنا محمد بن السفاح، عن علي بن سهل المصري، قال: أخبرني فتح الموصلي قال: خرجت حاجًّا فلما توسطت البادية إذا أنا بغلام صغير، فقلت: يا عجبًا بادية بيداء وأرض قفراء، وغلام صغير فأسرعت فلحقته فسلمت عليه ثم قلت: يا بني إنك غلام صغير لم تجر عليك الأحكام، قال: يا عم قد مات من كان أصغر سنًا مني. فقلت: وَسِّعْ خُطاك فإن الطريق بعيد حتى تلحق المنزل. فقال: يا عم علي المشي وعلى الله البلاغ، أما قرأت قوله تعالى: **﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾** [العنكبوت: 69].

فقلت له: ما لي لا أرى معك لا زادًا ولا راحلة؟ فقال: يا عم، زادي يقيني وراحلتي رجائي. قلت: سألتك عن الخبز والماء، قال: يا عم، أخبرني لو أن أخًا من إخوانك أو صديقًا من أصدقائك دعاك إلى منزله أكنت تستحسن أن تحمل معك طعامًا فتأكله في منزله؟ فقلت: أُزَوِّدُكَ. فقال: إليك عني يا بطال هو يطعمنا ويسقينا، قال فتح: فما رأيت صغيرًا أشد توكلاً منه ولا رأيت كبيرًا أشد زهدًا منه.

قال المصنف رحمه الله: بمثل هذه الحكاية تفسد الأمور ويظن أن هذا هو الصواب، ويقول الكبير: إذا كان الصغير قد فعل هذا فأنا أحق

بفعله منـــه، وليس العجب من الصـــبي، بل من الـذي لقيـه، كيف لم يعـرف أن هـذا الـذي يفعله منكر وأن الذي استدعاك أمرك بالتزود، ومن ماله يـتزود، ولكن مضى على هـذا كبـار القـوم فكيف الصغار.

أَخْبَرَنَا أبو منصــور القــزَّاز، نا أبو بكر بن علي الحافظ، نا أبو نُعيم الأصفهاني، قال سمعت محمد بن الحسن بن علي اليقطيـني، يقـول حضـرت أبا عبد الله بن الجلاّء، وقيل له عن هـــؤلاء الـــذين يـــدخلون البادية بلا زاد ولا عـــدة يزعمـــون أنهم متوكلـون فيموتـون في الـبراري، فقـال: هـذا فعل رجال الحق فإن ماتوا فالدية على القاتل.

أَخْبَرَنَا ابن ناصر، أنبأنا أحمد بن علي بن خلف، نا أبو عبد الـــرحمن السّـــلمي، قـــال: ســـمعت أبا الحسـين الفارسـي، يقـول: سـمعت أحمد بن علي يقول: قال رجل لأبي عبد الله بن الجلاء، ما تقول في الرجل يدخل البادية بلا زاد. قال: هذا من فعل رجال الله، قال: فإن مات، قال: الدية على القاتل.

قال المصنف رحمه الله: قلت: هذه فتوى جاهل بحكم الشرع إذ لا خلاف بين فقهاء الإسلام أنه لا يجـوز دخـول البادية بغـير زاد، وأن من فعل ذلك فمـــات بـــالجوع فإنه عـــاص لله تعـــالى مســـتحق لدخول النار، وكـذلك إذا تعـرض بما غالبه العطب،

فـإن الله جعل النفـوس وديعة عنـدنا فقـال: ﴿**ولا تقتلوا أنفسكم**﴾.

وقد تكلمنا فيما تقدم في وجـوب الاحـتراز من المـؤذي، ولو لم يكن المسـافر بغـير زاد إلا أنه خالف أمر الله في قوله: ﴿**وتزودوا**﴾.

أَخْبَرَنَا أبو بكر بن حـبيب، نا أبو سـعد بن أبي صادق، نا ابن باكويه، قال: سمعت أبا أحمد الكبير، يقول: سمعت أبا عبد الله بن خفيف، قال: خـرجت من شـيراز في السـفرة الثالثة فتهت في البادية وحدي وأصابني من الجوع والعطش ما أسقط من أسناني ثمانية وانتثر شعري كله.

قـال المصـنف رحمه اللـه: قلت: هـذا قد حكى عن نفسه ما ظـاهره طلب المـدح على ما فعل والذم لاحق به.

أَخْبَرَنَا أبو منصـور القـزاز، نا أحمد بن علي بن ثابت، نا عبد الكـريم بن هـوزان، قـال: سـمعت أبا عبد الرحمن السلمي، يقول: سمعت محمد بن عبد الله الواعـظ، وأخبرنا أبو بكر بن حـبيب، نا أبو سـعد ابن أبي صـادق، نا أبو عبد الله بن باكويه واللفظ له، ثنا أبو الفضل يوسف بن علي البَلْخي، ثنا محمد بن عبد الله أبو حمـزة الصـوفي قـال: إني لأسـتحيي من الله أن أدخل البادية وأنا شبعان وقد اعتقدت التوكل لئلا يكـون شـبعي زادًا

تزودته.

قال المصنف رحمه الله: قلت: وقد سبق الكلام على مثل هذا، وإن هؤلاء القـوم ظنـوا أن التوكل ترك الأسباب.

ولو كان هكذا لكان رسول الله حين تــزود لما خــرج إلى الغــار قد خــرج من التوكــل، وكــذلك موسى لما طلب الخضر تـزود حوتًـا، وأهل الكهف حين خرجوا فاستصحبوا دراهم واستخفوا ما معهم.

وإنما خفي على هــؤلاء معــنى التوكل لجهلهم، وقد اعتــذر لهم أبو حامد فقــال: لا يجــوز دخــول المفـازة بغـير زاد إلا بشـرطين: أحـدهما: أن يكـون الإنســان قد راضَ نفسه حيث يمكنه الصــبر على الطعام أسبوعًا ونحـوه، والثـاني: أن يمكنه التقـوت بالحشيش ولا تخلو البادية من أن يلقاه آدمي بعد أســبوع أو ينتهي إلى حلة أو حشــيش يــرجى به وقته.

قال المصنف: رحمه الله: قلت: أقبح ما في هذا القول أنه صـدر من فقيـه، فإنه قد لا يلقى أحـدًا وقد يضل وقد يمرض فلا يصلح له الحشيش، وقد يلقى من لا يطعمه ويتعرض بمن لا يضيفه وتفوته الجماعة قطعًا وقد يموت ولا يليه أحد.

ثم قد ذكرنا ما جـــــاء في الوحــــــدة، ثم ما المحوج إلى هـذه المحن إن كـان يعتمد فيها على

عادة أو لقاء شخص والاجتزاء بحشيش؟

وأي فضيلة في هـذه الحـال حـتى يخـاطر فيها بـالنفس؟ وأين أمر الإنسـان أن يتقـوت بحشـيش ومن فعل هـذا من السـلف؟ وكـأن هـؤلاء القـوم يجزمون على الله سبحانه أن يرزقهم في الباديـة، ومن طلب الطعـــام في البرية فقد طلب ما لم تجر به العادة.

ألا تـرى أن قـوم موسى لما سـألوا من بقلها وقثائها وفومها وعدســها وبصــلها أوحى الله إلى موسى أن اهبطوا مصـرًا، وذلك لأن الـذي طلبـوه في الأمصـار، فهـؤلاء القـوم على غاية الخطأ في مخالفة الشرع والعقل، والعمل بموافقات النفس.

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصــر، نا المبـــارك بن عبد الجبـار، نا عبد العزيز بن علي الأزجي، نا إبـراهيم بن محمد ابن جعفر الســـــاجي، نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفـــــر، ثنا أبو بكر أحمد بن محمد الخلال، نا الحسن بن أحمد الكرماني، ثنا أبو بكر، ثنا شـبابة، ثنا ورقـاء، عن عمـرو بن دينـار، عن عكرمــة، عن ابن عبـاس، قـال: كـان أهل اليمن يحجــون ولا يــتزودون ويقولــون: نحن متوكلــون فيحجون فيأتون إلى مكة فيسـألون النـاس فـأنزل الله عز وجــل: **﴿وتــزودوا فــإن خــير الــزاد**

التقوى(1) [البقرة: 197].

أَخْبَرَنَا أبو المعمر الأنصاري، نا يحيى بن عبد الوهاب بن مَنْدَه، نا أبو طاهر محمد بن أحمد ابن عبد الرحيم، نا أبو محمد بن حيان، ثنا أبو بكر أحمد بن هارون البرديجي، ثنا عبد الله بن الأزهر، ثنا أسباط، ثنا محمد بن موسى الجرجاني، قال سألت محمد بن كثير الصنعاني، عن الزهاد الذين لا يتزودون ولا ينتعلون ولا يلبسون الخفاف، فقال: سألتني عن أولاد الشياطين ولم تسألني عن الزهاد، فقلت له: فأي شيء الزهد؟ قال: التمسك بالسنة والتشبه بأصحاب النبي.

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصر، نا أبو الحسين بن عبد الجبار، نا عبد العزيز بن علي الأزجي، نا إبراهيم بن محمد الساجي، نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر، نا أبو بكر أحمد ابن محمد الخلال، نا أحمد بن الحسين بن حسان، أن أبا عبد الله أحمد بن حنبل سئل عن الرجل يريد المفازة بغير زاد فأنكره إنكارًا شديدًا وقال: أُفَ أُفَ لا لا، ومد بها صوته، إلا بزاد ورفقاء قافلة.

قال الخلال: وقال أبو بكر المروزي وجاء رجل إلى أبي عبد الله فقال: رجل يريد سفرًا أيما أحب إليك يحمل معه زادًا أو يتوكل؟ فقال له أبو

---

1 (?) صحيح: أخرجه البخارى فى الحج (1523).

عبد الله: يحمل معه زادًا ويتوكل حـتى لا يتشـرف للناس.

قـال الخلال: وأخـبرني إبـراهيم بن الخليل أن أحمد بن نصر حـدثهم أن رجلاً سـأل أبا عبد الله أيخـرج الرجل إلى مكة متـوكلاً لا يحمل معه شـيئًا؟ قـال: لا يعجبـني، فمن أين يأكـل؟ قـال: فيتوكل فيعطيه الناس، قال: فإذا لم يعطـوه أليس يتشـرف لهم حـتى يعطـوه؟ لا يعجبـني هـذا. لم يبلغني أن أحدًا من أصـحاب النـبي والتـابعين فعل هذا.

قـال الخلال: وأخبرنا محمد بن علي السمسـار، أن محمد بن موسى بن مشـيش حـدثهم أن أبا عبد الله سأله رجل فقـال: أحج بلا زاد؟ فقـال: لا. اعمل واحترف. (وأخـرج النـبي زود أصـحابه) فقـال: فهـؤلاء الـذين يعرفـون ويحجـون بلا زاد هم على الخطأ؟ قال: نعم، هم على الخطأ.

قال الخلال: وأخـبرني محمد بن أحمد بن جـامع الرازي قال: سمعت الحسين الـرازي قـال: شـهدت أحمد بن حنبل وجـاءه رجل من أهل خراسـان فقـال لـه: يا أبا عبد الله معي درهم أحج بهـذا الـدرهم. فقـال له أحمـد: اذهب إلى بـاب الكـرخ فاشتر بهـذا الـدرهم حبًا واحمل على رأسك حـتى يصـير عنـدك ثلاثمائة درهم فحج. قـال: يا أبا عبد

الله أما ترى مكاسب الناس، قال أحمد: لا تنظر إلى هذا فإنه من رغب في هذا يريد أن يفسد على الناس معايشهم، قال: يا أبا عبد الله أنا متوكل، قال: فتدخل البادية وحدك أو مع الناس؟ قال: لا، مع الناس، قال: كذبت إذن لست بمتوكل، فادخل وحدك وإلا فأنت متوكل على جراب الناس.

سياق ما جرى للصوفية في أسفارهم وسياحاتهم من الأفعال المخالفة للشرع

أَخْبَرَنَا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز، نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت نا محمد ابن عبد الباقي، نا حمد بن أحمد، نا أبو النعيم الحافظ، ثنا أحمد بن محمد ابن مقسم، ثني أبو بدر الخياط الصوفي، قال: سمعت أبا حمزة يقول: سافرت سفرة على التوكل، فبينما أنا أسير ذات ليلة والنوم في عيني إذ وقعت في بئر، فرأيتني قد حصلت فيها فلم أقدر على الخروج لبعد مرتقاها فجلست فيها، فبينما أنا جالس إذ وقف على رأس البئر رجلان، فقال أحدهما لصاحبه: نجوز ونترك هذه البئر في طريق المسلمين السابلة والمارة، فقال الآخر: فما نصنع؟ قال: فبدرت نفسي أن أناديهما، فنوديت: تتوكل علينا وتشكو بلاءنا إلى سوانا، فسكت فمضيا، ثم رجعا ومعهما شيء فجعلاه على رأسها غطوها به،

فقالت لي نفسـي: أمنت طمّها ولكن حصـلت فيها مسـجونًا، فمكثت يـومي وليلـتي، فلما كـان الغد ناداني شيء يهتف بي ولا أراه، تمسك بي شـديدًا فمددت يدي فوقعت على شـيء خشن فتسـمكت به فعلاها وطرحني فوق الأرض فإذا هو سبع فلما رأيته لحق نفسي من ذلك ما يلحق من مثلـــــه، فهتف بي هاتف وهو يقول: يا أبا حمزة استنقذناك من البلاء بالبلاء وكفيناك ما تخاف بما تخاف[1].

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصــــــر، محمد بن أبي نصر الحميـدي، نا أبو بكر محمد بن أحمد الأردسـتاني، ثنا أبو عبد الرحمن السّـلمي، قـال: سـمعت محمد بن حسن المخـرمي، سـمعت ابن المـالكي يقـول: قـــال أبو حمـــزة الخراســـاني: حججت ســـنة من الســـــنين فبينا أنا أمشي في الطريق وقعت في بئر فنازعتني نفسي أن أسـتغيث فقلت: لا والله لا أستغيث فما أتممت هذا الخـاطر حـتى مر بـرأس البئر رجلان، فقال أحـدهما للآخـر: تعـال نشد رأس هـذا البـئر في هـذا الطريـق، فـأتوا بقصب وبارية فهمهمت فقلت: إلى من هو أقـــرب إليك منهمـــا، وسكت حتى طموا رأس البِئر فإذا بشيء قد جاء فكشف عن رأس البـئر وولَّى رجليه وكـان يقـول في همهمة لـــه: تعلق بي. فتعلقت به فـــأخرجني، فنظرت فإذا هو سبع فهتف بي هاتف وهو يقـول:

---

1 (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 10/320، 321.

يا أبا حمـــزة أليس ذا حسن نجينـــاك من التلف بالتلف.

أَخْبَرَنَا أبو منصور القزاز، نا أحمد بن علي بن ثـابت، نا أبو القاسم رضـوان بن محمد ابن الحسن الـدينوري، قال: سـمعت أحمد بن محمد بن عبد الله النيسـابوري، يقـول: سـمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن عبد الوهـاب الحافـظ، يقـول: سـمعت أبا عبد الله محمد بن نعيم يحكي عن أبي حمزة الصوفي الدمشـقي أنه لما خـرج من البئر أنشد يقول: (الطويل)

نَهاني حيائي منكَ ... فأغنيتني بالقرب

تراءيتِ لي بالغيب ... تُبشرني بالغيب

أراك وبي من ... وتؤنسني بالعطف

وتحيي محبًا أنت ... وذا عجب كون

قال المصنف رحمه الله: قلت: اختلفـوا في أبي حمزة هذا الواقع في البئر، فقـال أبو عبـدالرحمن السُّلمي: هو أبو حمزة الخراساني وكان من أقران الجنيد. وقد ذكرنا في رواية أخرى أنه دمشقي.

وقال أبو نعيم الحافظ: هو أبو حمـزة البغـدادي واسـمه محمد بن إبـراهيم، وذكـره الخطيب في «تاريخه» وذكر له هـذه الحكاية[1]، وأيهم كـان فهو مخطىء في فعله، مخالف للشـرع بسـكوته، معين بصمته على نفسه، وقد كان يجب عليه أن يصـيح

1 (?) الخطيب فى تاريخ بغداد 1/391، 392.

ويمنع من طم البئر، كما يجب عليه أن يـدفع عن نفسه من يقصد قتله.

وقوله: لا أستغيث كقول القائـل: لا آكل الطعـام ولا أشـرب المـاء، وهـذا جهل من فاعله ومخالفة الحكمة في وضع الـدنيا، فـإن الله تعـالى وضع الأشـياء على حكمة فوضع للآدمي يـدًا يـدافع بها ولسـانًا ينطق به وعقلاً يهديه إلى دفع المضـار واجتلاب المصـالح، وجعل الأغذية والأدوية لمصـلحة الآدمـيين، فمن أعـرض عن اسـتعمال ما خُلِـقَ له وأرشد إليه فقد رفض أمر الشـرع وعطل حكمة الصانع.

فـإن قـال جاهـل: فكيف أحـترز مع أمر القـدر؟ قلنا: وكيف لا يحترز مع أمر المقدر وقد قـال الله تعـالى: ﴿﴾ [النسـاء: 71]، وقد اختفى النـبي في الغـار وقـال لسـراقة: «اخف عنـا»، واسـتأجر دليلاً إلى المدينة، ولم يقل أخرج على التوكـل، ومـازال ببدنه مع الأسـباب، وبقلبه مع المسـبب، وقد أحكمنا هذا الأصل فيما تقدم.

وقول أبي حمزة: فنوديت من بـاطني، هـذا من حـديث النفس الجاهلة الـتي قد اسـتقر عنـدها بالجهل أن التوكل تـرك التمسك بالأسـباب لأن الشـرع لا يطلب من الإنسـان ما نهـاه عنـه، وهلاَّ نافره باطنه في مد يده وتعلّقه بذلك المتدلي إليه

وتمسكه بـه، فـإن ذلك أيضًـا نقض لما ادعـاه من ترك الأسباب الـذي يسـميه التوكـل، لأنه أي فـرق بين قولـه: أنا في البـئر وبين تمسـكه بما تـدلّى عليـه، لا بل هـذا آكد لأن الفعل آكد من القـول، فهلا سـكت حـتى يحمل بلا سـبب. فـإن قـال: هـذا بعثه الله لي. قلنا: والذي جاز على البئر من بعثه؟ واللسـان المسـتغيث من خلقـه؟ فإنه لو اسـتغاب كـان مسـتعملاً للأسـباب الـتي خلقها الله تعـالى لينتفع بها للدفع عنه فلم يسـتعملها وإنما بسـكوته عطل الأسـباب الـتي خلقها الله تعـالى له ودفع الحكمة فصح لومه على تـــرك الســـبب، وأما تخليصه بالأسد فإن صح هذا فقد يتفق مثله ثم لا ينكر أن الله تعالى يلطف بعبـده، وإنما ينكر فعله المخالف للشرع.

أَخْبَرَنَا أبو منصـور القـزاز، نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثـابت، ثنا عبد العزيز بن أبي الحسـن، قال: سمعت علي بن عبد الله بن جَهْضَـمٍ المكي، يقول: ثنا الخلدي، قال: قال الجنيـد: قـال لي محمد بن السَّـمين: كنت في طريق الكوفة بقـرب الصـحراء الـتي ببريقـان، والطريق منقطـع، فـرأيت على الطريق جملاً قد سقط ومات عليه سبعة أو ثمانية من السـباع تتنـاهش لحمـه، يحمل بعضـها على بعض، فلما أن رأيتهم كـأن نفسي اضـطربت وكـانوا على قارعة الطريـق، فقـالت لي نفسـي:

تميل يمينًا أو شمالاً فـأبيت عليها إلا أن آخذ على قارعة الطريــق، فحملتها على أن مشــيت حــتى وقفت عليهم بــالقرب منهم كأحـــدهم، ثم رجعت إلى نفسي لأنظر كيف هي؟ فـــإذا الـــروع معي قائم فأبيت أن أبرح وهـذه صـفتي فقعـدت بينهم، ثم نظرت بعد قعودي، فإذا الروع معي فـأبيت أن أبرح وهذه صفتي، فوضعتُ جنبي فنمت مضـطجعًا فَتَغشَّـاني النـوم وأنا على تلك الهيئة والسـباع في المكـان الـذي كـانوا عليـه، فمضى بي وقت وأنا نائم، فاستيقظت فإذا السباع قد تفــرقت ولم يبق منها شــيء وإذا الـذي كنت أجـده قد زال فقمت وأنا على تلك الهيئة فانصرفت.

قال المصنف رحمه اللـه: قلت: فهـذا الرجل قد خالف الشرع في تعرضه للسباع ولا يحل لأحد أن يتعـرض لسـبع أو لحية بل يجب عليه أن يفر مما يؤذيه أو يهلكه.

وفي الصـــحيحين: أن النـــبي قـــال: «إذا وقع الطاعون وأنتم بأرض فلا تقدموا عليه»[1].

وقال «فِر من المجذوم فرارك من الأسد»[2].

---

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الطب (5729، 5730)، ومسلم فى السلام (2219/98، 100) من حديث عبد الرحمن بن عوف.

2 (?) صـحيح: أخرجه البخـارى فى الطب (5707)، وأحمد فى المسند 2/443 من حديث أبى هريرة.

ومر عليه الصـــــلاة والســـــلام بحائط مائل فأسرع[3].

وهــذا الرجل قد أراد من طبعه أن لا يــنزعج، وهذا شيء ما سلم منه موسى عليه السـلام فإنه لما رأى الحية خــاف وولى مــدبرًا، فــإن صح ما ذكره وهو بعيد الصحة لأن طباع الآدميين تتساوى، فمن قال: لا أخاف الســبع بطبعي، كـذبناه، كما لو قال: أنا لا أشتهي النظر إلى المستحسن.

وكأنه قهر نفسه حـــتى نـــام بينهم استســـلامًا للهلاك لظنه أن هــذا هو التوكــل، وهــذا خطأ لأنه لو كــان هو التوكل ما نهي عن مقاربة ما يخــاف شــره. ولعل الســباع اشــتغلت عنه وشــبعت من الجمل، والسبع إذا شبع لا يفترس.

ولقد كان أبو تـراب النخشـبي من كبـار القـوم فلقيته السباع البرية فنهشته فمات.

ثم لا ينكر أن يكون الله تعالى لطف به ونجاه بحسن ظنه فيـه. غـير أنا نـبين خطأ فعله للعـامي الـــذي إذا ســـمع هـــذه الحكاية ظن أنها عزيمة عظيمة ويقين قـــوي وربما فضل حالته على حالة موسى عليه الســلام إذ هــرب من الحيــة، وعلى

---

3 (?) ضعيف: أخرجه أحمد فى المسـند 2/356، وأبو يعلى فى مسـنده 11/491 من حـديث أبى هريـرة، وذكـره الهيثمى فى مجمع الزوائد 2/318 وقــال: «رواه أحمد وأبو يعلى وإســناده ضعيف» قلت: فى إسناده إبراهيم بن إسحاق وهو ضعيف.

حالة نبينا إذ مرَّ بجـدار مائل فهـرول، وعلى لبسه الـدرع في غزواته كلها وقت الحـرب، حـتى قـال عليه الصـلاة والسـلام في غـزوة الخنـدق: «ليس لنـــبي أن يلبس لامة حربه ثم ينزعها من غــــير قتال»[1].

وعلى حالة أبي بكر رضي الله عنه إذ سد خروق الغار اتقاء أذى الحيات.

وهيهـات أن تعلو مرتبة هـذا المخـالف للشـرع على مرتبة النبـيين والصـديقين بما يخايل له ظنه الفاسد من أن هذا الفعل هو التوكل.

وقد أخبرنا عنه أبو منصـور القـزاز، نا أبو بكر الخطيب، نا أسماعيل بن أحمد الجـبري، ثنا محمد بن الحسـين السـلمي، قـال: سـمعت محمد بن الحسن البغدادي يقول: سـمعت محمد بن عبد الله الفرغاني قال: سمعت مؤملاً المغـاربي يقـول: كنت أصـحب محمد بن السـمين فسـافرت معه ما بين تكريت والموصل فبيْنَا نحن في برية نسـير إذ زأر السبع من قريب منا فجزعت وتغـيرت وظهر ذلك على وجهي وهممت أن أبـــادر فـــأفر فضـــبطني وقــــال: يا مؤمل التوكل ههنا ليس في المســـجد

---

1 (?) صـحيح: أخرجه البخـارى فى الاعتصـام معلقـاً 13/315، ووصـــله أحمد فى المســـند 3/351، والـــدارمى فى الرؤيا (2159)، وذكـــره الهيثمى فى مجمع الزوائد 6/107 وقـــال: «ورجاله رجال الصحيح».

الجامع[2].

قال المصنف رحمه اللــه: قلت: لا أشك في أن التوكل يظهر أثـــــره في المتوكل عند الشـــــدائد، ولكن ليس من شروطه الاستسـلام للسـبع فإنه لا يجوز.

أَخْبَرَنَا عمر بن ظفــر، نا ابن الســراج، نا عبد العزيز بن علي الأزجي، نا ابن جهضم، ثنا إبراهيم بن أحمد بن علي العطار، قال له الخواص: حدثني بعض المشـــايخ، أنه قيل لعلي الـــرازي: ما لنا لا نـراك مع أبي طـالب الجرجـاني؟ قـال: خرجنا في سياحة، فنمنا في موضع فيه سباع، فلما نظر إليّ رآني لم أنم طـردني، وقـال: لا تصـحبني بعد هـذا اليوم.

قال المصنف رحمه الله: لقد تعـدى هـذا الرجل إذ أراد من صاحبه أن يغـير ما طبع عليـه، وليس ذلك في قدرته ولا في وســـعه، ولا يطالبه بمثله الشــرع، وما قــدر على هــذه الحالة موسى حين هرب من الحية، فهذا كله مبناه على الجهل.

أَخْبَرَنَا ابن ظفــــر، نا ابن الســـــراج، ثنا ابن جهضم، قال: سمعت الخلدي يقول: سمعت إبـراهيم الخواص يقول: سمعت حسنًا أخا سنان يقول: كنت أســلك طريق مكة فتــدخل في رجلي الشـــوكة

---

2 (?) ذكره الخطيب فى تاريخ بغداد 5/348، 349.

فيمنعـــني ما أعتقـــده من التوكل أن أخرجها من رجلي فأدلك رجلي على الأرض وأمشي.

أَخْبَرَنَا محمد بن عبد الباقي بن أحمد، أنبأنا أبو علي الحسن بن محمد بن الفضل الكرمـــــاني، نا ســــهل بن علي الخشـــاب، نا عبد الله بن علي الســـراج، قـــال: ســـمعت أحمد بن علي الوجـــدي يقـــول: حج الـــدينوري اثنـــتي عشـــرة حجة حافيًا مكشوف الـرأس، وكـان إذا دخل في رجله شـوك يمسح رجله في الأرض ويمشي ولا يتطـاطى إلى الأرض من صحة توكله.

قال المصـنف رحمه اللـه: قلت: انظـروا إلى ما يصـــنع الجهل بأهلـــه، وليس من طاعة الله أن يقطع الإنســان تلك البادية حافيًا لأنه يــؤذي نفسه غاية الأذى، ولا مكشوف الرأس، وأي قربة تحصل بهذا، ولولا وجوب كشف الرأس في مـدة الإحـرام لم يكن لكشــفه معــنى، فمن ذا الــذي أمــره ألا يخرج الشوك من رجله وأي طاعة تقع بهـذا؟ ولو أن رجله انتفخت بما يبقى فيها من الشوك وهلك كـــان قد أعـــان على نفســـه، وهل دلك الرجل بـــالأرض إلا دفع شر الشـــوك، فهلا دفع البـــاقي بالإخراج.

وأين التوكل من هــذه الأفعــال المخالفة للعقل والشرع لأنهما يقضيان بجلب المنـافع للنفس ودفع

المضار عنها، ولذلك أجاز الشرع لمن أدركه ضــرر في إحرامه أن يخـــــرق حرمة الإحـــــرام ويلبس ويغطي رأسه ويفدي، ولقد سمعت أبا عبيد يقول: إني لأتبين عقل الرجل بأن يـدع الشـمس ويمشي في الظل.

أَخْبَرَنَا أبو منصــور القــزاز، نا أبو بكر الخطيب، ثنا عبد العزيز بن أبي الحسن القرميســيني، قــال: سمعت علي بن عبد الله بن جهضم قال: ســمعت أبا بكر الرقي يقول: حدثني أبو بكر الـدقاق، قـال: خـــرجت في وسط الســـنة إلى مكة وأنا حـــدث السن في وســـطي نصف جل وعلى كتفي نصف جل فرمـــــدت عيـــــني في الطريق وكنت أمسح دمـوعي بالجل فـأقرح الجل الموضع فكـان يخـرج الدم مع الدموع فمن شدة الإرادة وقـوة ســروري بحالي لم أفـرق بين الـدموع والـدم وذهبت عيـني في تلك الحجة وكـــانت الشـــمس إذا أثـــرت في بدني قبلت يدي ووضعتها على عيني ســرورًا مـني بالبلاء.

أَخْبَرَنَا محمد بن أبي القاسم، نا حمد بن أحمد الحـــداد، نا أبو نعيم الحافـــظ، قـــال: ســـمعت أبا الفضل أحمد بن أبي عمران، يقول: سـمعت محمد بن داود الــرقي، يقــول: ســمعت أبا بكر الــدقاق، يقـول: كـان سـبب ذهـاب بصـري أني خـرجت في وسط الســنة أريد مكــة، وفي وســطي نصف جل

وعلى وسطي نصف جل، فرمدت إحدى عيني فمسحت الدموع بالجل فقرح المكان، وكانت الدموع والدم تسيلان من عيني[1].

أَخْبَرَنَا محمد بن أبي القاسم، نا أبو محمد التميمي، نا أبو عبد الرحمن السلمي قال: سمعت أبا بكر الرازي، يقول: قلت لأبي بكر الدقاق، وكان بفرد عين: ما سبب ذهاب عينك؟ قال: كنت أدخل البادية على التوكل فجعلت على نفسي أن لا آكل لأهل المنازل شيئًا تورعًا، فسالت إحدى عيني على خدي من الجوع.

قال المصنف رحمه الله: إذا سمع مبتدىء حالة هذا الرجل ظن أن هذه مجاهدات.

وقد جمعت هذه السفرة التي افتخر فيها فنونًا من المعاصي والمخالفات منها: خروجه في تنصيف السنة على الوحدة، ومشيه بلا زاد ولا راحلة، ولباسه الجل، ومسح عينيه به، وظنه أن ذلك يقربه إلى الله تعالى، وإنما يتقرب إلى الله تعالى بما أمر به وشرعه لا بما نهى وكف عنه.

فلو أن إنسانًا قال: أريد أن أضرب نفسي بعصا لأنها عصت، أتقرب بذلك إلى الله كان عاصيًا.

وسرور هذا الرجل بهذا خطأ قبيح، لأنه إنما

---

1 (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 10/344.

يفرح بالبلاء إذا كـان بغـير تسـبب منه لنفسه فلو أن إنسانًا كسر رجل نفسه ثم فرح بهذه المصيبة كـان نهاية في الحماقــة، ثم تركه السـؤال وقت الاضـطرار وحمله على النفس في شـدة المجاعة حتى سالت عنيه، ثم يسمي هـذا تورعًـا، حماقـات زهاد، أكبرها الجهل والبعد عن العلم.

وقد أخبرنا محمد بن أبي القاسـم، نا حمد بن أحمد، نا أبو نعيم الحافظ، ثنا سـليمان بن أحمـد، ثنا محمد بن العباس بن أيوب الأصـفهاني، ثنا عبد الرحمن بن يونس الـرقي، ثنا مطـرف ابن مـازن، عن سفيان الثوري، قال: من جاع فلم يسأل حـتى مات دخل النار[1].

قـال المصـنف رحمه اللـه: فـانظر إلى كلام الفقهاء ما أحسـنه. ووجهه أن الله تعـالى قد جعل للجائع مكنة التسبب، فإذا عـدم الأسـباب الظـاهرة فله قدرة السـؤال الـتي هي كسب مثله في تلك الحال، فـإذا تركه فقد فـرط في حق نفسه الـتي هي وديعة عنده فاستحق العقاب.

وقد روي لنا في ذهاب عين هذا الرجل ما هو أظـرف مما ذكرنـا، فأخبرنا محمد بن عبد البـاقي ابن أحمد، ثنا حمد بن أحمد الحـداد، ثنا أبو نعيم، قـال: سـمعت أبا أحمد القَلاَنسـي، يقـول: قـال أبو

---

1 (?) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء 6/66.

علي الروذبـاري يحكى عن أبي بكر الـدَّقَّاق قـال: استضـفت حيًا من العـرب فـرأيت جارية حسـناء. فنظرت إليها، فقلعت عيني التي نظـرت بها إليهـا. وقلت: مثلك من نظر لله.

قـال المصـنف رحمه اللـه: قلت: فـانظروا إلى جهل هذا المسكين بالشـريعة والبعد عنهـا، لأنه إن كـان نظر إليها من غـير تعمُّد فلا إثم عليـه، وإن تعمد فقد أتى صغيرة، قد كـان يكفيه منها النـدم. فضم إليها كبـيرة وهي قلع عينيـه، ولم يتب عنها لأنه اعتقد قلعها قربة إلى الله سـبحانه، ومن اعتقد المحظور قربة فقد انتهى خطؤه إلى الغاية، ولعله سـمع تلك الحكاية عن بعض بـني إسـرائيل أنه نظر إلى امـرأة فقلع عينـه، وتلك مع بعد صـحتها، ربما جـازت في شـريعتهم فأما شـريعتنا فقد حرمت هذا، وكأن هؤلاء القوم ابتكروا شريعة سموها بالتصوف وتركوا شريعة نـبيهم محمد نعـوذ ب الله من تلـبيس إبليس. وقد روي عن بعض عابدات الصوفية مثل هذا.

أَخْبَرَنَا أبو بكر بن حبيب العـامري، نا أبو سـعد بن أبي صـادق، نا ابن باكويه قـال: أخـبرني أبو الحسن علي بن أحمد البصـري، غلام شـعوانة، قال: أخبرتـني شـعوانة أنه كـان في جيرانها امـرأة صالحة فخرجت ذات يوم إلى السـوق فرآها بعض الناس فافتتن بها وتبعها إلى باب دارها. فقـالت له

المـــرأة: أي شـــيء تريد مـــني؟ قـــال: فتنت بـــك، فقـالت: ما الـذي استحسـنت مـني؟ قـال: عينـاك، فـــدخلت إلى دارها فقلعت عينيها وخـــرجت إلى خلف الباب ورمت بهما إليه وقالت له: خـذهما فلا بارك الله فيك.

قال المصنف رحمه الله: فـانظروا إخـواني كيف يتلاعب إبليس بالجهلـــة، فـــإن ذلك الرجل أتى صـغيرة بـالنظر، وأتت هي بكبـيرة، ثم ظنت أنها فعلت طاعة، وكان ينبغي أنها لا تكلم رجلاً أجنبيًا، وقد وجد من القـوم ضد هـذا كما يـروى عن ذي النـون المصـري وغـيره أنه قـال: لقيت امـرأة في البرية فقلت لها وقالت لي، وهذا لا يحل له، وقد أنكرت عليه امـرأة متيقظـة. فأخبرنا عبد الملك بن عبد الله الطروحي، نا محمد بن علي بن عمر، نا أبو الفضل محمد بن محمد العـامي، نا أبو سـعيد محمد بن أحمد بن يوسف، ثني سكر، ثـني محمد بن يعقوب العرجي، قال: سـمعت ذا النـون يقـول: رأيت امرأة بنحو أرض البهجة فناديتها، فقالت: وما للرجال أن يكلموا النساء لـولا نقص عقلك لرميتك بشيء.

أَخْبَرَنَا عبد الـــرحمن بن محمـــد، نا أحمد بن علي بن ثـــابت، ثنا عبد العزيز الأزجي، ثنا علي ابن عبد الله الهمـداني، ثـني علي بن إسـماعيل الطَّلَّاء، ثـني محمد بن الهيثم، قـال: قـال لي أبو

جعفر الحـــــداد: دخلت البادية بعض الســــنين على التوكل فبقيت سبعة عشر يومًا لا آكل فيها شـيئًا، وضــــــعفت عن المشي فبقيت أيامًا أخر لم أذق فيها شــــيئًا، فســــقطت على وجهي وغشي عليَّ، وغلب عليَّ من القمل شـــــيء ما رأيت مثله ولا سمعت به، فبيْنَا أنا كذلك إذ مر بي ركب فرأوني على تلك الحالة فــنزل أحــدهم عن راحلته فحلق رأسي ولحيتي وشقَّ ثـوبي وتركـني في الرمضـاء، وسار فمر بي ركب آخر فحملـوني إلى حيهم وأنا مغلوب فطرحوني ناحيـة، فجـاءتني امـرأة فجلست على رأسي وصـــــبت الل بن في حلقي ففتحت عيـني قليلاً وقلت لهم: أقـرب المواضع منكم أين؟ قالوا: جبل الشراة، فحملوني إلى الشراة.

قـــال المصــنف رحمه اللـــه: قلت: لو يحكى أن رجلاً من المجانين انحل من السلسلة فأخذ سكينًا وجعل يشـرح لحم نفسه ويقـول: أنا ما رأيت مثل هـذا الجنـون، لَصُـدِّق على هـذا، وإلا فـانظروا إلى حال هذا المسكين وبما فعل بنفسه، ثم يعتقد أن هذا قربة، نسأل الله العافية.

أَخْبَرَنَا أحمد بن ناصـــــر، نا أحمد بن علي بن خلف، نا أبو عبد الـرحمن السُّـلمي، قـال: سـمعت أبا بكر الرازي، يقول: سمعت أبا الحسن الريحـاني يقول: سمعت إبراهيم الخواص يقـول: رأيت شخصًـا من أهل المعرفة عرج بعد سـبعة عشر يومًا على

سبب في البرية، فنهاه شيخ كـان معـه، فـأبى أن يقبل، فسقط ولم يرتفع عن حدود الأسـباب. قلت: هذا قد أراد أن يصـبر عن القـوت أكـثر من هـذا، وليس الصبر إلى هذا الحد وإن أطيق بفضيلة.

أَخْبَرَنَا محمد بن أبي القاســم، نا رزق الله بن عبد الوهـــــاب، نا أبو عبد الــــــرحمن محمد بن الحسين، قـال: سـمعت جـدي إسـماعيل بن نجيـد، يقول: دخل إبراهيم الهروي مع شبة البريـة. فقـال: يا شبة اطرح ما معك من العلائق، قـال: فطرحتها كلها وأبقيت دينارًا، فخطا خطوات ثم قـال: اطـرح كل ما معــك، لا تشــغل ســري، قــال: فــأخرجت الـــدينار ودفعته إليه فطرحه ثم خطا خطـــوات، وقــال: اطــرح ما معــك، قلت: ليس معي شــيء، قــال: بعــدُ ســري مشــتغل، ثم ذكــرت أن معي دستجة شسـوع[1] فقلت: ليس معي إلا هـذه، قـال: فأخـــذها فطرحهـــا، ثم قـــال: امشِ. فمشـــينا فما احتجت إلى شسع في البادية إلا وجدته مطروحًا بين يدي، فقال لي: كذا من عامل الله بالصدق.

قال المصنف رحمه الله: قلت: كل هذه الأفعـال خطأ، ورمي المال حـرام، والعجب ممن يـرمي ما

---

[1] (?) دستجة: حزمة ونحوها، تجمع اثنى عشر فردا من كل نوع، معرب: دستة.
شسوع: سـير يمسك النعل بأصـابع القـدم. وشسع المـال: بقيتـه، يقال: شسع المال: قليل منه.

يملكه، ويأخذ ما لا يـدري من أين هـو؟ وهل يحل له أخذه أم لا.

أَخْبَرَنَا أبو بكر بن حـبيب، نا أبو سـعيد بن أبي صـادق، نا ابن باكويـه، قـال: سـمعت نصر بن أبي نصر العطـــار، يقـــول: ســـمعت علي بن محمد المصري.

قـال: سـمعت أبا سـعيد الخـراز، يقـول: دخلت البادية مـــرة بغـــير زاد فأصـــابتني فاقة فـــرأيت المرحلة من بُعد فسررت بوصولي، ثم فكرت في نفسي أن شكيت وأني تـوكلت على غـيره فـآليت أن لا أدخل المرحلة إلا إن حملت إليها فحفـــرت لنفسي في الرمل حفرة وواريت جسدي فيها إلى صـدري فسـمعت صـوتًا في نصف الليل عاليًـا: يا أهل المرحلة إن لله وليًا حبس نفسه في هـــــذا الرمل فالحقوه، فجاء جماعة فـأخرجوني وحملـوني إلى المرحلة.

قال المصنف رحمه الله: قلت: لقد تنطع هذا الرجل على طبعـه، فـأراد منه ما لم يوضع عليـه، لأن طبع ابن آدم أن يهش إلى ما يحب، ولا لـوم على العطشـان إذا هش إلى المـاء، ولا على الجـائع إذا هش إلى الطعـام، فكذلك كل من هش إلى محبوب له، وقد كان النبي إذا قـــدم من ســـفر فلاحت له المدينة أســـرع الســـير حبًا

للوطن[1]، ولما خرج من مكة تلفت إليها شوقًا، وكان بلال يقول: لعن الله عُتبة وشَيْبة إذ أخرجونا من مكة، ويقول: (الطويل)

ألا ليت شعري وجليل[2]
وهل أردت يومًا وهل تبدون لي

فنعـوذ ب الله من الإقبـال على العمل بغـير مقتضى العلم والعقل. ثم حَبْسُـه نفسَـه عن صـلاة الجماعة قـبيح، وأيُّ شـيء في هـذا التقـرب إلى الله سبحانه؟ إنما هو محضُ جهلٍ.

أنبأنا ابن ناصـر، نا جعفر بن أحمد السـراج، نا عبد العزيز بن علي بن أحمـد، ثنا أبو الحسن علي بن جهضم، ثنا بكر بن محمد، قال: كنت عند أبي الخير النيسابوري فبسطني بمحادثته لي بـذكر باديته، إلى أن سألته عن سـبب قطع يـده فقـال: يد جنت فقطعت.

ثم اجتمعت به مع جماعة فسـألوه عن ذلك فقال: سـافرت حـتى بلغت الاسـكندرية فـأقمت بها اثنتي عشرة سنة وكنت قد بنيت بها كوخًا، فكنت أجيء إليه من ليل إلى ليل وأفطر على ما ينفضه المرابطـون وأزاحم الكلاب على قمامة السفر، وآكل من البَرْدِيِّ في الشتاء، فنـوديت في

---

1 (?) صحيح: أخرجه البخارى فى العمرة (1802) وفى فضـائل المدينة (1886) من حديث أنس بن مالك.

2 (?) صحيح: أخرجه البخـارى فى فضـائل المدينة (1889) من حديث عائشة.

سري يا أبا الخير تزعم أنك لا تشارك الخلق في أقواتهم وتشير إلى التوكل وأنت في وسط القـوم جالس. فقلت: إلهي وسيدي وعزتك لا مـددت يـدي إلى شـيء مما تنبته الأرض حـتى تكـون الموصل إليَّ رزقي من حيث لا أكـون فيـه، فـأقمت اثـني عشر يومًا أصـلي الفـرض وأتنفل ثم عجـزت عن النافلة فـأقمت اثـني عشر يومًا أصـلي الفـرض والسنة، ثم عجزت عن السنة فـأقمت اثـني عشر يومًا أصلي الفرض لا غير، ثم عجـزت عن القيـام فأقمت اثني عشر يومًا أصـلي جالسًـا لا غـير، ثم عجـزت عن الجلـوس، فـرأيت إن طـرحت نفسي ذهب فَرْضي فلجـأت إلى الله بسـرِّي. وقلت: إلهي وسيدي افترضت عليّ فرضًا تسألني عنه وقسـمت لي رزقًا وضـمنته لي فتفضل عليَّ بـرزقي ولا تؤاخذني بما عقدته معـك، فوعزتك لأجتهـدن أن لا أحلل عقـدًا عقدته معـك، فـإذا بين يـدي قُرصـان بينهما شـيء فكنت أجـده على الـدوام من الليل إلى الليل ثم طـولبت بالمسـير إلى الثغر فسـرت حتى دخلت الفَرَما، فوجدت في الجامع قاصّا يذكر قصة زكريا والمنشـار وأن الله تعـالى أوحى إليه حين نشر. فقال: إن صـعدت إليَّ منك أنَّةٌ لأمحونَّك من ديـوان النبـوة، فصـبر حـتى قطع شـطرين. فقلت: لقد كـان زكريا صـبَّارًا. إلهي وسـيدي لئن ابتليتني لأصبرن.

وسرت حتى دخلت أنطاكية فرآني بعض إخواني وعلم أني أريد الثغر فدفع إليَّ سيفًا وترسًا وحربة، فدخلت الثغر، وكنت حينئذٍ أحتشم من الله تعالى أن أتوارى وراء السور خيفة من العدو، فجعلت مقامي في غابة أكون فيها بالنهار وأخرج بالليل إلى شاطىء البحر فأغرز الحربة على الساحل وأسند الترس إليها محرابًا وأتقلد سيفي وأصلي إلى الغداة، فإذا صليت الصبح غدوت إلى الغابة، فكنت فيها نهاري أجمع.

فبدوت في بعض الأيام فعثرت بشجرة فاستحسنت ثمرها ونسيت عقدي مع الله وقسمي به أن لا أمد يدي إلى شيء مما تنبت الأرض، فمددت يدي فأخذت بعض الثمرة، فبيْنَا أنا أمضغها ذكرت العقد فرميت بها من فيَّ وجلست ويدي على رأسي فدار بي فرسان وقالوا لي: قم؛ فأخرجوني إلى الساحل فإذا أمير وحوله خيل ورجالة وبين يديه جماعة سودان كانوا يقطعون الطريق، وقد أخذهم، وافترقت الخيل في طلب من هرب منهم فوجدوني أسود معي سيف وترس وحربة فلما قدمت إلى الأمير قال: إيش أنتَ؟ قلت: عبد من عبيد الله، فقال للسودان: تعرفونه؟ قالوا: لا، قال: بل هو رئيسكم وإنما تفدونه بأنفسكم، لأقطعن أيديكم وأرجلكم، فقدموهم ولم يزل يقدم رجلاً رجلاً ويقطع يده ورجله حتى

انتهى إليَّ، فقال: تقدم مُدَّ يديك فمددتها فقطعت، ثم قـال: مـدَّ رجلك فمـددتها ورفعت رأسي إلى السـماء وقلت: إلهي وسـيدي يـدي جَنَتْ ورجلي إيش عملت، فـإذا بفـارس قد وقف على الحلقة ورمى بنفسه إلى الأرض وصـاح إيش تعملـون تريدون أن تنطبق الخضراء على الغبراء، هذا رجل صالح يُعْرَف بأبي الخير، فرمى الأمـير نفسه وأخذ يـدي المقطوعة من الأرض وقبَّلها وتعلَّق بي يقبل صـدري ويبكي ويقـول: سـألتك ب الله أن تجعلـني في حِـلٍّ، فقلت: قد جعلتك في حل من أول ما قطعتها، هذه يد قد جنت فقطعت.

قال المصنف رحمه اللـه: فـانظروا رحمكم الله إلى عـدم العلم كيف صـنع بهـذا الرجل وقد كـان من أهل الخـير، ولو كـان عنـده علم لعلم أن ما فعله حـرام عليـه، وليس لإبليس عـون على العُبَّاد والزُّهاد أكثر من الجهل.

أَخْبَرَنَا أبو بكر بن حـبيب، نا أبو سـعيد بن أبي صـادق، نا ابن باكويه قـال: سـمعت الحسـين ابن أحمد الفارسـي، قـال: سـمعت محمد بن داود الـدِّينَوَري يقـول: سـمعت ابن حـديق يقـول: دخلنا المِصِّيصَـة مع حـاتم الأصم فعقد أنه لا يأكل فيها شـيئًا إلا حـتى يفتح فمه ويوضع في فيه وإلا ما يأكل، فقال لأصحابه: تفرقوا.

وجلس فأقام تسعة أيام لا يأكل فيها شيئًا، فلما كان في اليوم العاشر جاء إليه إنسان فوضع بين يديه شيئًا يؤكل فقال: كُلْ فلم يجبه، فقال له ثلاثًا، فلم يجبه، فقال: هذا مجنون، فأصلح لقمة وأشار بها إلى فمه فلم يفتح فمه، ولم يتكلم فأخرج مفتاحًا كان معه فقال: كل، وفتح فمه بالمفتاح ودس اللقمة في فمه فأكل ثم قال له: إن أحببت أن ينفعك الله به فأطعم أولئك، وأشار إلى أصحابه.

أنبأنا محمد بن أبي طاهر، نا علي بن المحسن التنوخي، عن أبيه، ثني محمد بن هلال بن عبد الله، ثني القاضي أحمد بن سيار، قال: حدثني رجل من الصوفية قال: صحبت شيخًا من الصوفية أنا وجماعة في سفر، فجرى حديث التوكل والأرزاق وضعف اليقين فيها وقوته، فقال الشيخ: عليَّ عليَّ، وحلف عليَّ أيمانًا عظيمة لا ذقت مأكولاً أو يبعث لي بجام[1] فالوذج حار لا آكله إلا بعد أن يحلف عليَّ، قال: وكنا نمشي في الصحراء، فقالت له الجماعة إلا أنك غير جاهد ومشى ومشينا، فانتهينا إلى قرية وقد مضى يوم وليلتان لم يطعم فيها شيئًا، ففارقته الجماعة غيري، فطرح نفسه في مسجد القرية مستسلمًا

[1] (?) الجام: إناء للشراب والطعام من فضة أو نحوها، وقد غلب استعماله فى قدح الشراب.

للمـوت ضـعفًا.فـأقمت عليـه، فلما كـان في ليلة اليوم الرابع وقد انتصف الليل وكـاد الشـيخ يتلـف، إذا بباب المسجد قد فتح وإذا بجارية سـوداء معها طبق مغطًّى، فلما رأتنا قــالت: أنتم غربــاء أو من أهل القريــة؟ فقلت: غربــاء، فكشــفت الطبق وإذا بجـام فـالوذج يفـور لحرارتـه، فقـدمت لنا الطبق وقالت: كلوا، فقلت له: كلْ، فقال: لا أفعل، فرفعت الجارية يدها فصـفعته صـفعة عظيمة وقـالت: والله لئن لم تأكل لأصفعنك هكذا إلى أن تأكـل، فقـال: كلْ معي، فأكلنا حـتى فَـرغ الجـام، وهمت الجارية بالإنصــراف، فقلت للجاريــة: ما خــبرك وخــبر هــذا الجام؟

فقالت: أنا جارية لرئيس هذه القريـة، وهو رجل حـاد، طلب منا منذ سـاعة فـالوذج فقمنا نصـلحه لـه، فطـال الأمر عليه فاسـتعجلنا فقلنـا: نعم فعـاد فاسـتعجل، فقلنـا: نعم، فحلف بـالطلاق لا أكله هو ولا أحد ممن هو في داره، ولا أحد من أهل القرية ولا يأكله إلا رجل غـــــريب، فخرجنا نطلب في المسـاجد رجلاً غريبًا فلم نجـد، إلى أن انتهينا إليكم، ولو لم يأكل هـذا الشـيخ لقتلته ضـربًا إلى أن يأكل لئلا تُطَلَّق سيدتي من زوجها، قـال: فقـال الشيخ: كيف تراه إذا أراد أن يرزق.

قال المصنف رحمه الله: ربما سـمع هـذا جاهل فاعتقده كرامة، وما فعله الرجل من أقبح القــبيح،

فإنه يجـــرب على الله ويتـــألّى عليه ويحمل على نفسه من الجوع ما لا يجوز له، وهذا لا يجوز له، ولا ينكر أن يكـــون لطف بـــه، إلا أنه فعل ضد الصواب، وربما كان إنفاذ ذلك رديئًا لأنه يعتقد أنه قد أكرم وأن ذلك منزلة.

وكذلك حكاية حاتم الـتي قبلها فإنها إن صـحت دلت على جهل بـــالعلم، وفعل لما لا يجـــوز لأنه ظن أن التوكل إنما هو تــرك التســبب، فلو عمل بمقتضى واقعته لم يمضغ الطعــام ولم يبلعه فــإن تســبب، وهل هــذا إلا من تلاعب إبليس بالجهــال لقلة علمهم بالشــرع، ثم أي قربة في هـذا الفعل البارد، وما أظن غالبه إلا من الماليخوليا.

أَخْبَرَنَا عبد الــرحمن بن محمد القــزاز، نا أحمد بن علي بن ثــابت، نا علي بن المحســن، قــال: حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري، قال: قال لي جعفر الخلدي: وقفت بعرفة ستًا وخمسين وقفـة، منها إحـدى وعشـرون على المـذهب. فقلت لأبي إسـحق: وأي شـيء أراد بقوله على المـذهب فقــال: يصــعد إلى قنطــرة الياســرية فينفض كُمَّيْه حـــتى يُعْلَم أنه ليس معه زاد ولا مـــاء ويلـــبي ويسير.

قال المصنف رحمه الله: وهـذا مخـالف للشــرع فإن الله تعالى يقـول: **﴿وتــزودوا﴾** [البقـرة: 197]،

ورسول الله قد تزود، ولا يمكن أن يقال إن هــذا الآدمي لا يحتـاج إلى شـيء في مـدة أشـهر فـإن احتاج ولم يتزود فعطب أثم، وإن سـأل النـاس أو تعرض لهم لم يَفِ ذلك بدعوى التوكل، وإن ادعى أنه يكرم ويرزق بلا سبب فنظره إلى أنه مستحق لذلك محنة، ولو تبع أمر الشرع وحمل الـزاد كـان أصلح له على كل حال.

وأنبأنا أبو زرعة طـــاهر بن محمد بن طـــاهر قـال: أخـبرني أبي، عن بعض الصـوفية، أنه قـدم عليه من مكة جماعة من المتصـوفة فقـال لهم: من صحبتم؟ فقالوا: حاج اليمن، فقال: أوه التصوف قد صـــار إلى هـــذا أو التوكل قد ذهب أنتم ما جئتم على الطريقة والتصـــــــوف وإنما جئتم من مائـدة اليمن إلى مائـدة الحـرم، ثم قـال: وحق الأحباب والفتيان لقد كنا أربعة نفر مصطحبين في هـذا الطريق نخـرج إلى زيـارة قـبر النـبي على التجريد ونتعاهد بيننا أن لا نلتفت الى مخلـوق ولا نسـتند الى معلـوم فجئنا الى النـبي ومكثنا ثلاثة أيام لم يفتح لنا بشيء، فخرجنا حتى بلغنا الجحفة ونزلنا وبحـــذائنا نفر من الأعـــراب، فبعثـــوا إلينا بسويق فأخذ بعضنا ينظر إلى بعض ويقـول: لو كنا من أهل هــذا الشـأن لم يفتح لنا بشـيء حـتى نـدخل الحـرم فشـربناه على المـاء وكـان طعامنا حتى دخلنا مكة.

قلت: اسمعوا إخواني إلى توكل هؤلاء كيف منعهم من التزود المأمور به فأحوجهم إلى أخذ صدقات الناس. ثم ظنهم أن ما فعلوه مرتبة جهل بمعرفة المراتب.

ومن عجب ما بلغني عنهم في أسفارهم ما أخبرنا به محمد بن أبي القاسم البغدادي، نا أبو محمد التميمي، عن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: بلغني أن أبا شعيب المقفع وكان قد حج سبعين حجة راجلاً أحرم في كل حجة بعمرة وحجة من عند صخرة بيت المقدس، ودخل بادية تبوك على التوكل، فلما كان في حجته الأخيرة رأى كلبًا في البادية يلهث عطشًا، فقال: من يشتري حجة بشربة ماء، قال: فدفع إليه إنسان شربة ماء فسقى الكلب ثم قال: هذا خير لي من حجي لأن النبي قال: «في كل ذاتِ كبدٍ حرَّى أجرٌ»[1].

أَخْبَرَنَا عبد الأول بن عيسى، نا ابن الكوفاني، ثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن قوري الخُبُوشاني، نا أبو نصر عبد الله بن علي الطوسي المعروف با بن السراج، قال: سمعت الوجيهي يقول: سمعت أبا علي الرّوذباري يقول: كنا في البادية جماعة ومعنا أبو الحسين العطوفي

[1] (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى المظالم (2466)، ومسلم فى السلام (2244/153) من حديث أبى هريرة.

فربما كـــــانت تلحقنا القافلة ويظلم علينا الطريق وكان أبو الحسين يصـعد تلاً فيصـيح صـياح الـذئب حتى تسمع كلاب الحي فينبحون فيمر على بيوتهم ويحمل إلينا من عندهم معونة.

قلت: وإنما ذكــرت مثل هــذه الأشــياء ليتــنزه العاقل في مبلغ علم هؤلاء وفهمهم للتوكل وغـيره يرى مخـالفتهم لأوامر الشـرع، وليت شـعري كيف يصــنع من يخــرج منهم ولا شــيء معه بالوضــوء والصــلاة؟ وإن تخـــرق ثوبه ولا إبـــرة معه فكيف يفعـل؟ وقد كـان بعض مشـايخهم يـأمر المسـافر بأخذ العدة قبل السفر.

فأخبرنا أبو منصور القـزاز، نا أبو بكر الخطيب، نا أبو القاسم عبد الكــريم بن هــوازن القشــيري، قال: سمعنا أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سمعت الفرغاني يقـول: كان إبراهيم الخواص مجردًا في التوكل يدقق فيه، وكان لا تفارقه إبرة وخيوط وركوة ومقراض فقيل له: يا أبا إسحاق لِمَ تجمع هذا وأنت تمنع من كل شــيء؟ فقــال: مثل هــذا لا ينقض التوكل لأن لله تعالى علينا فرائض، والفقير لا يكون عليه إلا ثوب واحد فربما يتخـــرق ثوبه وإن لم يكن معه إبـــرة وخيـوط تبـدو عورته فتفسد عليه صـلواته، وإن لم يكن معه ركـــوة تفسد عليه طهارتـــه، وإذا رأيت الفقـير بلا ركـوة ولا إبـرة ولا خيـوط فاتهمه في

صلاته.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية إذا قدموا من السفر

قال المصنف رحمه الله: من مـذهب القـوم أن المسـافر إذا قـدم فـدخل الربـاط وفيه جماعة لم يسلم عليهم حتى يدخل الميضـأة، فـإذا توضأ جـاء وصلى ركعتين ثم سلم على الشيخ ثم سـلم على الجماعــة، وهــذا ما ابتدعه متــأخروهم على خلاف الشريعة، لأن فقهـاء الإسـلام أجمعـوا على أن من دخل على قــوم سُــنَّ له أن يسـلم عليهم ســواء كان على طهارة أو لم يكن، إلا أن يكونـوا أخـذوا هذا من مذهب الأطفـال، فإنه إذا قيـل: للطفل لم لا تسلم علينا؟ قال: ما غسلت وجهي بعد، أو لعل الأطفال عُلِّموه من هؤلاء المبتدعين.

أَخْبَرَنَا ابن الحصين، نا أبو علي بن المذهب، نا أبو بكر بن مالــك، ثنا عبد الله بن أحمــد، ثــني أبي، ثنا عبد الــرزاق، ثنا معمــر، عن همــام بن مُنَبِّهٍ، ثنا أبو هريــرة رضي الله عنــه: قــال: قــال رسـول الله «ليسـلم الصـغير على الكبـير، والمـار على القاعد والقليل على الكثـــير»[1]، أخرجه في الصحيحين. ومن مـذهب القـوم تغمـيز القـادم من السفر مساء.

---

1 (?) متفق عليــه: أخرجه البخــارى فى الاســتئذان (6231، 6234) ومسلم فى السلام (2160/1) من حديث أبى هريرة.

أنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد عن أبيه قال: باب السنة في تغميزهم القادم من السفر أول ليلة لتعبه، واحتج بحديث عمر رضي الله عنه: دخلت على النبي وغلام له حبشي يغمز ظهره فقلت: ما شأنك يا رسول الله؟ قال: «إن الناقة قد اقتحمتني»[1].

قال المصنف رحمه الله: انظروا إخواني إلى فقه هذا المحتج، فإنه كان ينبغي أن يقول: باب السنة في تغميز من رمت به ناقته، وتكون السنة تغميز الظهر لا القدم، ومن أين له أنه كان في سفر وأنه غمز أول ليلة ثم يجعل تغميز النبي كما اتفق لأجل ألم ظهره سنة. لقد كان ترك استخراج هذه الفقه الدقيق أحسن ما ذكره. ومن مذهبهم عمل دعوة للقادم. قال ابن طاهر: باب اتخاذهم العتيرة للقادم، واحتج بحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي سافر سفرًا، فنذرت جارية من قريش إن الله تعالى ردَّه أن تضرب في بيت عائشة رضي الله عنها بدف، فلما رجع فقال النبي «إنْ كنتِ نذرتِ فاضربي»[2].

---

1 (?) ضعيف: أخرجه الطبرانى فى الصغير 1/83، وفى الأوسط (8077)، والبزار (3033)، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد 5/96 وقال: «ورجاله رجال الصحيح خلا عبد الله بن زيد بن أسلم، وقد وثقه أبو حاتم وغيره، وضعفه ابن معين وغيره».

2 (?) حسن: أخرجه الفاكهى فى تاريخ بسند حسن كما فى تلخيص الحبير (2656). وأخرجه الترمذى فى المناقب (

قال المصنف رحمه الله: قد بيَّنا أن الدف مباح، ولما نذرت هذه المرأة مباحًا، أمرها أن تفي، فكيف يحتج بهذا على الغناء والرقص عند قدوم المسافر.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية إذا مات لهم ميت

له في ذلك تلبيسان:

الأول: أنهم يقولون لا يُبكى على هالك، ومن بكى على هالك خرج عن طريق أهل المعارف.

قال ابن عقيل: وهذه دعوى تَزَيُّد على الشرع، فهي حديث خرافة وتخرج عن العادات والطباع، فهي انحراف عن المزاج المعتدل، فينبغي أن يطالب لها بالعلاج بالأدوية المعدلة للمزاج، فإن الله تعالى أخبر عن نبي كريم فقال: **وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم** [يوسف: 84]، وقال: **يا أسفى على يوسف** [يوسف: 84] وبكى رسول الله عند موت ولده وقال: «إن العين لتدمع»[1]، وقال: «واكرباه»[2]،

3690) وقال: «حسن صحيح غريب» وأحمد فى المسند 5/353، 356، وابن حبان فى صحيحه (2015 موارد)، والبيهقى فى السنن الكبرى من حديث بريدة.
وأخرجه أبو داود فى الأيمان والنذور (3312) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الجنائز (1303)، ومسلم فى الفضائل (2315/62) من حديث أنس بن مالك.

2 (?) موضوع: أخرجه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد 9/30،

وقـالت فاطمة رضي الله عنهـا: «واكـرب أبتـاه» فلم ينكر[1]، وسـمع عمر بن الخطـاب رضي الله عنه متممًا يندب أخاه ويقول: (الطويل)

وكنا كندماني من الدهر حتى

فقـال عمر رضي الله عنـه: ليـتي كنت أقـول الشعر فأندب أخي زيدًا، فقال متمم: لو مات أخي كما مات أخوك ما رثيتـه، وكـان مالك مـات على الكفر وزيد قتل شهيدًا، فقال عمر: ما عـزاني أحد في أخي كمثل تعزيتـك. ثم لا تـزال الإبل الغليظة الأكبـاد تحن إلى مآلفها من الأعطـان والأشـخاص، وترغو للفصـلان، وحمـام الطـير تُرَجِّع. وكل مـأخوذ من البلاء، فلا بد أن يتضـــــرع ومن لم تحرّكه المســار والمطربــات وتزعجه المخزيــات فهو إلى الجماد به أقرب.

وقد أبان النبي عليه الصلاة والسلام عن العيب في الخروج عن سمت الطبع، فقال للذي قال: لم أُقَبِّلْ أحـدًا من ولـدي وكـان له عشـرة من الولد فقـــال: «أو أملك لك أن نـــزع الله الرحمة من

31 وقـال الهيثمى: «وفيه عبد المنعم بن إدريس وهو كـذاب وضاع»، وأبو نعيم فى حلية الأولياء 4/73، وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات 1/295 وقال: «هذا حديث موضوع».

[1] (?) صحيح: أخرجه البخارى فى المغازى (4462)، وأحمد فى المسند 3/141 من حديث أنس بن مالك.

قلبك»[1] وجعل يلتفت إلى مكة لما خرج.

فالمطالب لما يخرج عن الشرائع وينبو عن الطباع جاهل يطالب بجهل. وقد قنع الشرع منا أن لا نلطم خدًا ولا نشق جيبًا، فأما دمعة سائلة وقلب حزين فلا عيب في ذلك.

التلبيس الثاني: أنهم يعملون عند موت الميت دعوة ويسمونها عرسًا ويغنون فيها ويرقصون ويلعبون ويقولون نفرح للميت إذ وصل إلى ربه، والتلبيس في هذا عليهم من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن المسنون أن يتخذ لأهل الميت طعام لاشتغالهم بالمصيبة عن إعداد الطعام لأنفسهم وليس من السنة أن يتخذه أهل الميت ويطعمونه إلى غيرهم.

والأصل في اتخاذ الطعام لأجل الميت ما أخبرنا به أبو الفتح الكروخي، نا أبو عامر الأزدي، وأبو بكر الغورجي قال: أخبرنا الجراحي، ثنا المحبوبي، ثنا الترمذي، ثنا أحمد ابن منيع، وعلي بن حجر قالا: حدثنا سفيان بن عيينة، عن جعفر بن خالد، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر، قال: لما جاء نعيُ جعفر فقال النبي «اصنعوا لآل جعفر

---

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الأدب (5998)، ومسلم فى الفضائل (2317/64) من حديث عائشة.

طعامًا فإنه قد جـــاءهم ما يشـــغلهم»[1]، قـــال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

والثاني: أنهم يفرحون للميت ويقولون: وصل إلى ربه، ولا وجه للفرح لأنَّا لا نتيقن أنه غفر لـه، وما يؤمنا أن نفرح له وهو في المعذبين.

وقد قـــال عمر بن ذر لما مـــات ابنـــه: لقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك.

أَخْبَرَنَا عبد الأول، نا ابن المظفـر، نا ابن أعين، ثنا الفربري، ثنا البخاري، ثنا أبو اليَمَان، نا شعيب، عن الزهري، ثني خارجة بن زيد الأنصاري، عن أم العلاء قـالت: لما مـات عثمـان بن مظعـون دخل علينا رســـــول الله فقلت: رحمة الله عليك يا أبا السـائب فشـهادتي عليك لقد أكرمك اللـه، فقـال النبي «وما يدريك أن الله أكرمه»[2].

والثالث: أنهم يرقصون ويلعبون في تلك الـدعوة فيخرجـون بهـذا عن الطبـاع السـليمة الـتي يـؤثر عنـدها الفـراق. ثم إن كـان ميتهم قد غفر له فما الرقص واللعب بشكرهم وإن كان معذبًا فـأين أثر

---

1 (?) حسن: أخرجه أبو داود فى الجنائز (3132)، والترمذى فى الجنـائز (998)، وابن ماجه فى الجنـائز (1610)، وأحمد فى المسـند 1/205، وصـححه الحـاكم فى المسـتدرك 1/372 ووافقه الذهبى. وحسنه الألبانى فى صحيح الترمذى.

2 (?) صـحيح: أخرجه البخـارى فى الشـهادات (2687)، وأحمد فى المسند 6/436 من حديث أم العلاء.

الحزن؟.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في ترك التشاغل بالعلم

قال المصنف رحمه الله: اعلم أن أول تلبيس إبليس على الناس صدهم عن العلم، لأن العلم نور فإذا أطفأ مصابيحهم خبطهم في الظلم كيف شاء. وقد دخل على الصوفية في هذا الفن من أبواب.

أحدها: أنه منع جمهورهم من العلم أصلاً وأراهم أنه يحتاج إلى تعب وكلف فحسن عندهم الراحة فلبسوا المراقع وجلسوا على بساطة البطالة.

أَخْبَرَنَا إسماعيل بن أحمد السمرقندي، نا حمد بن أحمد الحداد، نا أبو نعيم الأصفهاني، ثنا أبو محمد بن حيان، ثنا أبو الحسن البغدادي، ثنا ابن صاعد، قال: سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول: أسس التصوف على الكسل. وبيان ما قاله الشافعي: أن مقصود النفس إما الولايات وإما استجلاب الدنيا. واستجلاب الدنيا بالعلوم يطول، ويتعب البدن، وهل يحصل المقصود أو لا يحصل. والصوفية قد تعجلوا الولايات، فإنهم يرون بعين الزهد. واستجلاب الدنيا فإنها إليهم سريعة.

أَخْبَرَنَا عبد الحق، نا المبارك بن عبد الجبار، نا

أبو الفرج الطناجيري، ثنا أبو حفص ابن شاهين، قال: ومن الصوفية من ذم العلماء ورأى أن الاشتغال بالعلم بَطَالة،

وقالوا: إن علومنا بلا واسطة، وإنما رأوا بُعْدَ الطريق في طلب العلم فقصروا الثياب ورقعوا الجباب وحملوا الركاء وأظهروا الزهد.

والثاني: أنه قنع قوم منهم باليسير منه ففاتهم الفضل الكثير في كثرته، فاقتنعوا بأطراف الأحاديث وأوهمهم أن علو الإسناد والجلوس للحديث كله رياسة ودنيا وأن للنفس في ذلك لذة.

وكشف هذا التلبيس أنه ما من مقام عال إلا وله فضيلة وفيه مخاطرة، فإن الإمارة والقضاء والفتوى كله مخاطرة، وللنفس فيه لذة، ولكن فضيلته عظيمة كالشوك في جوار الورد، فينبغي أن تطلب الفضائل ويتقى ما في ضمنها من الآفات.

فأما ما في الطبع من حب الرياسة فإنه إنما وضع لتجتلب هذه الفضيلة، كما وضع حب النكاح ليحصل الولد، وبالعلم يتقوم قصد العالم، كما قال يزيد بن هارون: طلبنا العلم لغير الله فأبى إلا أن يكون لله.

ومعناه: أنه دلنا على الإخلاص، ومن طالب

نفسه بقطع ما في طبعه لم يمكنه.

والثـــالث: أنه أوهم قومًا منهم أن المقصـــود العمـل، وما فهمـوا أن التشـاغل بـالعلم من أوفى الأعمال، ثم إن العـالم وإن قصر سـير عمله فإنه على الجادة، والعابد بغير علم على غير الطريق.

والرابـــع: أنه أرى خلقًا كثـــيرًا منهم أن العـــالم ما اكتسب من البـــواطن، حـــتى إن أحـــدهم يتخايل له وسوسة فيقول: حدثني قلـبي عن ربي. وكـان الشـبلي يقول: (المتقارب)

إذا طالبوني بعلم   برزت عليهم

وقد سـموا علم الشـريعة علم الظـاهر وسـموا هـواجس النفـوس العلم البـاطن، واحتجـوا له بما أخبرنا به عبد الحق بن عبد الخـالق، نا الحسـين ابن علي الطناجيري، نا أبو حفص بن شـاهين، ثنا علي بن محمد بن جعفر بن أحمد ابن عنبسة العســـكري، ثـــني دارم بن قبيصة بن نهشل الصنعاني، قال: سمعت يحيى بن الحسـين ابن زيد بن علي، قـال: سـمعت يحـيى ابن عبد الله بن حسين، عن يحيى بن زيد بن علي، عن أبيـه، عن جـــده، عن الحسن بن علي، عن علي بن أبي طـالب كـرم الله وجهه عن النـبي أنه قـال: «علم البـــاطن سر من سر الله عز وجـــل، وحكم من أحكام الله تعالى، يقذفه الله عز وجل في قلـوب

من يشاء من أوليائه»[1].

قال المصنف رحمه الله: قلت: وهذا حديث لا أصل له عن النبي وفي إسناده مجاهيل لا يعرفون.

أنبأنا محمد بن ناصر، نا أبو الفضل بن علي السهلكي، نا أبو علي عبد الله بن إبراهيم النيسابوري، ثنا أبو الحسن علي بن عبد الله بن جهضم، ثنا أبو الفتح أحمد بن الحسن، ثنا علي ابن جعفر، عن أبي موسى، قال: كان في ناحية أبي يزيد رجل فقيه عالم تلك الناحية، فقصد أبا يزيد وقال له: قد حُكي لي عنك عجائب، فقال أبو يزيد: وما لم تسمع من عجائبي أكثر. فقال له: علمك هذا يا أبا يزيد عن من ومن أين ومِنْ مَنْ؟ فقال أبو يزيد: علمي من عطاء الله تعالى، ومن حيث قال «من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم»[2]، ومن حيث قال «العلم علمان: علم ظاهر وهو حجة الله تعالى على

---

1 (?) موضوع: أخرجه الديلمى فى الفردوس (3922)، وابن عراق فى تنزيه الشريعة 1/280، وقال المصنف: لا أصل له، وقال الألبانى فى الضعيفة (1227): «موضوع».

2 (?) موضوع: أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء 10/15، وذكره الملأ على القارئ فى الأسرار المرفوعة (325)، والشوكانى فى الفوائد المجموعة 1، 286، وقال الألبانى فى الضعيفة (422): «موضوع».

خلقه، وعلم باطن وهو العلم النـافع»[3]، وعلمك يا شـيخ نقل من لسـان عن لسـان التعليم، وعلمي من الله إلهام من عنده.

فقال له الشيخ: علمي عن الثقـات عن رسـول الله عن جبريل عن ربه عز وجـــل. فقـــال له أبو يزيـد: يا شـيخ كـان للنـبي علم عن الله لم يطلع عليه جبريل ولا ميكائيـل، قـال: نعم. ولكن أريد أن يصح لي علمك الـــذي تقـــول هو من عند اللـــه، قـــال: نعم. أبينه لك قـــدر ما يســـتقر في قلبك معرفته.

ثم قـــال: يا شـــيخ علمت أن الله تعـــالى كلم موسى تكليمًا وكلم محمـدًا ورآه كفاحًـا، وأن حلم الأنبيـاء وحي؟ قـال: نعم. قـال: أما علمت أن كلام الصديقين والأولياء بإلهام منه، وفوائده من قلوبهم، حتى أنطقهم بالحكمة ونفع بهم الأمة.

ومما يؤكد ما قلت: ما ألهم الله تعـــــــالى أم موسى أن تلقي موسى في التابوت فألقته، وألهم الخضر في الســـــفينة والغلام والحائـــــط، قوله

---

3 (?) ضـعيف: أخرجه الـدارمى فى المقدمة (364)، وابن عبد الــبر النمــرى فى كتــاب العلم كما فى الــترغيب 1/103 عن الحسن مرسلا.
وأخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد 4/346 من حـديث جـابر، وقـال المنذرى فى الترغيب 1/103: «بإسناد حسن»، وانظر: تخريج أحـاديث الإحيـاء 1/58. وقـال الألبـانى فى المشـكاة 1/89: «ضعيف»، وانظر: ضعيف الجامع (3778).

لموسى: **وما فعلته عن أمرى** [الكهف: 82]، وكما قال أبو بكر لعائشة رضي الله عنهما: إن ابنة خارجة حاملة ببنت، وألهم عمر رضي الله عنه فنادى: يا سارية الجبل.

أنبأنا ابن ناصر، أنبأنا أبو الفضل السهلكي قال: سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت إبراهيم سبتية يقول: حضرت مجلس أبي يزيد والناس يقولون: فلان لقي فلانًا وأخذ من علمه وكتب منه الكثير، وفلان لقي فلانًا، فقال أبو يزيد: مساكين أخذوا علمهم ميتًا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت.

قال المصنف رحمه الله: هذا الفقه في الحكاية الأولى من قلة العلم إذ لو كان عالمًا لعلم أن الإلهام للشيء لا ينافي العلم ولا يتسع به عنه، ولا ينكر أن الله عز وجل يلهم الإنسان الشي كما قال النبي «إن في الأمم مُحَدَّثِينَ وإن يكن في أمتي فَعُمَر»[1].

والمراد بالتحديث إلهام الخير، إلا أن الملهم لو ألهم ما يخالف العلم لم يجز له أن يعمل عليه.

---

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى فضائل الصحابة (3689)، وأحمد فى المسند 2/339 من حديث أبى هريرة.
وأخرجه مسلم فى فضائل الصحابة (2398/23) من حديث عائشة.

وأما الخضر فقد قيـل: إنه نـبي ولا ينكر للأنبيـاء الاطلاع بـالوحي على العـواقب، وليس الإلهـام من العلم في شـيء إنما هو ثمـرة العلم والتقـوى فيوفق صاحبهما للخير ويلهم الرشد.

فأما أن يـترك العلم ويقـول: إنه يعتمد على الإلهام والخواطر فليس هـذا بشـيء إذ لـولا العلم النقلي ما عرفنا ما يقع في النفس أمن الإلهـام للخير أو الوسوسة من الشيطان.

وَاعْلَمْ أن العلم الإلهامي الملقى في القلوب لا يكفي عن العلم المنقـول، كما أن العلـوم العقلية لا تكفي عن العلـوم الشـرعية، فـإن العقلية كالأغذية والشرعية كالأدوية ولا ينوب هذا عن هذا.

وأما قولـه: أخـذوا علمهم ميتًا عن ميت: أصـلح ما ينسب إليه هـذا القائل أنه ما يـدري ما في ضمن هذا القول، وإلا فهذا طعن على الشريعة.

أنبأنا ابن الحصـين، نا ابن المـذهب، نا أبو حفص بن شـاهين، قـال: من الصـوفية من رأى الاشـتغال بـالعلم بطالـة، وقـالوا: نحن علومنا بلا واسطة، قال: وما كان المتقدمون في التصـوف إلا رؤوسًا في القرآن والفقه والحديث والتفسير ولكن هؤلاء أحبوا البطالة.

وقـال أبو حامد الطوسـي: اعلم أن ميل أهل التصـوف إلى الإلهية دون التعليميـة، ولـذلك لم

يتعلمـوا ولم يحرصـوا على دراسة العلم وتحصـيل ما صـــنفه المصـــنفون، بل قـــالوا: الطريق تقـــديم المجاهدات بمحو الصــفات المذمومة وقطع العلائق كلها والإقبــال على الله تعــالى بكنه الهمــة، وذلك بــأن يقطع الإنسـان همه عن الأهل والمـال والولد والعلم ويخلو بنفسه في زاوية ويقتصر على الفرائض والرواتب ولا يقرن همه بقراءة قرآن ولا بالتأمل في نفسه ولا يكتب حــديثًا ولا غــيره، ولا يزال يقـول: الله الله الله إلى أن ينتهي إلى حـال يـترك تحريك اللسـان ثم يمحي عن القلب صـورة اللفظ.

قــال المصــنف رحمه اللــه: قلت: عزيز علي أن يصـدر هـذا الكلام من فقيـه، فإنه لا يخفى قبحـه. إنه على الحقيقة طيٌّ لبساط الشريعة الــتي حثت على تلاوة القرآن وطلب العلم. وعلى هذا المذهب فقد رأيت الفضـلاء من علمـاء الأمصـار فـإنهم ما سلكوا هذه الطريق وإنما تشاغلوا بالعلم أولًا.

وعلى ما قد رتب أبو حامد تخلو النفس بوساوسها وخيالاتها ولا يكــون عنــدها من العلم ما يطـــرد ذلـــك، فيلعب بها إبليس أي ملعب فيريها الوسوسة محادثة ومناجاة.

ولا ننكر أنه إذا طهر القلب انصبت عليه أنــوار الهـدى فينظر بنـور اللــه، إلا أنه ينبغي أن يكــون

تطهيره بمقتضى العلم لا بما ينافيه، فإن الجوع الشديد والسهر وتضييع الزمان في التخيلات أمور ينهى الشرع عنها، فلا يستفاد من صاحب الشرع شيء ينسب إلى ما نهى عنه، كما لا تستباح الرخص في سفر قد نهى عنه. ثم لا تنافي بين العلم والرياضة، بل العلم يُعلِّم كيفية الرياضة ويعين على تصحيحها. وإنما تلاعب الشيطان بأقوام أبعدوا العلم وأقبلوا على الرياضة بما ينهى عنه العلم، والعلم بعيد عنهم، فتارة يفعلون الفعل المنهي عنه، وتارة يؤثرون ما غيره أولى منه، وإنما كان يفتي في هذه الحوادث العلم، وقد عزلوه، فنعوذ ب الله من الخذلان.

أنبأنا ابن ناصر عن أبي علي بن البنا قال: كان عندنا بسوق السلاح رجل كان يقول: القرآن حجاب، والرسول حجاب، ليس إلا عبد ورب، فافتتن جماعة به فأهملوا العبادات واختفى مخافة القتل.

أنبأنا محمد بن عبد الملك، نا أحمد بن علي بن ثابت، نا أبو الحسن محمد بن عبيد الله ابن محمد الجبائي، ثنا أحمد بن سلمان النجاد، ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان، ثنا هشام ابن يونس، ثنا المحاربي، عن بكر بن حنش، عن ضرار بن عمرو قال: إن قومًا تركوا العلم ومجالسة أهل العلم واتخذوا محاريب فصلوا

وصـــاموا حـــتى يبس جلد أحـــدهم على عظمه وخالفوا السنة فهلكـوا، فو الله الـذي لا إله غـيره ما عمل عامل قط على جهل إلا كـــان ما يفسد أكثر مما يصلح.

نقد مسالك الصوفية في تركهم الاشتغال بالعلم

(فصل):

وقد فــرق كثــير من الصــوفية بين الشــريعة والحقيقة، وهـذا جهل من قائله لأن الشـريعة كلها حقائق، فإن كانوا يريـدون بـذلك الرخصة والعزيمة فكلاهما شـــــــريعة، وقد أنكر عليهم جماعة من قدمائهم في إعراضهم عن ظواهر الشرع.

وعن أبي الحسن غلام شعوانة بالبصـرة يقـول: سمعت أبا الحسن بن سالم يقـول: جـاء رجل إلى سـهل بن عبد الله وبيـده محـبرة وكتـاب فقـال لسهل: جئت أن أكتب شيئًا ينفعني الله به، فقـال: اكتب إن اسـتطعت أن تلقى الله وبيـدك المحـبرة والكتـاب فافعـل، قـال: يا أبا محمد أفـدني فائـدة، فقـال: الـدنيا كلها جهل إلا ما كـان علمًـا، والعلم كله حجة إلا ما كـــان عملاً، والعمل كله موقـــوف إلا ما كان منه على الكتاب والسنة، وتقوم السـنة على التقوى.

وعن ســـهل بن عبد الله أنه قـــال: احفظـــوا

السواد على البياض فما أحد ترك الظاهر إلا تزندق.

وعن سهل بن عبد الله أنه قال: ما من طريق إلى الله أفضل من العلم فإن عَدَلت عن طريق العلم خطوة تهت في الظلام أربعين صباحًا.

وعن أبي بكر الدقاق قال: سمعت أبا سعيد الخراز يقول: كلُّ باطن يخالف ظاهرًا فهو باطل.

وعن أبي بكر الدقاق أنه قال: كنت مارًا في تيه بني إسرائيل فخطر ببالي أن علم الحقيقة مباين للشريعة فهتف بي هاتف من تحت شجرة: كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهي كفر.

قال المصنف رحمه الله: وقد نبه الإمام أبو حامد الغزالي في كتاب «الإحياء» فقال: من قال: إن الحقيقة تخالف الشريعة، أو الباطن يخالف الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان.

وقال ابن عقيل: جعلت الصوفية الشريعة اسمًا وقالوا: المراد منها الحقيقة، قال: وهذا قبيح لأن الشريعة وضعها الحق لمصالح الخلق وتعبداتهم، فما الحقيقة بعد هذا سوى شيء واقع في النفس من إلقاء الشياطين، وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرور مخدوع.

ذكر تلبيس إبليس على جماعة من

القوم في دفنهم كتب العلم وإلقائها في الماء

قال المصنف رحمه اللـه: قد كـان جماعة منهم تشاغلوا بكتابة العلم، ثم لبس عليهم إبليس وقال: ما المقصود إلا العمل ودفنوا كتبهم.

فقد روي أن أحمد بن أبي الحـواري رمى كتبه في البحـــر، وقـــال: نعم الـــدليل كنت والاشـــتغال بالدليل بعد الوصول محال.

ولقد طلب أحمد بن أبي الحـــــواري الحــــديث ثلاثين ســـــــنة فلما بلغ منه الغاية حمل كتبه إلى البحر فغرقها. وقال: يا عِلْمُ لم أفعل بك هذا تهاونًا ولا استخفافًا بحقك ولكني كنت أطلبك لأهتدي بك إلى ربي فلما اهتديت بك استغنيت عنك.

أَخْبَرَنَا أبو بكر بن حـبيب، نا أبو سـعد بن أبي صـادق، نا ابن باكويـه، قـال: سـمعت أبا الحسن غلام شـعوانة بالبصـرة، يقـول: سـمعت أبا الحسن بن ســـالم، عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحافـظ، قـال أحمد بن محمد بن إســماعيل: أبو الحسـين بن الخلال كـان حَسَـن الفهم، له صــبر على الحـديث وأنه كانه يتصـوف ويـرمي بالحـديث مــــدة ثم يرجع ويكتب، ولقد أخــــبرت أنه رمى بجملة من سـماعاته القديمة في دجلـة، فـأول ما ســــمع على أبي العبــــاس الأصم وطبقته وكتب

الكثير.

أنبأنا زاهر بن طـــاهر، نا أحمد بن الحســـين الـبيهقي، قـال: سـمعت أبا عمـرو بن أبي جعفـر، يقول سمعت أبا طاهر يقول: لقد كـان موسى بن هارون يقرأ علينا، فإذا فرغ من الجزء رمى بأصله في دجلة ويقول: قد أديته.

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصـــر، نا أحمد بن علي بن خلف، نا أبو عبد الرحمن السُّلمي قال: سمعت أبا نصر الطوسـي، يقـول: سـمعت جماعة من مشـايخ الري يقولـون: ورث أبو عبد الله المقـري عن أبيه خمسين ألف دينـار سـوى الضـياع والعقـار، فخـرج عن جميع ذلك وأنفقها على الفقراء، قال: فسـألت أبا عبد الله عن ذلك فقـــال: أحـــرمت وأنا غلام حدث وخرجت إلى مكة على الوحدة حين لم يبق لي شيء أرجع إليـه، وكـان اجتهـادي أن أزهد في الكتب وما جمعت من العلم والحـــديث أشد علي من الخـــــروج إلى مكة والتقطع في الأســـفار والخروج عن ملكي.

أَخْبَرَنَا أبو منصـور القـزاز، نا أحمد بن علي بن ثابت، نا إسماعيل الحـيري، ثنا محمد بن الحسـين السـلمي، قـال: سـمعت أبا العبـاس بن الحسـين البغدادي يقول: سـمعت الشـبلي يقـول: أعـرف من لم يـدخل في هـذا الشـأن حـتى أنفق جميع ملكه

وغـــرق في هـــذه الدجلة ســـبعين قمطـــرًا مكتوبًا بخطه، وحفظ وقرأ بكذا وكـذا روايـة، يعـني بـذلك نفسه.

قال المصنف رحمه اللـه: قد سـبق القـول بـأن العلم نور، وأن إبليس يحسن للإنسان إطفاء النور ليتمكن منه في الظلمة، ولا ظلمة كظلمة الجهل.

ولما خـــاف إبليس أن يعـــاود هـــؤلاء مطالعة الكتب فربما استدلوا بذلك على مكايده حسّن لهم دفن الكتب وإتلافهـــا، وهـــذا فعل قـــبيح محظـــور وجهل بالمقصـــود بـــالكتب، وبيـــان هـــذا أن أصل العلـــوم القـــرآن والســـنة، فلما علم الشـــرع أن حفظهما يصـــــعب أمر بكتابة المصـــــحف وكتابة الحديث.

فأما القـرآن: فـإن رسـول الله كـان إذا نـزلت عليه آية دعا بالكـاتب فأثبتهـا، وكـانوا يكتبونها في العُسُب والحجارة وعظام الكتـف، ثم جمع القـرآن بعده في المصـحف أبو بكر صـونًا عليـه، ثم نسخ من ذلك عثمـان ابن عفـان رضي الله عنه وبقية الصـــحابة، وكل ذلك لحفظ القـــرآن لئلا يشذ منه شيء.

وأما السـنة: فـإن النـبي قَصَـرَ النـاس في بداية الإسلام على القرآن وقـال: «لا تكتبـوا عـني سـوى

القرآن»[1]، فلما كثرت الأحاديث ورأى قلة ضبطهم أذن لهم في الكتابة. فـروي عن أبي هريـرة رضي الله عنه أنه شـــكا إلى رســـول الله قلة الحفظ فقال: «ابسط رداءك»، فبسط رداءه، وحدثه النـبي عليه الصلاة والسـلام وقـال: «ضـمه إليـك»، فقـال أبو هريــــرة: فلم أنس بعد ذلك شـــيئًا بما حدثنيه رسول الله[2].

وفي رواية أنه قـــــال: «اســــتعن على حفظك بيمينك»، يعني بالكتابة[3].

وروى عنه عبد الله بن عمرو أنه قـال: «قيـدوا العلم» فقلت: يا رســول اللــه: وما تقييــده؟ قــال: «الكتابة»[4].

---

1 (?) صحيح: أخرجه مسلم فى الزهد (3004/72)، وأحمد فى المســند 3/12، 21، 39 من حـديث أبى سـعيد الخـدرى، أن رسول الله e قال: «لا تكتبوا عنى، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه، وحدثوا عنى ولا حرج..».

2 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى العلم (119)، ومسلم فى فضائل الصحابة (2492/159).

3 (?) ضعيف: أخرجه الترمـذى فى العلم (2666) وقـال: «هـذا حديث إسناده ليس بذلك القائم، وسمعت محمد بن إسـماعيل يقول: الخليل بن مرة منكر الحديث».

4 (?) ضـعيف: أخرجه الطـبرانى فى الأوسط (848)، وذكـره الهيثمى فى مجمع الزوائد 1/152 وقـــال: «وفيه عبد الله بن المؤمل وثقة ابن معين وابن حبان، وقـال ابن سـعد: ثقة قليل الحـديث، وقـال الإمـام أحمـد: أحاديثه منـاكير»، والحـاكم فى المستدرك 1/106 وقال الذهبى: «ابن المؤمل ضعيف».

وروى عنه أيضًا رافع بن خديج قال: قلنا يا رسول الله: إنا نسمع منك أشياء أفنكتبها؟ قال: «اكتبوا ولا حرج»[1].

قال المصنف رحمه الله: واعلم أن الصحابة ضبطت ألفاظ رسول الله وحركاته وأفعاله واجتمعت الشريعة من رواية هذا ورواية هذا.

وقد قال رسول الله «بلغوا عني»[2]، وقال: «نضَّر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها»[3]. وتأدية الحديث كما يسمع لا يكاد يحصل إلا من الكتابة لأن الحفظ خوّان. وقد كان أحمد بن حنبل رضي الله عنه يحدث بالحديث فيقال له: أمله علينا، فيقول: لا، بل من الكتاب.

وقد قال علي بن المديني: أمرني سيدي أحمد بن حنبل أن لا أحدث إلا من الكتاب. فإذا كانت

---

1 (?) ضعيف: أخرجه الطبرانى فى الكبير 4/329، وذكر الهيثمى فى مجمع الزوائد 1/151 وقال: «وفيه أبو مدرك روى عن رفاعة بن رافع، وعنه بقية، ولم أر من ذكره».

2 (?) صحيح: أخرجه البخارى فى أحاديث الأنبياء (3461)، وأحمد فى المسند 2/159، 202 من حديث عبد الله بن عمرو.

3 (?) صحيح: أخرجه أبو داود فى العلم (3660)، والترمذى فى العلم (2656) وأحمد فى المسند 5/183 من حديث زيد بن ثابت.

وأخرجه الترمذى فى العلم (2658) وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه فى المقدمة (232)، وأحمد فى المسند 1/437 من حديث ابن مسعود.

الصحابة قد روت السنة وتلقاها التابعون وسافر المحدِّثون وقطعوا شرق الأرض وغربها لتحصيل كلمة من ههنا وكلمة من هنا وصححوا ما صح وزيفوا ما لم يصح وجرحوا الرواة وعدلوا وهذبوا السنن وصنفوا، ثم من يغسل ذلك فيضيع التعب ولا يعرف حكم الله في حادثة، فما عوندت الشريعة بمثل هذا.

فهل لشريعة من الشرائع قبلنا إسناد إلى نبيهم، وإنما هذه خصيصة لهذه الأمة.

وقد روينا عن الإمام أحمد بن حنبل مع كونه طاف الشرق والغرب في طلب الحديث أنه قال لابنه: ما كتبت عن فلان؟ فذكر له أن النبي عليه الصلاة والسلام: «كان يخرج يوم العيد من طريق ويرجع من أخرى»[1]، فقال الإمام أحمد بن حنبل: إنا لله سنة من سنن رسول الله لم تبلغني، وهذا قوله مع إكثاره وجمعه، فكيف بمن لم يكتب؟ وإذا كتب غسل؟

أفترى إذا غسلت الكتب ودفنت علام يعتمد في الفتاوى والحوادث؟ على فلان الزاهد أو فلان

---

1 (?) صحيح: أخرجه البخارى فى العيدين (986) من حديث جابر بن عبد الله وأخرجه الترمذى فى الصلاة (541)، وقال: «حسن غريب»، وابن ماجه فى إقامة الصلاة (1301)، وصححه الحاكم فى المستدرك 1/269 ووافقه الذهبى كلهم من حديث أبى هريرة.

الصوفي أو على الخواطر فيما يقع لها نعوذ ب الله من الضلال بعد الهدى.

(فصل):

قال المصنف رحمه الله: ولا تخلو هذه الكتب التي دفنوها أن يكون فيها حق أو باطل أو قد اختلط الحق بالباطل، فإن كان فيها باطل فلا لوم على من دفنها، وإن كان قد اختلط الحق بالباطل ولم يمكن تمييزه كان عذرًا في إتلافها، فإن أقوامًا كتبوا عن ثقات وعن كذابين واختلط الأمر فدفنوا كتبهم.

وعلى هذا يحمل ما يروى عن دفن الكتب عن سفيان الثوري.

وإن كان فيه الحق والشرع فلا يحل إتلافها بوجه لكونها ضابطة العلم وأموالاً، وليسأل من يقصد إتلافها عن مقصوده فإن قال: تشغلني عن العبادة. قيل له: جوابك من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنك لو فهمت لعلمت أن التشاغل بالعلم أوفى العبادات.

والثاني: أن اليقظة التي وقعت لك لا تدوم، فكأني بك وقد ندمت على ما فعلت بعد الفوات. واعلم أن القلوب لا تبقى على صفائها بل تصدأ فتحتاج إلى جلاء، وجلاؤها النظر في كتب العلم.

وقد كـان يوسف بن أسـباط دفن كتبه ثم لم يصبر على التحديث فحدث من حفظه فخلط.

والثالث: أننا نقـدر تمـام يقظتك ودوامها والغـنى عن هـذه الكتب، فهلا وهبتها لمبتـدىء من الطلاب ممن لم يصل إلى مقامـــك، أو وقفتها على المنتفعين بها، أو بعتها وتصدقت بثمنهـا، أما إتلافها فلا يحل بحال.

وقد روي المـــروزي عن أحمد بن حنبل أنه سـئل عن رجل أوصى أن تـدفن كتبه فقـال: ما يعجبني أن يدفن العلم.

وأنبأنا محمد بن عبد الملـك، ويحـيى بن علي، قـال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثـابت، نا عبيد الله بن عبد العزيز الـــبرذعي، نا محمد بن عبيد الله بن الشـــخير، ثنا أبو بكر محمد ابن أحمد ابن النخاس، قال: سمعت المروزي يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: لا أعرف لدفن الكتب معنى.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في إنكارهم من تشاغل بالعلم

قال المصنف رحمه اللـه: لما انقسم هـؤلاء بين متكاسل عن طلب العلم وبين ظـان أن العلم هو ما يقع في النفوس من ثمرات التعبد وسموا ذلك العلم: العلم البـاطن، نهـوا عن التشـاغل بـالعلم الظاهر.

أَخْبَرَنَا عبد الـــرحمن بن محمد القـــزاز، نا أبو بكر أحمد بن علي، نا علي بن أبي علي البصري، ثنا أبو إســــحاق إبــــراهيم بن أحمد بن محمد الطـبري، قـال: سـمعت جعفـرًا الخلـدي، يقـول: لو تركني الصوفية لجئتكم بإسـناد الـدنيا، لقد مضـيت إلى عباس الـدوري وأنا حـدث فكتبت عنه مجلسًـا واحدًا، وخـرجت من عنـده فلقيـني بعض من كنت أصحبه من الصوفية فقال: إيش هـذا معـك؟ فأريته إيــاه فقــال: ويحك تــدع علم الخــرق وتأخذ علم الـورق. ثم خـرق الأوراق، فـدخل كلامه في قلـبي فلم أعد إلى عباس.

قال المصنف رحمه الله: وبلغني عن أبي سعيد الكنــدي قــال: كنت أنــزل ربــاط الصــوفية وأطلب الحــديث في خفية بحيث لا يعلمــون، فســقطت الــدواة يومًا من كمي، فقــال لي بعض الصــوفية: استر عورتك.

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصــر، نا أبو القاسم هبة الله بن عبد الله الواسطي، نا أبو بكر الخطيب، نا أبو الفتح ابن أبي الفـــوارس، نا الحســـين بن أحمد الصفار، قال: كان بيدي محبرة، فقال لي الشــبلي: غيب سوادك عني يكفيني سواد قلبي.

أَخْبَرَنَا أبو بكر بن حبيب، نا أبو سعد بن أبي صــادق، نا ابن باكويـه، قـال: سـمعت عبد الله الغـزال المـذكر،

قال: سمعت علي بن مهدي يقـول: وقفت ببغـداد على حلقة الشـبلي فنظر إلي ومعي محـبرة فأنشأ يقـول: (المتقارب)

تسربلت للحرب ثوب الغرق وجبت البلاد لوجد القلق
ففيك هتكت قناع الغوى وعنك نطقت لدى من نطق
إذا خاطبوني بعلم الورق برزت عليهم بعلم الخرق

قـال المصـنف رحمه اللـه: قلت: من أكـبر المعانـدة لله عز وجـل، الصد عن سـبيل اللـه، وأوضح سـبيل الله العلم، لأنه دليل على الله وبيـان لأحكـام الله وشـرعه، وإيضـاح لما يحبه ويكرهـه، فـالمنع منه معـاداة لله ولشـرعه، ولكن الناهين عن ذلك ما تفطنوا لما فعلوا.

أَخْبَرَنَا ابن حـبيب: قـال: نا ابن أبي صـادق، نا ابن باكويه، قـال: سـمعت أبا عبد الله ابن خفيـف، يقـول: اشـتغلوا بتعلم العلم ولا يغـرنكم كلام الصـوفية فـإني كنت أخـبىء محـبرتي في جيب مرقعتي والكاغد في حـزة سـراويلي، وكنت أذهب خفية إلى أهل العلم، فـإذا علمـوا بي خاصـموني، وقالوا: لا تفلح، ثم احتاجوا إلي بعد ذلك.

وقد كـان الإمـام أحمد بن حنبل يـرى المحـابر بأيدي طلبة العلم فيقول: هذه سرج الإسلام.

وكان هو يحمل المحبرة على كبر سـنه، فقـال له رجل: إلى متى يا أبا عبد الله؟ فقـال: المحـبرة

إلى المقبرة. وقال في قوله عليه الصلاة والسلام: «لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة»[1] فقال أحمد: إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم.

وقال أيضًا: إن لم يكن أصحاب الحديث الأبدال فمن يكون؟.

وقيل له: إن رجلاً قال في أصحاب الحديث أنهم كانوا قوم سوء، فقال أحمد: هو زنديق.

وقد قال الإمام الشافعي رحمه الله: إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث فكأني رأيت رجلاً من أصحاب رسول الله.

وقال يوسف بن أسباط: بطلبة الحديث يدفع الله البلاء عن أهل الأرض.

أَخْبَرَنَا أبو منصور القزاز، نا أبو بكر الخطيب، ثنا عبد العزيز بن علي، ثنا ابن جهضم، ثنا محمد بن جعفر، ثنا أحمد بن محمد بن مسروق قال: رأيت كأن القيامة قد قامت والخلق مجتمعون، إذ نادى مناد: الصلاة جامعة، فاصطف الناس صفوفًا، فأتاني ملك فتأملته، فإذا بين عينيه مكتوب: جبريل

---

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى التوحيد (7459)، ومسلم فى الإمارة (1921/171) من حديث المغيرة بن شعبة.
وأخرجه مسلم فى الإمارة (1923/173) من حديث جابر بن عبد الله.

أمين الله، فقلت: أين النبي فقـال: مشـغول بنصب الموائد لإخوانه الصـوفية، فقلت: وأنا من الصـوفية، فقيل نعم، ولكن شغلك كثرة الحديث.

قـال المصـنف رحمه اللـه: معـاذ الله أن ينكر جبريل التشـاغل بـالعلم. وفي إسـناد هـذه الحكاية ابن جهضـم، وكـان كـذابًا ولعلها عملـه، وأما ابن مســروق فــأخبرني القــزاز، نا أبو بكر الخطيب، حــدثني علي ابن محمد بن نصر قــال: ســمعت حمزة بن يوسف قـال: سـمعت الـدارقطني يقـول: أبو العبــاس ابن مســروق ليس بــالقوي يــأتي بالمعضلات.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في كلامهم في العلم

قال المصنف رحمه الله: اعلم أن هـؤلاء القـوم لما تركوا العلم وانفـردوا بالرياضـات على مقتضى آرائهم لم يصـبروا عن الكلام في العلـوم فتكلمـوا بواقعــاتهم فــوقعت الأغاليط القبيحة منهم، فتــارة يتكلمـون في تفسـير القـرآن، وتـارة في الحـديث، وتارة في الفقه وغير ذلك، ويسـوقون العلـوم إلى مقتضى علمهم الذي انفردوا بـه، والله سـبحانه لا يخلي الزمـان من أقـوام قـوَّامين بشـرعه يـردون على المتخرصين ويبينون غلط الغالطين.

ذكر نبذة من كلامهم في القرآن

أَخْبَرَنَا أبو منصـــور عبد الـــرحمن بن محمد القـــزاز، نا أبو بكر بن علي بن ثـــابت، نا أبو القاسم عبد الواحد بن عثمان البجلي قال: سمعت جعفر بن محمد الخلدي قال: حضرت شيخنا الجنيد وقد ســأله ابن كَيْســان عن قوله عز وجـــل: **﴿سنقرئك فلا تنسى﴾** [الأعلى: 6]، فقال الجنيد: لا تنس العمل بـــه، وســأله عن قوله تعـــالى: **﴿ودرسـوا ما فيه﴾** [الأعـراف: 169]، فقـال له الجنيد: تركوا العمل به، فقال: لا يفضض الله فاك.

قلت: أما قولـه: لا تنس العمل بـه، فتفسـير لا وجه له والغلط فيه ظـاهر. لأنه فســره على أنه نهي، وليس كذلك، إنما هو خـبر لا نهي، وتقـديره فما تنسى إذ لو كان نهيًا كان مجزومًـا، فتفسـيره على خلاف إجماع العلماء.

وكـذلك قولـه: **﴿ودرسـوا ما فيه﴾** [الأعـراف: 169] إنما هو من الـدرس الـذي هو التلاوة، من قوله عز وجـــل: **﴿وبما كنتم تدرســـون﴾** [آل عمــران: 79]، لا من دروس الشـيء الـذي هو إهلاكه.

أَخْبَرَنَا محمد بن عبد الباقي، نا حمد بن أحمـد، ثنا أبو نعيم الحافظ، قال: سمعت أحمد ابن محمد ابن مقسم، يقول: حضرت أبا بكر الشـبلي، وسـئل عن قوله عز وجـل: **﴿إن فى ذلك لـذكرى لمن**

كـان له قلب [ق: 37]، فقـال: لمن كـان الله قلبه.

وَأَخْبَرَنَا عمر بن ظفـر، نا جعفر بن أحمـد، نا عبد العزيز بن علي، نا ابن جهضم، ثنا محمد ابن جعفـر، قـال سـمعت أبا العبـاس بن عطـاء، وقد سئل عن قوله: **فنجيناك من الغم** [طـه: 40]. قـال: نجينـاك من الغم بقومك وفتنـاك بنا عن من سوانا.

قـال المصـنف رحمه اللـه: وهـذه جـرأة عظيمة على كتـاب الله عز وجل ونسـبة الكليم إلى الافتتـان بمحبة الله سـبحانه، وجعل محبته تفتن غاية في القباحة.

أَخْبَرَنَا أبو منصـور القـزاز، نا أحمد بن علي الحافـظ، نا أبو حـازم عمر بن إبـراهيم العبـدوي، قـال: سـمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الـرازي، يقـول: سـمعت أبا العبـاس بن عطـاء، يقـول في قوله عز وجـل: **وأما إن كـان من المقـربين فـروح وريحـان وجنة نعيم** [الواقعـة: 88-89] فقـال: الـروح: النظر إلى وجه الله عز وجـل، والريحـان: الاسـتماع لكلامـه، وجنة نعيم: هو أن لا يحجب فيها عن الله عز وجل.

قلت: هـذا كلام بـالواقع على خلاف أقـوال المفسـرين، وقد جمع أبو عبد الـرحمن السـلمي

في تفسير القرآن من كلامهم الذي أكثره هذيان لا يحل نحو مجلدين، سماها: «حقائق التفسير»، فقال في فاتحة الكتاب عنهم: أنهم قالوا: إنما سميت فاتحة الكتاب لأنها أوائل ما فاتحناك به من خطابنا فإن تأدبت بذلك وإلا حرمت لطائف ما بعد.

قال المصنف رحمه الله: وهذا قبيح لأنه لا يختلف المفسرون أن الفاتحة ليست من أول ما نزل. وقال في قول الإنسان: (آمين) أي: قاصدون نحوك.

قال المصنف رحمه الله: وهذا قبيح لأنه ليس من أمَّ، لأنه لو كان كذلك لكانت الميم مشددة.

وقال في قوله: ﴿**وإن يأتوكم أسارى**﴾ [البقرة: 85]، قال: قال أبو عثمان: غرقى في الذنوب، وقال الواسطي: غرقى في رؤية أفعالهم، وقال الجنيد: أسارى في أسباب الدنيا تفدوهم إلى قطع العلائق.

قلت: وإنما الآية على وجه الإنكار ومعناها: إذا أسرتموهم فديتموهم، وإذا حاربتموهم قلبتموهم، وهؤلاء قد فسروها على ما يوجب المدح.

وقال محمد بن علي: ﴿**يحب التوابين**﴾ [البقرة: 222] من توبتهم.

وقال النوري: ﴿**يقبض ويبسط**﴾ [البقرة: 245].

أي: يقبضك بإياه ويبسطك لإياه. وقال في قوله: **﴿ومن دخله كان آمنا﴾** [آل عمران: 97]، أي: من هواجس نفسه ووساوس الشيطان.

وهذا غاية في القبح، لأن لفظ الآية لفظ الخبر، ومعناه الأمر، وتقديرها: من دخل الحرم فأمنوه، وهؤلاء قد فسروها على الخبر، ثم لا يصح لهم، لأنه كم من داخل إلى الحرم ما أمن من الهواجس ولا الوساوس.

وذكر في قوله: **﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾** [النساء: 31]، قال أبو تراب: هي الدعاوى الفاسدة. **﴿والجار ذى القربى﴾** [النساء: 36]، قال سهل: هو القلب، **﴿والجار الجنب﴾** [النساء: 36]: النفس، **﴿وابن السبيل﴾** [النساء: 36]: الجوارح.

وقال في قوله: **﴿وهمّ بها﴾** [يوسف: 24]، قال أبو بكر الوراق: الهمّان لها، ويوسف ما هم بها.

قلت: هذا خلاف لصريح القرآن.

وقوله: **﴿ما هذا بشرًا﴾** [يوسف: 31]، قال محمد بن علي: ما هذا بأهل أن يدعى إلى المباشرة.

وقال الزنجاني: الرعد صعقات الملائكة، والبرق زفرات أفئدتهم، والمطر بكاؤهم.

وقال في قوله: **﴿فلله المكر جميعًا﴾** [الرعد: 42]، قال الحسين: لا مكر أبين فيه من مكر الحق بعباده حيث أوهمهم أن لهم سبيلاً إليه بحال، أو للحدث اقتران مع القدم.

قال المصنف رحمه الله: ومن تأمل معنى هذا علم أنه كفر محض لأنه يشير إلى أنه كالهزل واللعب، ولكن الحسين هذا هو الحلاج وهذا يليق بذاك.

وقال في قوله: **﴿لعمرك﴾** [الحجر: 72] أي: بعمارتك سرك بمشاهدتنا.

قلت: وجميع الكتاب من هذا الجنس، ولقد هممت أن أثبت منه ها هنا كثيرًا فرأيت أن الزمان يضيع في كتابة شيء بين الكفر والخطأ والهذيان، وهو من جنس ما حكينا عن الباطنية، فمن أراد أن يعرف جنس ما في الكتاب فهذا أنموذجه، ومن أراد الزيادة فلينظر في ذلك الكتاب.

وذكر أبو نصر السراج: في «كتاب اللمع» قال: للصوفية استنباط منها قوله: **﴿ادعو إلى الله على بصيرة﴾** [يوسف: 108]، قال الواسطي: معناه لا أرى نفسي. وقال الشبلي: لو اطلعت على الكل مما سوانا لوليت منهم فرارًا إلينا.

قلت: هذا لا يحل لأن الله تعالى إنما أراد أهل

الكهف، وهذا السراج يسمي هذه الأقوال في كتابه مستنبطات.

وقد ذكر أبو حامد الطوسي: في كتاب «ذم المال» في قوله عز وجل: ﴿**واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام**﴾ [إبراهيم: 35]، قال: إنما عنى الذهب والفضة إذ رتبة النبوة أجل من أن يخشى عليها أن تعبد الآلهة والأصنام، وإنما عنى بعبادته حبه والاغترار به.

قال المصنف رحمه الله: وهذا شيء لم يقله أحد من المفسرين، وقد قال شعيب: ﴿**وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا**﴾ [الأعراف: 89]، ومعلوم أن ميل الأنبياء إلى الشرك أمر ممتنع لأجل العصمة لا أنه مستحيل، ثم قد ذكر مع نفسه من يتصور في حقه الإشراك والكفر فجاز أن يدخل نفسه معهم، فقال: ﴿**واجنبنى وبنى**﴾ [إبراهيم: 35]، ومعلوم أن العرب أولاده وقد عبد أكثرهم الأصنام.

أَخْبَرَنَا عبد الحق بن عبد الخالق، نا المبارك بن عبد الجبار، نا الحسين بن علي الطناجيري، نا أبو حفص بن شاهين قال: وقد تكلمت طائفة من الصوفية في نفس القرآن بما لا يجوز فقالت في قوله: ﴿**إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب**﴾

[آل عمران: 190]، فقال: هم لآيـات لي، فأضـافوا إلى الله تعالى ما جعله لأولي الألباب، وهذا تبديل للقـرآن وقـالوا: **ولسـليمان الـريح** [سـبأ: 12] قالوا: ولي سليمان.

وَأَخْبَرَنَا ابن ناصـر، نا أحمد بن علي بن خلـف، ثنا أبو عبد الرحمن السلمي، قال: قـال أبو حمـزة الخراســاني: قد يقطع بــأقوام في الجنة فيقــال: **كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم فى الأيـام الخالية** [الحاقـــة: 24]، فشـــغلهم عنه بالأكل والشرب ولا مكر فوق هذا ولا حسرة أعظم منه.

قـال المصـنف رحمه اللـه: انظـروا وفقكم الله إلى هذه الحماقة وتسمية المنعم به مكرًا، وإضافة المكر بهذا إلى الله سبحانه وتعالى. وعلى مقتضى قـول هـذا أن الأنبيـاء لا يـأكلون ولا يشـربون بل يكونون مشغولين ب الله عز وجل، فما أجرأ هـذا القائل على مثل هـذه الألفـاظ القبـاح. وهل يجـوز أن يوصف الله عز وجل بــــالمكر على ما نعقله من معـنى المكـر، وإنما معـنى مكـره وخداعه أنه مجازي الماكرين والخادعين.

وإني لأتعجب من هؤلاء وقد كانوا يتورعون من اللقمة والكلمة، كيف انبسطوا في تفسـير القـرآن إلى ما هذا حده.

وقد أخبرنا علي بن عبيد الله وأحمد بن

الحسن، وعبد الـرحمن بن محمد قـالوا: حـدثنا عبد الصمد بن المـأمون، نا علي بن عمر الحـربي، ثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي، ثنا بشر بن الوليـد، ثنا سـهيل أخو حـزم، ثنا أبو عمـران الجـوني، عن جنـدب، قـال: قـال رسـول الله «من قال في القرآن برأيه فقد أخطأ»[1].

أَخْبَرَنَا هبة الله بن محمـد، نا الحسن بن علي، نا أبو بكر بن حمدان، ثنا عبد الله بن أحمد، ثني أبي، ثنا وكيـع، عن الثـوري، عن عبد الأعلى، عن سـعيد بن جبـير عن ابن عبـاس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله «من قـال في القـرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»[2].

قـال المصـنف رحمه اللـه: وقد رويت لنا حكاية عن بعضـهم فيما يتعلق بـالمكر، إني لأقشـعر من ذكرهـا، لكـني أنبه بـذكرها على قبح ما يتخايله هؤلاء الجهلة.

أَخْبَرَنَا أبو بكر بن حـبيب نا أبو سـعد بن أبي صـادق نا أبو عبد الله بن باكويه قـال: أخبرنا أبو عبد الله ابن خفيف قـال سـمعت رويمًا يقـول:

---

1 (?) ضعيف: أخرجه أبو داود فى العلم (3652)، والترمذى فى تفسـير القـرآن (2952) وفى إسـناده سـهيل بن مهـران وهو ضعيف كما فى التقريب.

2 (?) حسن: أخرجه الترمذى فى تفسير القرآن (2951) وقال: «حديث حسن» وأحمد فى المسند 1/269.

اجتمع ليلة بالشام جماعة من المشـايخ فقـالوا: ما شـهدنا مثل هـذه الليلة وطيبهـا، فتعـالوا نتـذاكر مسألة لئلا تـذهب ليلتنـا، فقـالوا: نتكلم في المحبة فإنها عمدة القوم، فتكلم كل واحد من حيث هو.

وكان في القوم عمرو بن عثمان المكي، فوقع عليه البول، ولم يكن من عادته، فقام وخـرج إلى صـحن الـدار، فـإذا ليلة مقمـرة فوجد قطعة رق مكتوب فأخذه وحمله إليهم وقـال: يا قـوم اسـكنوا فإن هذا جوابكم، انظروا ما في هذه الرسالة فإذا فيها مكتوب: مكّار مكّار، وكلكم تدعون حبه وأحرم البعض وافترقوا فما جمعهم إلا الموسم.

قـال المصـنف رحمه اللـه: قلت: هـذه بعيـدة الصحة، وا بن خفيف لا يوثق به، وإن صحت فإن شيطانًا ألقى ذلك الـرق، وإن كـانوا قد ظنـوا أنها رسـالة من الله بظنـونهم الفاسـدة، وقد بينا أن معـنى المكر منه المجـازاة على المكـر. فأما أن يقال عنه: مكّار، ففوق الجهل وفوق الحماقة.

وقد أخبرنا ابن ظفـــر، نا ابن الســـراج، نا الأزجي، ثا ابن جهضـم، ثنا الخلـدي قـال: سـمعت رويمًا يقول: إن الله غيّب أشياء في أشـياء: مكـره في عمله، وغيّب خداعه في لطفه، وغيّب عقوباته في باب كراماته.

قلت: وهذا تخليط من ذلك الجنس وجرأة.

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصر، نا أبو الفضل السهلكي، قـال: سـمعت محمد بن إبـراهيم، يقـول: سـمعت خالي يقول: قال الحسن بن علويـه: خـرج أبو يزيد لزيـارة أخ لـه، فلما وصل إلى نهر جيحـون التقى له حافتا النهر.

فقال: سيدي إيش هذا المكر الخفي، وعزتك ما عبدتك لهذا، ثم رجع ولم يعبر.

قال السهلكي: وسمعت محمد بن أحمد المذكر، يــذكر أن أبا يزيد قــال: من عــرف الله عز وجل صار للجنة بوابًا، وصارت الجنة عليه وبالاً.

قلت: وهذه جرأة عظيمة في إضافة المكر إلى الله عز وجل وجعل الجنة الـــــــــتي هي نهاية المطـالب وبـالاً، وإذا كـانت وبـالاً للعـارفين فكيف تكـــون لغـــيرهم؟ وكل هـــذا منبعه من قلة العلم وسوء الفهم.

أَخْبَرَنَا ابن حـــبيب، نا ابن أبي صـــادق، نا ابن باكويـــه، ثنا أبو الفـــرج الورثـــاني، ثنا أحمد ابن الحسن بن محمـد، ثـني محمد بن جعفر الـوراق، ثنا أحمد بن العباس المهلبي قال: سـمعت طيفـورًا وهو أبو يزيد يقول: العارفون في زيارة الله تعالى في الآخرة على طبقتين: طبقة تزوره متى شـاءت وأنى شـاءت، وطبقة تـزوره مـرة واحـدة ثم لا تزوره بعدها أبدًا.

فقيل له: كيف ذلك؟ قال: إذا رآه العارفون أول مــرة جعل لهم ســوقًا، ما فيه شــراء ولا بيع إلا الصـــور من الرجـــال والنســـاء، فمن دخل منهم السـوق لم يرجع إلى زيـارة الله أبـدًا. قـال: وقـال أبو يزيد: في الدنيا يخـدعك بالسـوق، وفي الآخـرة يخدعك بالسوق، فأنت أبدًا عبد السوق.

قـال المصـنف رحمه اللـه: تسـمية ثـواب الجنة خديعة وســببًا للانقطــاع عن الله عز وجل قــبيح، وإنما يجعل لهم السـوق ثوابًا لا خديعـة، فـإذا أذن لهم في أخذ ما في الســـــوق ثم عوقبـــــوا بمنع الزيارة فقد صارت المثوبة عقوبة. ومن أين له أن من اختار شيئًا من ذلك السوق لم يعد إلى زيارة الله تبارك وتعالى ولا يراه أبدًا؟ نعوذ ب الله من هذا التخليط والتحكم في العلم، والإخبار عن هـذه المغيبـــات الـــتي لا يعلمها إلا نـــبي، فمن أين له علمها؟.

وكيف يكون كما قال أبو هريـرة راوي الحـديث لسعيد بن المسيب: «جمعني الله وإياك في سـوق الجنــة»[1]، أفــتراه طلب تــرك العقوبة بالبعد عن الله عز وجـــــل؟ لكن بعد هـــــؤلاء عن العلم واقتناعهم بواقعاتهم الفاسدة أوجب هذا التخليط.

[1] (?) ضعيف: أخرجه أبو داود فى العلم (3652)، والترمذى فى تفسـير القـرآن (2952) وفى إسـناده سـهيل بن مهـران وهو ضعيف كما فى التقريب.

وليعلم أن الخواطر والواقعات إنما هي ثمرات علمه، فمن كان عالمًا كانت خواطره صحيحة، لأنها ثمرات علمه، ومن كان جاهلاً فثمرات الجهل كلها حظه.

ورأيت بخط ابن عقيل: جاز أبو يزيد على مقابر اليهود فقال: ما هؤلاء حتى تعذبهم؟ كَفٌّ عظام، جرت عليهم القضايا، اعف عنهم.

قال المصنف رحمه الله: وهذا قلة علم، وهو أن قوله: كف عظام، احتقار للآدمي، فإن المؤمن إذا مات كان كف عظام. وقوله: جرت عليهم القضايا، فكذلك جرى على فرعون، وقوله: اعف عنهم، جهل بالشريعة، لأن الله عز وجل أخبر أنه لا يغفر أن يشرك به، لمن مات كافرًا، فلو قبلت شفاعته في كافر لقبل سؤال إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه في أبيه، ومحمد في أمه، فنعوذ ب الله من قلة العلم.

أنبأنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى، نا أبو بكر أحمد بن أبي نصر الكوفاني، ثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن قوري الخبوشاني، نا أبو نصر عبد الله بن علي الطوسي المعروف بالسراج، قال: كان ابن سالم يقول: عَبَرَ أبو يزيد على مقبرة اليهود فقال: معذورين. ومر بمقبرة المسلمين فقال: مغرورين.

قال المصنف رحمه الله: وفسره السارج فقـال: كأنه لما نظر إلى ما سبق لهم من الشـقاوة من غـير فعل كـان موجـودًا في الأزل، وإن الله عز وجل جعل نصيبهم السخط فذلك عذر.

قال المصنف: وتفسير السراج قـبيح لأنه يـوجب أن لا يعاقب فرعون ولا غيره.

ومن كلامهم في الحـديث وغـيره: أخبرنا أبو منصور القزاز، نا أبو بكر الخطيب، نا الأزهـري، نا أحمد بن إبـراهيم بن الحسـن، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: جاء أبو تـراب النخشـبي إلى أبي، فجعل أبي يقـول: فلان ضـعيف، وفلان ثقـة، فقال أبو تراب: يا شـيخ لا تغتب العلمـاء، فـالتفت أبي إليه وقال له: ويحك، هذه نصـيحة ليست هـذه غيبة.

أنبأنا يحـيى بن علي المـدبر، نا أحمد بن علي بن ثـابت، نا رضـوان بن محمد بن الحسن الدينوري قال: سمعت أحمد بن محمد بن عبد الله النيسـابوري يقـول: سـمعت أبا الحسن علي ابن محمد البخـاري يقـول: سـمعت محمد بن الفضل العباسي يقول: كنا عند عبد الرحمن ابن أبي حاتم وهو يقـرأ علينا «كتـاب الجـرح والتعـديل» فقـال: أظهر أحوال أهل العلم من كان منهم ثقة أو غير ثقة، فقـال له يوسف بن الحسـين: اسـتحييت إليك

يا أبا محمد، كم من هؤلاء القوم قد حطوا رواحلهم في الجنة منذ مائة سنة أو مائتي سنة، وأنت تذكرهم وتغتابهم على أديم الأرض، فبكى عبد الرحمن وقال: يا أبا يعقوب لو سمعت هذه الكلمة قبل تصنيفي هذا الكتاب لم أصنفه.

قلت: عفا الله عن أبي حاتم، فإنه لو كان فقيهًا لرد عليه كما رد الإمام أحمد على أبي تراب، ولولا الجرح والتعديل من أين يعرف الصحيح من الباطل؟

ثم كون القوم في الجنة لا يمنع أن نذكرهم بما فيهم، وتسمية ذلك غيبة حديث سوء. ثم من لا يدري الجرح والتعديل كيف هو يزكي كلامه، وينبغي ليوسف أن يشتغل بالعجائب التي تحكي عن مثل هذا.

أَخْبَرَنَا أبو بكر بن حبيب، نا أبو سعد بن أبي صادق، نا ابن باكويه قال: سمعت عبد الله ابن يزيد الإردبيلي يقول: سمعت أبا العباس بن عطاء يقول: من عرف الله أمسك عن رفع حوائجه إليه لما علم أنه العالم بأحواله.

قلت: هذا سد لباب السؤال والدعاء وهو جهل بالعلم.

أَخْبَرَنَا محمد بن عبد الملك بن خيرون، نا أحمد بن الحسن الشاهد قال: قرىء على محمد

ابن الحسن الأهــوازي وأنا أســمع أبا بكر الــديف الصوفي وقال: سمعت الشبلي وقد سأله شــاب: يا أبا بكر لِمَ تقــول اللــه، ولا تقــول لا إله إلا اللــه، فقــال الشــبلي: أســتحي أن أوجه إثباتًا بعد نفي. فقــال الشــاب: أريد حجة أقــوى من هــذه. فقــال: أخشى أني أؤخذ في كلمة الوجـــود ولا أصل إلى كلمة الإقرار.

قال المصنف رحمه الله: انظروا إلى هـذا العلم الدقيق فإن رسول الله كان يأمر بقــول: لا إله إلا الله، ويحث عليها.

وفي الصحيحين: عنـه: «أنه كـان يقـول في دبر كل صـلاة: لا إله إلا الله وحـده لا شـريك لـه»[1]، وكــان يقــول إذا قــام لصــلاة الليــل: «لا إله إلا أنت»[2]، وذكر الثواب العظيم لمن يقول: لا إله إلا اللــه، فــانظروا إلى هــذا التعــاطي على الشــريعة واختيار ما لم يختره رسول الله

أَخْبَرَنَا محمد بن عبد البــــــــاقي، ثنا أبو علي الحسن بن محمد بن الفضــل، نا ســهل بن علي الخشاب، نا عبد الله بن على السراج، قال: بلغني أن أبا الحسن النوري شـهدوا عليه أنه سـمع أذان

---

1 (?) متفق عليه:أخرجه البخارى فى الأذان (844)، ومسلم فى المساجد (593/137) من حديث المغيرة بن شعبة.

2 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى التهجد (1120)، ومسلم فى صلاة المسافرين (769/199) من حديث ابن عباس.

المؤذن فقال: طعنه سم الموت، وسمع نبــاح كلب فقال: لبيك وسـعديك، فقيل له في ذلك فقـال: إن المؤذن أغـار عليه أن يــذكر الله وهو غافل ويأخذ عليه الأجـــرة ولولاها ما أذن فلـــذلك قلت: طعنه سم المـوت، والكلب يـذكر الله عز وجل بلا ريـاء فإنه قد قـــال: ﴿**وإن من شـــىء إلا يســـبح بحمده**﴾ [الإسراء: 44].

قال المصنف رحمه الله: انظروا إخواني عصـمنا الله وإيـــاكم من الزلل إلى هـــذا الفقه الـــدقيق والاستنباط الطريف.

أَخْبَرَنَا أبو بكر بن حـبيب، نا أبو سـعد بن أبي صـادق، نا ابن باكويـه، ثنا أبو يعقـوب الخـراط، نا النــــوري، أنه رأى رجلاً قابضًـــا على لحية نفسه قال: فقلت له: نح يـدك عن لحية اللـه، فرفع ذلك إلى الخليفـــة، فطلبت وأخـــذت، فلما دخلت عليه قـــال: بلغـــني أنه نبح كلب فقلت: لبيـــك، ونـــادى المؤذن فقلت: طعنه، قال: نعم. قال الله عز وجـل: ﴿**وإن من شىء إلا يسبح بحمده**﴾ فقلت:

لبيـك، لأنه ذكر اللـه، فأما المـؤذن، فـإن يـذكر الله وهو متلـوث بالمعاصي غافل عن الله تعـالى، قال: وقولك للرجـل: نح يـدك عن لحية اللـه. قلت: نعم. أليس العبد لله ولحيته لله، وكل ما في الدنيا والآخرة له؟

قلت: عدم العلم أوقع هـؤلاء في هـذا التخبيـط، وما الــذي أحوجه إلى أن يــوهم أن صــفة الملك صفة الذات.

أَخْبَرَنَا ابن حبيب، قــال ابن أبي صــادق، نا ابن باكويـــه، قـــال: ســـمعت أحمد بن محمد بن عبد العزيز، قال: سمعت الشبلي يقـول: وقد سـئل عن المعرفة، فقال: ويحك ما عرف الله من قال الله، والله لو عرفوه ما قالوه.

قـال ابن باكويـه: وسـمعت أبا القاسم أحمد بن يوسف البرداني يقول: سـمعت الشـبلي يقـول يومًا لرجل يسأله: ما اسمك؟ قال: آدم. قال: ويلك. أتدري ما صنع آدم؟ باع ربه بلقمة. ثم كان يقول: سبحان من عذرني بالسوداء.

قـــال ابن باكويـــه: وســـمعت بكـــران بن أحمد الجبلي يقول: كان للشـبلي جليس فأعلمه أنه يريد التوبة فقال: بع مالك، واقض دينك، وطلق امرأتك، ففعل. فقـال: أيتم أولادك بـأن تؤيسـهم من التعلق بك فقال: قد فعلت، فجاء بكسر قد جمعها. فقـال: اطرحها بين يدي الفقراء وكُلْ معهم.

أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكـــريم، نا أبي، قال: سـمعت بعض الفقـراء يقـول: سـمعت أبا الحسن الحرفـــاني يقـــول: لا إله إلا الله من داخل القلب محمد رسول الله من القرط.

أَخْبَرَنَا أبو بكر بن حبيب، نا أبو سعد بن أبي صادق، ثنا ابن باكويه، قال: أخبرنا أحمد ابن محمد الخلقاني، قال: رأى الشبلي في الحمام غلامًا شابًا بلا مئزر، فقال له: يا غلام ألا تغطي عورتك؟ فقال له: اسكت يا بطال، إن كنت على الحق فلا تشهد إلا الحق، وإن كنت على الباطل فلا تشهد إلا الباطل، لأن الحق مشتغل بالحق، والباطل مشتغل بالباطل.

أنبأنا أبو بكر محمد بن أبي طاهر، نا علي بن المحسن التنوخي، عن أبيه، ثني أبو القاسم عبد الرحيم بن جعفر السيرافي الفقيه، قال: حضرت بشيراز عند قاضيها أبي سعد بشر بن الحسن الداودي وقد ارتفع إليه صوفي وصوفية قال: وأمر الصوفية هناك مفرط جدًا، حتى يقال: إن عددهم ألوف، فاستعدت الصوفية على زوجها إلى القاضي، فلما حضرا قالت له: أيها القاضي، إن هذا زوجي، ويريد أن يطلقني، وليس له ذلك، فإن رأيت أن تمنعه. قال: فأخذ القاضي أبو سعد يتعجب وحنق على مذاهب الصوفية ثم قال لها: وكيف ليس له ذلك؟ قالت: لأنه تزوج بي ومعناه قائم بي والآن هو يذكر أن معناه قد انقضى مني وأنا معناي قائم فيه ما انقضى فيجب عليه أن يصبر حتى ينقضي معناي منه كما انقضى معناه مني.

فقال لي أبو سعيد: كيف ترى هذا الفقه؟ ثم أصلح بينهما وخرجا من غير طلاق.

وقد ذكر أبو حامد الطوسي في كتاب «الإحياء» أن بعضهم قال: للربوبية سر لو أظهر بطلت النبوة، وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم، وللعلماء ب الله سر لو أظهروه لبطلت الأحكام.

قلت: فانظروا إخواني إلى هذا التخليط القبيح والادعاء على الشريعة أن ظاهرها يخالف باطنها.

قال أبو حامد: ضاع لبعض الصوفية ولد صغير، فقيل له: لو سألت الله أن يرده عليك، فقال: اعتراضي عليه فيما يقضي أشد علي من ذهاب ولدي.

قلت: طال تعجبي من أبي حامد، كيف يحكي هذه الأشياء في معرض الاستحسان والرضى عن قائلها، وهو يدري أن الدعاء والسؤال ليس باعتراض.

وقال أحمد الغزالي: دخل يهودي على أبي سعيد بن أبي الخير الصوفي فقال له: أريد أن أسلم على يديك، فقال: لا ترد فاجتمع الناس، وقالوا: يا شيخ تمنعه من الإسلام؟ فقال له: تريد بلا بد. قال: نعم. قال له: برئت من نفسك ومالك؟ قال: نعم. قال: هذا الإسلام عندي، احملوه الآن إلى الشيخ أبي حامد يعلم لا لا المنافقين. يعني لا إله

إلا الله.

قلت: وهذا الكلام أظهر عيبًا من أن يعاب فإنه في غاية القبح. ومما يقارب هذه الحكاية في دفع من أراد الإسلام، ما أخبرنا به أبو منصور القزاز، نا أبو بكر بن ثابت، أخبرني محمد ابن أحمد بن يعقوب، نا محمد بن نعيم الضبي، قال: سمعت أبا علي الحسين بن محمد بن أحمد الماسرجسي يحكي عن جده، وغيره من أهل بيته، قال: كان الحسن والحسين ابنا عيسى بن ماسرجس أخوين يركبان فيتحير الناس من حسنهما وزيهما فاتفقا على أن يسلما، فقصدا حفص ابن عبد الرحمن ليسلما على يده، فقال لهما حفص: أنتما من أجلِّ النصارى، وعبد الله بن المبارك خارج في هذه السنة الحج، وإذا أسلمتما على يده كان ذلك أعظم عند المسلمين فإنه شيخ أهل المشرق والمغرب، فانصرفا، فمرض الحسين ومات على نصرانيته قبل قدوم ابن المبارك، فلما قدم أسلم الحسن.

قلت: وهذه المحنة إنما جلبها الجهل، فليعرف قدر العلم، لأنه لو كان عنده حظ من علم لقال: أسلما الآن، ولا يجوز تأخير ذلك لحظة، وأعجب من هذا أبو سعيد، الذي قال لليهودي ما قال لأنه يريد الإسلام.

وذكر أبو نصر السراج في كتاب «اللمع» لمع المتصوفة قال: كان سهل بن عبد الله إذا مرض أحد من أصحابه يقول له: إذا أردت أن تشتكي فقل: أوه، فهو اسم من أسماء الله تعالى يستريح إليه المؤمن، ولا تقل: أفرج، فإنه اسم من أسماء الشيطان.

فهذه نبذة من كلام القوم وفقههم نبهت على علمهم وسوء فهمهم وكثرة خطئهم.

وقد سمعت أبا عبد الله حسين بن علي المقري، يقول: سمعت أبا محمد عبد الله ابن عطاء الهروي، يقول: سمعت عبد الرحمن بن محمد بن المظفر، يقول: سمعت أبا عبد الرحمن بن الحسين، يقول: سمعت عبد الله بن الحسين السلامي، يقول: سمعت علي ابن محمد المصري، يقول: سمعت أيوب بن سليمان، يقول: سمعت محمد بن محمد بن إدريس الشافعي، يقول: سمعت أبي يقول: صحبت الصوفية عشر سنين ما استفدت منهم إلا هذين الحرفين: الوقت سيف، وأفضل العصمة ألا تقدر.

ذكر تلبيس إبليس في الشطح والدعاوى

قال المصنف رحمه الله: اعلم أن العلم يورث الخوف واحتقار النفس وطول الصمت، وإذا اعتبرت علماء السلف رأيت الخوف غالبًا عليهم

والدعاوى بعيدة عنهم.

كما قال أبو بكر: ليتني كنت شعرة في صدر مؤمن. وقال عمر عند موته: الويل لعمر إن لم يغفر له، وقال ابن مسعود: ليتني إذا مت لا أبعث، وقالت عائشة رضي الله عنها: ليتني كنت نسيًا منسيًا. وقال سفيان الثوري لحماد بن سلمة عند الموت: ترجو أن يغفر لمثلي.

قال المصنف رحمه الله: وإنما صدر مثل هذا عن هؤلاء السادة لقوة علمهم ب الله، وقوة العلم به تورث الخوف والخشية. قال الله عز وجل: **﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾** [فاطر: 28]، وقال «أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية»[1]. ولما بعد عن العلم أقوام من الصوفية لاحظوا أعمالهم، واتفق لبعضهم من اللطف ما يشبه الكرامات فانبسطوا بالدعاوى.

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصر الحافظ نا أبو الفضل محمد بن علي السهلكي قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الشيرازي يقول: ثنا أبو بكر عمر بن يمن، ثنا أبو عمر الرهاوي، ثنا أحمد بن محمد الجزري قال: سمعت أبا موسى الدئيلي يقولي: سمعت أبا يزيد البسطامي يقول: وددت أن

---

1 (?) صحيح: أخرجه البخارى فى النكاح (5063)، من حديث أنس بن مالك، وأخرجه مسلم فى الصيام (1108/74) من حديث عمر بن أبى سلمة.

قد قامت القيامة حتى أنصب خيمتي على جهنم، فسأله رجل: ولم ذاك يا أبا يزيد؟ فقال: إني أعلم أن جهنم إذا رأتني تخمد، فأكون رحمة للخلق.

أَخْبَرَنَا أبو بكر بن حبيب العامري. نا أبو سعد بن أبي صادق، ثنا ابن باكويه، ني إبراهيم ابن محمد، ني حسن بن علوية، ني طيفور بن عيسى، ني أبو موسى الدئيلي، قال: سمعت أبا يزيد يقول: إذا كان يوم القيامة وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فأسأله أن يدخلني النار.

فقيل له: لم؟ قال: حتى تعلم الخلائق أن بره ولطفه في النار مع أوليائه.

قال المصنف رحمه الله: هذا الكلام من أقبح الأقوال، لأنه يتضمن تحقير ما عظم الله عز وجل أمره من النار، فإنه عز وجل بالغ في وصفها فقال: **واتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة** [البقرة: 24]، وقال: **إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظًا وزفيرًا** [الفرقان: 12]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقد أخبرنا عبد الأول، نا ابن المظفر، نا ابن أعين، ثنا الفربري، ثنا البخاري، ثنا إسماعيل، ثنا مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله «إن ناركم هذه ما يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءًا من حر

جهنم». قال له الصحابة: والله إن كانت لكافية يا رسول الله. قال: «فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا كلهن مثل حرها»[1] أخرجاه في الصحيحين.

وفي أفراد مسلم من حديث ابن مسعود عن النبي أنه قال: «يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»[2].

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصر، نا جعفر بن أحمد، نا أبو علي التميمي، نا أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله ابن أحمد، ثني أبي، حدثنا بهز بن أسد، ثنا جعفر بن سليمان، ثنا علي بن زيد، عن مطرف، عن كعب قال: قال عمر بن الخطاب: يا كعب خوّفنا، فقال: يا أمير المؤمنين اعمل عمل رجل لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبيًا لازدرأت عملك مما ترى، فأطرق عمر رضي الله عنه مليًا ثم أفاق، قال: زدنا يا كعب، قلت: يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها. فأطرق عمر مليًا ثم أفاق فقال: زدنا يا كعب، قلت: يا أمير المؤمنين إن جهنم لتزفر يوم القيامة

---

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى بدء الخلق (3265)، ومسلم فى الجنة (2834/30).

2 (?) صحيح: أخرجه مسلم فى الجنة (2842/29).

زفـرة لا يبقى ملك مقـرب ولا نـبي مصـطفى إلا خرَّ جاثيًا على ركبتيه ويقــول: رب نفسي نفسي لا أسألك اليوم غير نفسي[1].

أَخْبَرَنَا محمد بن عبد البـاقي بن أحمـد، نا حمد بن أحمد الحداد، ثنا أبو نعيم الحافـظ، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن الحسن البغــدادي، ثنا إبــراهيم بن عبد الله الجنيــــد، ثنا عبيد الله بن محمد بن عائشة، ثنا سالم الخواص، عن فرات بن السائب، عن زاذان، قــال: ســمعت كعب الأحبــار يقــول: إن كــان يــوم القيامة جمع الله الأولين والآخــرين في صــعيد واحــد، ونــزلت الملائكة وصــارت صــفوفًا، فيقــول: يا جبرائيل ائتــني بجهنم، فيــأتي بها جبريل فتقــاد بســبعين ألف زمــام، حــتى إذا كــانت من الخلائق على قدر مائة عــام زفـرت زفـرة طـارت لها أفئـدة الخلائـق، ثم زفـرت ثانية فلا يبقى ملك مقــرب ولا نــبي مرسل إلا جثا على ركبتيــه، ثم تزفر الثالثة فتبلغ القلوب الحناجر وتـذهب العقـول فيفــزع كل امــرىء إلى عمله حــتى إن إبــراهيم الخليل يقـول: بِخُلَّتي لا أسـألك إلا نفسـي، ويقـول موسى: بمناجاتي لا أسـألك إلا نفسـي، وإن عيسى ليقول: بما أكرمتني لا أسـألك إلا نفسي لا أسـألك

---

[1] (?) ضعيف: أخرجه أبو نعيم فى حلية الأوليـاء 5/368، 369، وفى إســناده علىّ بن زيد بن جــدعان وهو ضــعيف كما فى التقريب.

مريم التي ولدتني. قلت: وقد روينا أن النبي قال: «يا جبرائيل ما لي لا أرى ميكائيل لا يضحك؟ فقال: ما ضحك ميكائيل مذ خلقت النار، وما جفَّت لي عين مذ خلقت جهنم مخافة أن أعصي الله فيجعلني فيها»[1].

وبكى عبد الله بن رواحة يومًا فقالت امرأته: ما لك تبكي؟ قال: أنبئت أني وارد ولم أنبأ أني صادر.

قال المصنف رحمه الله: فإذا كانت هذه حالة الملائكة والأنبياء والصحابة وهم المطهرون من الأدناس، وهذا انزعاجهم لأجل النار، فكيف هانت عند هذا المدعي، ثم إنه يقطع لنفسه بما لا يدري به من الولاية والنجاة، وهل قطع بالنجاة إلا لقوم مخصوصين من الصحابة، وقد قال: «من قال: إني في الجنة فهو في النار»[2]، وهذا محمد بن واسع يقول عند موته: يا إخوتاه، أتدرون أين

---

1 (?) ضعيف: أخرجه أحمد فى المسند 3/224، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد 10/385 وقال: «رواه أحمد من رواية إسماعيل بن عياش عن المدينين وهى ضعيفة، وبقية رجاله ثقات». وانظر: الترغيب والترهيب 4/457.

2 (?) ضعيف: أخرجه الطبرانى فى الصغير 1/65 موقوفًا على يحيى بن أبى كثير، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد 1/186 وقال: «وفيه محمد بن أبى عطاء الثقفى ضعفه أحمد وقال: هو منكر الحديث، وذكره ابن حبان فى الثقات، ومع ذلك فهو من قول يحيى موقوفًا عليه».

يذهب بي؟ أتـدرون يـذهب بي، والله الـذي لا إله إلا هو إلى النار أو يعفو عني.

قلت: وهذا إن صح عن هذا المدعي فهـذا غاية من تلبيس إبليس.

وقد كـــان ابن عقيل يقـــول: قد حكي عن أبي يزيد أنه قـال: وما النـار؟ والله لئن رأيتها لأطفأنها بطرف مرقعتي، أو نحو ذلك. قـال: ومن قـال هـذا كائن من كان فهو زنديق يجب قتله، فإن الإهـوان للشيء ثمرة الجحد، لأن من يؤمن بالجن يقشــعر في الظلمة ومن لا يؤمن لا ينزعج، وربما قـال: يا جن خذوني.

ومثل هـــذا القائل ينبغي أن يقـــرب إلى وجهه شمعة فإذا انزعج قيل له: هذه جذوة من نار.

أنبأنا محمد بن ناصـر، نا أبو الفضل السـهلكي، قال: سمعت أبا عبد الله الشـيرازي، يقـول: ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، قال: سمعت الحسن بن علويه يقول: سمعت طيفورًا الصغير يقـول: سـمعت عمي خادم أبي يزيد يقول: سمعت أبا يزيد يقـول: سبحاني سبحاني ما أعظم شأني. ثم قـال: حسـبي من نفسي حسبي.

قلت: هذا إن صح عنه، فربما يكون الـراوي لم يفهم لأنه يحتمل أن يكـــــون قد ذكر تمجيد الحق نفسه فقال فيه: «سـبحاني» حكاية عن الله لا عن

نفســه، وقد تأوله له الجنيد بشــيء، إن لم يرجع إلى ما قلته فليس بشيء.

فأنبأنا ابن ناصــر، نا الســهلكي، نا محمد بن القاسم الفارسي، سمعت الحسن بن علي المذكر، سـمعت جعفـرًا الخلـدي يقـول: قيل للجنيـد: إن أبا يزيد يقول: سبحاني سـبحاني أنا ربي الأعلى. فقـال الجنيــد: إن الرجل مســتهلك في شــهود الجلال فنطق بما اســتهلكه، أذهله الحق عن رؤيته إيــاه فلم يشهد إلا الحق فنعته.

قلت: وهذا من الخرافات.

أنبأنا عبد الأول، نا أحمد بن أبي نصر الكوفـاني، نا الحسن بن محمد بن قـوري، نا عبد الله ابن علي الســراج، قــال: ســمعت أحمد بن سـالم البصـري بالبصـرة، يقـول في مجلسه يومًـا: فرعون لم يقل ما قال أبو يزيد لأن فرعون قال: ﴿**أنا ربكم الأعلى**﴾ [النازعــات: 24]، والـــرب يســمى به المخلـوق يقـال: رب الـدار، وقـال أبو يزيد: سبحاني سبحاني لا يجوز إلا لله.

فقلت: قد صح عندك هـذا عن أبي يزيد فقـال: قد قال ذلك، فقلت: يحتمل أن يكـون لهـذا الكلام مقـدمات يحكى بـأن الله يقـول: سـبحاني؛ لأنا لو سمعنا رجلاً يقول: «لا إله إلا أنـا» علمنا أنه يقـرأ. وقد سألت جماعة من أهل بسـطام من بيت أبي

يزيد عن هذا؟ فقالوا: لا نعرف هذا.

أنبأنا ابن ناصر، نا أبو الفضل السهلكي، قال: سمعت أبا عبد الله الشيرازي، يقول: سمعت عامر بن أحمد، قال: سمعت الكتاني يقول: حدثني أبو موسى الدئيلي، قال: سمعت أبا يزيد يقول: كنت أطوف حول البيت أطلبه فلما وصلت إليه رأيت البيت يطوف حولي.

قال الشيرازي: وحدثنا إبراهيم بن محمد قال: سمعت الحسن بن علويه يقول: سمعت طيفورًا الصغير يقول: سمعت أبا يزيد يقول: حججت أول حجة فرأيت البيت، وحججت الثانية فرأيت صاحب البيت ولم أر البيت، وحججت الثالثة فلم أر البيت ولا صاحب البيت.

قال الشيرازي: وسمعت محمد بن داوديه يقول: سمعت عبد الله بن سهل يقول: سمعت أبا موسى الدئيلي يقول: سمعت أبا يزيد، وسئل عن اللوح المحفوظ، قال: أنا اللوح المحفوظ.

قال الشيرازي: وسمعت المظفر بن عيسى المَرَاغي يقول: سمعت سيرين يقول: سمعت أبا موسى الدئيلي يقول: قلت لأبي يزيد: بلغني أن ثلاثة قلوبهم على قلب جبريل، قال: أنا أولئك الثلاثة فقلت: كيف؟ قال: قلبي واحد، وهمي واحد، وروحي واحد. قلت: وبلغني أن واحدًا قلبه على

قلب إسرافيل.

قال: وأنا ذلك الواحد، ومثلي مثل بحر مصطلم لا أول له ولا آخر.

قال السهلكي: وقرأ رجل عند أبي يزيد: **إن بطش ربك لشديد** [البروج: 12]، فقال أبو يزيد: وحياته إن بطشي أشد من بطشه.

وقيل لأبي يزيد: بلغنا أنك من السبعة. قال: أنا كل السبعة.

وقيل له: إن الخلق كلها تحت لواء سيدنا محمد فقال: والله إن لوائي أعظم من لواء محمد، لوائي من نور تحته الجن والإنس كلهم مع النبيين.

وقال أبو يزيد: سبحاني سبحاني ما أعظم سلطاني، ليس مثلي في السماء يوجد، ولا مثلي صفة في الأرض تعرف، أنا هو وهو أنا، وهو هو.

أَخْبَرَنَا المحمدان ابن نصار وا بن عبد الباقي، قال: نا حمد بن أحمد، نا أبو نعيم الحافظ، ثنا أحمد ابن أبي عمران، ثنا منصور بن عبد الله، قال: سمعت أبا عمران موسى بن عيسى يقول: سمعت أبي، يقول: قيل لأبي يزيد: إنك من الأبدال السبعة الذين هم أوتاد الأرض، فقال: أنا كل السبعة.

أنبأنا ابن ناصر، نا أبو الفضل السهلكي، قال: سمعت أبا الحسين محمد بن القاسم الفارسي، قال: سمعت أبا نصر بن محمد بن إسماعيل البخاري، يقول: سمعت أبا الحسين علي بن محمد الجرجاني، يقول: سمعت الحسن بن علي بن سلام، يقول: دخل أبو يزيد مدينة فتبعه منها خلق كثير فالتفت إليهم فقال: «أني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدون» فقالوا: جُنَّ أبو يزيد فتركوه.

قال الفارسي: وسمعت أبا بكر أحمد بن محمد النيسابوري قال: سمعت أبا بكر أحمد بن إسرائيل قال: سمعت خالي علي بن الحسين يقول: سمعت الحسن بن علي ابن حَيُّويه يقول: سمعت عمي وهو أبو عمران موسى بن عيسى بن أخي أبي يزيد قال: سمعت أبي يقول: قال أبو يزيد: رفع بي مرة حتى قمت بين يديه. فقال لي: يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك، قلت: يا عزيزي وأنا أحب أن يروني. فقال: يا أبا يزيد إني أريد أريكهم. فقلت: يا عزيزي إن كانوا يحبون أن يروني وأنت تريد ذلك، وأنا لا أقدر على مخالفتك، قربني بوحدانيتك، وألبسني ربانيتك، وارفعني إلى أحديتك، حتى إذا رآني خلقك قالوا: رأيناك، فيكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك، ففعل بي ذلك وأقامني وزيّنني ورفعني، ثم قال: اخرج إلى خلقي، فخطوت من عنده خطوة إلى الخلق خارجًا، فلما

كـان من الخطـوة الثانية غشي عليَّ فنـادى: ردوا حبيبي فإنه لا يصبر عني ساعة.

أنبأنا ابن ناصر، السـهلكي، قـال: سـمعت محمد بن إبـراهيم الواعـظ، يقـول: سـمعت محمد ابن محمد الفقيـه، يقـول: سـمعت أحمد بن محمد الصـوفي، يقـول: سـمعت أبا موسـى، يقـول: حكي عن أبي يزيد أنه قـال: أراد موسى عليه الصـلاة والسـلام أن يـرى الله تعـالى، وأنا ما أردت أن أرى الله تعالى، هو أراد أن يراني.

أَخْبَرَنَا أبو بكر بن حـبيب، نا أبو سـعد بن أبي صادق الحيري، ثنا أبو عبد الله بن باكويـه، ثنا أبو الطيب ابن الفرغـاني، قـال: سـمعت الجنيد بن محمـد، يقـول: دخل عليَّ أمس رجل من أهل بسطام فذكر أنه سمع أبا يزيد البسـطامي يقـول: الله م إن كان في سابق علمك أنك تعـذب أحـدًا من خلقك بالنـار فعظّم خَلقي حـتى لا تسع معي غيري.

قـال المصـنف رحمه اللـه: أما ما تقـدم من دعاويه فما يخفى قبحهـا، وأما هـذا القـول فخطأ من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه قال: إن كان في سـابق علمـك، وقد علمنا قطعًا أنه لا بد من تعذيب خلق بالنـار، وقد سـمى الله عز وجل منهم خلقًـا، كفرعـون وأبي

لهب، فكيف يجوز أن يقال بعد القطع واليقين: إن كان؟!

والثاني: قولـه: فعظم خلقي: فلو قـال لأدفع عن المؤمـنين، ولكنه قـال: حـتى لا تسع غـير فأشـفق على الكفار أيضًا، وهذا تعــاط على رحمة الله عز وجل.

والثـالث: أن يكـون جـاهلاً بقـدر هـذه النـار أو واثقًا من نفسه بالصبر، وكلا الأمرين معدوم عنده.

قلت: ثم قــــال: والله تكلمت أمس مع الخضر في هــذه المســألة: وكــانت الملائكة يستحســنون قولي، والله عز وجل يسمع كلامي فلم يعب علي ولو عاب علي لأخرسني.

قلت: لولا أن هذا الرجل قد نسب إلى التغـير لكـان ينبغي أن يـــرد عليــه، وأين الخضـــر؟ ومن أين له أن الملائكة تستحسن قولــــه؟ وكم من قـــول معيب ولم يعاجل صـاحبه بالعقوبـة، وقد بلغـني عن ميمـون عبـده قال: بلغني عن سـمنون المحب أنه كـان يسـمّي نفسه الكذاب بسبب أبياته التي قال فيها: (مخلّع البسيط)

وليس لي في   **فكيفما ما شئت**

فابتلّي بحبس البول، فلم يقـرّ له قـرار، فكـان بعد ذلك يطوف على المكاتب وبيده قارورة يقطر منها بوله ويقول للصبيان: ادعوا لعمّكم الكذاب.

قال المصنف رحمه الله: إنه ليقشعر جلدي من هذه أتراه علام يتقاوى، وإنما هذه ثمرة الجهل ب الله سبحانه وتعالى، ولو عرفه لم يسأله إلا العافية. وقد قال: من عرف الله كلَّ لسانه.

أَخْبَرَنَا أبو بكر بن حبيب، نا أبو سعد بن أبي صادق، نا ابن باكويه، قال: سمعت محمد ابن داود الجوزجاني يقول: سمعت أبا العباس بن عطار يقول: كنت أرد هذه الكرامات حتى حدثني الثقة عن أبي الحسين النوري وسألته فقال:

كذا كان. قال: كنا في سُميرية في دجلة فقالوا لأبي الحسين: أخرج لنا من دجلة سمكة فيها ثلاثة أرطال وثلاث أواقي فحرك شفتيه، فإذا سمكة فيها ثلاثة أرطال وثلاث أواقي ظهرت من الماء حتى وقعت في السميرية، فقيل لأبي الحسين: سألناك ب الله إلا أخبرتنا بماذا دعوت؟ فقال: قلت: وعزتك لئن لم تخرج من الماء حوتًا فيها ثلاثة أرطال وثلاث أواق لأغرقن نفسي في دجلة.

أَخْبَرَنَا أبو منصور القزاز، نا أبو بكر بن ثابت قال: أخبرني عبد الصمد بن محمد الخطيب، ثنا الحسن بن الحسين الهمذاني قال: سمعت جعفرًا الخلدي، سمعت الجنيد يقول: سمعت النوري يقول: كنت بالرقة فجاءني المريدون الذين كانوا بها، وقالوا: نخرج ونصطاد السمك. فقالوا لي: يا أبا

الحسين هات من عبادتك واجتهـادك وما أنت عليه من الاجتهاد سمكة يكون فيها ثلاثة أرطـال لا تزيد ولا تنقص. فقلت لمولاي: إن لم تخرج إليَّ الساعة سـمكة فيها ما قد ذكـروا لأرمين بنفسي في الفـرات، فـأخرجت سـمكة فوزنتها فـإذا فيها ثلاثة أرطال لا زيادة ولا نقصان، قال الجنيد: فقلت لـه: يا أبا الحسـين لو لم تخـرج كنت تـرمي بنفسـك؟ قال: نعم.

أَخْبَرَنَا أبو بكر بن حـبيب، نا أبو سـعد بن أبي صادق، نا ابن باكويه، نا أبو يعقوب الخـراط قـال: قال لي أبو الحسـين النـوري: كـان في نفسي من هذه الكرامـات شـيء وأخـذت من الصـبيان قصـبة وقمت بين زورقين وقلت: وعزتك لئن لم تخـرج لي سـمكة فيها ثلاثة أرطـال لا تزيد ولا تنقص لا آكل شيئًا. قـال: فبلغ ذلك الجنيد فقـال: كـان حكمه أن تخرج له أفعى تلدغه.

أَخْبَرَنَا ابن حبيب، نا بن صـادق، نا ابن باكويـه، قـال: سـمعت الحسـين بن أحمد الفارسي يقـول: سـمعت الـرقي يقـول: سـمعت علي بن محمد بن أبان قال: سمعت أبا سعيد الخراز يقول: أكبر ذنبي إليه معرفتي إياه.

قـال المصـنف رحمه اللـه: هـذا إن حمل على معـنى أني لما عرفته لم أعمل بمقتضى معرفته

فعظم ذنبي كما يعظم جرم من علم وعصى، وإلا فهو قبيح.

أَخْبَرَنَا ابن الحـــبيب، نا ابن صـــادق، نا ابن باكويه، ثني أحمد الخلقـاني قـال: سـمعت الشـبلي يقول: أحبك الخلق لنعمائك، وأنا أحبك لبلائك.

أَخْبَرَنَا محمد بن أبي القاســم، أنبأنا الحسن بن محمد بن الفضل الكرمـــاني، نا ســـهل ابن علي الخشـاب وأخبرنا أبو الـوقت نا أحمد بن أبي نصر نا الحسن بن محمد بن قــوري، قــالا: نا عبد الله بن علي السـراج، قـال: سـمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد الهمــذاني يقــول: دخلت على الشــبلي، فلما قمت لأخـرج كـان يقـول لي ولمن معي إلى أن خرجنا من الدار: مــرُّوا أنا معكم حيث ما كنتم وأنتم في رعايتي وكلاءتي.

نا محمد بن ناصــر، نا أبو عبد الله الحميــدي، نا أبو بكر محمد بن أحمد الأردســـتاني، نا أبو عبد الـــرحمن السلمي، قال: سمعت منصور بن عبد الله، يقول: دخل قــوم على الشـبلي في مـرض موته الـذي مـات فيـه، فقــالوا كيف تجــدك يا أبا بكر فأنشأ يقــول: (مجــزوء البسيط)

إن سلطان حبه فسلوه فديته ما

قال ابن عقيل: وقد حكي عن الشبلي أنه قال: إن الله سـبحانه وتعـالى قـال: ﴿**ولسوف يعطيك**

ربك فترضى [الضحى: 5]، والله لا رضي محمد وفي النار من أمته أحد، ثم قال: إن محمدًا يشفع في أمته، وأشفع بعده في النار حتى لا يبقى فيها أحد.

قـال ابن عقيـل: والـدعوى الأولى على النـبي كاذبة، فإن النـبي يرضى بعـذاب الفجـار. كيف وقد لعن في الخمر عشـــرة، فـــدعوى أنه لا يرضى بتعذيب الله عز وجل للفجار دعـوى باطلة وإقـدام على جهل بحكم الشرع.

ودعــواه بأنه من أهل الشــفاعة في الكل وأنه يزيد على محمد كفـــر، لأن الإنســـان مـــتى قطع لنفسه بأنه من أهل الجنة كـــان من أهل النـــار، فكيف وهو يشهد لنفسه بأنه على مقام يزيد على مقـام النبـوة؛ بل يزيد على المقـام المحمـود وهو الشفاعة العظمى.

وقـال ابن عقيـل: والـذي يمكنـني في حق أهل البــدع لســاني وقلــبي، ولو اتســعت قــدرتي في السيف لرويت الثرى من دماء خلق.

أخبرتنا شــهدة بنت أحمــد، قــالت: أخبرنا جعفر بن أحمد، ثنا أبو طـاهر محمد بن علي العلَّاف، ســمعت أبا الحســين بن ســمعون، ســمعت أبا عبد الله العلقي صاحب أبي العبـاس بن عطـاء، سـمعت أبا العبـاس بن عطاء، يقول: قرأت القرآن فما رأيت الله عز وجل ذكر

عبـدًا فـأثنى عليه حـتى ابتلاه، فسـألت الله تعـالى أن يبتليـني، قـال: وذهب مالـه، وذهب عقلـه، وذهب ولـده وأهله، فمكث بحكم الغلبة سبع سنين أو نحوهـا. وكـان أول شيء قاله بعد صحوه من غلبته: (البسيط)

حقًا أقول لقد حملي هواك

قلت: قلة علم هذا الرجل أثمر أن سـأل البلاء، وفي سـؤال البلاء معـنى التقـاوي، وذاك من أقبح القبيح.

والشطط: الجـور، ولا يجـوز أن ينسب إلى الله تعالى.

وأحسن ما حمل عليه حاله أن يكون قال هـذا البيت في زمان التغير.

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصـر، أنبأنا أحمد بن علي بن خلـف، نا محمد بن الحسـين السـلمي سـمعت أبا الحسن علي بن إبراهيم الحصري يقول:

دعوني وبلائي، ألستم أولاد آدم الذي خلقه الله بيـده، ونفخ فيه من روحـه، وأسـجد له ملائكتـه، وأمـره بـأمره فخالفـه، إذا كـان أول الـدنِّ دردي كيف يكون آخـره. قـال: وقـال الحصـري: كنت زمانًا إذا قرأت القرآن لا أستعيذ من الشيطان، وأقــول: من الشيطان حتى يحضر كلام الحق.

قال المصنف رحمه الله: قلت: أما القــول الأول

بأنه يتسلط على الأنبياء جـرأة قبيحة وسـوء أدب. وأما الثـــاني فمخـــالف لما أمر الله عز وجل به فإنه قال: **فإذا قرأت القـرآن فاسـتعذ بالله** [النحل: 98].

أَخْبَرَنَا أبو بكر بن أبي طـــــاهر، نا عبــــاد بن إبـراهيم النسـفي، ثنا محمد بن الحسـين السـلمي قـــال: وجـــدت في كتـــاب أبي بخطه ســـمعت أبا العباس أحمد بن محمد الدينوري يقـول: قد نقضـوا أركـان التصـوف وهـدموا سـبيلها وغـيروا معانيها بأسامي أحدثوها: سـموا الطبع زيـادة، وسـوء الأدب إخلاصًـــا، والخـــروج عن الحق شـــطحًا، والتلـــذذ بالمذموم طيبة، وسوء الخلق صولة، والبخل جلادة، واتبـاع الهـوى ابتلاء، والرجـوع إلى الـدنيا وصـولاً والسؤال عملاً، وبذأ اللسان ملامة، وما هذا طريق القوم.

وقـال ابن عقيـل: عـبرت الصـوفية عن الحـرام بعبـارات غـيروا لها الأسـماء مع حصـول المعـنى، فقـــالوا في الاجتمـــاع على الطيبة والغنـــاء والخنكرة[1]: أوقات، وقالوا في المردان: شـب، وفي المعشوقة: أخت، وفي المُحبة: مُريدة، وفي الـرقص والطـرب: وجـد، وفي منـاخ اللهو والبطالة ربـاط. وهذا التغيير للأسماء لا يباح.

---

[1] (?) خنكـر: ضـرب بـآلات اللهـو، والخنـاكر بمعـنى الزامـر، ثم توسع فيها إلى العنارب على نوع من آلات اللهو.

بيان جملة مروية على الصوفية من الأفعال المنكرة

قلت: قد سبق ذكر أفعال كثيرة لهم كلها منكرة، وإنما نذكر ههنا من أمهات الأفعال وعجائبها.

أَخْبَرَنَا محمد بن عبد الباقي بن أحمد، أنبأنا أبو علي الحسن بن محمد بن الفضل الكرماني، نا أبو الحسن سهل بن علي الخشاب، نا أبو نصر عبد الله بن علي السراج قال: ذكر عن ابن الكُريني - وكان أستاذ الجنيد - أنه أصابته جنابة، وكان عليه مرقعة ثخينة، فجاء إلى شاطىء الدجلة، والبرد شديد، فحرنت نفسه عن الدخول في الماء لشدة البرد، فطرح نفسه في الماء مع المرقعة ولم يزل يغوص ثم خرج، وقال: عقدت أن لا أنزعها عن بدني حتى تجف علي، فلم تجف عليه شهرًا.

أَخْبَرَنَا عبد الرحمن بن محمد القزاز، نا أحمد بن علي بن ثابت، ثنا عبد العزيز بن علي، ثنا علي بن عبد الله الهمذاني، ثنا الخلدي، ثني جنيد قال: سمعت أبا جعفر بن الكريني يقول: أصبت ليلة جنابة فاحتجت أن أغتسل وكانت ليلة باردة، فوجدت في نفسي تأخرًا وتقصيرًا وحدثتني نفسي: لو تركت حتى تصبح ويسخن لك الماء، أو تدخل

حمامًـــا. وإلا اعبأ على نفســـك. فقلت: واعجبًا أنا أعامل الله تعالى في طول عمـري، يجب له عليَّ حق لا أجد المسارعة إليه، وأجد الوقوف والتبـاطؤ والتـــأخر. آليت لا أغتسل إلا في نهــــر. وآليت لا اغتسلت إلا في مرقعتي هـذه، وآليت لا أعصـرنّها، وآليت لاجففتها في شمس. أو كما قال.

قلت: قد سـبق في ذكر المرقعـات وصف هـذه المرقعة لا بن الكُريني وأنه وزن أحد كميها فكـان فيه أحد عشر رطلاً وإنما ذكر هـذا للنـاس ليـبين أني فعلت الحسن الجميـــل، وحكـــوه عنه ليـــبين فضـــله، وذلك جهل محض لأن هـــذا الرجل عصى الله سـبحانه وتعـالى بما فعـل. وإنما يعجب هــذا الفعل العوام الحمقى لا العلماء.

ولا يجوز لأحد أن يعاقب نفسه، فقد جمع هــذا المســـكين لنفسه فنونًا من التعـــذيب: إلقاؤها في المـــاء البـــارد، وكونه في مرقعة لا يمكنه الحركة فيها كما يريــــــد، ولعله قد بقي من مغبته ما لم يصل إليه الماء لكثافة هذه المرقعـة، وبقاؤها عليه مبتلة شــهرًا وذلك يمنعه لـــذة النـــوم، وكل هـــذا الفعل خطأ وإثم، وربما كان ذلك سـببًا لمرضه أو قتله.

أَخْبَرَنَا المحمـدان ابن ناصر وا بن عبد البـاقي، قــالا: أخبرنا حمد بن أحمــد، نا أبو نعيم أحمد ابن

عبد الله الأصبهاني، قال: كانت أم علي زوجة أحمد بن خضرويه قد أحلت زوجها أحمد من صداقها على أن يزور بها أبا يزيد البسطامي، فحملها إليه فدخلت عليه وقعدت بين يديه مسفرة عن وجهها. فلما قال لها أحمد: رأيت منك عجبًا. أسفرت عن وجهك بين يدي أبي يزيد. قالت: لأني لما نظرت إليه فقدت حظوظ نفسي، وكلما نظرت إليك رجعت إلي حظوظ نفسي، فلما أراد أحمد الخروج من عند أبي يزيد قال له: أوصني. قال: تعلم الفتوة من زوجتك.

أَخْبَرَنَا أبو بكر بن حبيب، نا أبو سعد بن أبي صادق، نا ابن باكوين، سمعت أبا بكر الفازي وفاز قرية بطوس سمعت أبا بكر السباك، سمعت يوسف بن الحسين يقول: كان بين أحمد بن أبي الحواري وبين أبي سليمان عقد أن لا يخالفه في شيء يأمره به فجاءه يومًا وهو يتكلم في المجلس فقال: إن التنور قد سجرناه فما تأمرنا؟ فما أجابه. فأعاد مرة أو مرتين فقال له الثالثة: اذهب واقعد فيه، ففعل ذلك. فقال أبو سليمان: الحقوه فإن بيني وبينه عقدًا أن لا يخالفني في شيء آمره به، فقام وقاموا معه، فجاؤوا إلى التنور فوجدوه قاعدًا في وسطه، فأخذ بيده وأقامه، فما أصابه خدش.

قال المصنف رحمه الله: هذا الحكاية بعيدة

الصحة، ولو صحت كان دخوله النار معصية.

وفي الصحيحين من حديث علي رضي الله عنه قال: بعث رسول الله سرية واستعمل عليها رجلاً من الأنصار، فلما خرجوا وجد عليهم في شيء، فقال لهم: أليس قد أمركم رسول الله أن تطيعوني؟ قالوا: بلى. قال: فاجمعوا حطبًا، فجمعوا، ثم دعا بنار فأضرمها، ثم قال: عزمت عليكم لتدخلنها، قال: فهمّ القوم أن يدخلوها، فقال لهم شاب: إنما فررتم إلى رسول الله من النار، فلا تعجلوا حتى تلقوا النبي فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوا، فرجعوا إلى النبي فأخبروه، فقال لهم رسول الله «لو دخلتموها ما خرجتم منها أبدًا، إنما الطاعة في المعروف»[1].

أَخْبَرَنَا عبد الرحمن بن محمد القزاز، نا أحمد بن علي بن ثابت، نا أبو نعيم الحافظ، أخبرني الحسن ابن جعفر بن علي، أخبرني عبد الله بن إبراهيم الجريري، قال: قال أبو الخير الديلمي: كنت جالسًا عند خير النساج، فأتته امرأة وقالت له: أعطِني المنديل الذي دفعته إليك، قال: نعم. فدفعه إليها. قالت: كم الأجرة؟ قال: درهمان. قالت: ما معي الساعة شيء، وأنا قد ترددت إليك مرارًا فلم أرك وأنا آتيك به غدًا إن شاء الله تعالى،

---

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الأحكام (7145)، ومسلم فى الإمارة (1840/40).

فقال لها خير: إن أتيتني بهما ولم تجـديني فـارمي بهما في دجلـة، فـإني إذا جئت أخـذتهما، فقـالت المرأة: كيف تأخذ من دجلـة؟ فقـال لها خـير: هـذا التفـتيش فضـول منك افعلي ما أمرتك بـه. قـالت: إن شاء الله، فمرت المرأة، قال أبو الخـير: فجئت من الغد وكـان خـير غائبًا وإذا المـرأة قد جـاءت ومعها خرقة فيها درهمـــان فلم تجـــده، فـــرمت بالخرقة في دجلـــــة، وإذا بســــرطان قد تعلقت بالخرقة وغاصت، وبعد ساعة جاء خـير وفتح بـاب حانوته وجلس على الشط يتوضــأ، وإذا بســرطان قد خـرجت من المـاء تسـعى نحـوه والخرقة على ظهرها، فلما قربت من الشـيخ أخـذها، فقلت لـه: رأيت كـذا وكـذا، فقـال: أحب أن لا تبـوح به في حياتي، فأجبته إلى ذلك.

قال المصنف رحمه الله: صـحة مثل هـذا تبعـد، ولو صح لم يخرج هذا الفعل من مخالفة الشــرع، لأن الشرع قد أمر بحفظ المال وهذا إضاعة. وفي الصحيح أن النبي «نهى عن إضـاعة المـال»[1]، ولا تلتفت إلى قــول من يــزعم أن هــذا كرامــة، لأن الله عز وجل لا يكرم مخالفًا لشرعه.

أَخْبَرَنَا أبو منصور القـزاز، نا أبو بكر بن ثـابت،

---

[1] (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الأدب (5975)، ومسـلم فى الأقضية (593/12 ــ 14) من حديث المغيرة بن شعبة.
وأخرجه مسلم فى الأقضية (1715/10) من حديث أبى هريرة.

نا أبو نعيم الحافـظ، سـمعت أبا الفـرج الورثـاني، سـمعت علي بن عبد الـرحيم، يقـول: دخلت على النوري ذات يوم فـرأيت رجليه منتفخـتين، فسـألته عن أمــــره؟ فقــــال: طــــالبتني نفسي بأكل التمر فجعلت أدافعها فتـأبى عليَّ، فخــرجت فاشــتريت، فلما أن أكلت، قلت لها: قومي فصلي فـأبت عليَّ فقلت: لله عليَّ إن قعـدت إلى الأرض أربعين يومًا إلا في التشهد فما قعدت.

قلت: من ســمع هــذا من الجهــال يقــول: ما أحسن هذه المجاهـدة ولا يـدري أن هـذا الفعل لا يحــل، لأنه حمل على النفس ما لا يجــوز ومنعها حقها من الراحة.

وقد حكى أبو حامد الغـــــــزالي في كتـــــــاب «الإحياء» قال: كـان بعض الشـيوخ في بداية إرادته يكسل عن القيام، فـألزم نفسه القيـام على رأسه طول الليل لتسمح نفسه بالقيـام عن طـوع. قـال: وعــالج بعضــهم حب المــال بــأن بــاع جميع ماله ورماه في البحر إذ خـاف من تفرقته على النـاس رعونة الجــود وريــاء البــذل. قــال: وكــان بعضــهم يســتأجر من يشــتمه على ملأ من النــاس ليعــوّد نفسه الحلم. قــــال: وكــــان آخر يــــركب البحر في الشتاء عند اضطراب الموج ليصير شجاعًا.

قــــال المصــــنف رحمه اللــــه: أعجب من جميع

هؤلاء عندي أبو حامد كيف حكى هذه الأشياء ولم ينكرهـــا؟ وكيف ينكرها وقد أتى بها في معـــرض التعليم، وقال قبل أن يـورد هـذه الحكايـات: ينبغي للشيخ أن ينظر إلى حالة المبتدىء فـإن رأى معه مـالاً فاضـلاً عن قـدر حاجته أخـذه وصـرفه في الخـير وفـرَّغ قلبه منه حـتى لا يلتفت إليـه، وإن رأى الكبريـاء قد غلب عليه أمـره أن يخـرج إلى السوق للكد ويكلفه السؤال والمواظبة على ذلـك، وإن رأى الغـالب عليه البطالة اسـتخدمه في بيت المـــاء وتنظيفه وكنس المواضع القــــذرة وملازمة المطبخ ومواضع الـدخان، وإن رأى شَـرَهَ الطعـام غالبًا عليه ألزمه الصوم، وإن رآه عزبًا ولم تنكسر شـهوته بالصـوم أمـره أن يفطر ليلة على المـاء دون الخـبز، وليلة على الخـبز دون المـاء ويمنعه اللحم رأسًا.

قلت: وإني لأتعجب من أبي حامد كيف يـــــأمر بهـذه الأشـياء الـتي تخـالف الشـريعة وكيف يحل القيام على الرأس طول الليل فينعكس الـدم إلى وجهه ويورثه ذلك مرضًـا شـديدًا، وكيف يحل رمي المال في البحر، وقد نهى رسول الله عن إضاعة المـال[1]، وهل يحل سب مسـلم بلا سـبب، وهل يجوز للمسلم أن يستأجر على ذلـك، وكيف يجـوز ركـوب البحر زمـان اضـطرابه، وذلك زمـان قد

[1] (?) انظر: التخريج السابق.

سقط فيه الخطاب بأداء الحج. وكيف يحل السؤال لمن يقدر أن يكسب. فما أرخص ما بـاع أبو حامد الغزالي الفقه بالتصوف.

أنبأنا ابن ناصر، نا أبو الفضل السـهلكي، نا أبو علي عبد الله بن إبـــراهيم النيســـابوري، ثنا أبو الحسن علي بن جهضـم، ثنا أبو صـالح الـدامغاني، عن الحسن بن علي الـدامغاني، قـال: كـان رجل من أهل بســـطام لا ينقطع عن مجلس أبي يزيد لا يفارقــه، فقــال له ذات يــوم: يا أســتاذ أنا منذ ثلاثين سنة أصـوم الـدهر وأقـوم الليل وقد تـركت الشـهوات ولست أجد في قلـبي من هـذا الـذي تـذكره شـيئًا البتـة. فقـال له أبو يزيـد: لو صـمت ثلاثمائة ســنة وقمت ثلاثمائة ســنة وأنت على ما أراك لا تجد من هـــذا العلم ذرة. قــــال: ولم يا أستاذ؟ قال: لأنك محجوب بنفسك، فقال له: أفلهذا دواء حتى ينكشف هذا الحجـاب؟ قـال: نعم. ولكنك لن تقبل، قال: بل أقبل وأعمل ما تقول.

قال أبو يزيد: اذهب الساعة إلى الحجام واحلق رأسك ولحيتـك، وانـزع عنك هـذا اللبـاس، وابـرز بعبــــاءة وعلق في عنقك مخلاة واملأها جـــــوزًا، واجمع حولك صبيانًا وقل بـأعلى صـوتك: يا صـبيان من يصــفعني صــفعة أعطيته جــوزة، وادخل إلى سوقك الذي تعظم فيـه. فقـال: يا أبا يزيد سـبحان الله تقــول لي مثل هـذا ويحسن أن أفعل هـذا؟

فقال أبو يزيد: قولك: سبحان الله شرك قال: وكيف؟ قال: لأنك عظمت نفسك فسبحتها. فقال: يا أبا يزيد: هذا ليس أقدر عليه، ولا أفعله، ولكن دلني على غيره حتى أفعله، فقال أبو يزيد: ابتدر هذا قبل كل شيء حتى تسقط جاهك وتذل نفسك، ثم بعد ذلك أعرّفك ما يصلح لك، قال: لا أطيق هذا. قال: إنك لا تقبل.

قال المصنف رحمه الله قلت: ليس في شرعنا بحمد الله من هذا شيء، بل تحريم ذلك والمنع منه، وقد قال نبينا عليه الصلاة والسلام: «ليس للمؤمن أن يذل نفسه»[1].

ولقد فاتت الجمعة حذيفة فرأى الناس راجعين فاستتر لئلا يرى بعين النقص في قصد الصلاة.

وهل طالب الشرع أحدًا بمحو أثر النفس وقد قال «من أتى شيئًا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله »[2]، كل هذا للإبقاء على جاه النفس،

---

1 (?) صحيح: أخرجه الترمذى فى الفتن (2254) وقال: «حسن غريب»، وأحمد فى المسند 5/405 من حديث حذيفة، وأنظر: الصحيحة (615).

2 (?) صحيح لغيره: أخرجه الحاكم فى المستدرك 4/244، 383 وصححه ووافقه الذهبى، والبيهقى فى السنن الكبرى 8/330، وقال الحافظ ابن حجر فى تلخيص الجبير 4/75: «صححه ابن السكن، وذكره الدارقطنى فى العلل، وقال روى عن عبد الله بن دينار مسندا ومرسلا، والمرسل أشبه».

أخرجه مالك فى الموطأ 2/825 عن زيد بن أسلم مرسلاً. وانظر:

ولو أمر بهلول الصبيان أن يصفعوه لكان قبيحًا، فنعوذ ب الله من هذه العقول الناقصة التي تطالب المبتدىء بما لا يرضاه الشرع فينفر.

وقد حكى أبو حامد الغزالي في «كتاب الإحياء» عن يحيى بن معاذ أنه قال: قلت لأبي يزيد: هل سألت الله تعالى المعرفة؟ فقال: عزَّت عليه أن يعرفها سواه.

فقلت: هذا إقرار بالجهل، فإن كان يشير إلى معرفة الله تعالى في الجملة وأنه موجود وموصوف بصفات وهذا لا يسع أحدًا من المسلمين جهله، وإن تخايل له أن معرفته هي اطلاع على حقيقة ذاته وكنهها فهذا جهل به.

وحكى أبو حامد: أن أبا تراب النخشبي قال لمريد له: لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من رؤية الله سبعين مرة. قلت: وهذا فوق الجنون بدرجات.

وحكى أبو حامد الغزالي عن ابن الكُريني أنه قال: نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح فنشب في قلبي، فدخلت الحمام وعينت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتي وخرجت فجعلت أمشي قليلاً قليلاً فلحقوني فنزعوا مرقعتي وأخذوا الثياب وصفعوني فصرت

الصحيحة (663).

بعد ذلك أعرف بلص الحمام فسكنت نفسي.

قال أبو حامد: فهكذا يروضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر إلى الخلق، ثم من النظر إلى النفس، وأرباب الأحوال ربما عالجوا أنفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما رأوا صلاح قلوبهم ثم يتداركون ما فرط منهم من صورة التقصير كما فعل هذا في الحمام.

قلت: سبحان من أخرج أبا حامد من دائرة الفقه بتصنيفه «كتاب الإحياء» فليته لم يحك فيه مثل هذا الذي لا يحل.

والعجب منه أنه يحكيه ويستحسنه ويسمي أصحابه أرباب أحوال وأي حالة أقبح وأشد من حال من خالف الشرع ويرى المصلحة في النهي عنه، وكيف يجوز أن يطلب صلاح القلوب بفعل المعاصي، وقد عدم في الشريعة ما يصلح به قلبه حتى يستعمل ما لا يحلُّ فيها، وهذا من جنس ما تفعله الأمراء الجهلة من قطع من لا يجب قطعه وقتل من لا يجوز قتله، ويسمونه سياسة، ومضمون ذلك أن الشريعة ما تفي بالسياسة.

وكيف يحل للمسلم أن يعرض نفسه لأن يقال عنه سارق؟ وهل يجوز أن يقصد وهن دينه ومحو ذلك عند شهداء الله في الأرض؟ ولو أن رجلاً

وقف مع امرأته في طريق يكلمها ويلمسها ليقول عنه من لا يعلم هذا فاسق لكان عاصيًا بذلك؟ ثم كيف يجوز التصرف في مال الغير بغير إذنه؟

ثم في نص مـــذهب أحمد والشـــافعي أن من ســـرق من الحمـــام ثيابًا عليها حافظ وجب قطع يده، ثم من أرباب الأحوال حتى يعملوا بواقعاتهم؟

كلا، والله إن لنا شـــــــــريعة لو رام أبو بكر الصـديق أن يخـرج عنها إلى العمل برأيه لم يقبل منه.

فعجـــبي من هـــذا الفقيه المســـتلب عن الفقه بالتصـــوف أكـــثر من تعجّـــبي من هـــذا المســـتلب الثياب.

أَخْبَرَنَا أبو بكر بن حـــبيب، نا أبو ســـعد بن أبي صادق، نا ابن باكويه قال: ســـمعت محمد بن أحمد النجـــار، يقـــول: كـــان علي بن بابويه من الصـــوفية فاشـــترى يومًا من الأيـــام قطعة لحم، فـــأحب أن يحمله إلى البيت، فاستحيا من أهل الســـوق فعلق اللحم في عنقه وحمله إلى بيته.

قلت: واعجبًا من قوم طالبوا أنفســـهم بمحو أثر الطبـــع، وذلك أمر لا يمكن، ولا هو مـــراد الشـــرع. وقد ركز في الطباع أن الإنسان لا يحب أن يُـــرى إلا متجملاً في ثيابه وأنه يســـــتحيي من العـــــري وكشف الرأس، والشرع لا ينكر عليه هذا.

وما فعله هـــــذا الرجل من الإهانة لنفسه بين الناس أمر قبيح في الشـرع والعقـل، فهو إسـقاط مروءة لا رياضة، كما لو حمل نعليه على رأسه.

وقد جـــاء في الحـــديث: «الأكل في الســـوق دناءة»[1]، فـإن الله قد أكـرم الآدمي وجعل لكثـير من النـــاس من يخدمـــه، فليس من الـــدين إذلال الرجل نفسه بين الناس.

وقد تســمى قـــوم من الصـــوفية بالملامتيـــة، فاقتحموا الـذنوب فقـالوا: مقصـودنا أن نسـقط من أعين الناس، فنسلم من آفات الجاه والمرائين.

وهـؤلاء مثلهم كمثل رجل زنى بـامرأة فأحبلهـا، فقيل لــه: لِمَ لَمْ تعــزل. فقــال: بلغــني أن العــزل مكروه. فقيل له: وما بلغك أن الزنا حرام؟ وهـؤلاء الجهلة قد أسقطوا جاههم عند الله سبحانه ونسوا أن المسلمين شهداء الله في الأرض.

أَخْبَرَنَا ابن حـــبيب، نا ابن أبي صـــادق، نا ابن باكويه، قال: سـمعت أبا أحمد الصـغير، سـمعت أبا عبد الله بن خفيــف، سـمعت أبا الحسن المــديني يقـول: خـرجت مـرة من بغـداد إلى نهر الناشـرية،

---

[1] (?) ضـعيف جــدًا: أخرجه الطـبرانى فى الكبــير 8/298 من حـــديث أبى أمامة وذكـــره الهيثمى فى مجمع الزوائد 5/24 وقال: «وفيه عمر بن موسى بن وجيه وهو ضعيف».
وعبد بن حميد كما فى المطـالب العالية (2387) بسـند ضـعيف. انظر: ضعيف الجامع (2290).

وكـان في إحـدى قـرى ذلك النهر رجل يميل إلى أصحابنا، فبينا أنا أمشي على شـاطىء النهر رأيت مرقعة مطروحة ونعلاً وخريقة فجمعتهمـــا، وقلت: هذه لفقير، ومشيت قليلاً فسمعت همهمة وتخبيطًا في الماء، فنظـرت فـإذا بـأبي الحسن النـوري قد ألقى نفسه في المـــاء والطين وهو يتخبط ويعمل بنفسه كل بلاء، فلما رأيته علمت أن الثيـاب لـه، فـــنزلت إليه فنظر إلي، وقـــال: يا أبا الحسن أما ترى ما يعمل بي؟ قد أماتني موتات وقال لي: ما لك منا إلا الذكر الـذي لسـائر النـاس، وأخذ يبكي ويقول: ترى ما يفعل بي؟ فمـازلت أرفق به حـتى غســلته من الطين وألبســته المرقعة وحملته إلى دار ذلك الرجـــل. فأقمنا عنـــده إلى العصـــر، ثم خرجنا إلى المسجد، فلما كان وقت المغرب رأيت الناس يهربون ويغلقون الأبواب ويصعدون السـطوح فسألناهم فقالوا: السباع تدخل القرية بالليل، وكـان حوالي القرية أجمة عظيمة وقد قطع منها القصب وبقيت أصوله كالسكاكين، فلما سـمع النـوري هـذا الحديث قام فرمى بنفسه في الأجمة على أصـول القصب المقطوع ويصيح ويقول: أين أنت يا سـبع؟ فما شــككنا أن الأسد قد افترسه أو قد هلك في أصول القصب، فلما كان قريب الصبح جاء فطـرح نفسه وقد هلكت رجلاه، فأخــــذنا بالمنقــــاش ما قـــدرنا عليـــه، فبقي أربعين يومًا لا يمشي على

رجليه،

فسألته: أي شيء كان ذلك الحال؟ قال: لما ذكروا السبع وجدت في نفسي فزعًا، فقلت: لأطرحنك إلى ما تفزعين منه.

قلت: لا يخفى على عاقل تخبيط هذا الرجل قبل أن يقع في الماء والطين، وكيف يجوز للإنسان أن يلقي نفسه في ماء وطين؟ وهل هذا إلا فعل المجانين؟ وأين الهيبة والتعظيم من قوله: ترى ما يفعل بي؟ وما وجه هذا الانبساط؟ وينبغي أن تجف الألسن في أفواهها هيبة.

ثم ما الذي يريده غير الذكر؟ ولقد خرج عن الشريعة بخروجه إلى السبع ومشيه على القصب المقطوع.

وهل يجوز في الشرع أن يلقي الإنسان نفسه إلى سبع؟ أترى أراد منها أن يغير ما طبعت عليه من خوف السباع؟ ليس هذا في طوقها ولا طلبه الشرع منها.

ولقد سمع هذا الرجل بعض أصحابه يقول مثل هذا القول، فأجابه بأجود جواب.

أَخْبَرَنَا محمد بن عبد الله بن حبيب نا علي بن أبي صادق نا ابن باكويه نا أبو يعقوب الخراط، نا أبو أحمد المغازلي قال: رأيت النوري وقد جعل نفسه إلى أسفل ورجليه إلى فوق وهو يقول: من

الخلق أوحشـــتني، ومن النفس والمـــال والـــدنيا أفقرتني. ويقول: ما معك إلا علم وذكر، قال: فقلت له: إن رضيت وإلا فانطح برأسك الحائط.

أَخْبَرَنَا محمد بن أبي القاسـم، أنبأنا الحسن بن محمد بن الفضل الكرمـــاني، نا ســـهل بن علي الخشـــاب، نا عبد الله بن علي الســـراج قـــال: ســـمعت أبا عمـــرو بن علـــوان يقـــول: حمل أبو الحسـين النـوري ثلاثمائة دينـار ثمن عقـار بيع لـه، وجلس على قنطرة وجعل يرمي واحدًا واحدًا منها إلى الماء ويقـول: جئت تريـدين أن تخـدعيني منك بمثل هذا.

قال السـراج: فقـال بعض النـاس: لو أنفقها في سـبيل الله كـان خـيرًا لـه. فقلت: إن كـانت تلك الدنانير تشغله عن الله طرفة عين، كـان الـواجب أن يرميها في المـــاء دفعة واحـــدة حـــتى يكـــون أسرع لخلاصه من فتنتها، كما قال الله عز وجـل: ﴿**فطفق مسحًا بالسوق والأعناق**﴾ [ص: 33].

قلت: لقد أبـان هـؤلاء القـوم عن جهل بالشـرع وعـدم عقـل، وقد بيّنّا فيما تقـدم أن الشـرع أمر بحفظ المال، وأن لا يسـلم إلا إلى رشـيد، وجعله قوامًا للآدمي، والعقل يشـــــــــهد بأنه إنما خلق للمصالح، فـإذا رمى به الإنسـان فقد أفسد ما هو سبب صلاحه وجهل حكمة الواضع، واعتذار السراج

له أقبح من فعله، لأنه إن كان خاف فتنته فينبغي أن يرميه إلى فقير ويتخلص.

ومن جهل هــؤلاء حملهم تفســير القــرآن على رأيهم الفاسد لأنه يحتج بمسح السوق والأعناق،

ويظن بذلك جواز الفساد، والفساد لا يجوز في الشـريعة، وإنما مسح بيـده عليهـا، وقـال: أنت في سبيل الله، وقد سبق بيان هذا.

وقال أبو نصر السراج في كتاب «اللمع»: قــال أبو جعفر الدراج: خرج أستاذي يومًا يتطهر، فأخذت كنفه ففتشته فوجدت فيه شـيئًا من الفضة مقـدار أربعة دراهم، وكان ليلاً وبـات لم يأكل شـيئًا. فلما رجع قلت لــه: في كنفك كــذا وكــذا درهمًا ونحن جيـاع، فقـال: أخذتـه؟ رده، ثم قـال لي بعد ذلـك: خذه واشـتر به شـيئًا، فقلت لـه: بحق معبـودك ما أمر هذه القطع؟ فقال: لم يرزقـني الله من الـدنيا شيئًا غيرها، فأردت أن أوصي أن تدفن معي، فإذا كان يوم القيامة رددتها إلى الله، وأقول: هذا الذي أعطيتني من الدنيا.

أَخْبَرَنَا ابن حـــبيب، نا ابن أبي صـــادق، نا ابن باكويــه، ثنا عبد الواحد بن بكر قــال: ســمعت أبا بكر الجوال، سـمعت أبا عبد الله الحصـري يقـول: مكث أبو جعفر الحــداد عشــرين ســنة يعمل كل يــوم بــدينار وينفقه على الفقــراء ويصــوم، ويخــرج

بين العشائين فيتصـدق من الأبـواب ما يفطر عليه أي يسأل الناس.

قــال المصــنف رحمه اللــه: قلت: لو علم هــذا الرجل أن المســـألة لا تجـــوز لمن يقـــدر على الاكتساب لم يفعل، ولو قـدرنا جوازهـا، فـأين أنفة النفس من ذل الطلب؟

أَخْبَرَنَا هبة الله بن محمـــد، نا الحسن بن علي التميمي، نا أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، ثـني أبي، ثنا إسـماعيل، ثنا معمـر، عن عبد الله ابن مسلم أخي الزهـري، عن حمـزة بن عبد الله بن عمر، عن أبي قال: قـال رسـول الله «لا تــزال المســألة بأحــدكم حــتى يلقى الله عز وجل وما على وجهه مزعة لحم»[1].

قال أحمد: وحدثنا حفص بن غياث، عن هشــام، عن أبيه، عن الزبير بن العـوام قـال: قـال رسـول الله «لأن يأخذ الرجل حبلاً فيحتطب، ثم يجيء فيضعه في السوق فيبيعــه، ثم يســتغني به فينفقه على نفسه، خيرله من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»[2].

قلت: انفرد به البخاري واتفقا على الـذي قبلـه،

---

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الزكاة (1474)، ومسلم فى الزكاة (1040/103، 104).

2 (?) صحيح: أخرجه البخـارى فى الزكـاة (1471)، وأحمد فى المسند 1/164، 167.

وفي حـــديث عبد الله بن عمـــرو عن النـــبي أنه قـــال: «لا تحل الصـــدقة لغـــني ولا لـــذي مـــرّة سوي»[1].

والمـرّة: القـوة، وأصـلها من شـدة فتل الحبـل، يقال: أمررت الحبل: إذا أحكمت فتله. فمعنى المرة في الحديث: شـدة أمر الخلق وصـحة البـدن الـتي يكون معها احتمال الكَلِّ والتعب.

قال الشـافعي رضي الله عنـه: لا تحل الصـدقة لمن يجد قوة يقدر بها على الكسب.

أَخْبَرَنَا عبد الرحمن بن محمد القــزاز،نا أبو بكر بن ثابت أنبأنا أبو سعد المـاليني قـال: سـمعت أبا بكر محمد بن عبد الواحد الهاشــمي، ســمعت أبا الحسن يونس بن أبي بكر الشبلي يقول: قـام أبي ليلة فترك فـرد رجل على السـطح والأخـرى على الدار، فسمعته يقـول: لئن أطـرفت لأرمين بك إلى الدار، فمـازال على تلك الحـال حـتى أصـبح، فلما أصبح قال له: يا بـني ما سـمعت الليلة ذاكـرًا لله عز وجل إلا ديكًا يساوي دانقين.

قـال المصـنف رحمه اللـه: هـذا الرجل قد جمع بين شـيئين لا يجـوزان. أحـدهما: مخاطرته بنفســه،

---

1 (?) صحيح: أخرجه أبو داود فى الزكاة (1634)، والترمذى فى الزكاة (652)، والدارى فى سننه (1639)، وأحمد فى المسند 2/192، والدارقطنى 2/119. وقد سبق تخريجه.

فلو غلبه النــوم فوقع كــان معينًا على نفســه، ولا شك أنه لو رمى بنفسه كــــان قد أتى معصـــــية عظيمة، فتعرضه للوقــوع معصـية، والثـاني: أنه منع عينه حظها من النـــوم. وقد قـــال «إن لجســـدك عليك حقًـــا، وإن لزوجك عليك حقًـــا، وإن لعينك عليك حقًا»[1]، وقال: «إذا نعس أحدكم فليرقــد»[2]. ومر بحبل قد مدته زينب، فإذا فترت أمسكت به، فأمر بحله. وقال: «لِيُصَلِّ أحدكم نشاطه فـإذا كسل أو فتر فليقعد»[3]، وقد تقدمت هـذه الأحـاديث في كتابنا هذا.

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصــر، نا أبو عبد الله الحميــدي، نا أبو بكر الأردستاني، ثنا أبو عبد الرحمن السلمي، قــال: ســمعت أبا العبــاس البغــدادي، يقــول: كنا نصــحب أبا الحسن ابن أبي بكر الشــبلي ونحن أحــداث، فأضــافنا ليلة فقلنــا: بشــرط أن لا تــدخل علينا أبــاك، فقــال: لا يــدخل، فــدخلنا داره، فلما أكلنا إذا نحن بالشــبلي وبين كل أصبعين من أصابعه شـمعة - ثمـان شـموع - فجـاء وقعد وسـطنا فاحتشـمنا منـه، فقـال: يا سـادة عـدّوني

---

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى النكاح (5199)، ومسلم فى الصــيام (1159/181) من حــديث عبد الله بن عمــرو بن العاص.

2 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الوضوء (212)، ومسـلم فى صلاة المسافرين (786/222) من حديث عائشة.

3 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى التهجد (1150)، ومسلم فى صلاة المسافرين (784/219) من حديث أنس بن مالك.

فيما بينكم طست شـــموع، ثم قـــال: أين غلامي أبو العباس؟ فتقـدم إليه فقـال: غنـني الصـوت الـذي كنت تغني: (الهزج)

ولما بلغ الحيرة جملي حارا
فقلت احطط ولا نحفل بمن

فغنيته فتغير وألقى الشموع من يده وخرج.

أَخْبَرَنَا ابن ناصر، ثنا هبة الله بن عبد الله الواسطي، نا أبو بكر أحمد بن علي الحافـظ، نا محمد بن أحمد بن أبي الفــوارس، نا الحســين بن أحمد بن عبد الــرحمن الصفار، قال: خـرج الشـبلي يـوم عيد وقد حلق أشـفار عينيه وحاجبيه وتعصب بعصابة وهو يقول: (المجتث)

للناس فطر إني فريد وحيد

أَخْبَرَنَا عبد الــرحمن بن محمــد، نا أحمد بن علي بن ثــابت، نا التنــوخي، ثنا أبو الحسن علي ابن محمد ابن أبي صابر الـدلال، قـال: قـال: وقفت على الشـبلي في قبة الشـعراء في جـامع المنصــور والنــاس مجتمعــون عليه، فوقف عليه في الحلقة غلام جميل لم يكن ببغداد في ذلك الوقت أحسن وجهًا منه، يعــرف با بن مســلم، فقال له: تنح، فلم يبرح، فقال له الثانية: تنح يا شـيطان عنا، فلم يبرح فقال له في الثالثة: تنح وإلا والله خرقت كل ما عليـــك، وكـــانت عليه ثيـــاب في غاية الحسن تساوي جملة كثـيرة، فانصـرف الفـتى، فقـال الشـبلي: (مجزوء الخفيف)

طرحوا اللّحم على ذروتي
ثم لاموا البزاة خلعوا منهم
لو أرادوا ستروا وجهك

قال ابن عقيل: من قـال هـذا فقد أخطأ طريق الشـرع، لأنه يقـول: ما خلق الله عز وجل هـذا الإنسان إلا للافتتـان بـه، وليس كـذلك، وإنما خلقه للاعتبار والامتحان، فإن الشـمس خلقت لتضـيء لا لتعبد.

وبإسـناد عن أحمد بن محمد النهاونـدي يقـول: مات للشـبلي ابن ولـد، كـان اسـمه عليًـا، فجـزّت أمه شعرها عليه، وكان للشبلي لحية كبـيرة فـأمر بحلقها جميعهـا، فقيل لـه: يا أسـتاذ ما حملك على هـذا؟ فقـال: جـزت هـذه شـعرها على مفقـود، ألا أحلق أنا لحيتي على موجود.

وبإسـناد عن عبد الله بن علي السـراج قـال: ربما كـان الشـبلي يلبس ثيابًا مثمنة ثم ينزعها ويضعها فوق النـار، قـال: وذكر عنه أنه أخذ قطعة عنبر فوضعها على النار يبخر بها ذنب الحمار.

وقال بعضهم: دخلت عليه فرأيت بين يديه اللوز والسـكر يحرقه بالنـار. قـال السـراج: إنما أحرقه بالنار لأنه كان يشغله عن ذكر الله.

قلت: اعتذار السراج عنه أعجب من فعله.

قال السراج: وحكي عنه أنه باع عقارًا ففرق ثمنه وكان له عيال فلم يدفع إليهم شيئًا، وسمع قارئًا يقرأ: ﴿**اخْسَئُواْ فِيهَا**﴾. فقال: ليتني كنت واحدًا منهم، قلت: وهذا الرجل ظن أن الذي يكلمهم هو الله تعالى، والله لا يكلمهم، ثم لو كلمهم كلام إهانة فأي شيء هذا حتى يطلب.

قال السراج: وقال الشبلي يومًا في مجلسه: إن لله عبادًا لو بزقوا على جهنم لأطفؤوها.

قلت: وهذا من جنس ما ذكرناه عن أبي يزيد وكلاهما من إناء واحد.

وبإسناد عن أبي علي الدقاق يقول: بلغني أن الشبلي اكتحل بكذا وكذا من الملح ليعتاد السهر ولا يأخذه النوم.

قال المصنف رحمه الله: وهذا فعل قبيح لا يحل لمسلم أن يؤذي نفسه وهو سبب للعمى، ولا تجوز إدامة السهر لأن فيه إسقاط حق النفس، والظاهر أن دوام السهر والتقلل من الطعام أخرجه إلى هذه الأحوال والأفعال.

وبإسناد عن أبي عبد الله الرازي قال: كساني رجل صوفًا فرأيت على رأس الشبلي قلنسوة تليق بذلك الصوف فتمنيتها في نفسي، فلما قام الشبلي من مجلسه التفت إليَّ فتبعته، وكان عادته إذا أراد أن أتبعه يلتفت إليَّ، فلما دخل

داره قال: انزع الصوف، فنزعته، فلفه وطرح القلنسوة عليه ودعا بنار فأحرقهما.

قلت: وقد حكى أبو حامد الغزالي أن الشبلي أخذ خمسين دينارًا فرماها في دجلة وقال: ما أعزك أحد إلا أذله الله، وأنا أتعجب من أبي حامد أكثر من تعجبي من الشبلي، لأنه ذكر ذلك على وجه المدح لا على وجه الإنكار، فأين أثر الفقه؟

وبإسناد عن حسين بن عبد الله القزويني قال: حدثني من كان جالسًا أنه قال: تعذر عليَّ قوت يومًا ولحقني ضرورة، فرأيت قطعة ذهب مطروحة في الطريق فأردت أخذها فقلت: لقطة فتركتها، ثم ذكرت الحديث الذي يروي: «لو أن الدنيا كانت دمًا عبيطًا لكان قوت المسلم منها حلالاً»[1]، فأخذتها وتركتها في فمي ومشيت غير بعيد، فإذا أنا بحلقة فيها صبيان وأحدهم يتكلم إليهم، فقال له واحد: متى يجد العبد حقيقة الصدق؟ فقال: إذا رمى القطعة من الشدق، فأخرجتها من فمي ورميتها.

قال المصنف رحمه الله: لا تختلف الفقهاء أن رميه إياها لا يجوز، والعجب أنه رماها بقول صبي

---

1 (?) موضوع: ذكره ابن عراق فى تنزيه الشريعة 2/199، والسخاوى فى المقاصد الحسنة (898)، والعجلونى فى كشف الخفاء 2/159 وقال: «قال الزركشى: لا أصل له، وتبعه صاحب الدرر، وقال النجم: هو من كلام الفضيل بن عياض».

لا يدري ما قال.

وقد حكى أبو حامد الغـزالي أن شـقيقًا البلخي جـاء إلى أبي القاسم الزاهد وفي طـرف كسـائه شـيء مصـرور فقـال لـه: أي شـيء معـك؟ قـال: لـــوزاتٌ دفعها إليَّ أخ لي وقـــال: أحب أن تفطر عليهــا، فقــال: يا شــقيق وأنت تحــدث نفسك أن تبقى إلى الليل لا كلمتك أبـدًا، فـأغلق البـاب في وجهي ودخل.

قال المصنف رحمه الله: انظروا إلى هـذا الفقه الـــدقيق كيف هجر مســـلمًا على فعل جـــائز بل مندوب لأن الإنسـان مـأمور أن يسـتعد لنفسه بما يفطر عليــه، واســتعداد الشــيء قبل مجيء وقته حزم، ولذلك قال الله عز وجل: **وأعدوا لهم ما اسـتطعتم من قـوة** [الأنفـال: 60]، وقد ادَّخر رسول الله لأزواجه قوت سنة[1]، وجاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله وادخر الباقي ولم ينكر عليه، فالجهل بالعلم أفسد هؤلاء الزهاد.

وبإســناد عن أحمد بن إســحاق العمــاني قــال: رأيت بالهند شـيخًا وكـان يعـرف بالصـابر، قد أتى عليه مائة سنة، قد غمض إحدى عينيه، فقلت لـه: يا صابر ما بلغ من صبرك؟ قال: إني هويت النظر إلى زينة الـــدنيا فلم أحب أن أشـــتفي منهـــا،

[1] (?)

فغمضت عيني منذ ثمانين سنة فلم أفتحها.

وقد حكي لنا عن آخر، أنه فقأ إحدى عينيه، وقال: النظر إلى الدنيا بعينين إسراف.

قلت: كان قصده أن ينظر إلى الدنيا بفرد عين، ونحن نسأل الله سلامة العقول.

وقد حكى يوسف بن أيوب الهَمذاني عن شيخه عبد الله الجوني أنه كان يقول: هذه الدولة ما أخرجتها من المحراب، بل من موضع الخلاء، وقال: كنت أخدم في الخلاء، فبينما أنا يومًا أكنسه وأنظفه قالت لي نفسي: أذهبت عمرك في هذا! فقلت: أنت تأنفين من خدمة عباد الله، فوسعت رأس البئر ورميت نفسي فيها، وجعلت أدخل النجاسة في فمي، فجاءوا وأخرجوني وغسلوني.

قلت: انظروا إلى هذا المسكين، كيف اعتقد جمع الأصحاب خلفه دولة واعتقد أن تلك الدولة إنما حصلت بإلقاء نفسه في النجاسة وإدخالها في فيه، وقد نال بذلك فضيلة أُثيب عليها بكثرة الأصحاب وهذا الذي فعله معصية توجب العقوبة، وفي الجملة: لما فقد هؤلاء العلم كثر تخبيطهم.

وبإسناد عن محمد بن علي الكتاني يقول: دخل الحسين بن منصور مكة في ابتداء أمره، فجهدنا حتى أخذنا مرقعته قال السوسي: أخذنا منها قملة فوزناها فإذا فيها نصف دانق من كثرة رياضته

وشدة مجاهدته.

قلت: انظروا إلى هذا الجاهل بالنظافة التي حث عليها الشرع وأباح حلق الشعر المحظور على المُحْرِم لأجل تأذيه من القمل، وجبر الحظر بالفدية، وأجهل من هذا من اعتقد هذا رياضته.

وبإسناد عن أبي عبد الله بن مفلح يقول: كان عندنا فقير صوفي في الجامع فجاع مرة جوعًا شديدًا، فقال: يا رب إما أن تطعمني، وإما أن ترميني بشرف المسجد، فجاء غراب فجلس على الشرف، فوقعت عليه من تحت رجله آجرة فجرى دمه، وكان يمسح الدم ويقول: إيش تبالي بقتل العالم.

قلت: قتل الله هذا ولا أحياه في مقابلته هذا الاستنباط، هَلاَّ قام إلى الكسب أو إلى الكدية.

وبإسناد عن غلام خليل قال: رأيت فقيرًا يعدو ويلتفت ويقول: أُشهدكم على الله هو ذا يقتلني، وسقط ميتًا.

رأي بعض رجال الصوفية في الملامتية (فصل):

وفي الصوفية قوم يسمون الملامتية، اقتحموا الذنوب وقالوا: مقصودنا أن نسقط من أعين الناس فنسلم من الجاه.

وهـؤلاء قد أسـقطوا جـاههم عند الله لمخالفة الشرع.

قـال: وفي القـوم طائفة يظهـرون من أنفسـهم أقبح ما هم فيه ويكتمون أحسن ما هم عليه.

وفعلهم هذا من أقبح الأشياء، ولقد قال رسول الله «من أتى شـيئًا من هـذه القـاذورات فليسـتتر بستر الله »[1]، وقال في حق مـاعز: «هَلاَّ سـترته بثوبك يا هـذا؟»[2]، واجتـاز على رسـول الله بعض الصـحابة وهو يتكلم مع صـفية زوجته فقـال لهم: «إنها صفية»[3].

وقد علم النـاس التجـافي عن ما يـوجب سـوء الظن فإن المؤمنين شهداء الله في الأرض، وخرج حذيفة إلى الجمعة ففاتته فـــرأى النـــاس وهم راجعــون فاســتتر لئلا يســوء ظن النــاس به وقد قدمنا هذه. وقال أبو بكر الصـديق لرجل قـال لـه: إني لمست امرأة وقبلتهـا، فقـال: تب إلى الله ولا

---

1 (?) صحيح لغيره: أخرجه الحاكم فى المستدرك 4/244، 383 وصححه ووافقه الذهبى، وقد تقدم قريبًا.

2 (?) صحيح لغيره: أخرجه أبو داود فى الحدود (4377)، وأحمد فى المسند 5/216، 217، وصـححه الحـاكم فى المسـتدرك 4/363 ووافقه الذهبى، والبيهقى فى السـنن الكـبرى 8/330، وانظر: تلخيص الحبير 4/68.

3 (?) متفق عليـــه: أخرجه البخـــارى فى الاعتكـــاف (2038)، ومسلم فى السلام (2175/24) من حـديث صـفية زوج النـبى e.

تحدث أحدًا بذلك.

وجـــاء رجل إلى النـــبي وقـــال: إني أتيت من أجنبية ما دون الزنا يا رســول اللــه؟ قــال: «ألم تصل معنـا»؟ قـال: بلى يا رسـول اللـه. قـال: «ألم تعلم أن الصلاتين تُكَفِّرُ ما بينهما؟»[1].

وقال رجل لبعض الصحابة: إني فعلت كذا وكـذا من الذنوب، فقال: لقد سـتر الله عليك لو سـترت على نفسك[2]. فهـؤلاء قد خـالفوا الشـريعة وأرادوا قطع ما جُبلت عليه النفوس.

من اندس في الصوفية من أهل الإباحة

(فصل)

وقد اندس في الصـوفية أهل الإباحـة، فتشـهبوا بهم حفظًا لـــــدمائهم، وهم ينقســــمون إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: كفار.

فمنهم: قوم لا يقرون ب الله سـبحانه وتعـالى، ومنهم: من يقر به ولكن يجحد النبوة ويرى أن ما

---

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الحدود (6823)، ومسلم فى التوبة (2764/44) من حديث أنس بن مالك.
وفى الباب عن أبى أمامة، وعبد الله بن مسعود، انظر مسـلم فى التوبة (2765/45)، (2763/39) وغيره.

2 (?) صحيح: أخرجه مسـلم فى التوبة (2763/42) من حـديث ابن مسعود قول عمر للرجل الذى جاء إلى النبى e يسأله عن ذنبه.

جـاء به الأنبيـاء محـال، وهـؤلاء لما أرادوا إمـراح أنفسـهم في شـهواتها لم يجـدوا شـيئًا يحقنـون به دماءهم ويستترون به وينالون فيه أغراض النفـوس كمـذهب التصـوف، فـدخلوا فيه ظـاهرًا وهم في الباطن كفرة، وليس لهؤلاء إلا السيف لعنهم الله.

والقسم الثـاني: قـوم يقـرون بالإسـلام إلا أنهم ينقســـمون قســـمين: القسم الأول: يقلـــدون في أفعـالهم لشـيوخهم من غـير اتبـاع دليل ولا شـبهة فهم يفعلون ما يأمرونهم به وما رأوهم عليه.

القسم الثالث: قوم عَرَضَتْ لهم شبهات فعملـوا بمقتضاها، والأصل الذي نشـأت منه شـبهاتهم أنهم لما همـوا بـالنظر في مـذاهب النـاس لبّس عليهم إبليس فـــأراهم أن الشـــبهة تعـــارض الحجج وأن التميـيز يعسـر، وأن المقصـود أجـلّ من أن ينـال بـــالعلم؛ وإنما الظفر به رزق يســـاق إلى العبد لا بـالطلب، فسد عليهم بـاب النجـاة الـذي هو طلب العلم، فصـــاروا يبغضـــون اسم العلم كما يبغض الرافضي اسم أبي بكر وعمر.

ويقولـون: العلم حجـاب والعلمـاء محجوبـون عن المقصــود بــالعلم، فــإن أنكر عليهم عــالم قــالوا لأتبــاعهم: هــذا موافق لنا في البــاطن وإنما يظهر ضد ما نحن فيه للعوام الضعاف العقول، فـإن جد في خلافهم قـالوا: هـذا أبله مقيد بقيـود الشـريعة

محجـوب عن المقصـود، ثم عملـوا على شـبهات وقعت لهم، ولو فطنوا لعلمـوا أن عملهم بمقتضى شـبهاتهم علم، فقد بطل إنكـارهم العلم، وأنا أذكر شبهاتهم وأكشفها إن شـاء الله تعـالى، وهي ست شبهات:

الشـــبهة الأولى: أنهم قـــالوا: إذا كـــانت الأمـــور مقـدرة في القـدم وأن أقوامًا خصـوا بالسـعادة، وأقوامًا بالشقاوة، والسـعيد لا يشـقى، والشـقي لا يسعد، والأعمال لا تراد لذاتها بل لاجتلاب السعادة ودفع الشقاوة، وقد سبقنا وجود الأعمـال، فلا وجه لإتعاب النفس في عمل، ولا نكفها عن ملذوذ لأن المكتوب في القدر واقع لا محالة.

والجواب عن هذه الشبهة: أن يقال لهم: هذا رد لجميع الشرائع وإبطال لجميع أحكام الكتب وتبكيت للأنبيـاء كلهم فيما جـاءوا بـه، لأنه إذا قـال في القرآن ﴿**أن أقيموا الصلاة**﴾، قال القائـل: لمـاذا؟ إن كنت سـعيدًا فمصـيري إلى السـعادة وإن كنت شـقيًا فمصـيري إلى الشـقاوة، فما تنفعـني إقامة الصلاة؟

وكذلك إذا قـال: ﴿**وَلاَ تَقْرَبُواْ الـزِّنَى**﴾، يقـول القائـل: لمـاذا أمنع نفسي ملـذوذها، والسـعادة والشقاوة مقضيتان قد فرغ منهما، وكـان لفرعـون أن يقول لموسى حين قال له: ﴿**هل لك إلى أن**

تــزكى [النازعــات: 18]، مثل هــذا الكلام، ثم يــترقى إلى الخــالق فيقــول: ما فائــدة إرســالك الرسل وســيجري ما قدرتــه؟ وما يفضي إلى رد الكتب وتجهيل الرسل محال باطل، ولهذا كـان رد الرسول على أصحابه حين قـالوا: ألا نتكـل، فقـال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»(1).

وَاعْلَمْ أن للآدمي كســبًا هو اختيــاره فعليه يقع الثواب والعقاب، فـإذا خـالف تـبين لنا أن الله عز وجل قضى في السـابق بـأن يخالفـه، وإنما يعاقبه على خلافه لا على قضـائه، ولهـذا يقتل القاتل ولا يعتذر له بالقدر، وإنما ردهم الرسـول عن ملاحظة القــدر إلى العمل لأن الأمر والنهي حــال ظــاهر، والمقــدر من ذلك أمر بــاطن وليس لنا أن نــترك ما عرفنـــــــــاه من تكليف إلى ما لا نعلمه من المقضي وقوله: «فكلّ ميسر لما خلق لــه» إشـارة إلى أسباب القـدر، فإنه من قضى له بـالعلم يسر له طلبه وحبه وفهمــه، ومن حكم له بالجهل نــزع حب العلم من قلبــه، وكـــذلك من قضى له بولد يسر له النكـــاح، ومن لم يقض له بولد لم ييسر له.

الشـــبهة الثانيـــة: أنهم قـــالوا: إن الله عز وجل مستغن عن أعمالنا غير متأثر بها معصية كانت أو

---

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى القدر (6605)، ومسـلم فى القدر (2647/7) من حديث علىّ بن أبى طالب.

طاعة فلا ينبغي أن نتعب أنفسنا في غير فائدة.

وجـواب هـذه الشـبهة: أن نجيب أولاً بـالجواب الأول، ونقـول: هـذا رد على الشـرع فيما أمر به فكأننا قلنا للرسول وللمرسل: لا فائـدة فيما أمرتنا بـه، ثم نتكلم عن الشـبهة فنقـول: من يتـوهم أن الله جل وعلا ينتفع بطاعة أو يتضـرر بمعصـية أو ينـال بـذلك غرضًـا فما عـرف الله جل جلاله لأنه مقـدس عن الأغـراض ومن انتفـاع أو ضـرر، وإنما نفع الأعمال تعود على أنفسنا كما قال عز وجـل: ﴿**ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه**﴾ [العنكبـوت: 6]. ﴿**ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه**﴾ [فاطر: 18]، وإنما يأمر الطبيب المريض بالحمية لمصلحة المـريض لا لمصـلحة الطـبيب، وكما أن للبـدن مصـالح من الأغذية ومضـار فللنفس مصـالح من العلم والجهل والاعتقاد والعمل، فالشـرع كـالطبيب فهو أعرف بما يأمر به من المصالح.

هذا مذهب من علَّل، وأكثر العلماء قالوا: أفعاله لا تعلل.

وجـواب آخـر: وهو أنه إذا كـان غنيًا عن أعمالنا كـان غنيًا عن معرفتنا لـه، وقد أوجب علينا معرفتـه، فكـذلك أوجب طاعتـه، فينبغي أن تنظر إلى أمره لا إلى الغرض بأمره.

الشـبهة الثالثـة: قـالوا: قد ثبت سـعة رحمة الله

سبحانه وتعالى وهي لا تعجز عنا، فلا وجه لحرمان نفوسنا مرادها.

فالجواب كالجواب الأول، لأن هذا القول يتضمن اطراح ما جاء به الرسل من الوعيد، وتهوين ما شددت في التحذير منه في ذلك، وبالغت في ذكر عقابه.

ومما يكشف التلبيس في هذا أن الله عز وجل كما وصف نفسه بالرحمة وصفها بشديد العقاب، ونحن نرى الأولياء والأنبياء يبتلون بالأمراض والجوع ويؤخذون بالزلل وكيف وقد خافه من قطع له بالنجاة، فالخليل يقول يوم القيامة: نفسي نفسي، والكليم يقول: نفسي نفسي، وهذا عمر رضي الله عنه يقول: الويل لعمر إن لم يغفر له.

وَاعْلَمْ أن من رجا الرحمة تعرض لأسبابها، فمن أسبابها التوبة من الزلل، كما أنّ من رجا أن يحصد زرع، وقد قال الله عز وجل: **إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله** [البقرة: 218]، يعني أن الرجاء بهؤلاء يليق، وأما المصرون على الذنوب وهم يرجون الرحمة فرجاؤهم بعيد، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «الكَيِّسُ من دان نفسه وعمل لما بعد الموت،

والعـــــاجز من أتبع نفسه هواها وتمنّى على الله الأماني»[1].

وقد قال معـروف الكـرخي: رجـاؤك لرحمة من لا تطيعه خذلان وحمق.

وَاعْلَمْ أنه ليس في الأفعـال الـتي تصـدر من الحق سـبحانه وتعـالى ما يـوجب أن يـؤمن عقابه إنما في أفعاله الـتي تصـدر من الحق سـبحانه وتعالى ما يـوجب أن يـؤمن عقابه إنما في أفعاله ما يمنع اليأس من رحمتـه، وكما لا يحسن اليـأس لما يظهر من لطفه في خلقه لا يحسن الطمع لما يبـــدو من إخزاله وانتقامه فـــإن من قطع أشرف عضو بربع دينـار لا يـؤمن أن يكـون عقابه غدًا هكذا.

الشـــبهة الرابعـــة: أن قومًا منهم وقع لهم أن المراد رياضة النفوس ليخلص من أكدارها المُرْدِية، فلما راضوها مـدة ورأوا تعـذر الصـفا قـالوا: ما لنا نتعب أنفســنا في أمر لا يحصل لبشــر، فــتركوا العمل. وكشف هذا التلـبيس أنهم ظنـوا أن المـراد قمع ما في البـواطن من الصـفات البشـرية مثل

---

[1] (?) حسن لغيره: أخرجه الترمـذى فى صـفة القيامة (2459) وقـال: «هـذا حـديث حسـن»، وابن ماجه فى الزهد (4260)، وأحمد فى المسـند 4/124، وصـححه الحـاكم فى المسـتدرك 1/57، وقـال الـذهبى: «لا واللـه، أبو بكر واه»، والـبيهقى فى السنن الكبرى 3/369.

قمع الشهوة والغضب وغير ذلك، وليس هذا مــراد الشــرع ولا يتصــور إزالة ما في الطبع بالرياضــة، وإنما خلقت الشهوات لفائدة إذ لولا شهوة الطعام هلك الإنسان، ولولا شهوة النكاح انقطع النسل.

ولــولا الغضب لم يــدفع الإنســان عن نفسه ما يؤذيه، وكذلك حب المــال مركــوز في الطبــاع لأنه يوصل إلى الشـــهوات، وإنما المـــراد من الرياضة كف النفس عما يـــؤذي من جميع ذلك وردها إلى الاعتــدال فيــه، وقد مــدح الله عز وجل من نهى النفس عن الهـــوى وإنها تنتهي عما تطلبـــه، ولو كــان طلبه قد زال عن طبعها ما احتــاج الإنســان إلى نهيها، وقد قــال الله عز وجــل: **والكــاظمين الغيظ** [آل عمــران: 134]، وما قــال: والفاقــدين الغيظ، والكظم: رد الغيظ، يقــال: كظم البعــير على جرته إذا ردها في حلقـــه، فمـــدح من رد النفس عن العمل بمقتضى هيجان الغيــظ، فمن ادعى أن الرياضة تغير الطباع ادعى المحال، وإنما المقصــود بالرياضة كسر شِـــرَّه شـــهوة النفس والغضب لا إزالة أصلها، والمرتاض كالطبيب العاقل عند حضور الطعام يتناول ما يصلحه ويكف عما يؤذيه، وعــادم الرياضة كالصبي الجاهل يأكل ما يشتهي ولا يبــالي بما جنى.

الشــبهة الخامســة: أن قومًا منهم أدامــوا على الرياضة مــدة فــرأوا أنهم قد تجــوهروا، فقــالوا: لا

نبـــالي الآن عما علمنـــا، وإنما الأوامر والنـــواهي رسوم للعوام، ولو تجوهروا لسقطت عنهم، قـالوا: وحاصل النبـــــوة ترجع إلى الحكمة والمصـــــلحة، والمــراد منها ضــبط العــوام، ولســنا من العــوام فنـدخل في حَجْـرِ التكليف لأنا قد تجوهرنا وعرفنا الحكمة.

وهــؤلاء قد رأوا أن من أثر جـــوهرهم ارتفـــاع الحمية عنهم حـتى إنهم قـالوا: إن رتبة الكمـال لا تحصل إلا لمن رأى أهله مع أجنـــبي فلم يقشـــعر جلــده، فــإن اقشــعر جلــده فهو ملتفت إلى حظ نفسه ولم يكمل بعد إذ لو كمل لمـــاتت نفســـه. فسموا الغـيرة نفسًا، وسـموا ذهـاب الحمية الـذي هو وصف المخانيث كمال الإيمان.

قد ذكر ابن جرير في «تاريخـــــه» أن الراوندية كــانوا يســتحلون الحرمــات، فيــدعو الرجل منهم الجماعة إلى بيته فيطعمهم ويســـــــقيهم ويحملهم على امرأته.

وكشف هـــذه الشـــبهة أنه ما دامت الأشـــباح قائمة فلا ســبيل إلى تــرك الرســوم الظـاهرة من التعبد، فإن هذه الرسوم وضـعت لمصـالح النـاس، وقد يغلب صــفاء القلب على كــدر الطبــاع إلا أن الكدر يرسب مع الـدوام على الخـير ويركـد، فأقل شــيء يحركه كالمــدرة تقع في المــاء الـذي تحته

حمأة، وما مثل هذا الطبع إلا كالماء يجري بسفينة النفس، والعقل مـداد، ولو أن المـداد مد عشـرين فرسخًا ثم أهمل، عادت السفينة تنحدر.

ومن ادعى تغير طبعه كذب، ومن قـال: إني لا أنظر إلى المستحسـنات بشـهوة لم يصـدق، كيف وهؤلاء لو فـاتتهم لقمة أو شـتمهم شـاتم تغـيروا؟ فأين تأثير العقل والهوى يقـودهم، وقد رأينا أقوامًا منهم يصافحون النسـاء وقد كـان رسـول الله وهو المعصوم لا يصافح المرأة[1].

وبلغنا عن جماعة منهم أنهم يؤاخـــون النســـاء ويخلــون بهن ثم يــدّعون الســلامة، وقد رأوا أنهم يسلمون من الفاحشة وهيهات، فـأين السـلامة من إثم الخلــوة المحرمة والنظر الممنــوع منــه؟ وأين الخلاص من جولان الفكر الـرديء؟ وقد قـال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو خلا عظمان نخران لهمّ أحدهما بالآخر، يشير إلى الشيخ والعجوز.

وبإســناد عن ابن شــاهين قــال: ومن الصــوفية قوم أباحوا الفروج بادعـاء الأخـوة، فيقـول أحـدهم للمـرأة: تؤاخيـني على تـرك الاعـتراض فيما بيننـا،

---

[1] (?) صحيح: أخرجه الترمذى فى السير (1597) وقال: «حسن صحيح»، والنسائى فى البيعة (4192)، وابن ماجه فى الجهـاد (2874)، ومالك فى الموطأ فى البيعة (2)، وأحمد فى المســند 6/454، 459 كلهم من حــديث أميمة بنت رقيقــة. وانظر: الصحيحة (529، 530).

قلت: وقد روى لنا أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم في كتاب «رياضة النفـوس» قـال: روي لنا أن سـهل بن علي المـروزي كـان يقـول لامــرأة أخيه وهي معه في الــدار: اســتتري مــني زمانًا، ثم قال لها: كوني كيف شئت. قال الترمذي: وكان ذلك منه حين وجد شهوته قَلَّتْ.

أما مــوت الشــهوة هــذا لا يتصــور مع حيــاة الآدمي وإنما يضــعف، والإنســان قد يضــعف عن الجماع، ولكنه يشتهي اللمس والنظر.

ثم يُقَــدِّر أن جميع ذلك ارتفع عنــه، أليس نهى الشرع عن النظر؟ والنظر باق، وهو عام.

وقد أخبرنا ابن ناصر بإســناد عن أبي الــرحمن السلمي قال: قيل لأبي نصر، النصراباذي، أن بعض النــاس يجــالس النســوان ويقــول: أنا معصــوم في رؤيتهن، فقــال: مــادامت الأشــباح قائمة فــإن الأمر والنهي بــاقٍ والتحليل والتحــريم مخــاطب به ولن يجترىء على الشبهات إلا من يتعرض للمحرمات.

وقد قــــال أبو علي الروزبــــاري وســــئل عمن يقــــول: وصــــلت إلى درجة لا تــــؤثر فيَّ اختلاف الأحوال، فقال: قد وصل ولكن إلى سقر.

وبإسناد عن الجريري، يقول: سـمعت أبا القاسم الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة، فقال الرجل: أهل المعرفة ب الله يصــلون إلى تــرك الحركــات من

بـــاب الـــبر والتقـــرب إلى الله عز وجـــل، فقـــال الجنيد: إن هذا قول قوم تكلموا بإسـقاط الأعمـال، وهذه عندي عظيمة، والذي يسـرقُ ويـزني أحسـنُ حالاً من الـذي يقـول هـذا، وإن العـارفين ب الله أخـــذوا الأعمـــال عن الله وإليه رجعـــوا فيهـــا، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال الـــبر ذرة إلا أن يحـــال بي دونهـــا، لأنه أوكد في معرفـــتي به وأقوى في حالي.

وبإسناد عن أبي محمد المرتعش يقول: سـمعت أبا الحسين النوري يقول: من رأيته يــدعي مع الله عز وجل حالة تخرجه عن حد علم شـــــــرعي فلا تقربنه، ومن رأيته يدعي حالة باطنة لا يــدل عليها ويشهد لها حفظ ظاهر فاتهمه على دينه.

الشبهة السادســة: أن أقوامًا بــالغوا في الرياضة فرأوا ما يشبه نوع كرامات أو منامات صـالحة، أو فتح عليهم كلمـــات لطيفة أثمرها الفكر والخلـــوة، فاعتقدوا أنهم قد وصلوا إلى المقصود، وقد وصلنا فما يضـــرنا شـــيء، ومن وصل إلى الكعبة انقطع عن الســـير، فـــتركوا الأعمـــال إلا أنهم يزينـــون ظـــواهرهم بالمرقعة والســـجادة والـــرقص والوجد ويتكلمـــون بعبـــارات الصـــوفية في المعرفة والوجد والشوق وجوابهم: هو جواب الذين قبلهم.

قـــال ابن عقيـــل: اعلم أن النـــاس شـــردوا على

الله عز وجل وبعــــــدوا عن وضع الشـــــرع إلى أوضاعهم المخترعة.

فمنهم من عبد ســواه تعظيمًا له عن العبــادة، وجعلوا تلك وسائل على زعمهم.

ومنهم من وحَّد إلا أنه أسـقط العبـادات وقـال: هذه أشياء نصبت للعوام لعدم المعارف، وهذا نوع شـــرك، لأن الله عز وجل لما عـــرف أن معرفته ذات قعر بعيد وجو عـــال، وبعيد أن يتقي من لم يعــرف خــوف النــار، لأن الخلق قد عرفــوا قــدر لـــذعها، وقـــال لأهل المعرفـــة: ﴿**ويحـــذركم الله نفسه**﴾ [آل عمران: 28].

وعُلِمَ أن المتعبــــــــدات أكثرها تقتضي الإنس بالأمثـال ووضع الجهـات والأمكنة والأبنية والحجـارة للأنساك والاستقبال، فأبـان عن حقـائق الإيمـان به فقـال: ﴿**وليس الـبر أن تولـوا وجـوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله**﴾ [البقرة: 177]، وقال: ﴿**لن ينال الله لحومها ولا دماؤها**﴾ [الحج: 37] فعلم أن المعــــــــول على المقاصد، ولا يكفي مجرد المعارف من غير امتثال كما تعول عليه الملحدة الباطنية وشطاح الصوفية.

وبإســناد عن أبي القاسم بن علي بن المحسن التنــوخي عن أبيه قـــال: أخـــبرني جماعة من أهل العلم أن بشـــــيراز رجل يعـــــرف با بن خفيف

البغدادي شيخ الصوفية هناك يجتمعـون إليه ويتكلم على الخطـرات والوسـاوس ويحضر حلقته ألـوف من النـاس وأنه فـاره فَهِمٌ حـاذق، فاسـتغوى الضعفاء من الناس إلى هذا المـذهب. قـال: فمـات رجل منهم من أصـحابه وخلف زوجة صـوفية فـاجتمع النسـاء الصـوفيات وهن خلق كثـير، ولم يختلط بمأتمها غـيرهن، فلما فرغـوا من دفنه دخل ابن خفيف وخـواص أصـحابه وهم عـدد كثـير إلى الـدار، وأخذ يعـزي المـرأة بكلام الصـوفية إلى أن قـالت: قد تعـزيت. فقـال لهـا: ههنا غـير. فقـالت: لا غير، قال: فما معنى إلزام النفوس آفـات الغمـوم، وتعذيبها بعذاب الهموم، ولأي معنى نـترك الامـتزاج لتلتقي الأنوار وتصفو الأرواح ويقع الإخلافات وتنزل البركات. قال: فقلن النساء: إذا شئت، قـال: فاختلط جماعة الرجـال بجماعة النسـاء طـول ليلتهم، فلما كان سحر خرجوا.

قـال المحسـن: قولـه: ههنا غـير، أي: ههنا غـير موافق المذهب، فقالت: لا غـير، أي: غـير مخـالف، وقولـه: نـترك الامـتزاج، كناية عن الممازجة في الوطء، وقولـه: لتلتقي الأنـوار، عنـدهم أن في كل جسم نـورًا إلهيًـا. وقولـه: إخلافـات: أي يكـون لكن خلف ممن مات أو غاب من أزواجكن.

قـال المحسـن: وهـذا عنـدي عظيم ولـولا أن جماعة أخـبروني يبعـدون عن الكـذب ما حكيته

لعظمه عنــدي، واســتبعاد مثله أن يجــري في دار الإسلام، قال: وبلغني أن هذا ومثله شاع حــتى بلغ عضد الدولـــة، فقبض على جماعة منهم وضـــربهم بالسياط وشرد جموعهم فكفوا.

ذم ابن عقيل للصوفية وحكايته أفعالهم:

نقد مسالك الصوفية في تأويلاتهم

ولما قَلَّ علم الصوفية بالشرع فصدر منهم من الأفعال والأقوال ما لا يحل مثل ما قد ذكرنـــا، ثم تشبه بهم من ليس منهم وتسمى بأسمائهم وصدر عنهم مثل ما قد حكينا، وكان الصالح منهم نــادرًا، ذمهم خلق من العلمـــاء وعـــابوهم حـــتى عـــابهم مشائخهم.

وبإسناد عن عبد الملك بن زياد النصيبي، قــال: كنا عند مالك فـــذكرت له صـــوفيين في بلادنـــا، فقلت له: يلبسون فواخر ثياب اليمن ويفعلون كذا. قــال: ويحك ومســلمين هم؟ قــال: فضــحك حــتى استلقى، قــال: فقــال لي بعض جلســائه: يا هــذا ما رأينا أعظم فتنة على هذا الشــيخ منــك، ما رأينــاه ضاحكًا قط.

وبإســناد عن يــونس بن عبد الأعلى قــال: ســمعت الشافعي يقول: لو أن رجلاً تصــوف أول النهــار لا يــأتي الظهر حتى يصــير أحمــق. وعنه أيضًــا أنه قــال: ما لــزم أحد الصــوفية أربعين يومًا فعــاد عقله إليه أبــدًا، وأنشد

الشافعي: (الكامل)

ودَعِ الذين إذا أتوك   وإذا خلوا كانوا

وبإسناد عن حاتم قال: حدثنا أحمد بن أبي الحواري، قال: قال أبو سليمان: ما رأيت صوفيًا فيه خير إلا واحدًا عبد الله بن مرزوق. قال: وأنا أرق لهم.

وبإسناد عن يونس بن عبد الأعلى يقول: ما رأيت صوفيًا عاقلاً إلا إدريس الخولاني. قال السلمي: هو مصري من قدماء مشايخهم قبل ذي النون.

وبإسناد عن يونس بن عبد الأعلى، يقول: صحبت الصوفية ثلاثين سنة ما رأيت فيهم عاقلاً إلا مسلم الخواص.

وبإسناد عن أحمد بن أبي الحواري يقول: حدثنا وكيع قال: سمعت سفيان يقول: سمعت عاصمًا يقول: مازلنا نعرف الصوفية بالحماقة إلا أنهم يستترون بالحديث.

وبإسناد عن سفيان عن عاصم يقول: قال لي وكيع: لِمَ تركت حديث هشام. قلت: صحبت قومًا من الصوفية وكنت بهم معجبًا. فقالوا: إن لم تمح حديث هشام قاطعناك فأطعتهم، قال: إن فيهم حمقًا.

وبإسناد عن يحيى بن يحيى قال: الخوارج أحب إليَّ من الصوفية.

وبإسناد عن يحيى بن معاذ يقول: اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس: العلماء الغافلين، والفقراء المداهنين، والمتصوفة الجاهلين. وقد ذكرنا في أول ردنا على الصوفية من هذا الكتاب: أن الفقهاء بمصر أنكروا على ذي النون ما كان يتكلم به، وببسطام على أبي يزيد وأخرجوه، وأخرجوا أبا سليمان الداراني. وهرب من أيديهم أحمد بن أبي الحواري وسهل التستري، وذلك لأن السلف كانوا ينفرون من أدنى بدعة ويهجرون عليها تمسكًا بالسنة. ولقد حدثني أبو الفتح بن السامري، قال: جلس الفقهاء في بعض الأربطة للعزاء بفقيه مات فأقبل الشيخ أبو الخطاب الكلوذاني الفقيه متوكئًا على يدي حتى وقف بباب الرباط وقال: يعز عليَّ لو رآني بعض أصحابنا ومشايخنا القدماء وأنا أدخل هذا الرباط. قلت: على هذا كان أشياخنا. فأما في زماننا هذا فقد اصطلح الذئب والغنم.

قال ابن عقيل: نقلته من خطه وأنا أذم الصوفية لوجوه يوجب الشرع ذم فعلها. منها أنهم اتخذوا مناخ البطالة وهي الأربطة فانقطعوا إليها عن الجماعات في المساجد فلا هي مساجد ولا بيوت ولا خانات وصمدوا فيها للبطالة عن أعمال المعاش وبدنوا أنفسهم بدن البهائم للأكل والشرب

والرقص والغناء، وعولوا على الترقيع المعتمد به التحسين تلميعًا المشاوذ بألوان مخصوصة أوقع في نفوس العوام والنسوة من تلميع السقلاطون بألوان الحرير.

واستمالوا النسوة والمردان بتصنع الصور واللباس، فما دخلوا بيتًا فيه نسوة فخرجوا إلا عن فساد قلوب النسوة على أزواجهن، ثم يقبلون الطعام والنفقات من الظلمة والفجار وغاصبي الأموال كالعداد والأجناد وأرباب المكوس، ويستصحبون المردان في السماعات يجلبونهم في الجموع مع ضوء الشموع، ويخالطون النسوة الأجانب ينصبون لذلك حجة إلباسهن الخرقة، ويستحلون بل يوجبون اقتسام ثياب من طرب فسقط ثوبه، ويسمون الطرب وجدًا، والدعوة وقتًا، واقتسام ثياب الناس حكمًا، ولا يخرجون عن بيت دعوا إليه إلا عن إلزام دعوة أخرى يقولون أنها وجبت، واعتقاد ذلك كفر وفعله فسوق.

ويعتقدون أن الغناء بالقضبان قربة، وقد سمعنا عنهم أن الدعاء عند حُدُوِّ الحادي وعند حضور المخذة مجاب اعتقادًا منهم أنه قربة، وهذا كفر أيضًا لأن من اعتقد المكروه والحرام قربة كان بهذا الاعتقاد كافرًا، والناس بين تحريمه وكراهيته، ويسلمون أنفسهم إلى شيوخهم، فإن عولوا إلى مرتبة شيخه قيل: الشيخ لا يعترض عليه. فحد من

حل رسن ذلك الشـــيخ وانحطاطه في ســـلك الأقوال المتضمنة للكفر والضلال المسـمى شـطحًا وفي الأفعـال المعلومة كونها في الشـريعة فسـقًا. فإن قبّل أمردًا، قيل: رحمة، وإن خلا بأجنبية، قيل: بنته، وقد لبست الخرقة، وإن قسم ثوبًا على غـير أربابه من غير رضا مالكه، قيل: حكم الخرقة.

وليس لنا شـيخ نسـلم إليه حالـه، إذ ليس لنا شـيخ غـير داخل في التكليـف، وأن المجـانين والصـبيان يضـرب على أيـديهم، وكـذلك البهـائم، والضـرب بـدل من الخطـاب، ولو كـان لنا شـيخ يسلم إليه حاله لكان ذلك الشيخ أبا بكر الصـديق رضي الله عنه، وقد قال: إن اعـوججت فقومـوني، ولم يقل فسـلموا إليَّ. ثم انظر إلى الرسـول صلوات الله عليه كيف اعترضوا عليـه؟ فهـذا عمر يقول: ما بالنا نقصر وقد أمِنَّا؟[1].

وآخر يقول: تنهانا عن الوصـال وتواصـل؟، وآخر يقول: أمرتنا بالفسخ ولم تفسخ ثم إن الله تعـالى تقـول له الملائكـة: ﴿**أتجعل فيها**﴾ [البقـرة: 30]، ويقول موسى: ﴿**أتهلكنا بما فعل السفهاء منا**﴾ [الأعراف: 155].

وإنما هذه الكلمة جعلها الصوفية ترفيهًا لقلـوب المتقدمين، وسلطنة سلكوها على الأتباع والمريدين

---

1 (?) صحيح: أخرجه مسلم فى صلاة المسافرين (686/4).

كما قال تعالى: ﴿**فاستخف قومه فأطاعوه**﴾ [الزخرف: 54].

ولعل هذه الكلمة من القائلين منهم بأن العبد إذا عرف لم يضره ما فعل. وهذه نهاية الزندقة لأن الفقهاء أجمعوا على أنه لا حالة ينتهي إليها العارف إلا ويضيق عليه التكليف، كأحوال الأنبياء يضايقون في الصغائر.

فالله الله في الإصغاء إلى هؤلاء الفُرَّغ الخالين من الإثبات، وإنما هم زنادقة جمعوا بين مدارع العمال مرقعات وصوفًا، وبين أعمال الخلعاء الملحدة أكلًا وشربًا ورقصًا وسماعًا وإهمالًا لأحكام الشرع. ولم تتجاسر الزنادقة أن ترفض الشريعة حتى جاءت المتصوفة فجاؤوا بوضع أهل الخلاعة.

فأول ما وضعوا أسماء وقالوا: حقيقة وشريعة. وهذا قبيح لأن الشريعة ما وضعه الحق لمصالح الخلق، فما الحقيقة بعدها سوى ما وقع في النفوس من إلقاء الشياطين، وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرور مخدوع.

وإن سمعوا أحدًا يروي حديثًا قالوا: مساكين أخذوا علمهم ميتًا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت. فمن قال: حدثني أبي عن جدي قلت: حدثني قلبي عن ربي، فهلكوا وأهلكوا بهذه الخرافات قلوب الأغمار، وأنفقت عليهم

لإجلها الأموال.

لأن الفقهاء كالأطباء، والنفقة في ثمن الدواء صعبة، والنفقة على هؤلاء كالنفقة على المغنيات. وبغضهم الفقهاء أكبر الزندقة، لأن الفقهاء يحظرونهم بفتاويهم عن ضلالهم وفسقهم. والحق يثقل كما تثقل الزكاة، وما أخف البذل على المغنيات وإعطاء الشعراء على المدائح.

وكذلك بغضهم لأصحاب الحديث، وقد أبدلوا إزالة العقل بالخمر بشيء سموه الحشيش والمعجون، والغناء المحرم سموه السماع والوجد، والتعرض بالوجد المزيل للعقل حرام. كفى الله الشريعة شر هذه الطائفة الجامعة بين دهمثة في اللبس وطيبة في العيش وخداع بألفاظ معسولة، ليس تحتها سوى إهمال التكليف وهجران الشرع، ولذلك خفوا على القلوب، ولا دلالة على أنهم أرباب باطل أوضح من محبة طباع الدنيا لهم، كمحبتهم أرباب اللهو والمغنيات.

قال ابن عقيل: فإن قال قائل: هم أهلُ نظافة ومحاريب وحسن سمت وأخلاق. قال: فقلت لهم: لو لم يضعوا طريقة يجتذبون بها قلوب أمثالكم لم يدم لهم عيش، والذي وصفتهم به رهبانية النصرانية، ولو رأيت نظافة أهل التطفيل على الموائد ومخانيث بغداد ودماثة المغنيات لعلمت أن

طـــريقهم طريقة الفكاهة والخـــداع، وهل يخـــدع الناس إلا بطريقة أو لسـان، فـإذا لم يكن للقـوم قـدم في العلم ولا طريقة فبم (ذا) يجتـذبون (بـه) قلوب أرباب الأموال.

وَاعْلَمْ أن حمل التكليف صعب، ولا أسهل على أهل الخلاعة من مفارقة الجماعـــة، ولا أصـــعب عليهم من حجر ومنع صـــدر عن أوامر الشـــرع ونواهيـه، وما على الشـريعة أضـرّ من المتكلمين والمتصـــوفين، فهـــؤلاء يفســـدون عقائد النـــاس بتوهيمات شبهات العقول، وهؤلاء يفسدون الأعمال ويهدمون قوانين الأديـان، يحبـون البطـالات وسـماع الأصـوات، وما كـان السـلف كـذلك، بل كـانوا في باب العقائد عبيد تسليم، وفي البـاب الآخر أربـاب جد.

قال: ونصـيحتي إلى إخـواني أن لا يقـرع أفكـار قلـوبهم كلام المتكلمين ولا تصـغي مسـامعهم إلى خرافات المتصوفين، بل الشغل بالمعاش أولى من بطالة الصوفية، والوقوف على الظواهر أحسن من توغل المنتحلة، وقد خـبرت طريقة الفـريقين فغاية هؤلاء الشك، وغاية هؤلاء الشطح.

قـال ابن عقيـل: والمتكلمـون عنـدي خـير من الصـــوفية، لأن المتكلمين قد يزيلـــون الشـــك، والصوفية يوهمون التشبيه. فأكثر كلامهم يشـير إلى

إسقاط السفارة والنبوات. فـإذا قـالوا عن أصـحاب الحــديث قــالوا: أخــذوا علمهم ميتًا عن ميت. فقد طعنوا في النبوات وعَوَّلُوا على الواقع. ومتى أُزْرِيَ على طريق سقط الأخذ به.

ومن قال: حدثني قلبي عن ربي فقد صـرح أنه غـني عن الرسـول، ومن صـرح بـذلك فقد كفـر، فهــذه كلمة مدسوسة في الشــريعة تحتها هــذه الزندقــة، ومن رأينــاه يُـزري على النقل علمنا أنه عطل أمر الشـرع، وما يـؤمن هـذا القائـل: حـدثني قلبي عن ربي أن يكون ذلك من إلقاء الشـياطين فقد قـــال الله عز وجـــل: ﴿**وإن الشـــياطين ليوحون إلى أوليائهم**﴾ [الأنعام: 121]. وهــذا هو الظاهر لأنه ترك الـدليل المعصـوم وعـول على ما يلقى في قلبه الـــــذي لم تثبت حراســـــته من الوساوس وهؤلاء يسمون ما يقربهم خاطرًا.

قال: والخـوارج على الشـريعة كثـير، إلا أن الله عز وجل يؤيـــدها بالنقلة الحفـــاظ الـــذابين عن الشــريعة حفظًا لأصــلها، وبالفقهــاء لمعانيهــا: وهم سلاطين العلماء لا يتركون لكذاب رأسًا ترتفع.

قـال ابن عقيـل: والنـاس يقولـون: إذا أحب الله خراب بيت تاجر عاشر الصوفية.

قال: وأنا أقـول: وخـراب دينـه، لأن الصـوفية قد أجـازوا لبس النسـاء الخرقة من الرجـال الأجـانب،

فـإذا حضـروا السـماع والطـرب فربما جـرى في خلال ذلك مغـــازلات واســـتخلاء بعض الأشـــخاص ببعض، فصارت الدعوة عرسًا للشخصين، فلا يخرج إلا وقد تعلق قلب شــخص بشــخص، ومــال طبع إلى طبع، وتتغير المـرأة على زوجهـا، فـإن طـابت نفس الــزوج ســمي بالــديوث، وإن حبســها طلبت الفرقة إلى من تلبس منه المرقعـــــــة، والاختلاط بمن لا يضـــيق الخنـــاق ولا يحجر على الطبـــاع. ويقـــال: تـــابت فلانة وألبســـها الشـــيخ الخرقة وقد صارت من بناتـه. ولم يقنعـوا أن يقولـوا: هـذا لعب وخطأ، حتى قالوا: هذا من مقامات الرجال، وجرت على هذه السـنين وبـرد حكم الكتـاب والسـنة في القلوب.

هـــذا كله من كلام ابن عقيل رضي الله عنـــه، فلقد كان ناقدًا مجيدًا متلمحًا فقيهًا.

أنشدنا أبو علي عبيد الله الزاغوني قـال: أنشـدنا أبو محمد رزق الله بن عبد الوهــاب التميمي وأبو منصـــور بن محمد بن محمد بن عبد العزيز العكبري قالا: أنشدنا أبو بكر العنبري لنفسه في الصوفية: (المتقارب)

تأملتُ أختبر ... بين الموالي وبين
فألفيت أكثرهم ... يروقك منظره من
فناديت يا قوم من ... فكلٌّ أشار بقدر
فبعضٌ أشار إلى ... وأقسم ما فوقها

وبعضٌ إلى خرقة ... وبعضٌ إلى ركوة
وآخَرُ يعبد أهواءه ... وما عابدٌ للهوى
ومجتهد وقته رِيِّهُ ... فإن فاتَ باتَ بليل
وذو كَلَفٍ باستماع ... بين البسيط وبين
يَئِنُ إذا أومضت ... ويزرأ منها زئير
يُخَرِّقُ خُلْقانه ... ليعتاض منها بثوب
ويرمي بهيكله في ... لقلع الثريد وبلع
فيا للرجال ألا ... لشيطان إخواننا ذا
يخبطهم بفنون ... وما للمجانين غير
وأُقسم ما عرفوا ... وما عرفوه بغير
ولولا الوفاء لأهل ... سلقتهم بلسان
فما لي يطالبني ... من ليس يعلم ما
أضنُّ بِوُدِّي ويسخو ... وقد كنتُ أسخو به
ولكن إذا لم أجد ... يَسُرُّ صديقي
عطفتُ بودِّيَ مني ... فغاب نُحوسي وآبَ
فما بالُ قومي ... بعزِّ الفريد وأُنسِ
إذا أبصروني بكوا ... ونيران أحقادهم
لأني بَعُدتُ عن ... ولو صدقوا كنتُ

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصر الحافــظ، نا أبو الحســين بن عبد الجبـــار الصـــيرفي، نا أبو عبد الله محمد بن علي الصُّوري، قـال: أنشـدنا أبو محمد عبد الـرحمن بن عمر التُّجِيبِيُّ، قـــال: أنشـــدنا الحسن بن علي بن ســـيَّار:

(المنسرح)

رأيتُ قومًا عليهم بحمل الركاء
اعتزلوا الناس في سألتُ عنهم فقيل
صوفية للقضاء ساكنة تحت حكمه
فقلتُ إذ ذاك ومن دون هؤلاء
فلم أزل خادمًا حتى تبينتُ أنهم
إن أكلوا كان أو لبسوا كان
سل شيخهم عن فَرضه لا تخاله
واسأله عن وصف مدلل لا تراه قد
عِلْمُهم بينهم إذا كعلم راعي الرعاع
الوقت والحال والعكس عندهم
قد لبسوا الصوفَ وهم شرار الذباب
وجانبوا الكسبَ يستأصلوا الناسَ
وليس من عِفَّةٍ ولا لكن تعجيل راحة
فقل لمن مال إليهم تب فإنهم
واستغفر الله من ولا تعاود لعشرة

قال الصَّوري وأنشدني بعض شيوخنا: (مجزوء الكامل)

أهلُ التصوفِ قد صارَ التصوفُ
صار التصوف وتواجدًا ومطبقة
كذبتك نفسك سنن الطريق

حتى تكون بعين منه العيون
تجري عليك وهموم شرك

أنشـــدنا محمد بن ناصـــر، قـــال: أنشـــدنا أبو زكريا التبريزي، لأبي العلاء المعري: (الكامل)

زعموا بأنهم صفوا كذبوك ما صافوا
شجر الخلاف غرضي خلاف الحق

أنشـدنا ابن ناصـر، أنشـدنا أبو بكر قـال: أنشـدنا أبو إسحاق الشيرازي الفقيه لبعضهم: (الوافر)

أرى جيل التصوف فقل لهم وأهون
أقال الله حين كلوا أكل البهائم

البـــاب الحـــادي عشر في ذكر تلـــبيس إبليس على المتدينين بما يشبه الكرامات

قد بيّنا فيما تقـــــدم أن إبليس إنما يتمكن من الإنســـان على قـــدر قلة العلم، فكلما قَـــلَّ علم الإنسـان كـثر تمكن إبليس منـه، وكلما كـثر العلم قلّ تمكنه منه.

ومن العباد من يرى ضوءًا أو نورًا في السماء، فإن كان رمضان قال: رأيت ليلة القـدر، وإن كـان في غيره قال: قد فتحت لي أبواب السماء.

وقد يتفق له الشـــيء الـــذي يطلبه فيظن ذلك كرامة، وربما كان اتفاقًا، وربما كان اختبـارًا، وربما كان من خدع إبليس، والعاقل لا يساكن شـيئًا من

هذا ولو كان كرامة.

وقد ذكرنا في باب الزهـاد عن مالك بن دينـار وحـــبيب العجمي أنهما قـــالا: إنَّ الشـــيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز.

ولقد استغوى بعض ضعفاء الزهـاد بـأن أراه ما يشبه الكرامة حتى ادعى النبوة.

فروي عن عبد الوهاب بن نجدة الحوطي قال: ثنا محمد بن المبـــارك ثنا الوليد ابن مســـلم عن عبد الرحمن بن حسان، قال: كان الحارث الكـذاب من أهل دمشق وكـان مـولى لأبي الجلاش، وكـان له أب بالغوطـة، تعـرض له إبليس، وكـان متعبـدًا زاهـدًا لو لبس جبة من ذهب لـرأيت عليه زهـادة، وكان إذا أخذ في التحميد لم يُصْغِ السـامعون إلى كلام أحسن من كلامــه، قــال: فكتب إلى أبيــه: يا أبتــاه أعجل عليّ فــإني قد رأيت أشــياء أتخــوف منها أن تكون من الشياطين، قال: فزاده أبــوه غيًّا وكتب إليــه: يا بــني أقبل على ما أمــرت بــه، إن الله يقـــــول: ﴿**هل أنــــبئكم على من تــــنزل الشـــياطين تـــنزل على كل أفـــاك أثيم**﴾ [الشـــعراء: 221-222]، ولست بأفـــاك ولا أثيم فـــامض لما أُمـــرت بـــه. وكـــان يجيء إلى أهل المسـاجد رجلا رجلا فيـذكر له أمـره ويأخذ عليهم العهود والمواثيق إن هو رضى قبل وإلا كتم عليه،

وكـان يـريهم الأعـاجيب. كـان يـأتى إلى رخامة فى المسجد فينقرها بيده فتسبح. وكـان يطعمهم فاكهة الصـيف فى الشـتاء ويقـول: اخرجـوا حـتى أريكم الملائكة. فيخـرجهم إلى دير المـران فـيريهم رجـالاً على خيـــل، فتبعه بشر كثـــير وفشى الأمر وكـــثر أصحابه حتى وصل خبره إلى القاسم بن مخيمــرة فقال له إنى نبى. فقال له القاسم: كـذبت يا عـدو اللــه. فقـال له أبو إدريس: بئس ما صـنعت إذ لم تلن له حـتى تأخـذه. الآن يفـر، وقـام من مجلسه حــتى دخل على عبد الملك فأعلمه بــأمره، فبعث عبد الملك في طلبه فلم يقدر عليه.

وخــرج عبد الملك حـتى نـزل العنيـبرة، فـاتهم عامة عسكره بالحارث أن يكونوا يرون رأيه.

وخرج الحارث حتى أتى بيت المقـدس واختفى، وكان أصحابه يخرجون يلتمسون الرجـال يـدخلونهم عليــه، وكــان رجل من أهل البصــرة قد أتى بيت المقـــدس فأدخل على الحـــارث فأخذ في التحميد وأخبره بأمره وأنه نبي مبعـوث مرسـل، فقـال: إن كلامك لَحَسَـــنٌ، ولكن لي في هـــذا نظـــر. قـــال: فـانظر. فخــرج البصــري، ثم عــاد إليه فَـرَدَّ عليه كلامه، فقال: إن كلامك لحسن وقد وقع في قلبي، وقد آمنت بك، وهذا هو الدين المستقيم، فأمر أن لا يحجب عنه متى أراد الدخول.

فأقبل البصـــري يـــتردد إليه ويعـــرف مداخله ومخارجه وأين يهرب حـتى صـار من أخـبر النـاس به، ثم قـال لـه: ائـذن لي، فقـال: إلى أين؟ قـال: إلى البصـرة فـأكون أول داعٍ لك بهـا، قـال: فـأذن له، فخـرج مسـرعًا إلى عبد الملك وهو بـالعنيبرة، فلما دنا من سرادقه صاح: النصيحة النصيحة، فقال أهل العسـكر: وما نصـيحتك؟ قـال: نصـيحة لأمـير المؤمـنين، فـأمر الخليفة عبد الملك أن يـأذنوا له بالدخول عليه، فدخل وعنده أصحابه، قـال: فصـاح: النصيحة النصيحة، قال: وما نصـيحتك؟ قـال: أخلـني لا يكن عندك أحـد، فـأخرج من في الـبيت، وقـال لـــه: أدنـــني، قـــال: أُدْنُ، فـــدنا وعبد الملك على السـرير، قـال: ما عنـدك؟ قـال: الحـارث، فلما ذكر الحارث طـرح عبد الملك نفسه من أعلى السـرير إلى الأرض ثم قـــال: أين هـــو؟ قـــال: يا أمـــير المؤمـنين هو بـبيت المقـدس، قد عـرفت مداخله ومخارجه وقص عليه قصته وكيف صنع به، فقــال: أنت صاحبه وأنت أمـير بيت المقـدس وأميرنا ههنا فمرني بما شـئت، فقـال: يا أمـير المؤمـنين، ابعث معي قومًا لا يفهمـــون الكلام، فـــأمر أربعين رجلاً من فرغانة فقال: انطلقوا مع هـذا، فما أمـركم به من شيء فـأطيعوه، قـال: وكتب إلى صـاحب بيت المقـدس، أن فلانًا هو الأمـير عليك حـتى يخـرج، فأطِعْهُ فيما أمرك به.

فلما قدم بيتَ المقدس أعطاه الكتاب، فقال: مرني بما شئت، فقال: اجمع لي كل شمعة تقدر عليها ببيت المقدس وادفع كل شمعة إلى رجل، ورتبهم على أزقة بيت المقدس وزواياه، فإذا قلت: أسرجوا، أسرجوا جميعًا، فرتبهم في أزقة بيت المقدس وزواياها بالشمع، وتقدم البصري إلى منزل الحارث فأتى الباب، فقال للحاجب: استأذن لي على نبي الله، قال: في هذه الساعة ما يؤذن عليه حتى يصبح. قال: أعلمه أني ما رجعت إلا شوقًا إليه قبل أن أصل، فدخل عليه وأعلمه بكلامه، فأمره بفتح الباب، قال: ثم صاح البصري: أسرجوا الشموع، فأسرجت حتى كانت كأنها النهار، ثم قال: من مر بكم فاضبطوه كائنًا من كان، ودخل هو إلى الموضع الذي يعرفه، فطلبه فلم يجده، فقال أصحاب الحارث: هيهات، تريدون تقتلون نبي الله، قد رفع إلى السماء، قال: فطلبه في شق قد هيأه سربًا فأدخل البصري يده في ذلك السرب فإذا هو بثوبه فاجتره فأخرجه إلى خارج، ثم قال للفرغانيين: اربطوه فربطوه، فبينما هم يسيرون به على البريد إذ قال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ فقال رجل من الفرغانيين: أولئك العجم، هذا كرامتنا فهات كرامتك أنت؟ وساروا به حتى أتوا به عبد الملك، فلما سمع به أمر بخشبة فنصبت، فصلبه وأمر بحربة، وأمر

رجلاً فطعنــه، فلما صــار إلى ضــلع من أضــلاعه فانكفــأت الحربة عنـــه، فجعل النـــاس يصـــيحون ويقولـون: الأنبيـاء لا يجـوز فيهم السـلاح، فلما رأى ذلك رجل من المسـلمين، تنـاول الحربة ثم مشى إليه وأقبل يتجسس حتى وافى بين ضلعين فطعنه بها فأنفذها فقتله.

قال الوليـد: بلغـني أن خالد بن يزيد بن معاوية دخل على عبد الملك بن مروان فقال: لو حضرتك ما أمــرك بقتلــه. قــال: ولِمَ؟ قــال: إنما كــان به المذهب فلو جوَّعته ذهب عنه.

وروى أبو الربيع عن شـيخ أدرك القـدماء قـال: لما حُمِــلَ الحــارثُ على البريد وجعلت في عنقه جامعة من حديد وجمعت يــده إلى عنقه فأشــرف على عقبة بيت المقـدس تلا هـذه الآيـة: ﴿**قل إن ضللت فإنما أضل على نفسى وإن اهتديت فيما يــوحى إلى ربى**﴾ [ســبأ: 50]، فتقلقلت الجامعة ثم ســقطت من يــده ورقبته إلى الأرض، فوثب الحرس الذين كانوا معه فأعادوها عليــه، ثم ساروا به، فلما أشرفوا على عقبة أخـرى قـرأ آية فســـقطت من رقبته ويـــده على الأرض فأعادوها عليـــه، فلما قـــدموا على عبد الملك حبسه وأمر رجـالاً من أهل الفقه والعلم أن يعظـوه ويخوفـوه الله ويعلموه أن هذا من الشيطان، فأبى أن يقبل منهم فصــلب، وجــاء رجل بحربة فطعنه فــانثنت،

فتكلم الناس وقالوا: ما ينبغي لمثل هذا أن يقتــل، ثم أتاه حرسه برمح دقيق فطعنه بين ضلعين من أضلاعه ثم هـزه وأنفـذه، وسـمعت من قـال: قـال عبد الملك للذي ضـربه بالحربة لما انثنت، أذكـرت الله حين طعنته؟ قال: نسيت، قـال: فـاذكر الله ثم اطعنه، فذكر الله ثم طعنه فأنفذها.

المغترّين بما يشبه الكرامات

(فصل)

وكم اغتر قـوم بما يشـبه الكرامـات، فقد روينا بإسـناد عن حسن عن أبي عمـران قـال: قـال لي فرقـد: يا أبا عمـران قد أصـبحت اليـوم وأنا مغتم بـــــدين على وهو ســــتة دراهم وقد أهل الهلال وليست عنـــدي فـــدعوت، فبينما أنا أمشي على شط الفـرات إذا أنا بسـتة دراهم فأخـذتها فوزنتها فإذا هي سـتة لا تزيد ولا تنقص. فقـال: تصـدق بها فإنها ليست لك.

قلت: أبو عمران هو إبـراهيم النخعي، فقيه أهل الكوفـة، فـانظروا إلى كلام الفقهـاء وبُعْد الاغـترار عنهم. وكيف أخـــبره أنها لقطة ولم يلتفت إلى ما يشبه الكرامة، وإنما لم يأمره بتعريفها، لأن مذهب الكوفـــيين أنه لا يجب التعريف لما دون الـــدينار، وكأنه إنما أمـــره بالتصـــدق بها لئلا يظن أنه قد أُكرم بأخذها وإنفاقها.

وبإسناد عن إبراهيم الخراساني أنه قال: احتجت يومًا إلى الوضـــوء، فـــإذا أنا بكـــوز من جـــوهر، وسـواك من فضة رأسه ألين من الخـز، فاسـتكت بالسواك وتوضأت بالماء وتركتهما وانصرفت.

قلت: في هـــذه الحكاية من لا يوثق بروايتـــه، فإن صحت دلت على قلة علم هذا الرجـل، إذ لو كان يفهم الفقه علم أن استعماله السـواك الفضة لا يجـوز، ولكن قل علمه فاسـتعمله، وإن ظن أنه كرامة، والله تعالى لا يكرم بما يمنع من استعماله شرعًا إلا إن أظهر له ذلك على سبيل الامتحان.

وذكر محمد بن أبي الفضل الهمـداني المـؤرخ قـال: حدثني أبي قال: كان السرمقاني المقرئ يقرأ على ابن العلاف، وكـان يـأوي إلى المسـجد بـدرب الزعفـراني، واتفق أن ابن العلاف رآه ذات يـــــوم في وقت مجاعة وقد نــزل إلى دجلة وأخذ منه أوراق الخس مما يــرمي به أصـــحابه، وجعل يأكله فشق ذلك عليـــه، وأتى إلى رئيس الرؤساء فـأخبره بحاله فتقـدم إلى غلام بـالقرب إلى المسجد الذي يأتي إليه الشــرمقاني أن يعمل لبابه مفتاحًا من غـير أن يعلمه ففعـل، وتقـدم إليه أن يحمل كل يوم ثلاثة أرطال خبزًا سـميذًا ومعها دجاجة وحلـوى سكرًا، ففعل الغلام ذلك وكان يحمله على الدوام. فأتى الشرمقاني في أول يوم فرأى ذلك مطروحًا في القبلة ورأى البـاب مغلقًا فتعجب، وقـال في نفسـه: هـذا من الجنة ويجب كتمانه وأن لا أتحـدث بـه، فـإن من شـرط

الكرامة كتمانها، وأنشدني: (البسيط)

مَنْ أطلعوه على **لم يأمنوه على**

فلم استوت حالته وأخصب جسمه، سأله ابن العلاف عن سبب ذلك وهو عارف به، وقصد المزاح معه، فأخذ يوري ولا يصرح، ويكنّي ولا يفصح، ولم يزل ابن العلاف يستخبره حتى أخبره أن الذي يجده في المسجد كرامة إذ لا طريق لمخلوق عليه. فقال له ابن العلاف: يجب أن تدعو لا بن المسلمة فإنه هو الذي فعل ذلك. فنغص عيشه بإخباره وبانت عليه شواهد الانكسار.

تحذير العقلاء بما يشبه الكرامات

(فصل)

ولما علم العقلاء شدة تلبيس إبليس حذروا من أشياء ظاهرها الكرامة وخافوا أن تكون من تلبيسه.

روينا بإسناد عن أبي الطيب يقول: سمعت زهرون يقول: كلّمني الطير، وذاك أني كنت في البادية فتهت فرأيت طائرًا أبيض فقال لي: يا زهرون، أنت تائه؟ فقلت: يا شيطان غُرَّ غيري. فقال لي: أنت تائه؟ فقلت: يا شيطان غرّ غيري. فوثب في الثالثة وصار على كتفي وقال: ما أنا بشيطان، أنت تائه، أرسلت إليك، ثم غاب عني.

وبإسناد عن محمد بن عبد الله القرشي قال: حدثني محمد بن يحيى بن عمرو قال: حدثتني زلفى، قالت: قلت لرابعة العدوية: يا عمة لم لا تأذنين للناس يدخلون عليك؟ قالت: وما أرجو من أناس إن أتوني حكوا عني ما لم أفعل.

قال القرشي: وزادني غير أبي حاتم أنها قالت: يبلغني أنهم يقولون إني أجد الدارهم تحت مصلاي، ويطبخ لي القدر بغير نار، ولو رأيت مثل هذا فزعت منه.

قالت: فقلت لها: إن الناس يكثرون فيك القول، يقولون: إن رابعة تصيب في منزلها الطعام والشراب، فهل تجدين شيئًا فيه؟ قالت: يا ابنة أخي لو وجدت في منزلي شيئًا ما مسسته ولا وضعت يدي عليه.

قال القرشي: وحدثني محمد بن إدريس قال: قال محمد بن عمرو: وحدثتني زلفى عن رابعة أنها أصبحت يومًا صائمة في يوم بارد قالت: فنازعتني نفسي إلى شيء من الطعام السخن أفطر عليه، وكان عندي شحم فقلت: لو كان عندي بصل أو كراث عالجته، فإذا عصفور قد جاء فسقط على المثقب في منقاره بصلة، فلما رأيته أضربت عما أردت وخفت أن يكون من الشيطان.

وبالإسناد عن محمد بن يزيد قال: كانوا يرون

لـوهيب أنه من أهل الجنـة، فـإذا أخـبر بها اشـتد بكـــاؤه وقـــال: قد خشـــيت أن يكـــون هـــذا من الشيطان.

وبالإســناد عن أبي عثمــان النيســابوري يقــول: خرجنا جماعة مع أســتاذنا أبي حفص النيســابوري إلى خــارج نيســابور، فجلســنا فتكلم الشــيخ علينا فطابت أنفسنا، ثم بصرنا فـإذا بأيل[1] قد نـزل من الجبل حتى برك بين يدي الشيخ فأبكاه ذلك بكـاء شديدًا، فلما سكن سألناه، فقلت: يا أســتاذ تكلمت علينا فطابت قلوبنا، فلما جاء هـذا الـوحش وبـرك بين يـــديك أزعجك وأبكـــاك؟ فقـــال: نعم. رأيت اجتمــاعكم حــولي وقد طــابت قلــوبكم فوقع في قلــبي لو أن شــاة ذبحتها ودعــوتكم عليهــا، فما تحكَّم هذا الخـاطر حـتى جـاء هـذا الـوحش فـبرك بين يـدي فخيل لي أنّي مثل فرعـون الـذي سـأل ربه أن يجري له النيل فأجراه.

قلت: فما يؤمنني أن يكون الله تعـالى يعطيـني كل حظ لي في الدنيا وأبقى في الآخرة فقـيرًا لا شيء لي، فهذا الذي أزعجني.

الحكايات الموضوعة في الكرامات

(فصل)

وقد لبَّس إبليس على قـــوم من المتـــأخرين

1 (?) الأيل: هو التيس الجبلى.

فوضعوا حكايات في كرامات الأولياء ليشيدوا بزعمهم أمر القوم، والحق لا يحتاج إلى تشييد بباطل فكشف الله تعالى أمرهم بعلماء النقل.

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصر، أنبأنا الحسن بن أحمد الفقيه، قال: نا محمد بن محمد الحافظ، قال: نا عبيد الله بن محمد الفقيه، قال: أحمد بن عبد الله بن الحسن الآدمي، قال: حدثني أبي، قال: قال سهل ابن عبد الله، قال عمرو بن واصل: كذا في الرواية، والصواب قال عمرو ابن واصل: قال سهل بن عبد الله: صحبت رجلاً من الأولياء في طريق مكة فنالته فاقة ثلاثة أيام فعدل إلى مسجد في أصل جبل وإذا فيه بئر عليها بكرة وحبل ودلو ومطهرة، وعند البئر شجرة رمان ليس فيها حمل، فأقام في المسجد إلى المغرب فلما دخل الوقت، إذا بأربعين رجلاً عليهم المسوح وفي أرجلهم نعال الخوص قد دخلوا المسجد فسلموا وأذن أحدهم وأقام الصلاة وتقدم فصلى بهم، فلما فرغ من صلاته تقدم إلى الشجرة فإذا فيها أربعون رمانة غضة طرية، فأخذ كل واحد منهم رمانة وانصرف. قال: وبتُّ على فاقتي، فلما كان في الوقت الذي أخذوا فيه الرمان أقبلوا أجمعين فلما صلوا وأخذوا الرمان، قلت: يا قوم أنا أخوكم في الإسلام، وبي فاقة شديدة فلا كلمتموني ولا واسيتموني؟

فقــال رئيســهم: إنا لا نكلم محجوبًا بما معــه، فـــامضِ واطـــرح ما معك وراء هـــذا الجبل في الوادي وارجع إلينا حتى تنال ما ننال، قال: فرقيت الجبل فلم تســمح نفسي بــرمي ما معي، فدفنته ورجعت، فقال لي: رميت ما معك. قلت: نعم. قــال: فــرأيت شــيئًا؟ قلت: لا. قــال: ما رميت شــيئًا إذن. فارجع فارم به في الوادي، فــرجعت ففعلت، فــإذا قد غشــيني مثل الــدرع نــور الولاية فــرجعت فــإذا في الشـــجرة رمانة فأكلتها واســـتقللت بها من الجوع والعطش ولم ألبث دون المضي إلى مكــة، فإذا أنا بالأربعين بين زمــزم والمقــام، فــأقبلوا إليّ بــأجمعهم يســألوني عن حــالي ويســلمون عليّ. فقلت: قد غـــنيت عنكم وعن كلامكم آخـــرًا، كما أغنـــاكم الله عن كلامي أولاً، فما فيّ لغـــير الله موضع.

قـــال المصـــنف رحمه اللـــه: عمـــرو بن واصل ضعفه ابن أبي حاتم. والآدمي وأبوه مجهولان. ويدل على أنها حكاية موضوعة قــولهم: اطــرح ما معــك، لأن الأوليــاء لا يخــالفون الشــرع والشــرع قد نهى عن إضاعة المال.

وقولــه: غشيني نور الولاية فهذه حكاية مصنوعة وحديث فــارغ، ومثل هــذه الحكاية لا يغــترّ بها من شم رائحة العلم إنما يغــترّ بها الجهــال الــذين لا بصيرة لهم.

أَخْبَرَنَا محمد بن ناصر، قال: نا السهلكي، قال: سمعت محمد بن علي الواعظ، قال: وفيما أفادني بعض الصوفية حاكيًا عن الجنيد قال: قال أبو موسى الدئيلي: دخلت على أبي يزيد فإذا بين يديه ماء واقف يضطرب فقال لي: تعالَ، ثم قال: إن رجلاً سألني عن الحياء فتكلمت عليه بشيء من علم الحياء؟ فدار دورانًا حتى صار كذا كما ترى وذاب.

قال الجنيد: وقال أحمد بن حضرويه: بقي منه قطعة كقطعة جوهر فاتخذت منه فَصًّا فكلما تكلمت بكلام القوم أو سمعت من كلام القوم يذوب ذلك الفص حتى لم يبق منه شيء.

قلت: وهذه من المحالة القبيحة التي وضعها الجهال، ولولا أن الجهلة يروونها مسندة فيظنونها شيئًا لكان الإضراب عن ذكرها أولى.

أنبأنا أبو بكر بن حبيب، قال: نا ابن أبي صادق، قال: ثنا ابن باكويه، قال: ثنا أبو حنيفة البغدادي، قال: ثنا عبد العزيز البغدادي، قال: كنت أنظر في حكايات الصوفية فصعدت يومًا السطح فسمعت قائلاً يقول: ﴿**وهو يتولى الصالحين**﴾ [الأعراف: 196]، فالتفتُ فلم أرَ شيئًا فطرحتُ نفسي من السطح فوقفت في الهواء.

قال المصنف رحمه الله: هذا كذب محال

لايشك فيه عاقل فلو قـدرنا صـحته فـإن طـرح نفسه من السطح حرام، وظنه أن الله يتولى من فعل المنهي عنه فقد قـال تعـالى: ﴿**ولا تلقـوا بأيـديكم إلى التهلكة**﴾ [البقـرة: 195]، فكيف يكـون صـالحًا وهو يخـالف ربـه، وعلى تقـدير ذلك فمن أخـبره أنّه منهم، وقد تقـدم قـول عيسى صـلوات الله عليه للشـيطان لما قـال لـه: ألق بنفسك. قال: إن الله يختبر عبـاده، وليس للعبد أن يختبر ربه.

مسالك الصوفية في الشطح والدعاوى: مخاريق الحلاج وابن الشباس

(فصل)

وقد انـدسَّ في الصـوفية أقـوامٌ وتشـبهوا بهم وشـطحوا في الكرامـات وادِّعائها وأظهـروا للعـوام مخـاريق صـادوا بها قلـوبهم، وقد روينا عن الحلاج أنه كان يدفن شـيئًا من الخـبز والشـواء والحلـوى في موضع من البرية ويطلع بعض أصـحابه على ذلك فإذا أصبح قـال لأصـحابه: إن رأيتم أن نخـرج على وجه السـياحة فيقـوم ويمشي والنـاس معه فإذا جاءوا إلى ذلك المكان قـال له صـاحبه الـذي أطلعه على ذلك: نشتهي الآن كـذا وكـذا، فيـتركهم الحلاج ويـنزوي عنهم إلى ذلك المكـان فيصـلي ركعتين ويـأتيهم بـذلك، وكـان يمد يـده إلى الهـواء

ويطرح الذهب في أيدي الناس ويمخرق. وقد قال له بعض الحاضرين يومًا: هذه الدراهم معروفة ولكن أؤمن بك إذا أعطيتني درهمًا عليه اسمك واسم أبيك، ومازال يُمخرق إلى وقت صلبه.

حدثنا أبو منصور القزاز، قال: نا أبو بكر بن ثابت، نا عبيد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفي، ثنا أبو عمر بن حَيُّويه، قال: لما أُخرج حسين الحلاج للقتل مضيت في جملة الناس فلم أزل أزاحم حتى رأيته، فقال لأصحابه: لا يهولنكم هذا فإني عائد إليكم بعد ثلاثين يومًا.

وكان اعتقاد الحلاج اعتقادًا قبيحًا، وقد بيّنّا في أول هذا الكتاب شيئًا من اعتقاده وتخليطه وبيّنّا أنه قتل بفتوى فقهاء عصره، وقد كان في المتأخرين من يطلّي بدهن الطلق ويقعد في التنور ويظهر أن هذا كرامة.

قال ابن عقيل: وكان ابن الشباس وأبوه قبله لهم طيور سوابق وأصدقاء في جميع البلاد، فينزل بهم قوم فيرفع طائرًا في الحال إلى قريتهم يخبر بخبر من له هناك بنزولهم ويستعلمه من أحوالهم وما تجدد هناك بعدهم قبل أن يجتمع عليهم ويستعلم حالهم، فيكتب ذلك إليه الجواب، ثم يجتمع بهم فيخبرهم بتلك الحوادث ويحدثهم بأحوالهم حديث من هو معهم ومعاشرهم في

بلادهم، ثم يحــدثهم بما تجــدد بعــدهم وفي يومه ذلك فيقـول: السـاعة تجـدد كـذا وكـذا فيدهشـون ويرجعــون إلى رســتاقهم فيجــدون الأمر على ما قـال، ويتكـرر هـذا منه فيصـير عنـدهم كـالقطعي على أنه يعلم الغيب.

قــال: وما كــان يفعله أنه يأخذ طــير عصــفور ويشد في رجله تلفكًا ويجعل في التلفك بطاقة صــــغيرة ويشد في رجل حمامة تلفكًا ويشد في طرف التلفك كتابًا أكـبر من ذلك ويجعله بين يديه ويجعل العصــفور بيد ويأخذ غلامًا له في الســطح والحمامة بيد آخـــــــر، فيه ما في تلك البطاقة الصـغيرة، ويطلق الطـائر العصـفور فينظر النـاس الكتاب وهو طـائر في الهـواء فـيروح الحمـام إلى تلك القرية فيأخذه صـديقه الـذي هنـاك ثم يخـبره بجميع أمور القرية وأصــحابها، فلما يتكامل مجلسه بالناس يشير وينادي يا بارش كأنه يخاطب شيطانًا اسـمه بـارش ويقـول: خذ هـذا الكتـاب إلى قرية فلان فقد جرت بينهم خصـومة فاجتهد في إصـلاح ذات بينهم ويرفع صــوته بــذلك فيســرح غلامه المترصد العصـفور الـذي في يـده فـيرفع الكتـاب نحو السماء بحضـرة الجماعة يرونه عيانًا من غـير أن يــروا التلفك فــإذا ارتفع الكتــاب جذبه الغلام المقيد بالعصـــفور وقطع التلفك حـــتى لا يـــرى ويرسل العصــفور إلى تلك القرية ليصــلح الأمــر،

وكذلك يفعل بالحمامة ثم يقول لغلامه: هات الكتاب فيلقيه الغلام الذي في السطح الذي قد جاءه خبر ما في القرية التي هؤلاء منها، ثم يكتب كتابًا إلى دِهْقان تلك القرية فيشد به تلفكًا ويجعله في رجل عصفور كما قدمنا ويطلقه حتى يعلو سطح المكان فيأخذه ذلك الغلام فيشده في رجل طير حمام فيروح إلى تلك القرية بذلك الكتاب فيصلح بين الناس الذين قد أتاهم خبرهم بالمشاجرة، فتخرج الجماعة الذين من تلك القرية فيجدون كتاب الشيخ قد وصل لهم وقد اجتمع دهاقين القرية وأصلحوا بينهم فيجيء ذلك فيخبرهم، فلا يشكون في ذلك أنه يعلم الغيب ويتحقق هذا في قلوب العوام.

قال ابن عقيل: وإنما أوردت مثل هذا ليعلم أنه قد ارتفع القوم إلى التلاعب بالدين، فأي بقاء للشريعة مع هذا الحال.

قلت: وا بن الشباس هذا كان يكنى أبا عبد الله، والشباس هو أبوه كان يكنى أبا الحسن، واسم الشباس علي بن الحسين بن محمد البغدادي توفي بالبصرة سنة أربع وأربعين وأربع مائة وكان الشباس وأبوه وعمه مستقرين بالبصرة.

وكانت مذاهبهم تخفى على الناس، إلا أن

الأغلب أنهم كـــانوا من الشـــيعة الإمامية والغلاة الباطنيـــة، وقد ذكـــرت في «التـــاريخ» عن ابن الشباس أن بعض أصحابه اكتشـفت له نـار بخيانته وزخارفه، وكانت تخفى على الناس إلى أن كشفها بعض أصحابه من الشيعة الإمامية الباطنية للنـاس، فلما كشفها للناس وبيّنها فكان مما حـدث به عنه أنه قـال: حضـرنا يومًا عنـده فـأخرج جَـدْيًا مشـويًا فأمرنا بأكله وأن نكسر عظمه ولا نهشـــمها، فلما فرغنا أمر بردها إلى التنـــور، وتـــرك على التنـــور طبقًا، ثم رفعه بعد ساعة فوجدنا جديًا حيًا يـــرعى حشيشًا ولم نر للنـار أثـرًا ولا للرمـاد ولا للعظـام خـبرًا. قـال: فتلطفت حـتى عـرفت ذلـك، وذلك أن التنـــور يفضي إلى ســـرداب وبينهما طبق نحـــاس بلولب، فإذا أراد إزالة النار عنه فركه فيـنزل عليه فيسده وينفتح السـرداب، وإذا أراد أن يظهر النـار أعاد الطبق إلى فم السرداب فترى للناس.

قـال المصـنف رحمه اللـه: وقد رأينا في زماننا من يشـــير إلى الملائكة ويقـــول: هـــؤلاء ضـــيف مكرمـــون يـــوهم أن الملائكة قد حضـــرت ويقـــول لهم: تقدموا إليَّ. وأخذ رجل في زماننا إبريقًا جديدًا فـــترك فيه عســـلاً فتشـــرب في الخـــزف طعم العسل، واستصحب الإبريق في سـفره، فكـان إذا غـرف به المـاء من النهر وسـقى أصحابه وجـدوا طعم العســل، وما في هـؤلاء من يعـرف الله ولا

يخـــاف في الله لومة لائم، نعـــوذ ب الله من الخذلان.

الباب الثاني عشر في ذكر تلبيس إبليس على العوام

قد بينّا أن إبليس إنما يقـوى تلبيسه على قـدر قوة الجهل، وقد فتن فيما فتن به العـوام، وحصر ما فتنهم ولبَّس عليهم فيه ما لا يمكن ذكـــــره لكثرته، وإنما نذكر من الأمهات ما يستدل به على جنسه والله الموفـــق. فمن ذلك أنه يـــأتي إلى العـــــامي فيحمله على التفكر في ذات الله عز وجل وصفاته فيتشـكك. وقد أخـبر رسـول الله عن ذلك فيما رواه أبو هريـــرة رضي الله عنه قـــال: قال رسـول الله «تسـألون حـتى تقولـوا: هـذا الله خلقنا، فمن خلق الله؟»[1]، قال أبو هريرة: فو الله إني لجـــالس يومًا إذ قـــال لي رجل من أهل العـراق: هـذا الله خلقنا فمن خلق اللـه؟ قـال أبو هريرة: فجعلت أصبعي في أذني ثم صـحت: صـدق رسول الله ـ الله الواحد الصـمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد[2].

---

[1] (?) متفق عليــه: أخرجه البخــارى فى بــدء الخلق (3276)، ومســلم فى الإيمــان (134/212)، وأبو داود فى الســنة (4721)، وأحمد فى المسند 2/387.

[2] (?) صحيح: أخرجه مسلم فى الإيمان (135/215)، وأبو داود وفى السنة (4722)، والنسائى فى عمل اليوم والليلة (661)، وأحمد فى المسند 2/387، 539.

وبإسناد عن عائشة قالت: قال رسول الله «إن الشيطان يأتي أحدكم فيقـول: من خلقـك؟ فيقـول: الله، فيقول: من خلق السـموات والأرض؟ فيقـول: الله، فيقول: من خلق الله؟ فإذا وجد أحدكم شـيئًا من ذلك فليقل: آمنت بالله ورسوله»[3].

قــال المصــنف رحمه اللــه: وإنما وقعت هــذه المحنة لغلبة الحس وهو أنه ما رأى شــــيئًا إلا مفعـولاً. وليقل لهـذا العـامي: ألست تعلم أنه خلق الزمـان لا في الزمـان، والمكـان لا في المكـان، فإذا كانت هـذه الأرض وما فيها لا في مكـان، ولا تحتها شــيء، وحسك ينفر من هــذا لأنه ما ألف شــيئًا إلا في مكــان، فلا يطلب بــالحس من لا يعرف بالحس. وشاور عقلك فإنه سليم المشاورة.

وتــارة يلبِّس إبليس على العــوام عند ســماع صــــفات الله عز وجل فيحملونها على مقتضى الحس فيعتقـدون التشـبيه. وتـارة يلبِّس عليهم من جهة العصبية للمذاهب، فترى العامي يلاعن ويقاتل في أمر لا يعرف حقيقته.

فمنهم من يخص بعصــبيته أبا بكر رضي الله عنــه، ومنهم من يخص عليًـا، وكم قد جــرى في هـذا من الحـروب، وقد جـرى في هـذا بين أهل

---

[3] (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الوصايا (2753)، ومسلم فى الإيمان (206/351) من حديث أبى هريرة.

الكرخ وأهل باب البصرة على ممر السنين من القتل وإحراق المحال ما يطول ذكره، وترى كثيرًا ممن يخاصم في هذا يلبس الحرير ويشرب الخمر ويقتل النفس وأبو بكر وعلي بريئان منهم. وقد يحسُّ العامي في نفسه نوع فهم فيسول له إبليس مخاصمة ربه. فمنهم من يقول لربه: كيف قضى وعاقب؟ ومنهم من يقول: لم ضيَّق رزق المتقي وأوسع على العاصي؟ ومنهم طائفة تشكر على النعم فإذا جاء البلاء اعترض وكفر. ومنهم من يقول: أي حكمة في هدم هذه الأجساد يعذبها بالفناء بعد بنائها. ومنهم من يستبعد البعث. ومن هؤلاء من يختل عليه مقصوده أو يبتلى ببلاء فيكفر ويقول: أنا ما أريد أصلي.

وربما غلب فاجر نصراني مؤمنًا فقتله أو ضربه فيقول العوام: قد غلب الصليب، ولماذا نصلي إذا كان الأمر كذلك؟ وكل هذه الآفات تمكن بها منهم إبليس لبعدهم عن العلم والعلماء، فلو أنهم استفهموا أهل العلم لأخبروهم أن الله عز وجل حكيم ومالك، فلا يبقى مع هذا اعتراض.

تلبيسه عليهم في التفكيرفي ذات الله تعالى من حيث هي

(فصل)

ومن العوام من يرضى عن عقل نفسه فلا

يبالي بمخالفة العلماء، فمتى خالفت فتواهم غرضه أخذ يــرد عليهم ويقــدح فيهم. وقد كــان ابن عقيل يقــول: قد عشت هــذه الســنين، فلو أدخلت يــدي في صنعة صانع لقال: أفســدتها عليَّ، فلو قلت: أنا رجل عالم، لقال: بــارك الله لك في علمــك، ليس هذا من شغلك. هذا، وشغله أمر حسي لو تعاطيته فهمته، والــذي أنا فيه من الأمــور أمر عقلي فــإذا أفتيته لم يقبل.

مخالفتهم العلماء وتقديمهم المتزهدين على العلماء

(فصل)

ومن تلبيسه عليهم تقـــديمهم المتزهـــدين على العلمــاء، فلو رأوا جبة صــوف على أجهل النــاس عظمـــوه خصوصًـــا إذا طأطأ رأسه وتخشع لهم ويقولــون: أين هــذا من فلان العــالم؟ ذاك طــالب الدنيا وهذا زاهد لا يأكل عنبة ولا رطبة ولا يــتزوج قط، جهلاً منهم بفضل العــالم على الزاهد وإيثــارًا للمتزهــدين على شــريعة محمد بن عبد الله ومن نعمة الله ســبحانه وتعــالى على هــؤلاء أنهم لم يـــدركوا رســـول الله إذ لو رأوه يكـــثر الـــتزويج ويصطفي السبايا ويأكل لحم الدجاج ويحب الحلوى والعسل لم يعظم في صدورهم.

تلبيسه عليهم في قدحهم العلماء

(فصل)

ومن تلبيسه عليهم قـدحهم في العلمـاء بتنـاول المباحات، وذلك من أقبح الجهل، وأكثر ميلهم إلى الغربـاء، فهم يـؤثرون الغـريب على أهل بلـدهم ممن قد خبروا أمره وعرفوا عقيدته فيميلـون إلى الغـريب، ولعله من الباطنيـة. وإنما ينبغي تسـليم النفـوس إلى من خـبرت معرفتـه، قـال الله عز وجـل: ﴿**فـإن آنسـتم منهم رشـدًا فـادفعوا إليهم أموالهم**﴾ [النسـاء: 6]، ومنَّ الله سـبحانه في إرسـال محمد إلى الخلق بـأنهم يعرفـون حاله فقال عز وجـل: ﴿**لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى الْمُـؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُـولاً مّنْ أَنفُسِـهِمْ**﴾، وقـال: ﴿**يعرفونه كما يعرفون أبناءهم**﴾ [الأنعام: 20].

تعظيم المتزهدين

(فصل)

وقد يخرج بالعوام تعظيم المتزهدين إلى قبـول دعاويهم وإن خرقوا الشريعة وخرجوا عن حدودها. فترى المتنمس يقـول للعـامي: أنت فعلت بـالأمس كذا وسيجري عليك كذا فيصدقه، ويقول: هذا يتكلم على الخـاطر ولا يعلم أن ادعـاء الغيب كفـر، ثم يرون من هؤلاء المتنمسين أمورًا لا تحل كمؤاخـاة النساء والخلوة بهن، ولا ينكـرون ذلك تسـليمًا لهم أحوالهم.

إطلاق النفس في المعاصي

(فصل)

ومن تلبيسه على العوام إطلاقهم أنفسهم في المعاصي فإذا وبخوا تكلموا كلام زنادقة.

فمنهم من يقول: لا أترك نقدًا لنسيئة، ولو فهموا لعلموا أن هذا ليس بنقد لأنه محرم، وإنما يخير بين النقد والنسيئة المباحين، فمثلهم كمثل محموم جاهل يأكل العسل فإذا عوتب قال: الشهوة نقد والعافية نسيئة. ثم لو علموا حقيقة الإيمان لعلموا أن تلك النسيئة وعد صادق لا يخلف. ولو عملوا عمل التجار الذين يخاطرون بكثير من المال لما يرجونه من الربح القليل لعلموا أن ما تركوه قليل وما يرجونه كثير. ولو أنهم ميزوا بين ما آثروا وما أفاتوا أنفسهم لرأوا تعجيل ما تعجلوا إذ فاتهم الربح الدائم وأوقعهم في العذاب الذي هو الخسران المبين الذي لا يتلافى. ومنهم من يقول: الرب كريم والعفو واسع والرجاء من الدين، فيسمون تمنيهم واغترارهم رجاء، وهذا الذي أهلك عامة المذنبين.

قال أبو عمرو بن العلاء: بلغني أن الفرزدق جلس إلى قوم، يتذكرون رحمة الله فكان أوسعهم في الرجاء صدرًا فقالوا له: لم تقذف المحصنات؟ فقال: أخبروني لو أذنبت إلى والديَّ

ما أذنبته إلى ربي عز وجل أتراهما كانا يطيبـــان نفسًا أن يقذفاني في تنور مملوء جمـرًا؟ قـالوا: لا إنما كانا يرحمانــك. قــال: فــإنّي أوثق برحمة ربي منهما.

قلت: وهــــذا هو الجهل المحض لأن رحمة الله عز وجل ليست برقة طبع ولو كــانت كــذلك لما ذبح عصـــــفور ولا أميت طفل ولا أدخل أحد إلى جهنم.

وبإســناد عن عبــاد، قــال الأصــمعي: كنت مع أبي نواس بمكة فـإذا أنا بغلام أمـرد يسـتلم الحجر الأسـود. فقال لي أبو نواس: والله لا أبرح حتى أقبله عند الحجر الأسود، فقلت: ويلك اتق الله عز وجل، فإنك ببلد حرام وعند بيته الحـرام، فقـال: ما منه بـد. ثم دنا من الحجر فجاء الغلام يسـتلمه فبـادر أبو نـواس فوضع خـده على خد الغلام فقبله وأنا أنظر، فقلت: ويلك، أفي حَـرَم الله عز وجـل؟ فقـال: دع ذا عنك فـإن ربي رحيم، ثم أنشد يقول: (السريع)

وعاشقان التف عند استلام الحجر
فاشتفيا من غير كأنما كانا على

قلت: انظـروا إلى هـذه الجـرأة الـتي نظر فيها إلى الرحمة ونســيَ شــدة العقــاب بانتهــاك تلك الحرمـة. وقد ذكرنا في أول الكتـاب هـذا أن رجلاً زنى بامرأة في الكعبة فمسخا حجرين.

ولقد دخلوا على أبي نواس في مرض موته فقالوا له: تب إلى الله عز وجل. فقال: إياي تخوفون، حدثني حماد بن سلمة عن يزيد الرقاشي عن أنس قال: قال رسول الله «لكل نبي شفاعة وإني اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»[1]، أفترى لا أكون منهم.

قال المصنف رحمه الله: وخطأ هذا الرجل من وجهين:

أحدهما: أنه نظر إلى جانب الرحمة ولم ينظر إلى جانب العقاب.

والثاني: أنه نسي أن الرحمة إنما تكون لتائب كما قال عز وجل: **وإنى لغفار لمن تاب** [طه: 82]، وقال: **ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون** [الأعراف: 156]، وهذا التلبيس هو الذي يهلك عامة العوام، وقد كشفناه في ذكر أهل الإباحة.

---

[1] (?) صحيح: أخرجه أبو داود فى السنة (4739)، والترمذى فى صفة القيامة (2435) وقال: «حسن صحيح غريب»، وأحمد فى المسند 3/213، وصححه الحاكم فى المستدرك 1/69، وابن حبان فى صحيحه (2596 موارد). وقال الألبانى: «صحيح» كما فى صحيح الجامع (3714) بلفظ: «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى». أما الشطر الأول من الحديث الذى ذكره المصنف تفرد بها يزيد الرقاشى وهو ضعيف، فهى زيادة منكرة.

(فصل)

ومن العوام من يقول: هؤلاء العلماء يحافظون على الحدود، فلان يفعل كذا وفلان يفعل كذا، فأمري أنا قريب.

وكشف هذا التلبيس أن الجاهل والعالم في باب التكليف سواء، فغلبة الهوى للعالم لا يكون عذرًا للجاهل.

وبعضهم يقول: ما قدر ذنبي حتى أعاقب؟ ومن أنا حتى أؤاخذ؟ وذنبي لا يضره وطاعتي لا تنفعه، وعفوه أعظم من جرمي كما قال قائلهم: (السريع)

من أنا عند الله   أذنبت لا يغفر لي

وهذه حماقة عظيمة كأنهم اعتقدوا أنه لا يؤاخذ إلا ضدًا أو ندًا. ثم ما علموا أنه بالمخالفة قد صاروا في مقام معاند.

وسمع ابن عقيل رحمه الله رجلاً يقول: من أنا حتى يعاقبني الله؟ فقال له: أنت الذي لو أمات الله جميع الخلائق وبقيت أنت لكان قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**﴾ خطابًا لك. ومنهم من يقول: سأتوب وأصلح، وكم من أبله ساكن الأمل فاختطفه الموت قبله. وليس من الحزم تعجيل الخطأ وانتظار الصواب، وربما لم تتهيأ التوبة وربما لم تصح وربما لم تقبل ثم لو قبلت بقي الحياء من الجناية أبدًا. فمرارة خاطر المعصية

حتى تـذهب أسـهل من معانـاة التوبة حـتى تقبـل، ومنهم من يتـــــــوب ثم ينقض فيلج عليه إبليس بالمكائد لعلمه بضعف عزمه.

وبإســـناد عن الحسن أنه قـــال: إذا نظر إليك الشيطان ورآك على غير طاعة الله تعالى فنعـاك، وإذا رآك مـــداومًا على طاعة الله مَلَّكَ ورفضـــك، وإذا رآك مرة هكذا ومرة هكذا طمع فيك.

الغرور بالنسب

(فصل)

ومن تلبيسه عليهم أن يكـــون لأحـــدهم نسب معروف فيغتر بنسبه فيقول: أنا من أولاد أبي بكر. وهـــذا يقـــول: أنا من أولاد علي، وهـــذا يقـــول: أنا شريف من أولاد الحسن أو الحسين، أو يقـــول: أنا قــــريب النسب من فلان العــــالم، أو من فلان الزاهد، وهؤلاء يبنون أمرهم على أمرين:

أحـــدهما: إنهم يقولـــون: من أحب إنســـانًا أحب أولاده وأهله.

والثـــاني: أن هـــؤلاء لهم شـــفاعة، وأحق من شفعوا فيه أهلهم وأولادهم.

وكلا الأمرين غلط:

أما المحبـــة: فليست محبة الله عز وجل كمحبة الآدميين، وإنما يحبّ من أطاعه، فإن أهل الكتـاب

من أولاد يعقـوب لم ينتفعـوا بآبـائهم، ولو كـانت محبة الأب تسري لسرى إلى البعض أيضًا.

وأما الشـــفاعة: فقد قـــال الله تعـــالى: **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى** [الأنبيـاء: 28]، ولما أراد نـــوح حمل ابنه في الســـفينة قيل لـــه: **إنه ليس من أهلك** [هود: 46]، ولم يشفع إبـراهيم في أبيه ولا نبينا في أمه.

وقد قـــال لفاطمة رضي الله عنهـــا: «لا أغـــني عنك من الله شـــيئًا»[1] ومن ظن أنه ينجو بنجـــاة أبيه كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه.

اعتمادهم على خلّة خير ولا يبالي بما فعل بعدها

ومن تلبيسه عليهم: أن يعتمد أحـــدهم على خلة خير ولا يبالي بما فعل بعدها. فمنهم من يقـول: أنا من أهل الســـنة. وأهل الســـنة على خـــير، ثم لا يتحاشى عن المعاصي.

وكشف هذا التلـبيس أن يقـال لـه: إن الاعتقـاد فرض والكف عن المعاصي فـرض آخـر، فلا يكفي أحدهما عن صاحبه.

وكـذلك تقـول الـروافض: نحن يـدفع عنا مـوالاة أهل الـبيت وكـذبوا، فإنه إنما يـدفع التقـوى. ومنهم

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الوصايا (2753)، ومسلم فى الإيمان (206/351) من حديث أبى هريرة.

من يقــول: أنا ألازم الجماعة وأفعل الخــير وهــذا يدفع عني، وجوابه كجواب الأول.

تلبيسه على العيّارين في أخذ أموال الناس

(فصل)

ومن هـــذا الفن تلبيسه على العَيَّارين في أخذ أمـوال النـاس، فـإنهم يسـمون بالفتيـان، ويقولـون: الفتى لا يـزني ولا يكـذب ويحفظ الحـرم ولا يهتك ستر امرأة، ومع هذا لا يتحاشـون من أخذ أمـوال الناس وينسون تقلي الأكباد على الأموال، ويسمون طـريقتهم الفتـوة. وربما حلف أحـدهم بحق الفتـوة فلم يأكل ولم يشرب، ويجعلـون إلبـاس السـراويل للـــداخل في مـــذهبهم كإلبـــاس الصـــوفية للمريد المرقعة، وربما يسمع أحد هؤلاء عن ابنته أو أخته كلمة وزر لا تصح وربما كانت من محرّض فقتلهـا، ويدَّعون أن هذه فتوة. وربما افتخر أحـدهم بالصـبر على الضرب.

وبإســـــناد عن عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه كان يقول: كنت كثيرًا أسمع والـدي أحمد بن حنبل يقـــول: رحم الله أبا الهيثم، فقلت: من أبو الهيثم؟ فقـــال: أبو الهيثم الحـــداد: لما مـــددت يـــدي إلى العقـاب وأُخـرجتُ للسـياط إذا أنا بإنسـان يجـذب ثوبي من ورائي ويقول لي: تعرفني؟ قلت: لا. قال:

أنا أبو الهيثم العَيَّار اللص الطـــــرار مكتـــــوب في ديوان أمير المؤمنين أني ضربت ثمانية عشر ألف ســـوط بالتفـــاريق، وصـــبرت في ذلك على طاعة الشـــيطان لأجل الـــدنيا، فاصـــبر أنت في طاعة الرحمن لأجل الدين.

قلت: أبو الهيثم هذا يقال له: خالد الحداد، وكان يضرب المثل بصبره. وقال له المتوكـل: ما بلغ من جَلَدك؟ قال: املأ لي جرابي عقارب ثم أدخل يدي فيـه، وإنه ليؤلمـني ما يؤلمـك، وأجد لآخر سـوط من الألم ما أجد لأول ســـوط، ولو وضـــعت في فمي خرقة وأنا أضـــرب لاحـــترقت من حـــرارة ما يخـــرج من جـــوفي، ولكنـــني وطنت نفسي على الصـــبر، فقـــال له الفتح: ويحك مع هـــذا اللســـان والعقل ما يـدعوك إلى ما أنت عليه من الباطـل. فقـال: أحب الرياسـة. فقـال المتوكـل: نحن خليديـة. وقـال الفتح: أنا خليـدي. وقـال رجل لخالـد: يا خالد ما أنتم لحوم ودماء فيؤلمكم الضـرب؟ فقـال: بلى يؤلمنـا، ولكن معنا عزيمة صـبر ليست لكم. وقـال داود بن علي لما قـــدم بخالـــد: اشـــتهيت أن أراه فمضـيت إليه فوجدته جالسًـا غـير متمكن لـذهاب لحم إليتيه من الضـرب، وإذا حوله فتيـان فجعلـوا يقولون: ضرب بفلان، وفعل فلان كـذا، فقـال لهم: لا تتحـدثوا عن غـيركم، افعلـوا أنتم حـتى يتحـدث عنكم غيركم.

قال المصنف رحمه الله: فانظروا إلى الشيطان كيف يتلاعب بهــؤلاء فيصــبرون على شــدة الألم ليحصل لهم الذكر، ولو صبروا على يسـير التقـوى لحصل لهم الأجــر، والعجب أنهم يظنــون لحــالهم مرتبة وفضيلة مع ارتكاب العظائم.

الاعتماد على النافلة وإضاعة الفريضة

(فصل)

ومن العـــــوام من يعتمد على نافلة ويضـــــيع فرائض، مثل أن يحضر المسجد قبل الأذان ويتنفل فــإذا صــلى مأمومًا ســابق الإمــام، ومنهم من لا يحضر في أوقات الفرائض ويزاحم ليلة الرغائب.

ومنهم من يتعبد ويبكي وهو مصر على الفــواحش لا يتركهــا، فــإن قيل لــه، قــال: ســيئة وحســنة، والله غفـور رحيم. وجمهـورهم يتعبد برأيه فيفسد أكـــثر مما يصـــلح. ورأيت رجلاً منهم قد حفظ القــرآن وتزهد ثم جبَّ نفســـه، وهـــذا من أفحش الفواحش.

حضور مجالس الذكر

(فصل)

وقد لبّس إبليس على خلق كثــير من العــوام، يحضرون مجـالس الـذكر ويبكـون ويكتفـون بـذلك، ظنًا منهم أن المقصــود إنما هو العمـــل، وإذا لم

يعمل بما يسمع كان زيادة في الحجة عليه.

وإني لأعرف خلقًا يحضرون المجلس منذ سنين ويبكون ويخشعون ولا يتغير أحدهم عما قد اعتاده، من المعاملة في الربا والغش في البيع والجهل بأركان الصلاة والغيبة للمسلمين والعقوق للوالدين. وهؤلاء قد لبَّس عليهم إبليس فأراهم أن حضور المجلس والبكاء يدفع عنه ما يلابس من الذنوب، وأرى بعضهم أن مجالسة العلماء والصالحين تدفع عنكم، وشغل آخرين بالتسويف بالتوبة فطال عليهم مطالهم، وأقام قومًا منهم للتفرج فيما يسمعونه وأهملوا العمل به.

أصحاب الأموال

(فصل)

وقد لبَّس إبليس على أصحاب الأموال من أربعة أوجه:

أحدها: من جهة كسبها فلا يبالون كيف حصلت، وقد فشا الربا في أكثر معاملاتهم وأنسوه، حتى أن جمهور معاملاتهم خارجة عن الإجماع، وقد روى أبو هريرة عن النبي أنه قال: «ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء من أين أخذ المال من حلال أو حرام»[1].

---

1 (?) صحيح: أخرجه البخارى فى البيوع (2083)، وأحمد فى المسند 2/435، 452.

والثاني: من جهة البخل بها، فمنهم من لا يخرج الزكاة أصلاً اتكالاً على العفو، ومنهم من يخرج بعضًا ثم يغلبه البخل، فينظر أن المُخرج يدفع عنه، ومنهم من يحتال لإسقاطها مثل أن يهب المال قبل الحول ثم يسترده، ومنهم من يحتال بإعطاء الفقير ثوبًا يقوّمه عليه بعشر دنانير وهو يساوي دينارين، ويظن ذلك الجاهل أنه قد تخلص، ومنهم من يخرج الرديء مكان الجيد، ومنهم من يعطي الزكاة لمن يستخدمه طول السنة فهي على الحقيقة أجره، ومنهم من يخرج الزكاة كما ينبغي، فيقول له إبليس: ما بقي عليك، فيمنعه أن يتنفل بصدقة حبًا للمال، فيفوته أجر المتصدقين، ويكون المال رزق غيره.

وبإسناد عن الضحاك، عن ابن عباس قال: أول ما ضرب الدرهم أخذه إبليس فقبله ووضعه على عينيه وسرته وقال: بك أُطغي وبك أكفر، رضيت من ابن آدم بحبه الدينار من أن يعبدني.

وعن الأعمش، عن شقيق، عن عبد الله، قال: إن الشيطان يرد الإنسان بكل ريدة، فإذا أعياه اضطجع في ماله فيمنعه أن ينفق منه شيئًا.

والثالث: من حيث التكثير بالأموال، فإن الغني يرى نفسه خيرًا من الفقير، وهذا جهل، لأن الفضل بفضائل النفس اللازمة لها، لا بجمع حجارة خارجة عنها، كما

قال الشاعر: (الهزج)

غِنَى النفس لمن يعقل ... خيرٌ من غنى المالِ
وفضلُ النفس في الحمد ... وليس الفضلُ في الحالِ

والرابــع: في إنفاقهــا، فمنهم من ينفقها على وجه التبذير والإسراف، تارة في البنيان الزائدة على مقدار الحاجة وتزويق الحيطان وزخرفة البيوت وعمل الصور، وتارة في اللباس الخارج بصاحبه إلى الكبر والخيلاء، وتارة في المطاعم الخارجة إلى السرف، وهذه الأفعال لا يسلم صاحبها من فعل محرم أو مكروه وهو مسؤول عن جميع ذلك.

وبإسناد عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله «يا ابن آدم لا تزول قدماك يوم القيامة بين يدي الله عز وجل حتى تسأل عن أربع: عمرك فيما أفنيته، وجسدك فيما أبليته، ومالك من أين اكتسبته وأين أنفقته»[1].

ومنهم من ينفق في بناء المساجد والقناطر إلا

---

[1] (?) حسن لغيره: أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء 8/73، والخطيب فى تاريخ بغداد 8/44 وقال: «فيه الحسين بن داود البلمى، ليس بثقة، حديث موضوع» ولكن له شاهد: أخرجه الترمذى فى صفة القيامة (2417) من حديث أبى برزة الأسلمى وقال: «حسن صحيح».
وشاهد آخر: أخرجة الترمذى فى صفة القيامة (2416) من حديث ابن مسعود.
وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (946).

أنه يقصد الريـاء والسـمعة وبقـاء الـذكر فيكتب اسـمه على ما بـنى، ولو كـان عمله لله عز وجل لاكتفى بعلمه سـبحانه وتعـالى، ولو كلف أن يبـني حائطًا من غـير أن يكتب اسـمه عليه لم يفعـل. ومن هذا الجنس إخراجهم الشمع في رمضان في الأنـوار طلبًا للسـمعة، ومسـاجدهم طـوال السـنة مظلمـة، لأن إخـراجهم قليلاً من دهن كل ليلة لا يـؤثر في المـدح ما يـؤثر في إخـراج شـمعة في رمضـان، ولقد كـان إغنـاء الفقـراء بثمن الشـمع أولى، ولربما خرجت الأضواء الكثيرة (إلى) السرف الممنوع منه، غير أن الرياء يعمل عملـه. وقد كـان أحمد بن حنبل يخـرج إلى المسـجد وفي يـده سراج فيضعه ويصلي.

ومنهم من إذا تصـدق أعطى الفقـير والنـاس يرونـه، فيجمع بين قصـده مـدحهم وبين إذلال الفقير.

وفيهم من يجعل منه الـدنانير الخفـاف فيكـون في الدينار قيراطان ونحو ذلك، وربما كـانت رديئة فيتصدق بها بين الجمع مكشوفة ليقـال: قد أعطى فلان فلانًا دينـارًا. وبـالعكس من هـذا كـان جماعة الصّالحين المتقدمين يجعلون في القرطاس الصغير دينارًا ثقيلاً يزيد وزنه على دينار ونصف ويسـلمونه إلى الفقـير في سـر، فـإذا رأى قرطاسًـا صـغيرًا ظنه قطعة، فـإذا لمسه وجد تـدوير دينـار، ففـرح،

فـإذا فتحه ظنه قليل الـوزن، فـإذا رآه ثقيلاً ظنه يقارب الدينار، فـإذا وزنه فـرآه زائـدًا على الـدينار اشـتد فرحـه، فـالثواب يتضـاعف للمعطي عند كل مرتبة.

ومنهم من يتصـــدق على الأجـــانب ويـــترك بر الأقارب وهم أولى. وبإسـناد عن سـلمان بن عـامر قـال: سـمعت رسـول الله يقـول: «الصـدقة على المسـلمين صـدقة، والصـدقة على ذوي الـرحم اثنتان: صدقة وصلة»[1].

ومنهم من يعلم فضيلة التصدق على القرابة إلا أن يكون بينهما عـداوة دنيوية فيمتنع من مواسـاته مع علمه بفقره، ولو واساه كـان له أجر الصـدقة والقرابة ومجاهدة الهـوى. وقد روي عن أبي أيـوب الأنصاري قال: قال رسول الله «إن أفضل الصدقة على ذي الـرحم الكاشـح»[2]. قـال المصـنف رحمه

[1] (?) صحيح: أخرجه النسائى فى الزكاة (2581)، والترمذى فى الزكـاة (658) وقـال: «حسـن»، وابن ماجه فى الزكـاة (1844)، وأحمد فى المسند 4/17، 18، وصححه الحاكم فى المستدرك 1/407 ووافقه الـذهبى، وابن حبـان فى صـحيحه (833 مـوارد)، والـبيهقى فى السـنة الكـبرى 4/174. وقـال الألبانى فى المشكاة (1939): «صحيح».

[2] (?) حسن: أخرجه أحمد فى المسند 5/416، والطـبرانى فى الكبير 4/165، 207، وذكر الهيثمى فى مجمع الزوائد 3/116 وقال: «وفيه الحجـاج بن أرطـأة وفيه كلام». والحـديث ذكـره الألبانى فى الإرواء (892) وعدد طرقه.

اللـه: وإنما قبلت هـذه الصـدقة وفُضِّـلَت لمخالفة الهوى، فـإن من تصـدق على ذي قرابة بحبه فقد اتفق على هواه.

ومنهم من يتصـــــدق ويضـــــيّق على أهله في النفقة. وقد روي عن جابر بن عبد الله قـال: قـال رســـول الله «أفضل الصـــدقة ما كـــان عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول»[1].

وبإسناد عن أبي هريرة قال: قـال رسـول اللـه: «تصدقوا»، فقال رجل: عندي دينار، فقال: «تصــدق به على نفسـك»، قـال: عنـدي دينـار آخـر، قـال: «تصدق به على زوجتك»، قال: عنـدي دينـار آخـر، قـال: «تصـدق به على ولـدك»، قـال: عنـدي دينـار آخر، قال: «تصـدق به على خادمـك»، قـال: عنـدي آخر، قال: «أنت أبصر بـه»[2]. ومنهم من ينفق في الحج ويلبِّس عليه إبليس بـــــأن الحج قربة وإنما مـراده الريـاء والفرجـة، ومـدح النـاس. قـال رجل

---

1 (?) صحيح: أخرجه أحمد فى المسـند 3/330، 346، وذكـره الهيثمى فى مجمع الزوائد 3/115 وقــال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح»، وابن حبان فى صحيحه (826 موارد).
وأخرجه مسلم فى الزكـاة (1034/95)، والنسـائى فى الزكـاة (2542) من حديث حكيم بن حزام.

2 (?) حسن: أخرجه أبو داود فى الزكاة (1691)، والنسائى فى الزكاة (2534)، وأحمد فى المسند 2/471، وصححه الحـاكم فى المســـتدرك 10/415 ووافقه الـــذهبى، وابن حبـــان فى صحيحه (828 موارد)، وحسنه الألبانى فى صحيح أبى داود.

لبشر الحــافي: أعــددت ألفي درهم للحج. فقــال: أحججت؟ قال: نعم، قال: اقض دين مدين، قـال: ما تميل نفسي إلا إلى الحج، قال: مـرادك أن تـركب وتجيء ويقال: فلان حاج.

ومنهم من ينفق على الأوقات والرقص ويــرمي الثيـــــاب على المغـــــني، ويلبِّس عليه إبليس بأنك تجمع الفقـــــــراء وتطعمهم، وقد بيّنّا أن ذلك مما يــوجب فســاد القلــوب، ومنهم من إذا جهز ابنته صاغ لها دست الفضة ويرى الأمر في ذلك قربــة، وربما كانت له ختمة فتقدم مجـامر الفضة ويحضر هنـاك قـوم من العلمـاء فلا هو يسـتعظم ما فعل ولا هم ينكرون اتباعًا للعـادة. ومنهم من يجـور في وصيته ويحرم الوارث ويـرى أنه ماله يتصـرف فيه كيف شـاء، وينسى أنه بـالمرض قد تعلقت حقـوق الــوارثين بــه. وبإســناد عن أبي أمامة قــال: قــال رســول الله «من حــاف عند الوصــية قــذف في الوباء[1]، والوباء واد في جهنم». وعن الأعمش عن خيثمة قال: قال رسـول الله «إن الشـيطان يقـول ما غلبـــني عليه ابن آدم فلن يغلبـــني على ثلاث:

---

[1] (?) ضعيف: أخرجه الديلمى فى الفردوس (5517) من حديث أبى أمامة بلفظ «من حاف فى الوصية ألقى فى لاوى ــ وادى فى أسفل النار»، وأخرجه ابن ماجة فى الوصــايا (2704) من حديث أبى هريـرة بلفـظ: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخـير سبعين سنة. فإذا أوصى حاف فى وصيته. فيختم له بشر عمله فيدخل النار» وفى إسناده شهر بن حوشب وهو ضعيف.

آمره بأخذ المال من غير حقه، وآمـره بإنفاقه في غير حقه، ومنعه من حقه»[1].

تلبيسه على الفقراء

(فصل)

وقد لبَّس إبليس على الفقـــــــراء، فمنهم من يظهر الفقر وهو غـــني فـــإن أضـــاف إلى هـــذا السـؤال والأخذ من النـاس فإنما يسـتكثر من نـار جهنم.

أَخْبَرَنَا ابن الحصـــين بإســـناده، عن محمد بن فضـــيل، عن عمـــارة، عن أبي زرعـــة، عن أبي هريرة، رضي الله عنه عن النبي قـال: «من سـأل الناس أموالهم تكثُّرًا فإنما يسـأل جمـرًا، فليسـتقل منه أو ليسـتكثر»[2]، وإن لم يقبل هـذا الرجل من الناس شيئًا وكان مقصوده بإظهار الفقر أن يقـال: رجل زاهد فقد راءى، وإن كتم نعمة الله عنـــده ليظهر عليه الفقر لئلا ينفق ففي ضـــــــمن بخله الشكوى من الله. وقد ذكرنا فيما تقدم أن رسـول الله رأى رجلاً بـــاذَّ الهيئة فقـــال: «هل لك من مال؟ قال: نعم. قال: فَلْتُرَ نعمةُ الله عليـك»[3]، وإن

---

1 (?) ضـعيف: أرسـله خيثمـة، وعنعنه الأعمش مع ثقته كـان يدلس.

2 (?) صـحيح: أخرجه مسـلم فى الزكـاة (1041/105)، وابن ماجه فى الزكاة (1838)، وأحمد فى المسند 2/231.

3 (?) صحيح: أخرجه الترمذى فى الـبر والصـلة (2006) وقـال:

كـان فقـيرًا محقًا فالمسـتحب له كتمـان الفقر وإظهار التجمـل، فقد كـان في السـلف من يحمل مفتاحًا يـوهم أن له دارًا ولا يـبيت إلا في المساجد.

(فصل)

ومن تلبيس إبليس على الفقراء أنه يرى نفسه خيرًا من الغني، إذ قد زهد فيما رغب ذلك الغني فيـه، وهـذا غلـط، وإن الخيرية ليست بـالوجود والعدم وإنما هي بأمر وراء ذلك.

تلبيس إبليس على جمهور العوام

وقد لبَّس إبليس على جمهور العـوام بالجريـان مع العـادات وذلك من أكـثر أسـباب هلاكهم. فمن ذلك أنهم يقلـدون الآبـاء، والأسـلاف في اعتقـادهم على ما نشـؤوا عليه من العـادة، فـترى الرجل منهم يعيش خمسين سنة على ما كان عليه أبـوه ولا ينظر أكـان على صـواب أم على خطـأ. ومن هـذا تقليد اليهـود والنصـارى والجاهلية أسـلافهم. وكـذلك المسـلمون يجـرون في صـلاتهم وعبـاداتهم مع العادة، فترى الرجل يعيش سـنين يصـلي على صـورة ما رأى النـاس يصـلون ولعله لا يقيم الفاتحـة، ولا يـدري ما الواجبـات، ولا يسـهل عليه

«حسن صـحيح» وأحمد فى المسـند 4/137، والطـبرانى فى الكبير 19/276، 277، وصححه الحاكم فى المستدرك 1/25 ووافقه الذهبى، وابن حبان فى صحيحه (1434 موارد).

أن يعرف ذلك هوانًا بالدين، ولو أنه أراد تجارة لسأل قبل سفره عما ينفق في ذلك البلد. ثم ترى أحدهم يركع قبل الإمام ويسجد قبل الإمام، ولا يعلم أنه إذا ركع قبله فقد خالفه في ركن، فإذا رفع قبله فقد خالفه في ركنين، فبطلت صلاته.

وقد رأيت جماعة يسلمون عند تسليم الإمام وقد بقي عليهم من التشهد الواجب شيء وذاك أمر لا يحمله الإمام فتكون صلاته باطلة، وربما يترك أحدهم فريضة وزاد في نافلة. وربما أهمل غسل بعض العضو كالعَقِب، وربما كان في يده خاتم قد حصر الأصبع فلا يديره وقت الوضوء ولا يصل الماء إلى ما تحته فلا يصح وضوؤه. وأما بيعهم وشراؤهم فأكثر عقودهم فاسدة ولا يتعرفون حكم الشرع فيها ولا يخفى على أحدهم أن يقلد فقيهًا في رخصته استقلالاً منهم للدخول تحت حكم الشريعة. وقل أن يبيعوا شيئًا إلا وفيه غش ويغطيه عيب. والجلاء يغطي عيوب الذهب الرديء حتى إن المرأة تضع الغزل في الأنداء وتنديه ليثقل وزنه. ومن جريانهم مع العادة أن أحدهم يتوانى في صلاته المفروضة في رمضان ويفطر على الحرام، ويغتاب الناس، وربما لو ضرب بالخشب لم يفطر في العادة لأن في العادة استبشاع الفطر. ومنهم من يدخل في الرّبا

بالاستئجار فيقول: معي عشرون دينارًا لا أملك غيرها فإن أنفقتها ذهبت، وأنا أستأجر بها دارًا وآكل أجرة الدار ظنًا منه أن هذا الأمر قريب. ومنهم من يرهن الدار على شيء ويؤدي ويقول: هذا موضع ضرورة، وربما كانت له دار أخرى وفي بيته آلات لو باعها لاستغنى عن الرهن والاستئجار، ولكنه يخاف على جاهه أن يقال: قد باع داره أو أنه يستعمل الخزف مكان الصفر. ومما جَرَوا فيه على العادات اعتمادهم على قول الكاهن والمنجم والعرَّاف، وقد شاع ذلك بين الناس واستمرت به عادات الأكابر، فقل أن ترى أحدًا منهم يسافر أو يفصل ثوبًا أو يحتجم إلا سأل المنجم وعمل بقوله، ولا تخلو دورهم من تقويم وكم من دار لهم ليس فيها مصحف.

وفي الصحيح عن النبي أنه سئل عن الكهان، فقال: «ليسوا بشيء»، فقالوا: يا رسول الله: إنهم يحدثون أحيانًا بالشيء يكون حقًا، فقال رسول الله «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه قرّ الدجاجة، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة»[1]. وفي صحيح مسلم عن النبي أنه قال: «من أتى عَرَّافًا فسأله عن شيء لم

---

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الطب (5762)، ومسلم فى السلام (2228/122، 123) من حديث عائشة.

تقبل له صلاة أربعين ليلة»[1]. وروى أبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي أنه قال: «من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد برىء مما أُنزل على محمد »[2]. ومن جريانهم مع العادات كثرة الأيمان الحانثة التي أكثرها ظهار وهم لا يعلمون فأكثر قولهم في الأيمان: حرام عليَّ إن بعت.

ومن عاداتهم لبس الحرير والتختم بالذهب، وربما تورَّع أحدهم عن لبس الحرير ثم لبسه في وقت كالخطيب يوم الجمعة. ومن عاداتهم إهمال إنكار المنكر حتى إن الرجل يرى أخاه أو قريبه يشرب الخمر ويلبس الحرير فلا ينكر عليه ولا يتغير، بل يخالطه مخالطة حبيب. ومن عاداتهم أن يبني الرجل على باب داره مصطبة يضيق بها طريق المارة، وقد يجتمع على باب داره ماء مطر ويكثر فيجب عليه إزالته وقد أثم بكونه كان سببًا لأذى المسلمين. ومن عاداتهم دخول الحمام بلا مئزر، وفيهم من إذا دخل بمئزر رمى به على فخذه فترى جوانب إليتيه ويسلم نفسه إلى

---

1 (?) صحيح: أخرجه مسلم فى السلام (2230/125)، وأحمد فى المسند 4/68 من حديث صفيه، عن بعض أزواج النبى e.

2 (?) صحيح: أخرجه أبو داود فى الكهانة (3904)، والترمذى فى الطهارة (135)، وابن ماجه فى الطهارة (639)، وأحمد فى المسند 2/408، 429، وصححه الحاكم فى المستدرك 1/8 ووافقه الذهبى.

المــدلك فــيرى بعض عورته ويمســها بيــده لأن العورة من السرة إلى الركبة، ثم ينظر هؤلاء إلى عورات الناس ولا يكاد يغض ولا ينكر. ومن عادتهم تـرك القيـام بحق الزوجة وربما اضـطروها إلى أن تسقط مهرها، ويظن الـزوج أنه قد تخلص بما قد أسقطته عنـه. وقد يميل الرجل إلى إحـدى زوجتيه دون الأخـرى فيجـور في القسم متهاونًا بـذلك ظنًا أن الأمر فيه قــريب. فقد روى أبو هريــرة رضي الله عنه عن النـــبي أنه قـــال: «من كـــانت له امرأتان يميل إلى إحداهما على الأخرى، جـاء يـوم القيامة يجر إحدى شقيه سـاقطًا أو مـائلاً»[1]. ومن عادتهم إثبات الفلس عند الحاكم، ويعتقد الـذي قد حكم له بـــالفلس أنه قد ســـقطت عنه بـــذلك الحقـوق، وقد يوسر ولا يـؤدي حقًـا. ومنهم من لا يقــوم من دكانه بحجة الفلس إلا وقد جمع مــالاً من أمــوال المعــاملين فأضــرَّ به ينفقه في مــدة اســتتاره وعنــده إن الأمر في ذلك قــريب. ومما جروا فيه على العـادات أن الرجل يسـتأجر ليعمل طول النهـار فيضـيع كثـيرًا من الزمـان إما بالتثبط في العمل أو بالبطالة أو بإصـلاح آلات العمل مثل

---

1 (?) صحيح: أخرجه أبو داود فى النكاح (2133)، والترمذى فى النكاح (1141)، والنسائى فى عشرة النسـاء (3952)، وابن ماجه فى النكــاح (1969)، والــدارمى فى النكــاح (2206)، وأحمد فى المسـند 2/295، وصـححه الحـاكم فى المسـتدرك 2/186 ووافقه الذهبى.

أن يُحِدَّ النجار الفأس والشقّاق المنشار، ومثل هذا خيانة إلا أن يكون ذلك يسيرًا قد جرت العادة بمثله. وقد يفوت أكثرهم الصلاة ويقول: أنا في إجارة رجل، ولا يدري أن أوقات الصلاة لا تدخل في عقد الإجارة، وقلة نصحهم في أعمالهم كثيرة.

ومما جروا فيه على العادة دفن الميت في التابوت، وهذا فعل مكروه، وأما الكفن فلا يتباهى فيه بالمغالاة، ينبغي أن يكون وسطًا. ويدفنون معه جملة من الثياب وهذا حرام؛ لأنه إضاعة للمال ويقيمون النوح على الميت. وفي صحيح مسلم أن النبي قال: «إن النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب»[1]. ومن عاداتهم اللطم وتمزيق الثياب وخصوصًا النساء. وفي الصحيحين أن النبي قال: «ليس منا من شق الجيوب ولطم الخدود ودعا بدعوى الجاهلية»[2]. وربما رأوا المصاب قد شق ثوبه فلم ينكروا عليه، لا بل ربما أنكروا ترك شق الثوب وقالوا: ما أثّرت عنده المصيبة. ومن

---

1 (?) صحيح: أخرجه مسلم فى الجنائز (934/29)، وأحمد فى المسند 5/342، 343.

ومعنى قوله «درع من جرب»: يعنى يسلط على أعضائها الجرب والحكة بحيث يغطى بدنها تغطية الدرع، وهو القميص.

2 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الجنائز (1294، 1297، 1298)، ومسلم فى الإيمان (103/165) من حديث عبد الله بن مسعود.

عـــاداتهم يلبســـون بعد الميت الـــدُّون من الثيـــاب ويبقون على ذلك شهرًا أو ســنة، وربما لم ينــاموا هذه المدة في سطح. ومن عاداتهم زيــارة المقــابر في ليلة النصف من شــعبان وإيقـــاد النـــار عنـــدها وأخذ تراب القبر المعظم.

قال ابن عقيل: لما شقت التكاليف على الجهال الطَّغـــام عـــدلوا عن أوضـــاع الشـــرع إلى تعظيم أوضـــاع وضـــعوها لأنفســـهم فســـهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم، قال: وهم كفار عندي بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبـور وإكرامها بما نهى الشـــرع عنه من إيقـــاد النـــيران وتقبيلها وتخليقها وخطـــاب المـــوتى بـــالألواح وكتب الرقـــاع فيهـــا: يا مـــولاي افعل بي كـــذا وكـــذا وأخذ الـــتراب تبركًا وإفاضة الطيب على القبـــــور وشد الرحـــــال إليها وإلقاء الخـرق على الشـجر اقتـداءً بمن عبد اللات والعزى، ولا تجد في هؤلاء من يحقق مســـألة في زكاة فيســـأل عن حكم يلزمـه. والويل عنـدهم لمن لم يقبل مشهد الكهف ولم يتمسَّح بـآجرة مسـجد المأمونية يـــــوم الأربعـــــاء ولم يقل الحمَّالون على جنازته أبو بكر الصـديق أو محمد وعلي، ولم يكن معها نياحـــــة، ولم يعقد على أبيه أزَجًا بـــــالجص والآجـر، ولم يشق ثوبه إلى ذيلـه، ولم يـرق مـاء الورد على القبر ويدفن معه ثيابه.

تلبيس إبليس على النساء

(فصل):

وأما تلبيس إبليس على النساء فكثير جـدًا وقد أفردت كتابًا للنسـاء ذكـرت فيه ما يتعلق بهن من جميع العبادات وغيرهـا، وأنا أذكر ههنا كلمـات من تلــبيس إبليس عليهن. فمن ذلك أن المــرأة تطهر من الحيض بعد الزوال فتغتسل بعد العصر فتصلي العصر وحــــــدها وقد وجبت عليها الظهر وهي لا تعلم. وفيهن من يؤخر الغسل يـومين وتحتج بغسل ثيابها وغسـلها ودخـول الحمـام، وقد تـؤخر غسل الجنابة في الليل إلى أن تطلع الشــــمس. فــــإذا دخلت الحمام لم تتزر بمـئزر وتقـول ما دخل إليَّ إلا القيِّمة، وربما قـالت: أنا وأخـتي وأمي وجـاريتي وهن نسـاء مثلي فممن أسـتتر، وهـذا كله حـرام. فـإن تـأخير الغسل بغـير عـذر لا يجـوز. ولا يحل للمرأة أن تنظر من المرأة ما بين سـرتها وركبتها ولو كانت ابنتها وأمها، إلا أن تكون البنت صـغيرة، فإذا بلغت سبع سنين استترت واستتر منها.

* وقد تصـلي المـرأة قاعـدة وهي تقـدر على القيام، فالصلاة حينئذٍ باطلة. وقد تحتج بنجاسة في ثوبها من بول طفلها وهي تقـدر على غسـله، ولو أرادت الخـروج إلى الطريق لتهيـأت واسـتعارت، وإنما هـان عنـدها أمر الصـلاة، وقد لا تعـرف من

واجبات الصلاة شيئًا ولا تسأل.

* وقد ينكشف من الحــــرة ما يبطل صـــــلاتها وتستهين به.

* وقد تستهين المرأة بإسـقاط الحبل ولا تـدري أنها إذا أسقطت ما قد نفخ فيه الـروح فقد قتلت مسـلمًا، وقد تسـتهين بالكفـارة الواجبة عليها عند ذلك الفعل، فإنه يجب عليها أن تتوب وتـؤدي ديته إلى ورثته وهي غُـــــرَّة عبد أو أمة قيمتها نصف عشر دية أبيه أو عشر دية الأم، ولا تـــــرث الأم من ذلك شيئًا، ثم تعتق رقبة فإن لم تجد صـامت شهرين متتابعين.

* وقد تسـيء الزوجة عشـرتها مع الـزوج وربما كلمته بـالمكروه وتقـول: هـذا أبو أولادي وما بيننا هـذا، وتخـرج بغـير إذنه وتقـول: ما خـرجت في معصية، ولا تعلم أن خروجها بغير إذنه معصية، ثم نفس خروجها لا يؤمن منه فتنة.

* وفيهن من تلازم القبـور وتُحِـدُّ لا على زوج، وقد صح عن رسول الله أنه قال: «لا يحل لامرأة تـؤمن بالله ورسـوله أن تُحِـدَّ على ميت إلا على زوج أربعة أشهر وعشرًا»[1].

---

1 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الجنائز (1280، 1281)، ومســـلم فى الطلاق (1486/58) من حـــديث أم حبيبة زوج النبى e.

ومنهم من يـــدعوها زوجها إلى فراشه فتـــأبى وتظن هذا الخلاف ليس بمعصـــية، وهي منهية عنه لما روى أبو هريـــرة رضي الله عنه قـــال: قـــال رســـــول الله «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فباتت وهو عليها ساخط لعنتها الملائكة حتى تصبح»[2]، أخرجاه في الصحيحين.

* وقد تفـرط المـرأة في مـال زوجها ولا يحل لها أن تخـرج من بيته شـيئًا إلا أن يـأذن لها أو تعلم رضـــــاه. وقد تعطي من ينجّم لها بالحصى ويسـحر ومن تعمل لها نسـخة محبة وعقد لسـان، وكل هـذا حـرام، وقد تسـتجيز ثقب آذان الأطفـال وهو حرام.

* فـإن أفلحت وحضـرت مجلس الواعظ فربما لبست خرقة من يد الشـيخ الصـوفي وتصـافحه فصـارت من بنـات المنـبر فخـرجت إلى عجـائب، وينبغي أن نكف عنـان العلم اقتصـارًا على هـذه النبـذة فـإن هـذا الأمر يطـول، ولو بسـطنا النبذ المذكورة في هذا الكتاب أو شـيدنا ردنا على من رددنا عليه بالأحـاديث والآثـار لاجتمعت مجلـدات، وإنما ذكرنا اليسـير ليـدل على الكثـير، وقد اقتنعنا في ذكر فاحش القبيح من أفعال الغـالطين بنفس حكايته دون تعـــاطي رده لأن الأمر فيه ظـــاهر،

---

2 (?) متفق عليه: أخرجه البخارى فى النكاح (5193)، ومسلم فى النكاح (1436/122).

والله يعصـــمنا من الزلل ويوفقنا لصـــالح القـــول والعمل بمنه وكرمه.

الباب الثالث عشر في ذكر تلبيس إبليس على جميع الناس بطول الأمل

قــال المصــنف رحمه اللــه: كم قد خطر على قلب يهـودي ونصـراني حب الإسـلام فلا يـزال إبليس يثبطه ويقول لا تعجل وتمهل في النظر فيسوّفه حـتى يمـوت على كفـره، وكـذلك يسـوّف العاصي بالتوبة فيعجل له غرضه من الشـهوات ويمنّيه الإنابـة، كما قـال الشـاعر: (السريع)

لا تعجل الذنب لما **وتأمل التوبة من**
وكم من عازم على **وكم ساع إلى**

فلربما عــزم الفقيه على إعــادة درسه فقــال: اســترح ســاعة، أو انتبه العابد في الليل يصــلي فقـــال لـــه: عليك وقت، ولا يـــزال يحبب الكسل ويسوّف العمل ويسند الأمر إلى طول الأمل.

فينبغي للحـازم أن يعمل على الحـزم، والحـزم تدارك الوقت وترك التسوف والإعراض عن الأمل، فإن المخـوف لا يـؤمن والفـوات لا يبعث، وسـبب كل تقصـــير في خـــير، أو ميل إلى شر طـــول الأمل، فإن الإنسان لا يـزال يحـدث نفسه بـالنزوع عن الشر والإقبــال على الخــير إلا أنه يعد نفسه بـــذلك، ولا ريب أنه من أمل أن يمشي بالنهـــار

سار سيرًا فاترًا، ومن أمل أن يصبح عمل في الليل عملاً ضعيفًا، ومن صوّر الموت عاجلاً جدّ، وقد قال «صل صلاة مودع»[1].

وقال بعض السلف: أنذركم سوف، فإنها أكبر جنود إبليس. ومثل العامل على الحزم والساكن لطول الأمل كمثل قوم في سفر فدخلوا قرية فمضى الحازم فاشترى ما يصلح لتمام سفره وجلس متأهبًا للرحيل، وقال المفرط: سأتأهب فربما أقمنا شهرًا. فضرب بوق الرحيل في الحال فاغتبط المحترز واعتبط الآسف المفرط.

* فهذا مثل الناس في الدنيا منهم المستعد المستيقظ، فإذا جاء ملك الموت لم يندم، ومنهم المغرور المسوف يتجرع مرير الندم وقت الرحلة، فإذا كان في الطبع حب التواني وطول الأمل، ثم جاء إبليس يحث على العمل بمقتضى ما في

---

[1] (?) حسن بشواهده: أخرجه الحاكم فى المستدرك 4/326، 327 من حديث سعد بن أبى وقاص وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبى، والبيهقى فى الزهد (528)، وانظر: الترغيب والترهيب 1/590.
وأخرجه الطبرانى فى الأوسط (4427)، من حديث عبد الله بن عمر، وذكره الهيثمى فى المجمع الزوائد 10/229 وقال: «وفيه من لم أعرفهم». والحديث ذكره الألبانى فى الصحيحة (1914)، وذكره له شواهد وطرق ثم قال: «وبالجملة فالحديث قوى بهذه الشواهد». وانظر: كشف الخفاء 1/325، واتحاف السادة المتقين 3/161.

الطبع صــعبت المجاهــدة، إلا أنه من انتبه لنفسه علم أنه في صف حرب وأن عـدوه لا يفـتر عنـه، فـإن فـتر في الظـاهر أبطن له مكيـدة وأقـام له كمينًا.

ونحن نســـأل الله عز وجل الســـلامة من كيد العــدو وفتن الشــيطان وشر النفــوس والــدنيا إنه قريب مجيب. جعلنا الله من أولئك المؤمنين.

الـفـهـرس

الموضوع **الصفحة**